صداق المرأة البيزنطية
وحقوقها القانونية من واقع مدونة جستنيان
Codex Justinunus

أ. د/ عفاف سيد محمد صبره
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الدراسات الإنسانية
جامعة الازهر

برز الإمبراطور جستنيان في حكم الإمبراطورية البيزنطية في الفترة من ٥٢٧ – ٥٦٥م. نجح خلالها في تحقيق السياسات التي رسمها خارجيًّا، وهي إعادة البحر المتوسط بحيرة رومانية إلى جانب كثير من المجالات الداخلية التي سطر تاريخها من خلال ما أضافه من خير للإمبراطورية(١).

وبما أن جميع الإنجازات التي حققها جستنيان في المجالات السابقة قد نالت حظها كثيراً من قِبل الباحثين والمتخصصين الأجانب والعرب، والذين كان جل اعتمادهم على ما سطره وتركه لنا المؤرخون المعاصرون لجستنيان، والذين عكفوا على تدوين سيرته أمثال صديقه بروكوبويس القيصري، ومعاصره المتأخر أجاسياس والذي دون الأحداث للفترة من ٥٥٢ – ٥٥٨م، ثم أكمل الأحداث من عام ٥٥٨ – ٥٨٢م ونشر مؤلفه هذا في مجموعة بون البيزنطية – Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae سنة ١٨٢٨م في ألمانيا.

لذلك رأيت أن أسهم قدر استطاعتي في تقديم دراسة وافية عن إنجاز من أفضل إنجازات جستنيان، بل إنه يعتبر العلامة الكبرى التي ميزت عهده، وهو الإصلاح القانوني؛

---

(1) ProCopious, of Caesarea, The Building, Trans by H. B. Dewing, London, 1940. The secret history , Trans, by Rochard Atwater, Michegan, 1961.

لأنه كان يعتقد أن إمبراطور الدولة يحمل عبئًا واحدًا مزدوجًا، فقد كان عليه أن يكون الفاتح العسكري، وفي نفس الوقت المشرع الأعلى[٢]، لذلك وجه نظره ناحية القانوني الروماني.

كان أعظم نفع عاد به الحكم الروماني على الإمبراطورية الرومانية الشاسعة، هو تطبيق نظام عالمي موحد لنشر العدالة يقوم على أسس راسخة، قانون عريق مر بأعقد التجارب ألا وهو القانون الروماني الذي نما وتطور على مر العصور، وهو وإن كان رومانيًّا قلبًا إلا إن طابعه الروماني الأصلي نفسه هو الذي قضى بضرورة الاعتراف بأهمية ما أقره العُرف، وجرت عليه التقاليد لدى غير الرومان من الشعوب والأمم، على ذلك، فقد كان في وسع الحاكم أن يتخفف من حرفية القانون استنادًا إلى العادات المختلفة، كما يفسرها أقطاب الأهلين في البلاد، وبذلك ظل النظام طيعا لا جفاء فيه[٣].

يعتبر القانون الروماني هو أكثر الأعمال الرومانية عبقرية وأصالة وأعظم ما أهدته لمن أتى بعدها من الناس، حيث مر هذا القانون بمراحل قبل عصر جستنيان، الأولى مرحلة التقنين التي بدأت زمن دقلديانوس ٢٨٤–٣٠٥م، حيث تم جمع القوانين الأساسية التي صدرت منذ عهد الإمبراطور هادريان ١١٧–١٣٨م حتى دقلديانوس والثانية ما قام به الإمبراطور هادريان، ثم مجموعة الإمبراطور ثيودسيوس الثاني الذي صُنفت في عهده مجموعة القوانين الأساسية للإمبراطورية نشرت سنة ٤٣٨م[٤].

---

(2) Barker, E. Justinian and the Later Roman Empire, London, 1966.
Bury, J. B. History of the Later Roman Empire, London, 1923.

(٣) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس، ومحمود يوسف، القاهرة، ١٩٥٠، ص٢٥٠، شارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: رمزي عبده جرجس، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

(٤) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٤٩، ٢٥٠.

ومع ذلك، بدأ الغموض والتناقض يتسرب إلى كيان القانون الروماني، وقد شكا جستنيان من ذلك، وأخذت القضايا تُؤجل إلى ما لا نهاية أمام المحاكم، وأخذت الأحكام لا تعتمد على مواد ثابتة قدر اعتمادها على أهواء القضاة التعسفية(٥).

لذلك ما أن تولى جستنيان عرش الإمبراطورية حتى أصدر مرسوماً إلى مجلس الشيوخ أعلن فيه عن خطته التشريعية التي تهدف إلى إصدار قوانين جديدة، وحذف القوانين المتناقضة والمهجورة والمقدمات الزائدة(٦).

لذلك عهد إلى تريبونيان وهو من كبار المشرعين وساعده الأيمن بإعداد القانون، فقد رأى فيه جستنيان رجله المنشود، وكان لا يتعب من الفخر بعلمه الغزير ومن تحمسه الشديد له(٧). حتى أنه عهد إليه بمشروعه القانوني الكبير الذي تسمى باسم جستنيان، خاصةً وأنه إلى جانب كونه قانونيًّا كان رجل دولة وفيلسوفًا وخطيبًا ومحاميًا وعالمًا في الفلك(٨).

أصدر تريبونيان في السابع من أبريل سنة ٥٢٩م مجموعة جستنيان القانونية Codex Jus وذلك في مجلد واحد مؤلف من عشرة كتب(٩) من عهد هادريان حتى عصر جستنيان.

وكان نجاح اللجنة مشجعاً للإمبراطور جستنيان بأن يعهد إلى مستشاره بإنجاز عمل آخر، فقام بإعداد مجموعة أخرى خلصت القانون القديم من كل ما تعلق به من الشوائب، كل ذلك تم في ثلاث سنوات وتم نشره في ديسمبر سنة ٥٣٣م عُرفت اسم الموجز Digestum.

---

(٥) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٥٠.

(٦) محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، القاهرة، ١٩٨٩، ص٩٢.

(٧) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٥١.

(٨) محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية، ص٩١.

(٩) موسى، ميلاد: العصور الوسطى، ص١٩٢، Bury. Later Roman Empire, p. 59

أما المرحلة الثالثة، فقد رأى جستنيان أنه ليس في وسع الشباب المبتدئين في القانون والحريصين على أن يدرسوا أسراره أن يلموا بكل محتويات هذين المصنفين الفخمين[١٠]. لذلك قاموا بإعداد ملخص في القانون المدني صدر في نوفمبر سنة ٥٣٣ يشمل أربعة كتب عُرفت باسم الشرائع Institutions لتزويد طلاب الدراسات القانونية بالقواعد التي تمهد للتعمق في الدراسات العليا[١١].

أصدر جستنيان مجموعة تشريعية باللاتينية لسان الغرب ونشرت حين كان على وشك الشروع في إعادة الغرب إلى حظيرة الإمبراطورية[١٢].

أما المرحلة الرابعة فهي المتجددات Novellae وهي مجموع القوانين التي صدرت بعد عام ٥٣٤م ومعظمها صدرت باللغة اليونانية حتى يتفهمها الناس.

وتعتبر المتجددات وهي القوانين المستحدثة آخر ما وضعه جستنيان من عمل تشريعي، وتعتبر من أهم المصادر لدراسة تاريخ هذا العصر من الناحية الداخلية[١٣].

وبذلك خرج ما قدمه جستنيان من قانون على شكل مدونة عظيمة عكف العلماء على مراحل تاريخية مختلفة على الاهتمام بها وترجمتها من لغتها الأصلية إلى لغات عديدة.

وقد اعتمدنا في تقديم هذه الدراسة على النسخة التي قام بترجمتها Timothy Kear Ley[١٤] وقدمها في نسخة إلكترونية[١٥] لم تُنشر نشراً كاملاً لما تحتاجه من تكاليف كبيرة،

---

(10) Vasiliev, History of he Byzantine Empire, Wisconsin, 1958, p. 145.

(١١) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٥٢.

(١٢) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٥٦.

(١٣) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٥٦، البار الغربي، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٨٣. .

(14) Timothy Kearly, Director of the law Libarary & Professor of law. University of Wyoming.

(١٥) هذه النسخة الإلكترونية على Website.

وقدمها تحت عنوان:

Justice Fred Blume and The Translation of Justinian's Code, 99, Law, Lib. J. 525, 2007.

وهي تحوي ترجمة إنجليزية عن النسخة اللاتينية التي قام العالم الألماني Justice Fred Blume بترجمتها، وذلك بعد جهد كبير بذله في هذا المجال، حيث كان بلوم مولعاً بدراسة القانون الروماني في ألمانيا؛ لأنه كان يعمل في مجال القانون والمحاماة حتى قيل أنه كان يستخدم كثيراً من نصوص القانون الروماني في المحاكم التي يعمل بها، وظل على ذلك حتى عام ١٩٢٩م.

وفي هذا العام تلقى بلوم دعوة من العميد جون ويجمور John Wigmore لتدريس القانون الروماني لمدة تسعة أسابيع في فصل دراسي صيفي في جامعة نورث ويسترن North Western Univ. School، وهناك ذاع صيته حتى تمت دعوته للاشتراك في حلقة البحث التي تديرها المجموعة القانونية المتميزة التي تحاضر فيما يُعرف بسيمنار ريكوبونو Riccobono[١٦]، وكان مقر هذه الحلقة في الجامعة الكاثوليكية بأمريكا، حيث استمر يحاضر هناك من عام ١٩٣٤ حتى عام ١٩٥٧م وكان يشاركه في هذه الحلقة Roscoe, Fritz Schutz, A. A. Schiller Dean Wigmore, Julius Wolff, Dorsey.

وكانت أولى أعمال بلوم في مجال القانون الروماني المقالة التي نشرها في عام ١٩٣١م في دورية Tulane Law تم ما نشره في دورية Sherman's Epitome of Roman Law والمصادرة في عام ١٩٣٨م.

---

(16) Riccobono Society in Washington, كتب بها بلوم عام ١٩٣٨م.

تحركت فكرة دراسة قانون جستنيان ومتجدداته وترجمتها إلى الإنجليزية عند الأستاذ بلوم عندما وجد أن هذا القانون قد تم ترجمته إلى الألمانية في عام ١٨٣٠م، كما إن هناك محاولات أخرى سبقته لمحاولة الترجمة العالم S. P. Scott فقد نشر ترجمة إنجليزية لقانون جستنيان، ولكن الأستاذ Timothly Kearly ناشر ترجمة الأستاذ بلوم يعيب هذه الترجمة كثيراً ويرى أنها ناقصة بل يصفها بأنها ليست إلا مجرد حماس شخصي حاول به المترجم أن يقوم بهذا العمل، وحاول المتخصصون إرضاء غروره، بل اعتبر Kearley هذه النسخة مطموسة ويصعب قراءتها.

وتلي Scott محاولة أخرى قام بها شارل هنري مونرو Charles Henry Monro بترجمته لأجزاء من الدجستا، ولكن النتائج غير طيبة؛ لأنه ترك أجزاءً كثيرة من النصوص دون ترجمة، كما ذكر العالم بوكلاند Buckland وغيره، وأنه فعل ذلك ليتجنب الصدام، ولكن كتابته كانت أحسن حالاً في قراءتها عن نسخة Scott، واتبع مونرو في ترجمة بعض أجزاء الدجستا Digesta – وفقاً لآراء بعض العلماء– طريقة اتباع نفس نموذج الأصل اللاتيني أي أن الجمل تسير على نفس النمط، بينما كان سكوت يقطعها إلى وحدات صغيرة بجمل متفرقة(١٧).

الترجمة الإنجليزية للعالم بلوم Blume:

حاول بلوم منذ عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٥٢ تقديم ترجمة إنجليزية لقوانين جستنيان، وقد شاركه في هذا العمل الأستاذ Pharr(١٨) وقد عمل بلوم في هذا المخطوط ثلاثة عقود متتالية، واعتمد في ذلك على الطبعة اللاتينية الموثقة التي قدمها Mommsen and Krueger وقام بمراجعتها الأستاذ Pharr.

---

(17) Timothy, G. Kearley, Law Library Journal Vol, 99. 3, p. 552.

(١٨) هو Claude Pharr أستاذ الدراسات اليونانية واللاتينية بجامعة فاندربليت Vanderbilt.

وقد كان هدف بلوم طوال هذه السنوات وبهذا الجهد الكبير أن تكون ترجمته للقانون الوحيدة أساساً للترجمة الإنجليزية المعتمدة لقانون جستنيان ويعتبر ضمن مجموعة القانون الروماني Corpus of roman Law وتوفى بلوم سنة ١٩٧١ بعد أن قام بترجمة قانون جستنيان ومتجدداته ولم يقم بنشر ما قام بترجمته، وإنما قام بإضافة هذا العمل العلمي إلى جامعة Wyoming بألمانيا مسقط رأسه، وبالتحديد إلى المكتبة العلمية الواسعة الخاصة بالقانون الروماني.

قام الأستاذ Timomy Kearley في عام ٢٠٠٥ بجهد كبير في نشر هذا العمل العلمي وذلك بعد مرور سبعين عاماً على تقديم الأستاذ Blume له في الحلقة البحثية في واشنطن، وقد استعان الناشر بالمخطوط الأصلي الذي قدمه بلوم إلى جانب الترجمة الألمانية لقوانين جستنيان لمساعدته في التعليقات التي قدمها بلوم على النسخة اللاتينية حتى يتمكن من فهم ما يقصده من النقاط غير المفهومة.

وقد قدم بلوم دراسة وافية للمخطوط وشكله والطريقة التي اتبعها العالم بلوم والمختصرات التي قدمها، والنقاط والفواصل والشرط.

القائمة

Digest book	D
Code	C
Title	T
Law	L

تكون البداية إما Code فتبدأ بـ C أو تكون البداية بـ Digest فتبدأ بـ D. ودائماً يليها رقم العنوان Title ثم رقم القانون Law.

ولذا سنعتمد في تقديم موضوعنا عن صداق المرأة في قانون جستنيان مستخدمين نفس هذه المختصرات التي قدمها العالم Blume، واعتمدها من بعده الناشر Kearly.

وقد تخيرت من بين جميع القضايا والبنود القضائية قضية واحدة وهي صداق المرأة البيزنطية وحقوقها القانونية من واقع ما ورد في هذه المجموعة القانونية.

ورأيت أن أقوم بتقسيم بنود وقضايا الصداق إلى المحاور التالية:

١- التعريف بمعنى الصداق، ولمحة تاريخية عنه.

٢- محتوى عقد الصداق.

٣- حقوق المرأة في وراثة صداق أمها.

٤- حقوق المرأة لحماية عقد الصداق وكيفية استردادها لصداقها.

٥- رفع الدعوى الخاصة بالصداق، والمصحوب بدعوى على الحكم الخاص بطبيعة الصداق.

٦- ما يخص الاتفاقات التي يبرمها الأقارب، فيما يخص الصداق – هدايا ما قبل الزواج – أملاك المرأة المتفرقة.

٧- الهدايا المتبادلة بين الزوج وزوجته.

٨- بخصوص الوصايا والهبات من الزوج إلى زوجته.

أولاً: التعريف بالصداق وتطوره:

نبدأ بالقضية الأولى الصداق – المهر Dowery[١٩]:

نشرت أقدم وثيقة قانونية تخص الصداق في أغسطس سنة ٢٣١م من عهد الإمبراطور ألكسندر ٢٢١–٢٣٥م إلى عهد الإمبراطور كلوديوس ٢٦٨–٢٧٠م والتي تنص على ما يلي: "إنك حقاً مخطئ إذا فكرت أن لك الحق في التصرف في عهود الصداق التي تعهدت بها –فلا يمكن أن تتخلى عنها، طالما لا يوجد شيء واضح، ولا كمية محددة، وقد تعهدت بها لكن لابد أن تلتزم بما هو مدون في عقد الزواج، وهو أن المرأة التي تزوجتك عليها أن تقدم وتدفع الصداق[٢٠].

---

(19) Buckler, G. Byzontine Law, Cam – Med – Hist. Vol. II.

(20) Codex Justinianus, 5, 11. I. Vol. V, Title XI.

لعل هذا النص يوضح ويفسر لنا معنى الصداق أو المهر الخاص بالزواج في العصور الرومانية، فقد كان العُرف السائد بالنسبة للزواج الشرعي أن تدفع المرأة الصداق أو ما يُعرف بالدوطة لزوجها، وذلك للإسهام في تحمل نفقات المعيشة ومسئولياتها، ويكون والد الزوجة هو المنوط به تقديم ذلك عن ابنته، كما كان عليه واجب آخر وهو أن يقوم بتجهيزها في حالة استطاعته(٢١).

كان الصداق يتكون من أي نوع من الممتلكات الثابتة أو المنقولة ولم يكن ضروريًّا أن يقدم كله في الحال، بمعنى أن يدفع مرة واحدة، لكن كان من الممكن أن تتعهد الزوجة ووالدها على الدفع مستقبلاً، كما كانت الاتفاقات على الصداق تتم كتابة وتنص على الآتي: "أن يتعهد الزوج بالحفاظ على هذا الصداق طوال فترة الزوجية، لكن وكما هو شائع كان عليه إعادته في حالة فسخ عقد الزواج أو الانفصال".

كانت هناك حالات أخرى استثنائية وهي أنه بالإضافة إلى إعادة الصداق الذي دفعته كاملاً في حالة الانفصال، كان يمكنها الحصول على أملاك أخرى أو منقولات تتمكن من التصرف فيها في حالة حصولها على حريتها(٢٢).

ولعل ما صدر في هذا القانون عدله الإمبراطور جستنيان بإضافات قانونية، فالذي أمامنا أنه إذا لم يكن الصداق محدداً بالكمية أو النوع أو العدد، يستطيع الزوج التنصل من العهد؛ لأنه لا توجد وثيقة قانونية تحدد ما عليه، لكن في حالة وجود عقد مكتوب يتعهد فيها الزوج بالصداق الذي حصل عليه، ونوعه وكميته. فوفقاً لما أدخله جستنيان في مدونته لابد أن يدفع ما عليه وفقاً للحكم الصادر من أي شخص موثوق فيه(٢٣).

---

(21) Codex Justinianus, Note. C. 5. 18. Vol. V, Title XI.

(22) Codex Justinianus. C. 5. 14. 8. Vol. v.

(23) Law. 3. H. T, Riccobono, 180. Z. S. 5. 34.

تكررت البنود التي أوردها جستنيان في مدونته، والتي تعود لنفس الفترة الزمنية السابقة عليه، منها ما هو صادر في الحادي عشر من أغسطس سنة ٢٣٨م، وكذلك الأول من يناير عام ٢٤٠م، وفي الخامس عشر من إبريل ٢٩٣م، والتي امتدت بنا إلى عصر دقلديانوس ٢٨٤–٣٠٥م والإمبراطور مكسيميان، وقياصرتهما، حيث تقرر أنه لابد أن يثبت في عقد الزواج استلام الزوج لما قدمته له زوجته وأبيها من ممتلكات تعتبر صداقاً لها؛ لأن الزوج مُلزم بأن يفي بما نص عليه عقد الصداق، والذي لابد من الوفاء به. وتفسير ذلك يوضح أن عقود الصداق كانت تنص دائماً على أن زوج المستقبل هو الذي سيحصل على الصداق، ولكن هذا النص لم يكن مُلزماً، بل يكون تبعاً لما هو مدون في العقد(٢٤).

لذلك كان يمكن أن يعرف جيداً ما حصل عليه من أملاك حقيقية، وإذا لم يفعل ذلك، فإنه لا يستطيع أن يجبر على أن يعيد شيئاً أكثر مما حصل عليه، بل له الحق في رفع قضيته على ما لم يقم باستلامه وذلك في حالة انفصام عرى الزواج(٢٥)، ولكن القوانين التالية والتي صدرت فيما بعد جعلت هذا النص مُلزماً بعد انتهاء مدة محددة من الوقت(٢٦).

أكدت النصوص أن الأب أو ولي الفتاة كان مسئولاً تماماً على دفع صداق ابنته، ولم يهتم المشرع بمصدر المال أو الممتلكات التي سيدفع منها هذا الصداق، وكل ما اهتموا به أن هذا واجب على الأب، وعليه أن يدفع صداق أو هدية ما قبل الزواج لذريته(٢٧). كما أنهم منعوا الأب أو الجد وكل من هو مُكلف بالقيام بدفع الصداق من مصادرة الممتلكات الخاصة بأبنائهم، والتي ربما ورثوها من ناحية أمهم؛ لأنهم مازالوا تحت السلطة الأبوية، كما مُنعوا من دفع الصداق من هذا الميراث،

---

(24) Codex – Note C. 5. 15.3, Book, V, Title X1.

(25) C. 5. 3. 1 & C. 5. 15. 3.

(26) C. 5. 15. 3.

(27) Emperor Justinian to Johannes Praetorian Prefect. 5. 11 – 7. No. 4.

والذي سيقدم صداقاً لأزواج بناتهم، كما سمح لهم مستقبلاً، وعندما يؤول الميراث للابنة لبلوغها السن القانوني، فمن الممكن أن تساعد الأب في تحمل نفقات الصداق[٢٨].

ثانيًا: محتوى عقود الصداق:

أوضحنا فيما سبق أن هناك عقود رسمية يتم التعامل بها عندما تبدأ مراسم الزواج، وهذه العقود إما أن توثق من جهات رسمية، أو من قبل شخصيات ذات نفوذ، يصبحوا كأنهم حكماء وشهود على هذه العقود.

ولقد وضح في مدونة جستنيان مجموعة من الأحكام والمراسيم التي صدرت من قبل، والتي أضافها لمجموعته القانونية، ومن أهم عقود الصداق، ما صدر في القسطنطينية في العشرين من فبراير سنة ٤٢٨م.

١- بأن "يتم التعهد بأي طريقة وبأي صياغة في عقد الزواج الذي تم الموافقة على تحديد مقداره، ويتم ذلك التعهد كتابةً أو شفاهةً حتى ولو كان التعاقد مصحوباً بدفع جزء من الصداق مقدماً[٢٩].

٢- لابد أن يشهد الزوج في عقد الصداق أنه قد تسلم المبلغ والكمية المحددة كاملة[٣٠]، وأن يعرف كمية ونوع وشكل ما انتقل إليه من ملكية حقيقية في هذا الصداق؛ لأنه لن يعيد مستقبلاً في حالة فسخ عرى الزواج إلا ما ثبت حقيقة في العقد[٣١].

٣- إذا وعد والد الزوجة زوجها عند تقديم الصداق بأنه سيدفع فائدة محددة على ما لم يتم تقديمه من الصداق المتفق عليه، فكان على القاضي أن يشهد على ذلك، ويؤكد على دفع المستحق إلى الزوج[٣٢].

---

(28) 5. 11. 7. Note.

(29) 5. 11. 6. من الأباطرة ثيودسيوس وفالنشيان إلى هيروس البرايتوري Hierus

(30) C. 5. 15. 3. حكم قضائي رقم

(31) C. 5. 3. I. صدر الحكم في ٥ أبريل سنة ٢٩٣م

(32) 5. 11. 2 صدر القرار في أغسطس ٢٣٨ تحت رقم

٤- إذا تعهد والد الزوجة بشروط لصالحها منها أن يدفع لها صداقاً لزوجها، لكن وفي حالة وفاة هذا الأب قبل أن يفي بكل ما عليه من شروط للصداق، فقد سمح القانون للزوج برفع دعوى يُطالب فيها الورثة بسداد ما عليهم من قيمة الصداق(٣٣).

٥- نجح الإمبراطور جستنيان في إصدار تعديلات على عقود الصداق، التي كانت تُحرر سابقاً، والتي كانت تتبنى فكرة عدم أحقية الزوج في التصرف في الصداق، وأقر في تشريعه أن الزوج له الحق في التصرف في الصداق الممنوح له من زوجته طوال فترة الزوجية، وإن كان الصداق سلعاً معمرة أو أراضي أو عبيد، فسمح له بأن يعتق رقاب العبيد، ما لم يكونوا تحت الارتهان(٣٤).

٦- عندما يتم منح الأملاك إلى الزوج كصداق لزوجته، فيصبح بذلك مالكاً ومديناً لزوجته، لذلك نص القانون على أنه إذا لم تكن الموافقة، قد تمت على إعادة هذه الممتلكات "الصداق" إلى الزوجة في حالة انفصام عرى الزواج، عندئذ يتم تقييم هذه الممتلكات طبقاً للقانون، وللزوج الحق في أن يحتفظ بها، ويعوض زوجته عن قيمتها بعملة مالية يتم دفعها لها(٣٥).

٧- أعطى جستنيان للزوجة في قانونه الحق في سماع رأيها وأخذ مشورتها في حالة فشل الزواج ومطالبة الزوج بإعادة الصداق خاصةً وأنهم اعتبروه هدية فريدة في نوعها، ولا يمكن تعديل شيء فيه ولا تغييره دون الحصول على موافقتها(٣٦).

٨- يستطيع الأب أو أي ولي للزوجة أن يعقد اتفاقاً يقضي بضرورة رد الصداق الذي منحه عند فسخ الزواج، ومثل هذا الاتفاق يتم تنفيذه وفقاً للأحكام الصادرة في قانون جستنيان(٣٧).

---

(33) Title IX 5. 11. 5, Book, V صدر في ٢٤ نوفمبر سنة ٢٩٣

(34) C. 7. 8. I & 7 حكم رقم

(35) 5. 12. 5 صدر في ١١ أبريل سنة ٢٢٦م انظر رقم Book, V, title, IX.

(36) D. 24. 3. 29. See C. 5. 14. 3.

(37) C. 5. 14. I & D. 23. 4–7. 20 الأحكام

٩- إذا كان الصداق أرضاً زراعية مثلاً مثل المزرعة الإيطالية التي منحت صداقاً لأحد الأزواج، فقد ألزمهم القانون أنه إن لم يتم تسليم قيمتها نقداً للزوج، فلا يمكن نقل ملكيتها إليه(٣٨). وفي حالات أخرى ووفقاً للتشريعات السابقة ومن أجل حماية الزوجة لصداقها وعدم وجود عقد، كان لها الحق أن تحمي صداقها من الدائنين الخائنين بأن يكون لها تأمين تعاقدي يحدد تاريخه، وقد منح جستنيان بعد ذلك الزوجة مزيداً من الحماية لعقد صداقها بإصداره مجموعة من القوانين بدأت من عام ٥٢٨م بأرقام من ٢٩-٣١ H.T والأحكام أرقام C5. 13.1, C.8. 17. 122 فقد منحت المرأة امتيازات تشريعية جعلتها تتفوق على غيرها.

١٠- قررت أحكام جستنيان أن يكون الزوج حارساً وقيماً على ما حصل عليه من صداق طوال فترة الزوجية، وإذا حدث أي تلاعب في قيمة وشكل هذا الصداق، يكون الزوج هو المتهم الأول بسرقته.

١١- إذا تم تقييم الممتلكات وكان سعرها يمكن استرداده بصورة عادية، لكن تم الاتفاق أن يتم رده بعملة معدنية، عندئذ يختلف الأمر، رغم الاتفاق على رده بالعملة المعدنية وبقيمة معينة(٣٩).

١٢- قرر جيستنيان أن الأراضي المقدمة كصداق للزوجة لا يمكن تحويلها أو نقل ملكيتها حتى لو وافق على ذلك الزوج والزوجة.

ثالثاً: حق المرأة في وراثة صداق أمها:

أنصف قانون جستنيان المرأة، حيث أصبح من حقها أن ترث صداق أمها المتزوجة من رجل غير أبيها ولكن بشروط، أوضحها المشرع وفي قصة الفتاة Palla وهي ابنة لامرأة متزوجة من رجل غير والدها، اشترطت وبموافقة أمها على الزوج أن يكون لها نصف

---

(38) C. 5. 13. I. 15

(39) Law 5. 11. 1

الصداق الخاص بالأم بعد وفاتها، وعند وفاة الأم أصبحت بالا Palla وريثة أيضاً في الصداق إلى جانب أن لها النصف بمقتضى الشرط الموقع مع الزوج. عندئذ أمر المشرع بعدم جمعها بين الميراث والشرط المفروض، واعتبر ذلك خيانة وتلاعباً... أي أن المرأة تحصل على نصيب واحد فقط حتى لا تظلم الآخرين(٤٠).

رابعاً: حقوق المرأة لحماية عقد الصداق وكيفية استردادها لصداقها:

تعددت بنود القانون الذي أصدره المشرعون الذين جمعوا القوانين القديمة وأضافوا عليها ما صدر وعُدل في عهد جستنيان، فكان هناك بنود تُعطي المرأة الحق في حماية الصداق الذي تدفعه، حتى لا يبدد وتحصل عليه في حالة الانفصال أو الوفاة، دون تبديد:

١- إذا اشترى الزوج مزرعة مثلاً بالمال الذي حصل عليه كصداق من زوجته، فقد قرر المشرع أن هذه المزرعة لا تصبح حقاً للزوجة؛ لأن الزوج عندما اشتراها لم يكن ذلك لصالح زوجته، وعليه فليس للمرأة إلا الحق في الحصول على صداقها مستقبلاً، وإذا توجهت الزوجة إلى رئيس المدينة وأثبتت أنها لم تتنازل عن صداقها، وأنها حصلت على جزء منه فقط، فعلى الرئيس أن يحكم لها بالحصول على ما تبقى عند الزوج من الصداق(٤١). معنى ذلك أن الممتلكات التي تم شراؤها تصبح ملكاً للمشتري والذي اشتراها بأموال غيره.

٢- حصل زوج الأم على صداق من زوجته عبارة عن أموال وممتلكات خاصة بابنتها، وقد أخبرته الأم بذلك فأصدر المشرع أنه لا يحق للابنة أن تشتكيه أو تطالبه برد الأموال؛ لأنه لم يتحايل على القانون خاصةً وأن الصداق والهدية يُقدمان دون مقابل، وعليه فلا يصدر ضده أية أحكام(٤٢).

---

(40) Bas. 21. I 89 & Law 19 h. t.

(٤١) حكم قضائي صدر في ٢٤ أبريل ٢٩٣م تشريع رقم 5.12.12

(٤٢) صدر ذلك في ٣٠ أبريل سنة ٢٩٣م رقم 13 .12 .5

٣- قام جستنيان في القانون رقم ٦ ورقم ٨ h.t بمنح ورثة الزوجة بعد التأكد من وفاتها الصداق الذي قدمته لزوجها(٤٣)، رغم أن القوانين السابقة عليه اعتادت على أن تجعل الصداق للزوج بعد وفاة زوجته(٤٤).

٤- وفي مرسوم قانوني أصدره جستنيان في ١١ ديسمبر سنة ٥٢٨م إلى الوالي البراتيوري مينا أوضح فيه تشريعًا مهمًّا، حيث ذكر: "إذا أفلس الزوج أثناء زواجه ورغبت زوجته في القيام برعاية جميع مصالحها، إلى جانب رغبتها في التحكم في الأملاك التي منحتها له كصداق وهدية للزواج إلى جانب أملاكها المنفصلة عن صداقها، فليس لها الحق في ذلك مادامت هذه الممتلكات ضمن حيازة زوجها، وإذا تم استدعاؤها إلى المحكمة بسبب هذه التهمة، عليها أن تندب دفاعاً عنها لمواجهة مطالبات الدائنين، ولكننا نأمرها إذا بادرت بإجراء قانوني ضد من قاموا بالحجز على ممتلكات زوجها، فإننا لن نعترض على ما قامت به؛ لأن الزواج مازال قائماً، ولكنها من الممكن أن تسترد الممتلكات من الدائنين الحاليين ومن غيرهم ممن ليس لهم حق قانوني وتتمكن من تحقيق ذلك في حالة الانفصال عن زوجها نتيجة لأي ظروف، وكل ذلك سيسمح لها باستعادة الصداق، وكذلك هدايا الزواج. علماً بأن هذه المرأة لن يحق لها أبداً أن تحول أو تنقل هذه الممتلكات مادام زوجها على قيد الحياة، والحياة الزوجية بينهما قائمة، بحيث يتم استخدام حق الانتفاع به لكل من الزوجة وزوجها وأطفالهم في حالة وجودهم، معنى ذلك أن الدائنين سيحتفظوا بحقوقهم كاملة في مواجهة الزوج وممتلكاته التي سيحصلون عليها آجلاً، وكذلك حقوق الزوج والزوجة في الصداق وهدايا الزواج طبقاً لفحوى مستندات الصداق، والتي لن تتعرض لأي ضرر بعد انتهاء الزواج(٤٥).

---

(43) C. 8. 37. 11 & C. 4. 11. 1

(44) C. 5. 18 الأحكام

(45) 5.12. 29 تشريع رقم

كان هذا هو أول حلقات قوانين جستنيان المتعلقة بالصداق، على الرغم من أننا رأينا تشريعات رومانية كثيرة قديمة جمعها جستنيان ضمن مجموعته والتي تؤكد أنه باستطاعة الزوجة في حالة إفلاس وتعسر الزوج أن تحصل على حكم قضائي برد الصداق إليها(٤٦). وتم تنفيذ حكم مثل هذا مفترضين أن الزواج قد انتهى بينهما، لكنه حقيقة لم ينته، فأقرت قوانين جستنيان أن هذا الفرض غير مُلزم(٤٧). ورغم أن القانون مكن الزوجة من حماية حقوقها، إلا إنه ترك أمر الصداق دون حسم ليتم تنفيذه لصالح الأسرة، وكان التصرف المؤقت الذي قامت به الزوجة وقت تنفيذ هذا القانون ممكناً فقط إذا ثبت وجود التزام تعاقدي، ساري المفعول للالتزام القانوني الذي ظهر مؤخراً.

٥- وهناك مرسوم آخر صدر في ٣٠ أكتوبر سنة ٥٢٩ موجهاً من جستنيان إلى الوالي البرايتوري ديموستثيس Demothenes يعرض لما يلي: "يكون للزوجة الحق بعد الانفصال عن زوجها أن تستعيد الأملاك الخاصة بصداقها الثابتة والمنقولة التي مازالت موجودة وسواء كان هذا الصداق قد تم تقييمه أم لا، ولم يسمح لأحد من الدائنين السابقين لزوجها أن يطالبوا بأي حق في هذه الأملاك على أنها مرهونة طالما أن هذه الممتلكات تخص الزوجة في المقام الأول، وبالطبع تبقى لها.

وبوضوح فإنها أصبحت جزءً من أملاك زوجها طبقاً لنص القانون الذي لم يلغي الحقيقة، والنص كما يلي:

أ- نحن نطالبها أن تتخذ موقفاً لاستعادة هذه الممتلكات؛ لأنها تخصها وأن تتخذ موقفاً أيضاً في استيفاء حقها السابق في كل ما عداه وسواء اعتبرنا هذه الأملاك ملكاً لها

---

(46) D. 24. 3. 24. تشريع رقم

(47) Law. 30. h. t

بحقها الطبيعي أو أنها تبعاً للقانون الذي يجعلها جزءًا من أملاك زوجها، وستكون حمايتها من ذلك إما عن طريق عمل إصلاحي أو عمل قانوني.

ب- يشمل حق التصرف حق الانتفاع بانقضاء عشر أو عشرين أو ثلاثين أو أربعين عاماً أو بعد انتهاء أي زمن طويل أو قصير، وربما يكون ذلك لمقاومة مثل هذه المرأة، وحددت الفترة التي تشملها منذ بداية الموضوع كأن تقول أن أزواجهم كانوا أغنياء عند انفصام الزواج، أما إذا كانوا فقراء منذ الوقت الذي لحقت بهم هذه المأساة وأثناء فترة الزواج يجب أن تؤكد المرأة حقها القانوني في الأملاك الخاصة بزوجها البائس المفلس وبنظرة عادلة سيقدمها قانوناً والمطالب الرخيصة التي تستند على طلاق خيالي أو روائي، وفي حالة مثل هذه وحالات متوقعة سنقوم باستئصالها والقضاء عليها في القوانين الخاصة بنا.

"تم إصدار هذا المرسوم سبع مرات من المحكمة الكنسية الموجودة في قصر جستنيان(٤٨)".

كان هذا هو القانون الثاني الذي أصدره جستنيان لحماية صداق المرأة، حيث مكن الزوجة أن تكون المالكة الحقيقية للصداق بعدما تأثر بالأفكار اليونانية. وبناءً عليه أصبحت تمتلك حق التصرف في استعادته، ونظريًّا، وكما ورد في قوانين أخرى، فقد كان الزوج هو المالك لأملاك الصداق، فقد تم منحها حق التصرف الافتراضي، وهو تصرف من شأنه تقوية التأمين وبعبارة أخرى، فعلى الرغم من عدم حصولها على تأمين تعاقدي، فقد تم منحها بموجب هذا تأمين ضمني أو تشريعي، وقد أقر كل من الحكمين اللذين صدرا(٤٩) في السنة التالية ما يفيد بأنه قد تم منح الزوجة امتيازاً ضمنيًّا ماعدا ما يتعلق بقضية أن الامتياز امتد

---

(48) قانون جستنيان رقم 5. 12. 30.

(49) C. 5. 13. I, Ib. & C. 8. 17. 12

ليشمل جميع أملاك الزوج، كما أن الحقوق التي مُنحت هنا امتدت فقط لتشمل الأملاك التي تعتبر أملاك الصداق، لكنها شملت الأملاك التي تمت إعادتها إلى الزوج لاستخدامها في أغراض تخدم الصداق وذات قيمة ثابتة والتي أصبحت ملكية غير مؤهلة للزوج(٥٠).

أصدر جستنيان في ٢١ مارس سنة ٥٣٠ هذا القرار إلى الوالي البراتيوري جوليانوس Julianus(٥١) يوضح فيه أحكاماً خاصة بالصداق.

"على الرغم من وجود بعض الأشخاص سواء كانوا أمهات أو أشباه الأقارب أو الغرباء اعتادوا على الحصول على الصداق من النساء، فهؤلاء الرجال يتزوجون من هؤلاء النسوة دون الحاجة إلى تسجيل الهدية، لكن عندما تسترد المرأة صداقها بموجب الحكم الذي صدر لها، وفور حدوث حدث خاص أجبر المرأة –وإن لم تكن حصلت على صداقها – على نقل حق التصرف في استرداد الصداق وإعادته إلى الشخص الذي دفعه لها أو برد الممتلكات بصورة شخصية؛ لأن الهدية لم يتم تسجيلها، وبالتالي نجد المرأة البائسة في الحال تصبح دون صداق بعد أن أمضت سنوات عديدة في حياتها الزوجية، وبعد أن قامت بتربية أطفالها.

لذلك أصدر جستنيان ما يلي:

أ– أمر أنه ليس من الضروري أن يتم تسجيل الصداق، وستقوم المرأة باسترداد صداقها إذا تعرضت لحدث معين، وستظل مالكة له ما لم يقم والدها أو وليها الذي دفعه لها باستصدار قرار يُطالب فيه باستعادة أملاك وأموال الصداق إليه حين تُعرض المرأة للحدث المشار إليه –دون الاهتمام بوضع الأطفال، وكل ما يريده هو استعادة ما دفعه، وهذا الأمر يصعب علاجه كما ذكر أعلاه.

---

(50) Note Law Ih. T & C. 5. 13. I & C. 8. 17. 12.

(51) 5. 12. 31 قانون رقم

ب– في جميع الحالات الأخرى التي لم يتمكن من قام بدفع الصداق من الحصول على حكم قضائي برد الصداق إليه هنا تجد المرأة عزاء وسلوى لنفسها في محاولتها اتخاذ موقف من الصداق.

جـ– إذا تشابه الأمر بالنسبة لشخص غريب قام بمنح رجل آخر هدية ليقدمها هذا الرجل للزواج من امرأة، في الوقت الذي قام فيه الذي دفع المبلغ بتسجيل هذا الصداق الذي تعدى مقداره الحدود القانونية، أو في حالة أن الزوجة قاصر، فجميع المستندات تصبح سارية المفعول ليس لها فقط وهي التي تم تقديم هدية لها قبل الزواج، ولكن أيضاً لمن قام بذلك حتى أن هذا المانح إذا حصل على مكسب من الصداق فلا يُسمح له بذلك وإنما يكون ذلك لصالح الزوج الذي يتمسك بحقه حتى لا يحصل من ساعده في دفع الصداق على حكم قضائي لصالحه.

د– إذا كان مبلغ الصداق الممنوح صغيراً لا يستحق التسجيل عندئذ يتم إعطاء الهدية دون تسجيلها ويحصل الزوج على مكسبه من ذلك إلا إذا نجح الشخص الذي قام بدفع هذا الصداق في الحصول على حكم قضائي لصالحه.

هـ– نأمر أيضاً بأنه إذا حصل أي شخص على حكم قضائي أو قدم تعهداً بأنه سيمنح أراضي وعقارات مؤجرة ومخابز كصداق وبعد مرور سنتين من تاريخ الزواج عليه أن يقوم برد الإيجارات وتموين توريد الخبز إلى الزوج حتى وإن كان لم يف بوعده كاملاً، وإذا كان الصداق يشمل الذهب فستكون الفائدة عليه أربعة في المائة يتم دفعها بعد انقضاء عامين أيضاً.

و –لكن إذا كان الصداق أشياء غير الممتلكات الثابتة أو الذهب سواء كانت أواني من الفضة أو الحُلي الخاصة بالنساء والملابس وغير ذلك تكون الفائدة عليها مستحقة الدفع بعد عامين بعد تقييمها بمعدل يصل إلى أربعة في المائة في السنة، وعملية التقييم تحدد الفائدة المقررة على كل سلعة من السلع والبضائع المدفوعة كصداق. مثال على ذلك من الأواني الفضية والحُلي والزينة والملابس وغيرها، ويجب ألا يتأخر دفع الفائدة حتى يتم التقييم؛ لأن ذلك يمثل ضرراً للزوج.

ز – إذا لم يتم تقييم الأشياء المتحركة على الإطلاق بعد مرور العامين؛ ستصدر الأحكام التي نص عليها القانون في الأمور المتشابهة لهذا النوع.

حـ– إذا كانت الممتلكات الموعود بها كصداق متنوعة وتتكون بشكل جزئي من الذهب وجزء من الأشياء المتحركة أو الثابتة، فإن القوانين أوضحت أنها ستكون هي الحكم للتصنيف السابق، ومع ذلك فلا يحرم الزوج من الحق في المطالبة بالصداق وقتما يشاء، حتى لا يظن من وعد بالصداق أنه قد يؤخر دفعه وذلك عن طريق دفع الإيجارات أو الدخل أو الفائدة أو المبالغ المتراكمة الأخرى، وسواء طالب الزوج بالصداق قبل أو بعد انقضاء العامين، فله الحق في رفع قضية على ذلك وفقاً لأحكام القانون.

وبذلك نرى أنه مع بداية القرن الثالث كانت هناك أحكام تلزم بتسجيل الصداق – ولكن تم استثناء الهدايا الصغيرة من التسجيل فيما بعد(٥٢).

وبالتالي إذا قدم شخص غريب الصداق للمرأة "ليس والدها أو جدها" وكان المبلغ المقدم يتطلب التسجيل، فإن الصداق لا يصبح قانونيًّا حتى أن من دفع يستطيع استرداد ما دفعه للمرأة ويلزمها برد ما أخذته منها أو أن تقوم بالتنازل عن حقها في اتخاذ موقف قانوني ضده.

وقد قام القانون الجستنياني بتقديم علاج لهذه الحالة، فطالب بعدم تسجيل مثل هذه الهدايا ما لم يقم الشخص الذي دفع بتحرير عقد يفيد أن ما دفعه سيرد إليه عندئذ لن تتعرض المرأة للضرر ولن يكون له حقوق أخرى. ونصت الأحكام على أهمية التعاقد وضرورتها لتأمين أي حق مستقبلي له.

ولقد ذكر جستنيان أنه في العهد السالف كانت دعوى استرداد المرأة مهرها تعتبر من الدعاوى المتوسع فيها –لكنه وجد أن دعوى الاستيعاد أفيد "فقرر مع كثير من التفصيلات،

---

(٥٢) حكم رقم C. 8. 53. 1

أنه كلما كانت دعوى الاستيعاد خاصة بطلب المرأة مهرها، كان لها جميع الآثار والأحكام التي كانت تترتب قديماً على دعوى استرداد المهر؛ وإذ كانت دعوى استرداد المهر القديمة قد بطلت بهذا، فإن دعوى الاستيعاد التي حلت محلها تقرر أن تكون من دعاوى التوسعة، ولكن على شرط أن يكون رد المهر هو المطلوب بها، وفوق هذا فقد جعل للمرأة حق رهن ضمني، "أي على أملاك الزوج"، بل جعل لها حق الأولوية، والتقدم على جميع الدائنين المرتهنين، ولكن متى كانت هي نفسها التي تخاصم لاسترداد مهرها، فقد قصد حماية المرأة وحدها واختصاصها شخصيًّا بهذا الامتياز[٥٣].

خامسًا: ما يخص رفع الدعوى الخاصة بالصداق المصحوب بدعوى على الحكم الخاص بالعقد وبطبيعة الصداق[٥٤]:

أصدر الإمبراطور جستنيان مجموعة من القوانين في الأول من نوفمبر سنة ٥٣٠م تتعلق جميعها بأحكام الصداق ووجهها كلها إلى أهل القسطنطينية والولايات، وهي كالتالي:

سنتعامل الآن مع أمر غير مهم، لكنه يجري مجرى الدم في جميع القوانين، وهو تحديداً يتعلق بالدعوى المتعلقة باسترداد الصداق، ودعوى الحكم، وإبطال جميع النقاط المشتركة بينهم، وجميع الاختلافات الموجودة، وسنحدد حقوق الصداق وفقاً لما نراه مناسباً للحفاظ عليه، ونجمع جميع الأحكام في قانون واحد يتعلق بدعوى الحكم. بناءً عليه، وفيما يتعلق بإبطال دعوى الصداق، فقد أمرنا بأن يتم تتبع كل حالة من حالات الصداق قضائيًّا بموجب دعوى تتعلق بالحكم سواء كان هذا الحكم قد تم تنفيذه بالفعل أم لا؛ لأنه لن يعتمد إلا حكمًا واحدًا. وهذا يعني أيضًا أن ذلك سيكون حقيقيًّا إذا تم تنفيذ حكم غير سليم؛ لأنه سيتم

---

(٥٣) جوستنيان: مدونة جستنيان، ترجمة: عبد العزيز فهمي، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٧، ص٢٧٨.

(٥٤) الكتاب الخامس، تشريع رقم ١٣، الحكم رقم 29. 1. 119

التعامل به بدلاً من اعتباره باطلاً أو منسوخاً، فلماذا لا يكون لهذا الحكم القوة القانونية بموجب قانوننا، كما أنه يتضح أنه إذا لم يتم إرفاق حكم ما بعقد الصداق، فسيتم اعتباره باطلاً.

سادسًا: بخصوص الاتفاقات التي يعقدها الأقارب بخصوص الصداق وهدايا ما قبل الزواج، وأملاك المرأة المتفرقة:

كان في استطاعة الأب أو غيره عند تجهيز الصداق أن يقوم بعقد اتفاقية سارية المفعول تفيد بأن كل جزء من الصداق يجب إعادته إلى من دفعه(٥٥). ومثل هذه الاتفاقية يتم إبرامها على أساس مختلف عن مثيلاتها؛ لأن بعضاً منها كانت صالحة في حين أن غيرها غير ذلك، فلا يجوز إبرام الاتفاقية لمصلحة شخص ثالث(٥٦).

كانت الاتفاقات السابقة من الممكن أن تصبح صالحة وسارية المفعول بصورة عامة لو أن ظروف الزوجة كانت أفضل من ظروف الزوج، فالهدف الكلي من وراء الصداق لا يمكن تجاهله، وحقوق الزوجة عند وفاة زوجها لا يمكن المساس بها، وقد بين لنا القانون الحالي وبموجب القانون رقم D.33.411.1 ، D.23.42 من وجهة أخرى أن العقد الذي ينص على وجوبية استحقاق الزوج لكل أو جزء من الصداق حال وفاة زوجته قبله صحيح وساري المفعول. القانون رقم ٦ من هذا التشريع والأحكام أرقام ١٦، C.5.13. 1.6 تؤكد ذلك.

إذاً كان العقد في القانون القديم ينص على حصول الزوج على جزء أو كل الصداق في حالة وقوع الطلاق الناجم عن سوء سلوك الزوجة. مع وجود طفل أو أطفال وُلدوا من هذا الزواج وعلى قيد الحياة، لكن وفقاً للقانون الأخير إذا ثبت خطأ الزوجة الذي تسبب في الطلاق، فإنها ستفقد صداقها لصالح زوجها الذي سيقوم بحفظه بدوه لصالح الأطفال. أما

---

(٥٥) الحكم رقم Book, V. Title IX C. 5. 12. 7

(٥٦) الحكم رقم Book, V. Title IX C. 5. 12. 26

الزوج المخطئ فلن يحصل على أي جزء من الصداق، ولا يكون العقد شرعيًّا بخلاف ذلك[٥٧].ولم يمس هذا القانون بالتالي الممتلكات التي قدمها الأب أو أي واحد من الأجداد من جهته والذين لديهم السلطة الأبوية[٥٨].

يتضح لنا أن العقد الذي بموجبه يقوم الزوج برد الصداق إلى شخص ثالث بعد وفاة الزوجة غير قانوني بالنسبة للأطفال في المقام الأول وبالنسبة لأم الزوجة[٥٩]. ويبدو ذلك وكأنه يمثل المبدأ الذي ينادي بأن العقد المبرم لصالح شخص آخر باطل ما لم يتم وضع حكم للأطفال، وبكونه محررًا برد الصداق إليهم، فلن يمكنهم إقامة الدعوى عن الصداق، ولن يستطيعوا تنفيذ حكم طالما كانوا تحت السلطة الأبوية؛ لأن الحكم سيكون في ذلك الوقت لصالح الأب[٦٠].

وهناك مرسوم أصدره الإمبراطور جستنيان في القسطنطينية في السادس من أبريل سنة ٥٢٩ بخصوص الاتفاقات الخاصة بالصداق ووجهه إلى الوالي البرايتوري المدعو مينا Mena.

بما أن قانون الإمبراطور ليو خالد الذكر قد نص على أن الاتفاقيات التي يمكن إبرامها بخصوص الصداق وهدايا قبل الزواج يجب أن تكون متساوية، ولكنها لم تضف شيئاً لما يجب القيام به إذا ما تمت مخالفة هذه القاعدة؛ لأننا نريد أن نجعل هذا الموضوع واضحًا ومباشرًا، فإذا كانت النسب غير متساوية، فعلينا أن نقوم بإنقاص النسب الكبرى إلى أدنى درجة حتى يحصل كل واحد على نسبة أقل[٦١].

---

(57) C. 5. 17 – 8. See C. 5. 3 head note.

(٥٨) الحكم رقم C. 6. 61. 2

(٥٩) الحكم رقم D. 23. 426. 4

(٦٠) الحكم رقم C. 4. 27. 1

(٦١) الحكم رقم 5.14.10

كما أصدر جستنيان مرسوماً آخر في الأول من نوفمبر سنة ٥٣٠ ووجهه إلى الوالي البرايتوري جوهانس Johannes ينص على بعض النقاط وهي:

١- إذا قدمت امرأة الحسابات الخاصة بزوجها "وهي عبارة عن الفواتير المستحقة الدفع مسحوبة الفائدة" ولم تكن هذه الحسابات تشمل جزءًا من صداقها وهي مازالت ضمن ممتلكات زوجها كملكيتها المنفصلة "ما كانت تملكه قبل الزواج" وتم توقيع هذا في عقد الزواج، وكان هذا محل سؤال حول ما إذا كان للزوج أي حقوق لرفع الدعوى القضائية؛ بسبب تلك الفواتير المستحقة الدفع سواء بشكل مباشر أو بشكل مشابه وسواء استمرت تلك الفواتير المستحقة الدفع ملكاً للزوجة، وتحدد الأغراض من رفع الدعوى التي يجب أن تُمنح للزوج(٦٢).

٢- نأمر بأنه إذا حدث موقف مشابه لذلك فإن جميع الحقوق في رفع الدعوى المدنية ستظل من حق الزوجة، ولكن سيتم إعطاء إذن للزوج برفع دعوى قضائية أمام قضاة مناسبين دون أن يطلب ذلك منه أن يبين حجته من زوجته بزيادة الفائدة التي يتلقاها من ذلك لنفسه ولزوجته والاحتفاظ برأس المال الذي يمكن جمعه لزوجته أو أن يقوم بدفعه وفقاً لتوجيهاتها.

٣- إذا ما تم إعطاء تأمين بشكل خاص وتم ذكره في عقد الزواج، فعلى الزوجة أن ترضى بذلك، لكن إذا لم يتم منحها هذا التأمين فسوف تحصل على تأمين بالرغم من ذلك على ممتلكات زوجها، وفقاً لأحكام هذا القانون في الوقت الذي قام فيه بجمع المال.

٤- كان للمرأة الحق قبل ذلك الوقت وفي أي وقت ترغب فيه أن ترفع الدعوى القضائية عن طريق زوجها أو آخرين، وأن تحصل على المال أو تسترد الفواتير المستحقة الدفع من زوجها وتعطيه براءة ذمة أو مخالصة بذلك.

---

(٦٢) الحكم رقم 5. 11. 10.

٥- ولكن في الوقت الذي ستبقى الفواتير المستحقة الدفع في عهدة وملكية زوجها –فإنه يجب عليه أن يظهر قدراً من العناية بممتلكاته خوفاً من أن تتحمل المرأة الخسارة بسبب الحقارة أو النذالة أو الكسل أو التراخي، فإن حدث هذا فعليه تعويض الخسارة من ممتلكاته الخاصة.

سابعًا: فيما يخص الصداق الذي كتب له شعار استلام لكنه لم يُدفع:

لقد اهتم جستنيان بضرورة تسديد ودفع قيمة الصداق كاملاً سواء من الزوجة إلى الزوج أو بإعادته إليها فيما بعد، وقد دلل على ذلك في القرار الذي أصدره وبعث به إلى الوالي البرايتوري Mena في الأول من يونيه سنة ٥٢٨م.

بالنسبة للصداق الذي لم يتم الاعتراف برده عادةً في عقود الزواج إذا لم يتم دفعها بالفعل، لكن تم إعطاء تعهد بسيط بذلك وهو ما يجعل الزوج يقوم بتجهيز دفاع عن نفسه حين مقاضاته في حالة عدم استلام المال ضد زوجته وضد ورثتها عند وفاتها أو الطلاق، ولكن كان من الممكن إجراء ذلك عن طريق ورثة الزوج والذي ينحل الزواج بوفاته، وكذلك عن طريق والد الزوج وورثته. وإذا كان هو وابنه يقران باستلام الصداق في عقد الزواج، وعن طريق أي شخص آخر يقر مع الزوج كتابةً باستلام الصداق وعن طريق ورثته، علماً بأنه يمكن إجراء ذلك خلال سنة واحدة متصلة يتم حسابها من وقت وفاة الزوج أو المرأة أو من تاريخ إرسال قسيمة الطلاق(٦٣).

ثامنًا: بخصوص الوصايا والهبات للمرأة من زوجها:

شملت مجموعة جستنيان بعضاً من القضايا والهبات كلها تدخل في صالح المرأة منها أنه إذا أوصى الزوج لامرأته بمهرها –صحت وصيته، لما فيها من مزايا للمرأة تزيد على

---

(٦٣) الحكم رقم 5. 15. 3

ما في دعوى المهر – على أن الزوج إذا أوصى لامرأته بمهرها –ولم يكن قد سبق له قبض مهر لها، فإن المغفور لهما سيفير وأنطونين قررا أنه إذا اقتصر على القول بأنه "يوصي بالمهر" مع خلو العبارة هكذا عن كل بيان، فإن الوصية تقع باطلة، أما إذا عين مقدار مبلغ المهر، أو عُين لشيء المجعول مهراً، أو عُين مبلغاً من النقود قال أنه مدون بسند المهر، فإن الوصية تصح(٦٤).

كما شملت الوصايا التي اهتم بها قانون جستنيان الميراث بالوصية، فقد قرر "أن من عاشر امرأة معاشرة الأزواج، وليس بينهما زواج شرعي، فإنه إذا تزوجها رسميًّا فيما بعد، وحرر بينه وبينها مشارطة زواج وترتيب مهر، صار أولاده منها أولاداً شرعيين وواقعين تحت ولايته، سواء منهم من ولدوا بعد ترتيب المهر ومن وُلدوا قبل ترتيبه، فكانوا هم الذين هيئوا لمن بعدهم الفرصة التي جعلتهم أولاداً شرعيين(٦٥).

أما عن الهبات المتبادلة بين الزوج وزوجته، فقد كانت هناك هبة من الهبات مجهولة عند علماء السلف المتقدمين، وأولياء الأمور المتأخرين هم الذين قرروا، وهذه الهبة تسمى الهبة السابقة على الزواج، ويقصد بها هنا لمال الذي يقدم من جانب الزوج نفسه للاستعانة به على تكاليف الحياة.

وقد كان المعتبر منها أنها تحصل مقترنة بشرط ضمني مقتضاه أنها لا تكون نهائية إلا إذا تحقق الزواج فعلاً، وسبب تعبيرهم عنها بأنها قبل الزواج هي أنها كانت تسبق الزواج، ولا يجوز البتة حصولها بعد انعقاده.

ولما رأى جستنيان أنه من الجائز قانوناً زيادة قيمة المهر –ولو بعد الزواج كان هو أول

---

(٦٤) جستنيان: مدونة جستنيان في الفقه الروماني، ترجمة: عبد العزيز فهمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص١٣٨.

(٦٥) جستنيان: المدونة، ص١٦٤.

من صرح بأنه في الحالة التي تصبح فيها هذه الزيادة في المهر يصبح أيضاً أثناء قيام الزوجية الزيادة في نفس الهبة الحاصلة قبل الزواج، لكن الاسم المذكور صار غير صالح للدلالة عليها، أي أن الاستمرار على تسميتها "الهبة الحاصلة قبل الزواج" صار غير صالح للدلالة عليها، وغير متمشي مع الزيادة مع حصول الزيادة بعد الزواج وعليه، فإننا في ميلنا إلى تحسين القوانين وجعل الأسماء فيها ملائمة لمسمياتها، قد قررنا "أن الزيادة وحدها ليست هي الجائزة بل يجوز أيضاً عمل هذه الهبات ابتداءً من قيام الزوجية، وألا يعلق عليها من بعد وصف "قبل الزواج" بل وصف "بسبب الزواج، وبهذه الحالة تمت التسوية بين الهبات المذكورة وبين المهر –يجوز فيه لا مجرد زيادته فقط أثناء قيام الزوجية، بل تقريره أيضاً بدءاً وإنشاءً أثناء قيامها، فكذلك الهبات الحاصلة بسبب الزواج يجوز فضلاً عن سبقها للزواج أن تزاد من بعده أو أن تنشأ إنشاءً[٦٦].

وقد قدم المشرع في مدونة جستنيان تقارير خاصة بالنساء والزواج، في بعض نقاط وهي:

١- إنا نجيز المقايضة على المهر "الصداق" أثناء قيام الزوجية متى كان هذا في صالح المرأة.
٢- من صالح الجمهور احتفاظ النساء بمهورهن ليكون ذلك أعون لهن على التزوج مرة أخرى.
٣- إذا انفسخ الزواج، فعلى الزوج رد مال المهر عيناً ونقداً ومقداراً.
٤- عند الشك في مهور النساء يكون الأولى إقرارها.
٥- التفريق بين الزوجين هو الحيلولة بينهما في الفراش والمائدة[٦٧].

---

(٦٦) جستنيان: المدونة، ص٨٩.
(٦٧) جستنيان: المدونة، ص٣٩٩.

هذه أبرز المواد القانونية التي شملتها مدونة جستنيان والتي تخص صداق المرأة ومهرها الذي كانت تقدمه لزوجها عند الزواج وما شمل ذلك من صيغ قانونية عديدة – كانت معظمها محاولات لحماية المرأة وحقوقها، وما حاول القانون أن يقدمه لها ليحميها ويحمي أطفالها، فقدم لنا نصوصاً عديدة توضح ما يحتوي عليه عقد الصداق من بنود، وحق المرأة في وراثة صداق أمها بعد وفاتها، وما هي الوسائل المختلفة التي تحمي بها المرأة عقد الصداق، وكيف يمكنها استرداد صداقها، وما هي الأحوال والظروف التي تسمح لها بذلك، وكيفية رفع دعاوى الصداق، والأحكام الخاصة بالصداق، والاتفاقات التي يبرمها الأقارب بخصوص الصداق إلى جانب الهدايا التي تُقدم قبل الزواج، والأحكام المختلفة الخاصة بأملاك المرأة المتفرقة، والهدايا المتبادلة بين الزوج وزوجته، وكذلك الوصايا والهبات بين الطرفين.

وبذلك نرى أن مدونة جستنيان عمل قانوني مهم، لكن لا نفهم من ذلك أنه كان عصر ازدهار للقانون الروماني تماماً، وإنما يرجع الفضل إلى جستنيان أنه وفق في جمع الفقه القديم وتدوينه وحفظه من الضياع، كما أضاف عليه، وطور بنوده وفق مقتضيات عصره، فكان للمرأة وحقوقها نصيب كبير.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع الأجنبية:

1- Barker, E. Justinian and the Later Roman empire Wisconsin, 1960.

2- Buckler, G. Byzantine Law. Cam. Med. Hist. Vol.

3- Bury, J. B History of Roman Empire, London, 1923.

4- Clark, E. C. History of Roman Private Law, 1909-1919.

5- Collinet, Paul, Etudies Historique sur Le Droit de Justinian, 1912-1952.

6- Girard, P. F. Textes de Droit Roman 5th, ed. 1923.

7- Holmes, W. The age of Justinian and Theodosius, London, 1912.

8- Justinianus, Codex Justinians Trans by Fred Blume. Second edi. University of Wyoming Website.

9- Procopius, B. P. History of Wars, Hib Dewing, Trans, 1919.

10- Rostovtzeff, M. The Social and Economic History of The Roman Empire, 1926.

ثانياً: المراجع العربية:

١- بينز "تورمان": الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس، ومحمود يوسف، القاهرة، ١٩٥٠م.

٢- شارلوز ورث: الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي جرجس، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٣- محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، القاهرة، ١٩٨٩م.

٤- موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة: عبد العزيز جاويد، القاهرة، ١٩٦٧م.

التأثيرات الأندلسية على الحرف والصناعات والعملات في أوروبا الغربية

أ. د. وفاء عبد الله بن سليمان المزروع
أستاذ تاريخ الأندلس والعلاقات الإسلامية
الأوربية– جامعة أم القرى– مكة المكرمة

ملخص:

لم يحدث في تاريخ العالم أن قامت حضارة على أساس ديني، ثم سمحت لأتباع الديانات الأخرى بالإسهام في بنائها الحضاري مثلما حدث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية؛ إذ أسهم المسيحيون واليهود والمجوس والبوذيون جراء تسامح المسلمين معهم وترجمة علومهم وفنونهم في شتى جوانب هذه الحضارة العالمية.

وتاريخ الحضارة العربية الإسلامية بدأ –كما هو معروف – بالبعثة النبوية، ثم بناء الدولة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية، وتطور هذا البناء الحضاري بشكل ملحوظ بانتقال مركز الدولة خارج شبه الجزيرة العربية، حتى امتزجت تلك العناصر التي جاء بها الإسلام، عقيدةً وشريعة بالموروث الثقافي للشعوب التي اعتنقت الدين الإسلامي، واتخذت العربية لساناً لها. فظهرت العلوم الإسلامية والعربية الخالصة، مصحوبة لعلوم طبيعية تطبيقية والتي قامت على قاعدة من إنجازات الحضارات القديمة والتي عمل الإسلام على تهذيبها والرقي بها.

ومع مرور الوقت كان إنجاز الحضارة العربية الإسلامية في كل مجال يتصاعد ويكبر، بحيث شكَّل كمًّا من التراكم المعرفي، وكان الفضل في ذلك كله للحضارة العربية الإسلامية.

ولأن الناس يحتاجون إلى العلم لتسيير شئون حياتهم اليومية الخاصة والعامة، فإن العالم الإسلامي شهد ثمار هذا التقدم في كافة نواحي الحياة، وخاصة الجانب الاقتصادي كالزراعة، والصناعة، والتجارة، والملاحة، وبناء المدن وتخطيطها، وفي العمارة، وفي الفنون، وتجلى هذا التقدم واضحًا في الحرف والصناعات ... الخ.

وكان طبيعيًّا أن تمتد هذه التأثيرات إلى الحضارة الأخرى وخاصة المجاورة منها، أي الحضارة الأوروبية التي كانت في حاجة لأن تنفض عن نفسها غبار التخلف في الفترة التي اصطلح المؤرخون على تسميتها العصور الوسطى (المظلمة)، وكانت الأندلس عندما فتحها المسلمون ٢هـ/٨م لا تختلف عن بقية بلاد غرب أوروبا من حيث انتشار الجهل والتأخر والفوضى، وبعد فتح المسلمين لها نقلوها إلى مرحلة استقرار وإنشاء، فاتجهوا نحو إحياء الأرض الميتة، وتعمير المدن الخربة، وتنشيط التجارة الراكدة، وإنعاش الصناعة المتأخرة، حتى أصبحت الأندلس في ظل الخلافة الأموية من أغنى البلاد الأوروبية، وأكثرها ازدحامًا بالسكان.

ثم اختار المسلمون أن يواصلوا سلطانهم في الأندلس، عن طريق العلم، فانصرفوا نحو العناية بالآداب والعلوم والفنون، وعندئذ لم يقتنعوا بما وصل إليه إخوانهم في المشرق من تقدم، بل زادوا على ذلك، وابتكروا، وجددوا، مما أتاح لأوروبا موردًا عذبًا استساغت شرابه، فظلت تنهل منه منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى النهضة الإيطالية في القرن الخامس عشر.

ولم يلبث أن اشتد إعجاب الأسبان بثقافة العرب وحضارتهم، كما يتضح مما ذكره الفارو الكتاب المسيحي المتعصب في القرن التاسع الميلادي؛ إذ كتب يقول: "إن إخواني من المسيحيين يدرسون كتب فقهاء المسلمين وفلاسفتهم لا لتنفيذها، بل لتعلم أسلوب عربي بليغ، وا أسفاه، إني لا أجد اليوم علمانيًّا يقرأ الكتب الدينية أو الإنجيل، بل إن الشباب المسيحي الذين يمتازون بمواهبهم الفائقة أصبحوا لا يعرفون علمًا ولا أديار ولا لغة إلا العربية، ذلك أنهم يقبلون على كتب العرب بنهم وشغف، ويجمعون منها مكتبات ضخمة، تكلفهم الأموال الطائلة، في الوقت الذي يحتقرون الكتب المسيحية، وينبذونها"[1].

([1]) **سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، جـ٢، ص٤٨٩.**

وقد بلغت الحضارة الإسلامية ذروتها في الأندلس في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، عندما أصبحت قرطبة عاصمة خلفاء بني أمية في الأندلس من أعظم مدن العالم، بها ما يزيد على مائتي ألف منزل، يسكنها أكثر من مليون نسمة.

وهكذا استمر شعاع الحضارة العربية الإسلامية مضيئًا في الأندلس، وانتقل هذا التأثير إلى أوروبا وخاصة الأجزاء الغربية منها في شتى ميادين العلم، وحسبنا في هذه الدراسة التركيز على التأثير الأندلسي في الحرف والصناعات الأوروبية.

وسنتناول هذه الدراسة الصناعات الفنية التي انتقلت إلى أوروبا، وأثر الزخارف العربية في أوروبا، ثم تنتقل إلى الحديث عن الخط العربي، ثم الزخارف الزجاجية، ثم الصناعات المعدنية والنول والنسيج والسجاد، وفن التجليد وصناعة الورق، ثم نختتم بالنقود الإسلامية والعربية في أوروبا.

والله ولي التوفيق.

Andalusian influence in Crafts on European Industries

Abstarct:

In the history of the world, no civilization has been founded on a religious basis, and it has allowed other religions to contribute to its civilizational structure as what happened in the history of Arab-Islamic civilization. Christians, Jews, Magi, and Buddhists contributed to the tolerance of Muslims and the translation of their sciences and arts into various aspects of this world civilization.

The history of the Arab-Islamic civilization began, as well known, with the Prophet's mission, and then the building of the Islamic state in the Arabian Peninsula. The development of this civilization was marked by the transfer of the status of the state outside the Arabian peninsula. To the people who converted to the Islamic religion, and chose Arabic to be their language.

The Islamic and pure Arabic sciences emerged, accompanied by applied natural sciences, which Islam worked on refining and improving.

With the passage of time, the achievement of the Arab-Islamic civilization in every field was growing and growing, forming a cognitive accumulation. All of which was due to the Arab-Islamic civilization.

And because people need science to conduct their daily affairs, private and public, the Islamic world has witnessed the fruits of this

progress in all aspects of life, especially the economic aspect such as agriculture, industry, trade, navigation, city building and planning, And in the arts, and this progress is evident in crafts and industries ... etc

It was natural for these influences to extend to other cultures, especially the neighboring ones, that is, the European civilization that needed to shake off the dust of underdevelopment in the period historians called it the Dark Ages.

When Andalusia was conquered by Muslims (2 AH / 8 AD), Andalusia was no different from the rest of western Europe, in terms of the spread of ignorance, delay and chaos،

After the conquest of the Muslims, they moved them to a stage of stability and establishment. They turned towards the revival of the dead land, the reconstruction of the desolate cities, the revitalization of stagnant trade and the revival of the late industry, until Andalusia under the Umayyad Caliphate became one of the richest and most populous European countries.

الصناعات الفنية الأوروبية:

أشاد علماء الآثار بعبقرية المعماريين المسلمين والعرب، وأشادوا بابتكاراتهم، واقتفوا أثرهم في النهضة الأوروبية، واعترفوا ببراعة الفنان المسلم في شتى أنواع الصناعات من فنية وزخرفية، هذا التميز الذي ظهر فيه الحسن والإتقان والإجادة؛ إذ أنتج الصناع المسلمون مجموعة من التحف الفخارية والزخرفية والزجاجية والخشبية والعاجية والمعدنية بكل أشكالها، بالإضافة إلى ما أنتجوا من أقمشة ثمينة وسجاد فاخر غير ذلك، حتى غزت منتجاتهم أسواق أوروبا، فأثارت الغيرة عند الصناع الأوروبيين الذين حاولوا محاكاته، فكانت تلك المحاكاة أبرز نقاط التطور هناك، ثم أخذ رجال الفن الأوروبي يستكشفون أساليب جديدة في الصناعة، ويضيفون الزخارف بصورة جديدة، ويلبسونها صبغة أوروبية، ولكنها ظلت تشف عن مصدرها الأصلي المقتبسة منه، ألا وهو المصدر الإسلامي العربي.

١ – الزخارف العربية :-

الزخرفة العربية وزخرفة التوريق العربية أسلوبان عربيان، وقد شاع هذان النوعان من الفنون الإسلامية بصورة كبيرة حتى لقيا إعجابًا في الفنون الأوروبية، وحاولوا محاكاته، وقد تنوعت أشكالهما حتى شملت جميع التركيبات الهندسية، من دوائر، وحلقات، ومثلثات، ومضلعات، ومعينات منبسطة ومتداخلة ومتراكبة[2] تعتمد على تراكم الأوراق والعناقيد وتكثيف الأزهار بأشكال جمالية، مما يدل على غلبة الطابع الأندلسي المحب للطبيعة ورقتها.

وقد انتشر أسلوب التوريق بصورة كبيرة، وشاع استخدامها بين الأوربيين، وأكبر دليل على ذلك تلك الزخارف النباتية التي اتسع انتشارها، وشاع استخدامها في الفنون الأوروبية من

([2]) أحمد فكري: التأثيرات الفنية العربية على الفنون الأوروبية، مجلة سومر، جـ١، جـ٢، م٣٣ بغداد ١٩٦٧م، ص ٨٨-٨٩.

أنها لا زالت تسمى في إسبانيا باسم التوريق، وقوامها الأغصان النباتية والأوراق والأزهار تنسق بشكل هندسي بحيث تملأ الفراغات، وتتكرر وتتعاقب إلى ما لا نهاية.

وقد أطلق الأوروبيون على الزخارف التقليديةَ التي تبدو بارزة بروزًا بسيطًا – اسم الأرابسك arbescue (التزويق أو الزخرفة العربية أو الرقش: من عربي عبارة عن نماذج للتزيين أي الزخارف العربية)، ومن المرجح أن الواجهات في المباني الرخامية في بيزا وجنوب فلورنسا وغيرهما من المدن الإيطالية قد اقتبست الزخارف عن طريق العلاقات التجارية الوثيقة التي سادت في العصور الوسطى بين إيطاليا والعالم الإسلامي، ثم أن الغرب الأوروبي أخذ عن العرب استخدام زخارف الأرابسك البارزة الموجودة في العمائر القوطية، وقد ظهر الأرابسك في الستائر الحجرية التي تملأ فتحات النوافذ، وهي مأخوذة مما بالمساجد من نوافذ مفرغة[3].

٢ –الخط العربي:–

كان للأشكال الزخرفية العربية أثر عميق في الفنون الأوروبية التي اقتبست اقتباسًا واسع المجال من الأساليب العربية، واحتل الخط الكوفي مكانة مرموقة بين الموضوعات الزخرفية العربية، وقد بلغ إعجاب الأوربيين بالزخارف الخطية العربية مع جهلهم بمعناهاَ الشيء الكبير، ولقد بهرهم مظهرها، وجمال أنظار العرب والمسلمين وشاركهم الأوربيون في ذلك. وقد تعددت الأشكال في إسبانيا، أما في فرنسا، فنجد الكتابة الكوفية مسجلة في عدة كنائس في دير موساك musaka وفي كاتدرائية بوردو Bordeaux، ولم يقتصر الخط الكوفي على رجال النحت والعمارة في أوروبا، بل تعداهما إلى ميدان الفنون في إيطاليا، ولعل أغرب ما حدث من تأثيرات الخط الكوفي، أنه كان حافزًا لتطور الحروف اللاتينية،

---

(3) **سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، الطبعة الخامسة، ١٩٧٢، جـ٢ ص٥٣٩–٥٤٠**

فاتخذت لها حلية زخرفية، ورسمت على غرار الحروف الكوفية، ودونت بأسلوب التكرار والامتداد والتشبيك والتعقيد، ثم اختلطت بعد ذلك بالكتابة اللاتينية، ولقد بلغ إعجابهم بالنقوش الكتابية العربية أن سكوا عملات ذات نقوش عربية، وتواريخ هجرية، كما التزم الملك أوفا Offa ملك مرسيه ١٤٠-١٤٩هـ/٧٥٧-٧٦٦م، بجنوب شرق انجلترا أن يدفع إتاوة للبابا كل عام بالدينار المقوش، الذي يحمل كتابة عربية منقولة نقلاً دقيقاً، تحوى عبارات دينية إسلامية تنص على شهادة التوحيد، كما تسجل التاريخ الهجري ١٥٧هـ/٧٣٣م، وهي محفوظة بالمتحف البريطاني. أما المثل الثاني فهو صليب أيرلندي، مطلي بالبرونز البراق، يرجع عهده إلى القرن ٣هـ-٩م، وكتبت في وسطه عبارة البسملة بالخط الكوفي[4].

ومهما يكن من أمر، فإنه من الواضح أن استعمال الحروف العربية في أغراض الزخرفة من الأشياء التي أخذها الغرب الأوروبي عن المسلمين، وكانت ذات مسحة عربية بحتة. وهذا دليل على أن استعمال الحروف العربية ازداد انتشارًا في أوروبا وبشكل واسع، مما فتح الطريق أمام الفن العربي ليغزو أوروبا من أوسع طرقه[5].

---

(4) كرستي: تراث الإسلام، ص١٧-١٨، نقلاً عن سعيد عاشور، جـ٢، ص ٥٣٨.

(5) عن أول من كتب عن استخدام الأوروبيين الغربية للحروف العربية راجع:

Long Perier (Adriende), De L'emploi des Caractres arabes arabes sars L'ornementation ches les peoples chre' tiens de l'ocadent . Revue archoo logigue II annee – 1845, PP . 696-706.

٣- الخزف والزجاج[6]:

حظيت أعمال الخزف والزجاج بمكانة متميزة، وكانت منتجاتهما تثير الإعجاب في أوروبا وخاصة الخزف ذا البريق المعدني Lusttred Pottery، وفي هذا النوع ترسم الزخرفة بملح معدني على سطح لامع، ثم تثبت بتعريضها للنار بطريقة تكسبها بريقًا معدنيًّا يختلف لونه بين أحمر نحاسي وأصفر مائل للخضرة، وتنبعث من هذا البريق ألوان قوس قزح، ولقد كان له قيمة كبيرة في العالم الإسلامي، وقد استمرت صناعة هذا النوع من الخزف قائمة في الأندلس، وفي مدينة بلنسيه Valencia التي كانت المركز الإسلامي لصناعة الخزف في الغرب، والتي صنعت فيها نماذج متعددة من أبدع ما أنتجته المصانع، وسرعان ما اشتهر هذا الخزف المعدني، مما جعل كبار الأمراء في إيطاليا وفرنسا يوصون مصانعهم بصنع أواني خاصة بهم، ومن مسلمي الأندلس اقتبست إيطاليا أسلوب الخزف المعدني، ونشأت في مدينة جوبيو (Gubbio) مصانع اصطلعت بهذه الصناعة، كذلك قلد الإيطاليون صناعة الخزف المعروف بطريقة الرسم بالحفر (Graffito)، وكانت هذه بداية لاشتقاقات أخرى من أساليب صناعة المسلمين في الأندلس، فنشأت مثلا الصناعة المعروفة باسم الباريو (Albarello) وربما اشتق

---

(6) الخزف: طين تصنع منه أوعية وأقنية وبلاطات يطلى عواد مزججة وأصباغ ومعادن ومشتقاتها، أو يعجن مع بعضها قبل إدخاله الفرن مرة واحدة، كالفخار منه وله خصائصه، ولكن غالباً ما يسوى قبل المعالجة بتلك التراكيب وبعدها.

ولقد أخذ الخزف تسميات متعددة حسب نوعه أو البلد الذي وضع فيه وأهمها زليج كما سمي في أسبانيا Azyjeb Azul . عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية ط، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٥٨-١٥٩.

هذا الاسم من الكلمة العربية (البرنيه) التي تطلق على الأواني (البرطمانات) المخصصة لحفظ الأدوية، وازدهرت هذه الأواني في مدينة فاينزا (Faenza) الإيطالية[7].

وهكذا اقتبس الأوربيون صناعة الخزف، وتحوي المتاحف الأوروبية على كثيراً من الأواني الخزفية التي صنعت تقليًدا للأواني الإسلامية، وسَّهل معرفة هذا التقليد من حروف الكتابات العربية الممزوجة بالزخارف، فقد حَّرف صانعو الخزف في غرب أوروبا هذه الكتابات التي اتخذوها أساسًا للزينة حين اقتباسها في زخرفة كنائسهم وقصورهم، وأسهم مسلمو الأندلس في صنع الأواني الخزفية، خصيصًا لرجال الدين من البابوات والكرادلة وغيرهم فضلاً عن الأسر النبيلة في البرتغال وفرنسا وغيرها من البلدان الأوروبية[8].

ويبدو أن آنية الخزف قد أثارت غيرة في نفوس الإيطاليين، فحاولوا محاكاتها حتى نجحوا في القرن ٩هـ/١٥م في صناعة نوع من الخزف ذي البريق، المعدني أطلق عليه اسم (ماجوليك) نسبة إلى جزيرة ميورقه (maiiorca)، حيث أقيم بها مصنع عربي خصص لتصنيع هذا النوع من الخزف، وكانت بلنسيه (Valenci) في أسبانيا تعد المركز الإسلامي الأول لصناعة الخزف في الغرب، والتي صنعت فيها نماذج تعد من أبدع ما أخرجته مصانع الخزف. ومازالت المتاحف الأوروبية تحوي الكثير من الأواني الخزفية التي صنعت تقليدًا للأواني الإسلامية[9] صناعات المدن الأندلسية، ينبغي أن يعتمد فيه الباحث على المصادر الأندلسية وليس المراجع الحديثة.

---

(7) **عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، بيروت ١٩٦٦، ص٢٨٨، أحمد فكري: التأثيرات، ص٩٠**

(8) **زكي حسن: تراث الإسلام، جزءان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦، جـ٢، ص٤٢-٤٩.**

(9) **سعيد عاشور: أوروبا، جـ٢، ص٥٣٦-٥٣٧، زكي حسن: تراث، جـ٢، ص ٤٨.**

ومن هنا، لاندهش إذا علمنا أن الأطباق والصحون والزهريات الخزفية ذات البريق المعدني المصنوعة في مدينة بلنسية والمزينة بشارات النبل الأوروبية قد أصبحت في القرن ٩هـ/ وأوائل القرن ١٥-١٦م، رموزاً للتعبير عن الرفعة والمكانة الاجتماعية التي يتمناها الجميع[10].

ولم يقتصر اقتناؤها على الأسر الإسبانية، بل حازها نفر من أصحاب الذوق الرفيع من الأوربيين، أمثال أدواق برغنديا، وآل مديتشي في فلورنسا، وملوك نابولى، بل حتى البابا ليو العاشر الذي يعد أحد أبرز باباوات روما في ذلك الوقت[11].

وهناك تأثير مباشر بصورة أكبر مارسه صناع الفخَّار الإسلامي، وخاصةً الأنواع الأندلسية منه، المطلية بالقصدير المزجج، الذي يسمى بالسجرافيتو (sgreffito)، أي الزخارف ذات البريق المعدني، وقد وجدت هذه الأنواع والزخارف في صناعة الفخار الإيطالي الناشئة، التي لم تلبث أن بلغت بشأن غير عادي من الازدهار والانتشار، وكانت بعض أشكال هذه الزخارف قد ظهرت واضحة على الآنية الخزفية مثل: القصاع الصغيرة والزهريات، والقدور، وأواني العقاقير المسماة البرللي (Al.barelli)، أي البراميل الصغيرة، بالإضافة إلى وحدات زخرفية معينة قد اقتبست بالفعل.

كما أن المؤثرات الفنية الخاصة بأساليب الزخرفة التي نشأت أصلا في الشرق الإسلامي ثم تطورت في الأندلس قد أضيفت إليها تحسينات جديدة في المراكز الصناعية الإيطالية المختلفة، ومع ذلك فلم يمض وقت طويل حتى أخذت زخرفة هذه الأواني أشكالاً جديدةً، وصورًا غريبةً بعيدةً عن الطابع الشرقي، مما أدى ظهور طراز غربي مختلف جديد، ومختلف عن الفخار الإسلامي[12].

---

(10) عاشور: جـ٢ ، ص٥٣٦.

(11) زكي حسن: نفس المرجع جـ٢، ص٤٨.

(12) جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث: تراث الإسلام. ترجمة د.حسين مؤنس وآخرون. تعليق وتحقيق شاكر مصطفى، مراجعة د.فؤاد زكرية، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٨م، ج١، ط٣، ص ٤٠٣ – ٤٠٤.

٤ – التحف الزجاجية :-

حازت إيطاليا وخاصة مدينة البندقية قصب السبق في صناعة الزجاج المتأثر بالأساليب العربية، وسرعان ما تفوق الصناع الإيطاليون في صناعة الزجاج المطلي بالمينا، ومن البندقية انتقلت طريقة صناعته الفنية إلى أوروبا، التي استمر أثر الفن الإسلامي ظاهراً عليها بشكل واضح.

وهكذا، نظرًا لابتكار العرب للأواني الزجاجية المذهبة والمطلية بالمينا أصبح للزجاج العربي حضور كبير في بلاد أوروبا الغربية، وقد حاكى الأوروبيون وخاصة بعض المدن الفرنسية والإيطالية الإنتاج العربي، ومثلت البندقية أوجهها، إلا أنَّ إنتاجها لا يمكن أن يرقى إلى مستوى النماذج الشرقية التي أخذت عنها في جمال شكلها، ودقتها، وسلامة ذوقها[13].

٥ –الصناعات المعدنية :-

أحرز الصناع المسلمون تقدمًا ملحوظاً في صناعة المعادن، وبلغت مهاراتهم مبلغًا فائقاً، وأنتجوا مختلف التحف، من أوانٍ وصينيات وأطباق وأباريق وشمعدانات، وأتقنوا صناعتها من البرونز، وتكفيتها بالذهب والفضة والنحاس، وبلغ فن تكفيت[14] المعادن عند المسلمين غايته من الإتقان، وظل محافظاً على هذه المكانة حقبة طويلة، ومن التحف التي تمثلت فيها هذه الصناعة أصدق تمثيل تحفة تعتبر عن أجمل ما وصل إلينا، وهي إبريق من النحاس مغطى كله بأشكال مكفته بالفضة، وجسم الإبريق وعنقه مضلعان، لهما عشرة أوجه، وفيهما مناطق أفقية عديدة، ومسافات محجوزة، ومقلمة مصنوعة من النحاس المكفت بالذهب والفضة، وجميع المصنوعات محفوظة في المتحف البريطاني[15].

([13]) سعيد عاشور: أوروبا، جـ٢، ص٥٣٧، زكي حسن تراث: تراث الإسلام، جـ٢، ص٢٨-٢٩

([14]) التكفيت: طريقة في الزخرفة قوامها حفر رسوم على سطح خشبي أو معدن، ثم مُلئت الشقوق المؤلفة لهذه الرسوم بقطع أخرى من الخشب الملون أو العاج أو المعدن، والعادة أن المادة المركبة أغلى قيمة من المادة الأصلية. انظر زكي حسن حسن: تراث الإسلام، جـ٢، ص٢٦.

([15]) عاشور: أوروبا، جـ٢، ص٥٣٦، زكي حسن: أثر الفن الإسلامي في فنون الغرب مجلة الرسالة، العدد ٩٣، السنة الثالثة، ١٩٣٥، ص٦١٥-٦١٧.

وكانت من أوائل الاقتباسات الأوروبية من هذه الصناعة المعدنية أشكال الأباريق البرونزية أو النحاسية، وكانت التحف الإسلامية المعدنية تلقى رواجًا كبيرًا في بلاطات الملوك والأمراء في الغرب الأوربي، ونتيجة لذلك ظهرت بمدينة البندقية مصانع للتحف النحاسية، اتخذ صناعها من التحف الإسلامية نماذج استوحوا منها أساليب الصناع المسلمين، واتبع الفن الأوروبي أسلوبًا مماثلاً للتكفيت الإسلامي، واستبدلوا بالأسلاك الفضية والذهبية لدائن زجاجية من المينا الملون، فأصبح فنتً آخر مقتبسًا من فن التكفيت المعروف باسم (Closisonne أو Champlev Inlay). [16]

٦ – الرنوك[17]:–

عرف المسلمون الشعارات والشارات التي عرفت بالرنوك، فكانوا يرسمونها على أملاكهم وأثاثهم وأدواتهم وأوانيهم، على هيئة دائرية أو بيضاوية أو مفصصة، ينحصر في داخلها صورة زهرة أو طائر أو حيوان، يرمز على وظيفة الأمير أو الحاكم، وكانت تلون بألوان براقة، وعن طريق المسلمين انتقلت هذه الشعارات والشارات إلى أوروبا الغربية، وأصبح لكل أسرة شارة أو رنك خاص بها[18]، ومن أمثلتها رنك أسرة (أوكي وكاني Occhidi Cani)، وهي أسرة نبيلة من مدينة فيرونا (Verona) في إيطاليا، [19]وقد تطور علم الرنوك حتى أصبح علما منظماً مستقلاً بذاته له مصطلحاته الخاصة عن الغرب.

([16]) أحمد فكري: التأثيرات، ص٩١، زكي حسن: تراث، جـ٢، ص٣٥-٣٦.

([17]) رنك: لفظة فارسية بمعنى لون، وهي شعار الأمراء وكبار أشرف البلاط المكلفين بمهمة محدودة، يطبع على تروسهم وممتلكاتهم، نراه محفورا على واجهات الأبنية أو منقوشاً على مصاريح الأبواب أو مسخونا في حجارة الجدران، ويحتل دائماً أماكن بارزة في الداخل والخارج. عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، ص ٢٠٦.

([18]) زكي حسن: أثر الفن ص٦١٦-٦١٧.

([19]) زكي حسن: تراث، جـ٢، ص ٣٣.

٧ – النسيج :

شاعت في أوروبا في العصور الوسطى صور متعددة للمنسوجات الإسلامية ودور الطراز التي كانت منتشرة في البلاد الإسلامية العربية، والتي كانت تنتج من المنسوجات أنواعًا فاخرة على شكل ألوان متموجة، ومنقوشة بخيوط الذهب والفضة، وأخذت مصانع النسيج في أوروبا تعمل على تقليده، وكان منبع هذا التقليد مصادر ثلاثة، الأول مصدر مباشر نتيجة لاستيراد الملوك والأمراء الأقمشة الفاخرة من بلاد المشرق، والمصدر الثاني ناشئ عن استمرار المراكز الصناعية الإسلامية في إنتاجها فترة طويلة من الزمن، وفقًا للتقاليد الإسلامية حتى بعد خضوعها للحكم النصراني ولم يقتصر تأثير هذه المنسوجات الإسلامية على الغرب الأوربي بعد تعدي تأثيرها على المصانع البيزنطية التي تأثرت بالأساليب الإسلامية، وانتجت أقمشة تحمل طابعًا عربيًّا، راج كثيراً في أوروبا.

ومن أبرز الأمثلة على التأثيرات العربية العباءة التي نسجت في صقلية للملك روجرز الأول في سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م، فقد قلَّد الإيطاليون النسيج الحريري الذي كانت تنتجه المصانع الإسلامية في الأندلس وشمال أفريقيا على وجه الخصوص، وأصبحت لهذه الصناعة مراكز في إيطاليا، حرصت على أن تستمد منهجها الصناعي والزخرفي من المنسوجات الإسلامية، ومن أمثلة ذلك حلة فاخرة من الديباج المُوشَى بخيوط الذهب، وهي من نتاج الصناعة الإيطالية، وبلغت صناعة الأقمشة المحلاة بزخارف إسلامية حدًّا كبيرًا من الإتقان، بحيث يتعذر التفرقة بين الأقمشة الإسلامية والإيطالية مع إقرار الغرب بالسبق الإسلامي في هذه المجال.

والملاحظ أن بعض المصنوعات حملت أسماءً عربية الأصل، من ذلك على سبيل المثال المنسوجات التي كانت تحتل مكانه عالية عند الأوروبيين؛ إذ أثارت في نفوسهم دهشة عظيمة عندما قارنوا بينهما وبين ما كانت تخرجه أنوالهم، وراحوا يتساءلون عن سر الإبداع في هذه المنسوجات الإسلامية؛ أهو في التنسيق بين الألوان، أم هو في هذه جميعاً[٢٠] .

---

(20) عبد الرحمن فهمي محمد : دراسة لبعض التحف الإسلامية كلية الآداب بجامعة القاهرة، مجلد (٢) عدد (١)، القاهرة، ١٩٦٤، ص١٩٩.

وقد أقبلوا عليها، وسموها في لغاتهم بأسمائها العربية، سواء كانت هذه الأسماء مستمدة من طبيعتها مثل القماش الذي أطلقوا عليه شيفون (Chifion) ، فقد كان في الأصل يشف عما تحته، فاخذوا هذه الكلمة من كلمة (شفاف) العربية، أو كانت هذه الأسماء مشتقة من البلاد التي اشتهرت بها مثل الجراندين(Garandine) التي كانت تنتجه مدينة غرناطة، ومنها كلمة(Tabi) التابي المأخوذة من كلمة العنتابي (قماش من عطابية في بغداد)، كما أن كثيراً من الأسماء المستعملة في اللغات الأوروبية اشتقت من أسماء بعض المدن الإسلامية التي كانت مشهورة بصناعة النسيج، مثل فستيان Fustian مشتقة من الفسطاط، والدامكس (Damascus) مشتقة من دمشق، والموسلين (Mussolin) مشتقة من الموصل، والبلد (اكبيو Balacchino مشتقة من بغداد) وكذلك تأثرت صناعة السجاد الأوروبي من صناعة السجاد الإسلامية، سواء في إيطاليا أو فرنسا أو ألمانيا أو هولندا[21].وهناك أسماء عدد كبير من مسميات الأقمشة أخذها الغرب عن المسلمين، مثل الشاش، البقرام، الساتن، الموهير، الموسلين، القطن، كما أدخل العرب أيضا النيلين الذي يعتبر مقومًا مهمًّا من مقومات أصبغة النسيج[٢٢].

ونتيجة لنمو التجارة مع بلاد الشرق، ازداد الطلب على المنسوجات الحريرية الفاخرة بشكل لافت وسريع في أوروبا، وتزايدت الأقمشة الإسلامية النفيسة بكميات وافرة على أوروبا، حتى أدرك الغربيون أهميتها، فانشئوا مصانع متعددة للنسيج في مراكز مختلفة من أوربا الغربية على وجه الخصوص، وبدءوا في منافسة المصانع الشرقية بشكل جدي وملحوظ، وكان العرب قد أقاموا في صقلية مصانع فاخرة وشهيرة للنسيج، ظلت عامرة حتى بعد أن تقوض سلطان المسلمين في الجزيرة، فتعلم الإيطاليون في هذه المصانع أسرار صناعة النسيج الإسلامي

([21]) أحمد فكري: التأثيرات الفنية، ص ٩٢-٩٣، عاشور: أوروبا، جـ٢، ص ٥٣.

([22]) أنيس الأبيض: بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص١٧.

ودقائقه ونقلوه إلى مدن إيطاليا المختلفة، وحفلت المنسوجات الحريرية الإيطالية في القرن الرابع عشر بالزخارف الشرقية حتى الكتابات العربية منها[23].

ولقد وُجِدَ في كنيسة (كور) وهي من بقايا القرون الوسطى ملابس نفيسة للغاية، يندر وجود مثلها بما كانت عليه من إبداع وروعة، فمنها حلة من الحرير يلبسها القسيس في القداس، تختلف عن بقية الملابس الكنسية، وهي مطرزة بآيات مكتوبة بحروف عربية، ويرجح أن تاريخ وجودها يعود إلى ٢٢٩/٢٦٤هـ – ٨٤٣/٨٧١ م أيام وجود المسلمين في سويسرا، بالإضافة إلى ذلك، فقد وُجد في الكنائس كثير من الحلل الدمشقية التي جاءت في زمان وجود العرب في فرنسا(24).

والمرجح أن أقدم قطعة حرير مصورة تحمل اسم مدينة إسلامية، توجد اليوم ضمن ذخائر سان أيزيدورو (sanlsidoro) في مدينة ليون (Leon) شماء إسبانيا، وتاريخها يعود إلى حوالي القرن ٥ هـ / ١١م وقد كتب عليها أنها صنعت في بغداد، ولا يستبعد ومن الممكن أن تكون محاكاة أندلسية لأصل عراقي، فمع أن الكثير من قطع النسيج وصلت إلى أوروبا من بلاد بعيدة، فإن ما وجد منها في الكنائس الإسبانية يكون مجلوبًا من مركز صناعي أندلسي قريب، ومثال ذلك ما ظهر في قطعة النسيج المسماة (حجاب الخليفة هشام الثاني المؤيد بالله ٣٦٦–٤٠٣هـ / ٩٧٦–١٠١٢م)، والتي من المحتمل أن تكون جزءًا من ثوب قدم إلى كنيسة (سان إستبان)، في بلدة سان إستبان دي جرماج (San Esteban de Gormaz) كغنيمة حرب.

وهذا ينطبق أيضًا على قطعة نسيج موحدية، ترجع إلى القرن ٦هـ / ١٢م، وفي مقابل هذه الاستعمالات الكنسية للأنسجة الإسلامية نجد مثالاً آخر لقطعة نسيج أخرى، تتصف بمظهر أكثر

---

(23) **زكي حسن: تراث الإسلام، ص٧٧.**

(24) **شكيب أرسلان: غزوات الغرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩، ص٣٣٨.**

فخامة، ولها مغزى لا يقل عن مغزى قطع النسيج الكنسية، يتمثل في التاريخ الدنيوي الطويل لعباءة الاحتفالات في مدينة باليرمو (Palermo) بصقلية ٤٢٥هـ/١٠٣٣م، أصبحت بعد ذلك ثوب التتويج لأباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، حتى سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م.

وابتداءً من القرن ٦هـ/١٢م، وحتى القرن ١٠هـ/١٦م، ظهر استخدام جديد للأقمشة المجلوبة من الأندلس، وكانت هذه الأقمشة تصل إلى أوروبا على شكل قطع كبيرة يمكن أن تصنع منها ملابس فاخرة تؤدي بها الصلوات النصرانية، وخلال القرنين ٦-٧هـ/١٢-١٣م، ظهر تطور جديد، وهو أن النسيج الإسلامي أصبح نموذجًا ينسج النساجون الأوربيون على منواله مع بعض التصرف[25].

٨- السجاد :

انتقل إلى أوروبا على يد أمهر الصناع المسلمين، وكان من الكماليات التي لا يقتنيها إلا الموسرون، وذاعت شهرته في العصور الوسطى، وتأثرت صناعة الجلود الأوروبية بالسجاد الإسلامي، فتعلم الصناع الغربيون صناعته من المسلمين، وظلت الطرز الإسلامية لأشكال السجاد مستخدمة في أوروبا لفترة طويلة من الزمن.

وعرف العديد من أنواع السجاد الإسلامي في إيطاليا وفرنسا وألمانيا، وتشير رسوم السجاجيد في إيطاليا على أنه كان معروفًا منذ القرن الرابع عشر الميلادي على أقل تقدير[26].

ويؤكد المؤرخ ديامند (Dimand) أن بداية ظهور السجاد في أوروبا كان عن طريق المسلمين في بلاد الأندلس، فيذكر أنه في حفل زفاف الأمير أدوارد الأول (prince Edward1) ملك إنجلترا على الأميرة القشتالية إلنور(Elnoor) سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م، وقاموا بفرش السجاد في

---

(25) **جوزيف شاخت: تراث الإسلام، ص ٣٢٩.**

(26) **زكي حسن: أثر الفني الإسلامي، ص٦١٨.**

الشوارع، وتعجب الحضور جميعاً من هذا السجاد الإسلامي الفاخر المصنوع في المدن الأندلسية، وكانت زخارفه إسلامية خالصة، ويذكر أن البابا يوحنا الثالث والعشرين (ت ٧٣٤-١٣٣٣م) قام بشراء قطع من السجاد الأندلسي، كان مزينًا بشكل جميل لتزين قصره في مدينة أفينيون (Avignon)[٢٧].

٩- فن التجليد :

امتدت التأثيرات الإسلامية إلى فن تجليد الكتب، ويرجع الفضل في ذلك إلى السبق الذي حققه المسلمون من هذا المجال الذين نقلوا صناعة الورق إلى أوروبا، وكان لهم الفضل في توجيه العناية إلى مهنة تجليد الكتب وزخرفتها.

وأخذ الأوروبيون أيضًا عن المسلمين طريقة تذهيب المجلدات، بإذابة صفائح ذهبية في الفراغات الناتجة عن ضغط الزخارف وكبسها، وكانت هذه الطريقة قد ابتكرت في قرطبة، التي كانت وما زالت مشهورة بصناعة الجلود، حتى أن صانع الأحذية بالفرنسية يطلق عليه (Cordonnier) اشتقاقًا من قرطبة. وانتقلت طريقة التذهيب إلى أوروبا، وشاع استخدامها هناك منذ القرن الخامس عشر، وكذلك كان بالبندقية مركز مهم للتجليد، وكان القائمون عليه مسلمين، وإليهم يرجع الفضل في إحياء طرق التجليد الإسلامية واستمرارها في أوروبا وبلوغها شأناً كبيراً في العصور الوسطى.

ومهما يكن من أمر، فإننا نرى مسحة شرقية غالبة تبدو على الكتب المجلدة في معامل التجليد الإيطالية، وقد ظهرت جلية في بعض المجلدات؛ إذ ذاك ظاهرة شائعة في طرق التجليد الإسلامية وهي (اللسان) الذي يطوي لحماية الأطراف الأمامية من الكتاب، ولا تزال هذه

---

(27) M.S. Dimand:TWO Fifteenth century. hispano – moresque pugs,The metro politan museum of art Bulletin.v.23no l.(Summer 1964).p.342.343

الظاهرة باقية في تجليد بعض الكتب المطبوعة، مثل كتب الحسابات، ودفاتر المصارف المعروفة باسم Pass Books، ووجود اللسان يذكرنا بأثر الصناعة الشرقية فيها. ولقد نقل الصناع المسلمون إلى صناع الغرب الأوربي طريقة جديدة في زخرفة جلود الكتب، ففي العصور الوسطى، كان المجلدون الأوروبيون يزخرفون جلود الكتب بطبع رسوم عليها مستعينين بمكابس معدنية، وكانت الزخارف تصنع بهذه الطريقة بارزةً، حتى بدأ الصناع الشرقيون يزينون الرسوم المطبوعة بملء أجزائها المنخفضة بصبات ذهبية، وقد ابتكر هذه الطريقة جموع من المسلمين الذين أقاموا في إيطاليا، وقد نشأ هذا النوع وتطور في البلاد الإسلامية، ووصل إلى مصانع التجليد الأوروبية حاليًا معه عناصر وموضوعات زخرفية، أصبحت مندمجة في الصناعة الحديثة بكامل مواصفاتها ومميزاتها، دون أن يعتريها أدنى تغيير. وما يزال التذهيب والكتابة شائعين ويظهر بوضوح على جلود الكتب الجميلة، ولا يزال الأوروبيون يصنعونها بوسائل كان لصناع المسلمين فضل بلوغها درجة الكمال[28].

واشتهرت قرطبة بصناعتها ودبغها للجلود، حتى أطلق الأوربيون على النوع الفاخر من الجلود اسم الجلد القرطبي (Cordovan)، وفيما عدا المصنوعات العادية المعروفة، استعمل العرب الجلود في تغليف الكتب، ونبغوا في ذلك نبوغًا أبهر الأوربيين المعاصرين[29].

١٠- صناعة الورق :

أولى الأوربيون صناعة الورق جلَّ اهتمامهم، وأنشئوا لهذا الغرض عددًا من المصانع في بلدانهم ومنها صقلية وإسبانيا، ومن هناك انتقلت صناعة الورق إلى إيطاليا وفرنسا[30].

---

(28) **زكي حسن: تراث الإسلام، ص٩٠-٩١.**

(29) **عاشور: أوروبا، جـ٢، ص٥٣٢.**

(30) **زكي حسن: تراث الإسلام، ص٩١**

وعندما أتقن الأوربيون صناعة الورق أحلوه في الكتابة محل الرقائق الجلدية باهظة التكاليف، وهكذا أدى العرب خدمة جليلة لأوروبا وللحضارة الإنسانية؛ لأنهم علموا الغربيين طريقة أسهل وأفضل لتدوين العلوم والمعارف، وخير شاهد على أثار العرب في هذه الناحية كثرة المصطلحات العربية المتعلقة بالورق وصناعته، والتي مازال بعضها مستعملاً باللفظ العربي في اللغات الأوروبية حتى اليوم مثل رزمة[31].

١١ –النقود العربية في أوروبا :

استطاع المسلمون أن يوطدوا صلاتهم التجارية مع الأمم الأخرى، فازدهرت تجارتهم مع الغرب الأوربي، وحققت إقبالاً منقطع النظير، ولقد وصلت متاجر المسلمين في العصور الوسطى إلى جهات نائية عن طريق التجارة البرية والبحرية، مثل السويد والنرويج والدنمارك، عن طريق الفولجا، ويشهد على ذلك مئات القطع من النقود الإسلامية التي وجدت في المدن الواقعة على بحر البلطيق وخليج فنلندا، مثل نوفجرود، وشلوزيج، وجزيرة جوتلاند (Gotland) وجزيرة الاند (Aland) من جزر البحر البلطي.

وكان العالم الإسلامي هو المصدر الرئيس للنقود في القرنين التاسع والعاشر، فلقد عرفت الدراهم الفضية في أوروبا عند علماء النميات[32] بالنقود الكوفية (Cufie) لأن الكتابة عليها بالخط الكوفي، ومما زاد في أهميتها أنها تحمل سنوات الضرب، وقد عثر حتى الآن على حوالي (٦٣.٠٠٠) قطعة نقد عربي في بلدان اسكندنافية، وهي مضروبة في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وفي القرن العاشر اتسعت رقعة الأماكن التي عثر فيها على دفائن من

---

(31) عاشور: أوروبا، جـ٢، ص٥٣٥.

(32) المرجع السابق جـ٢، نفس الصفحة.

العملات الأوروبية، معظمها شرق البلطيق وشرق السويد كما عثر على بعضها في أطراف الجزر البريطانية أي في الأماكن التي تعرضت لغارات الفايكنج (Viking) [33].

ومعظم نقود القرن ٣هـ/٩م ضرب في عصر الخلفاء الأمويين والعباسيين، مما يدل على اتساع حجم التجارة بين العالم الإسلامي وبين شمال أوروبا قبل القرن ٥هـ/١١م، وهذه الأعداد الهائلة من قطع النقود التي عثر عليها في أجزاء مختلفة من شمال أوروبا وقرب سواحل البلطيق كان مصدرها التجار المسلمون، الذين كانوا يدفعون ثمناً لما يحصلون عليه من السلع الأولية وخاصة الفراء.

وقد تم تداول بعض النقود العربية إلى ألمانيا في القرن الرابع الهجري، فالرحالة الأندلسي الطرطوني شاهد حوالي سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م بمدينة مينز (Mainz) دراهم ضربت في سمرقند فيما سنتي ٣٠١ – ٣٠٢هـ/٩١٣–٩١٤م، وقد كان للنقود العربية تأثير على العملات المضروبة في الأراضي المتاخمة لدار الإسلام حتى البلاد النائية، وقد أثر أن الملك أوفا (Offa) ملك مرسيه (Mercia) في إنجلترا ١٤٠–١٨٠هـ /٧٥٧–٧٩٦م دفع جزية للبابا كل عام بالدينار المنقوش، وذلك تقليد للدينار العباسي المضروب عام ١٥٧هـ/٧٧٤م. بالإضافة إلى ذلك، عثر على أحدى عشرة قطعة نقدية إسلامية من عملة أقريطش في موضع السوق في مدينة أثينا في كورنت، ولعل وجودها هناك له صلة بالنقوش الكتابية المهمة التي وجدت في المسجد الإسلامي بأثينا.

---

(33) الفايكنج Viking العناصر الشمالية التي سكنت شبه جزيرة سكندناوه وشبه جزيرة الدانمارك والتي اتخذت إنجازاتها على أوروبا شكلًا خطيرًا في القرن التاسع الميلادي.

Mawe: The Vikings. Cambridge 1930 P . 7 . 8

أما بالنسبة لمدينة كورنت، فإنه من المؤكد أن القطع النقدية التي عثر عليها في هذه المدينة ترجع إلى القرن ٣هـ/٩م، وتشير المصادر الكتابية إلى قيام المسلمين بغزو منطقة كورنت عام ٢٦٦هـ/٨٧٩م، ولعل المدينة وقعت تحت حكمهم مدة من الزمن ويعتقد عالم النميات (Miles)[34] أن عملات أمراء كورنت هي دليل على وجود صلات وتبادل تجاري بين المدينة وجزيرة أقريطش العربية (كريت) أكثر من كونها أثر للنشاط الحربي في المكان[35].

أما صقلية، فنتيجة لحكم النورمان ظلت تضرب السكة أو العملة بها بعبارات عربية إسلامية، استخدم منها بالخط الكوفي، وبعضها يحمل التاريخ الهجري وعبارة (محمد رسول الله)، كما في نقود عهد روجرز الثاني التي سجل عليها لقبه العربي تقليدًا للمسلمين (ناصر النصرانية)، وفي عهد ملوك النورمان الثلاثة الأوائل، ظل الرباعي أي ربع الدينار الفاطمي متداولاً، وعلى منواله ضربت عملة تعرف باسم طري (Tari) ، وكانت هذه العملة تأخذ شكلاً رباعي الأشكال شكلاً وقيمة.

ويبدو أن كلمة طرى (Tari) مشتقة من الكلمة العربية (طري) بمعنى حديث الضرب، وهي صفة استعملت للرباعي في لهجة صقلية العربية، وظلت كلمة طرى متداولة إلى عهد قريب هناك، وانتقل الطري إلى مالطة سنة ٩٣٧هـ/١٥٣٠م[36].

---

(34) علم النميات: تندرج دراسة النقود تحت هذا العلم الذي يسمى La. Numi smati que في النقود والأوزان والأختام والأنواط، عبد الرحمن: فهمي: النقود العربية، ماضيها وحاضرها، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤، ص٦.

(35) أمين الطليبي: النقود العربية، انتشارها وأثرها في أوروبا في القرون الوسطى، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٩، إصدار الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العراق، ١٢٨١م ص ١٩٩-٢٠١، روبرت لويز: محمد وشار لمان إعادة نظر، بحوث في التاريخ الاقتصادي، ترجمة توفيق إسكندر، مطابع دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٦١ – ص ١٢٧ .

(36) أمين الطليبي: النقود العربية، ص٢٠٣ – ٢٠٤.

وظلت كلمة طري إلى عهد قريب تعني عملة فضية قديمة، ومن إيطاليا انتقلت الكلمة إلى جنوب فرنسا، فهي في البروفنسالية تابعة لأرجوان منذ أواخر القرن ٨هـ/ ١٤م.

ومن الطبيعي أن تظهر الكلمة في النصوص القطلانية، حيث يرد ذكرها لأول مرة سنة ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م، وعلى صورة (Tari) للمفرد، و (Tarins) للجمع، وهي في القتشالية (Tarin) ثم أصبحت الكلمة تستعمل للدلالة على عملة إسبانية، وفي الأمثال الدارجة، وقد وردت كلمة طري في عدد من الكتابات العربية على أوراق البردي المصرية[37].

وفي سويسرا عثر قرب قرية شتسكبون (Stecbon) على ثلاثين درهمًا فضيًا عربيًّا، يحمل أقدامها سنة الضرب(١٦٩هـ/٧٨٥م)، ويحمل أحدثها سنة (١٨٢هـ/٧٩٨م). ولكنها كانت مضروبة في القيروان، باستثناء درهم واحد ضرب في عهد الأدارسة في شمال المغرب الأقصى[38].

وتحوي متاحف سويسرا مسكوكات عربية غير قليلة سكت من الفضة تسترعي النظر، ولقد تمكن العلماء المسلمون من إثبات سَكَّاكَها وضربها وزمانها، وهذه المسكوكات مغطاة بالكتابة التي تشير إلى اسم الأمير، ومكان الضرب، وتاريخه، وأجزاء من آيات من القرآن الكريم، وأكثر الكتابة بالخط الكوفي. وقد نقلت إلى سويسرا عن طريق فرنسا، فقط وجد ضمن هذه الدراهم مسكوكات مضروبة باسم كارلوس الأصلع ملك فرنسا (٨٤٣ – ٨٧٧م)؛ ونظرًا لأن المسلمين أقاموا زمنًا طويلاً في تلك المناطق، فإنه لا مجال محل للشك في أن هذه المسكوكات التي وجدت في سويسرا، قد دخلت عن طريق المسلمين الذين وصلوا إلى هناك وأقاموا مدة طويلة.

---

(37) **أمين الطليبي: النقود العربية، ص٢٠٣ – ٢٠٤.**

(38) **المرجع السابق، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .**

كما عثر على دفينة أخرى في مدينة مودرن بسويسرا، ويرى البعض أنها قد وصلت بطريقة سلمية، ثمناً لبضائع، بينما يرى أرسلان أنها من آثار المسلمين الذين دخلوا سويسرا عن طريق جنوب فرنسا[39].

وفي عهد ملوك الطوائف في القرن ٦ هـ / ١١م ضربت أول عملة سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م باسم منقوش (Mancuss) ، وهو الاسم الذي أطلقه النصارى على الدينار، مقلداً بذلك عملات ملوك الطوائف في شرق الأندلس.

ويبدو أن الدينار المنقوش كان أكثر هذه النقود المختلفة شيوعًا، ولم يكد الصلدى ينتهي سكه تمامًا حتى كانت الدنانير الإسلامية قد انتشرت في الغرب كله، فنجدها في إيطاليا منذ عام ١٦٢هـ/٧٧٨م.

وفي عام ١٨٤هـ/٨٠٠ م دفعت أستريا (Austria) ضرائبها لبيت المال الكارولنجي بالدينار المنقوش.

ولقد وجدت الدنانير مع عملات أخرى، ولقد كانت إيطاليا وأغرب من ذلك إنجلترا وهي البلاد التي كثرت فيها العملات الأجنبية طيلة قرون؛ إذ تذكرها الوصايا الأنجلو سكسونية (Anglo Saxons) في كل صفحة منها تقريبًا. وألفها الإنجليز إلى حدٍّ أنهم جعلوا منها وحدة الأوزان المعتادة في وزن الذهب، ولم تجهل بلاد غالة ولوثرنجيا (اللورين) وألمانيا هذه العملة المنقوشة، وقد حاول المتقاضون رشوة تيودولف رسول الإمبراطور بتقديم قطعة ذهبية عليها حروف عربية منقوشة.

وقام أسقف مدينة متريجرد كنيسة سان ترون سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م، ولم يجد فيها من العملة إلا خمسة دنانير منقوشة، وهذا الدينار المنقوش عرفه المسلمون في أوروبا النصرانية

---

(39) ارسلان: غزوات العرب، ص ٣٣٨.

معرفة واسعة، إلى حد أن قيمته تحددت بالنسبة للنقود القومية (الأوروبية) تحديداً ثابتًا تقريبًا، فقدر في الغالب بثلاثين دانقاً[40].

والجدير بالذكر أن المنقوش الفضي والصلدى الفضي استخدما كوحدة حسابية، أما طريقة الدفع، فكانت تتم بعملة من معدن آخر. كذلك كان الحال في مدينتي جنوة أو مرسيليا. أما في إقليم البروفانس فقد دفع كونت بروفانس للبلاط الإمبراطوري ٥٠٠٠ مرابطية، والأدلة كثيرة على مدى تغلل العملة الإسلامية في الغرب الأوروبي والآثار التي تركها المسلمون هناك[41].

ولقد عثر سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م في انجلترا وسنة ١٩٢هـ/٨٠٧ م على درهم أندلسي في أطلال دير بمقاطعة دورسيت، وسنة ضربه مؤرخه عليه بـ ٣٩٠هـ/٩٩٩م أي في خلافة هشام الثاني بن الحكم المستنصر، ولا يستبعد أن تكون تلك الدراهم قد وصلت إلى إنجلترا مباشرة من غرب الأندلس؛ نظرًا للعلاقات التجارية. وتذكر الحوليات القشتالية عن عدة عملات أولها العملة المستعملة المسماه (Eldimero De Plata) أي الدينار من الفضة، وهو متوسط، ويشار إليه أحياناً باسم الدرهم(Adarham) ، وقد شاع استعمال الدينار المرابطي في أوروبا الغربية. وقد استعملت تلك الدنانير في إقليم البروفانس وفي دير في جنوبي للون وفي فيرنو وفي سانت روكان. وكان لقيام دولة الموحدين أثر في انتشار العملة الإسلامية في الممالك النصرانية، فظهرت العملة المعروفة باسم المربعة (Doble)، وحلت محل الدينار المرابطي، وكذلك استخدمت عملة نصف الدويلة، وتعرف باسم Muzmudina، وهي مشتقة من اسم قبائل المصامدة التي قامت على أكتافها دولة الموحدين، وظلت هذه العملة إلى أن هزم الموحدون

---

(40) مارك بلوك: مشكلة الذهب في العصر الوسيط، بحوث في التاريخ الاقتصادي، ترجمة توفيق اسكندر، مطابع دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٦١م ، ص١٩-٢٠.

(41) مارك بلوك: ص٢٠

على يد خصومهم من النصارى سنة ٦٠٩هـ /١٢١٢م في معركة العقاب[42]، فاضطر الفونسو العاشر إلى ضربها في مملكتها، وظلت عملة الدوبلة مع ذلك متداولة كوحدة للذهب حتى أواخر القرن ٩هـ/١٥م.

وبحلول عملة الدوبلة محل الدينار المرابطي أصبحت تسمية مارافدار (Maravdr) تطلق على العملة الذهبية في أواخر القرن ٧هـ/١٣م[43].

كما انتقلت النقود الإسلامية من أوروبا الشمالية والشرقية عن طريق الأنهار الروسية، وفي أوروبا الغربية عن طريق البحر المتوسط. وقلد ملوك الغرب في سكتهم الذهبية شكل العملة الإسلامية.

أما الدنانير التي أطلق عليها اسم المنقوش Mangons أو Mancusus كما وردت في النصوص اللاتينية فهو الاسم الذي أطلقه الأوروبيون عليها، ولا يعرف اشتقاقه على وجه التحديد، وعلى الدنانير الذهبية التي سكها الخلفاء العرب ثم سكها الأمراء في سوريا والمغرب وأسبانيا، وزالت هذه التسمية من النصوص في نهاية القرن الحادي عشر، وحلت محلها تسمية أخرى Marabotins ، وكانت تطلق خاصة على عملة المرابطين[44].

---

(42) حينما استولى النصارى على معسكر الموحدين بجميع محتوياته من الذهب والفضة والعتاد والسلاح والخيام والأقمشة الحريرية والبسط والأنية الثمينة والنقود والمؤن، وكانت راية الموحدين من أنفس الغنائم التي استولى عليها النصارى في معركة العقاب فأرسلت جميعها إلى الباب انوسنت الثالث بروما. وهذا أكبر دليل على انتشار الكثير من المقتنيات الإسلامية ووصولها إلى أوروبا.

يوسف اشياح: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبدالله عنان، مجلدان القاهرة، ١٩٤١م ص ٢٥.

(43) أمين الطليبي: النقود، ص٢٠٨-٢١٠.

(44) المرجع السابق، نفس الصفحات.

ولعل ما يجدر التنويه إليه وجود عدد من المفردات العربية الاقتصادية في اللغات الأوروبية، فهي دليل على أنه كان للتجارة والتقاليد العربية الإسلامية تأثير مباشر وعميق على الحياة الاقتصادية وتطورها في معظم البلدان الأوروبية، فالكلمة الإيطالية (Zecca) مشتقة من دار السكة، والكلمة (Cheque) مشتقة من كلمة صك العربية والكلمة (Slerling) الإغريقية الأصل وصلت اللغة الانجليزية عن طريق العربية والمصطلح الجمركي (Tariff) من العربية تعريف، ولعل كلمة (Traffic) بمعنى المتاجر مشتقة من الكلمة العربية تفريق.

تحوي اللغة الأسبانية العديد من المسميات لمناصب ذات صبغة مالية وتجارية، ما زال بعضها مستعملاً، وهي من أصول عربية منها (Almojarife) من المشرف. وكان في العهد الإسلامي مراقباً للخزانة وللشئون المالية Alcabala وفي الفرنسية (Gabelle) من كلمة القبالة العربية، وكانت ضريبة تفرض على المبيعات في الأسواق (Alfarba) من العربية (الفرضه)، وكانت عبارة عن ضريبة فرضها المرابطون على اليهود للمساعدة في تجهيز الحملات العسكرية للجهاد[45].

وهكذا كان للعملة الإسلامية أثر كبير على اقتصاد أوروبا الغربية، كما لعبت دورًا رئيسًا في المبادلات التجارية، كوسيلة للمبادلة، قلده الأوروبيون في عملاتهم، كالفلورين والدوقة الإيطاليين، كما قلد الصليبيون في المشرق الدنانير الفاطمية.

وانتشرت النقود الإسلامية خارج نطاق العالم الإسلامي، وأصبحت تلعب دور المنافسة للعملة البيزنطية في أوروبا الغربية، واستمرت العملات متداولة في أوروبا حتى بعد انتهاء سيادة المسلمين على تلك المناطق.

([45]) عبد الرحمن فهمي: النقود الصليبية تحت تأثير النقود الإسلامي، مجلة كلية الشريعة، العدد السادس، السنة السادسة، مكة ، ١٤٠٢هـ

وهكذا لعب المسلمون دورًا كبيرًا في التجارة، وتبنى الكثير من الأوروبيين مظاهر الحضارة الإسلامية، وهذا دليل على أن التواجد الإسلامي كان تواجدًا حضاريًّا راقيًا، لا مجرد تواجد عسكري سياسي.

وختامًا يمكن القول أن الفتوحات الإسلامية في الأراضي الأوروبية وإن انتهت سياسيًّا وحربيًّا إلا إنها لم تنته حضاريًّا وإنسانيًّا، وهذا هو الفتح الحقيقي والأبقى[46].

وبقيت الأندلس جسرًا ثقافيًّا بين الشرق والغرب.

([46]) مونتجمري وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد أمين، دار الشروق، الطبعة الأولى، بيروت القاهرة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣، ص٢٦.

الخاتمـــة :

١. لم يحدث في تاريخ العالم أن قامت حضارة على أساس من الدين وسمحت لأتباع الديانات الأخرى بالإسهام في بنائها الحضاري مثلما حدث في الحضارة الإسلامية .
٢. اهتم مسلمو الأندلس بالآداب والعلوم والفنون، ولم يقتصر دور على ما وصل إليه إخوانهم في المشرق من تقدم، بل زادو وابتكروا وجددوا، مما أتاح لأوروبا موردًا عذبًا استساغت شرابه ، وظلت تنهل منه منذ أواخر القرن ٥هـ/١١م حتى النهضة الإيطالية ٩هـ/١٥م .
٣. بلغت الحضارة الإسلامية ذروتها في الأندلس في النصف الثاني من القرن العاشر ٤هـ/١٠م، عندما أصبحت قرطبة عاصمة الخلفاء الأمويين من أعظم مدن العالم .
٤. استمر بريق الحضارة الإسلامية في التوهج وانتقل الى أوروبا في شتى ميادين العلم، وانتقلت إلى أوروبا الصناعات الفنية والخط العربي والخزف والزجاج والصناعات المعدنية والنسيج والسجاد وفن التجليد وصناعة الورق والنقود الإسلامية .
٥. اعترف عدد من علماء الآثار الأوربيين بعبقرية الفنان المسلم في شتى أنواع الصناعات، من فنية، وزخرفية ، وأنتج الصناع في الأندلس مجموعة من التحف الفخارية، والزخرفية، والزجاجية، والعاجية، والمعدنية بكل أشكالها، بالإضافة الى ما أنتجوا من أقمشة ثمينة، وسجاد فاخر، حتى وصلت منتجاتهم الى أسواق أوروبا، فأثارت الغيرة عند الصناع الأوروبيين الذين حاولوا محاكاتها وتطويرها، وإضافة أساليب جديدة و زخارف متنوعة، ولكنها ظلت تشف عن مصدرها الأصلي المقتبسة منه، ألا وهو المصدر العربي الإسلامي .
٦. شاعت الزخارف الإسلامية ومنها زخرفة التوريق، وهما أسلوبان عربيان بصورة كبيرة، حتى لقيت إعجابًا في الفنون الأوروبية، وتنوعت أشكالها وما زالت .
٧. احتل الخط الكوفي مكانة ممتازة بين الأشكال الزخرفية العربية ، ونال إعجاب الأوروبيين بالزخارف الخطية العربية، مع عدم علمهم بمعناها الشي الكثير، وتعددت أشكال الخط في فرنسا وخاصة في جدران عدة كنائس، وفي كاتدرائية بوردو مثالاً.

٨. كان للزخرفة الإسلامية مكانة ممتازة في أوروبا، وخصوصاً في أعمال الخزف ذي البريق المعدني، فحاول الإيطاليون محاكاته حتى نجحوا في القرن ٩هـ/١٥م.

٩. تعد إيطاليا وخاصة مدينة البندقية الرائد الأول في صناعة الزجاج المتأثر بالأساليب العربية، ومن هناك انتشرت طريقة الصناعة الفنية في أوروبا، والتي يظهر فيها أثر الفن الإسلامي.

١٠. أحرز الصناع المسلمون تقدمًا ملحوظاً في صناعة المعادن، وتكفيتها بالذهب والفضة والنحاس، وكانت أول الاقتباسات الأوروبية في هذه الصناعة المعدنية أشكال الأباريق البرونزية والنحاسية، وكانت البندقية مركزاً لتلك الصناعات التي انتشرت في أوروبا .

١١. ابتكر المسلمون الشعارات والشارات التي عرفت بالرنوك والتي قلدها الأوروبيون عنهم، ومن أمثلتها رنك أسرة اوكي دكاني (Ochi decani) وكان لكل أسرة شارة أو رنك خاص بها .

١٢. ذاعت في أوروبا شهرة المنسوجات الإسلامية ودور الطراز المنتشرة في البلاد العربية والإسلامية، وأخذت مصانع النسيج في أوروبا تعمل على تقليدها، ومن الأمثلة البارزة العباءة التي نسجت لملك صقلية روجرز الأول ٥٢٨هـ/١١٣٣م.

١٣. شملت التأثيرات الإسلامية فن تجليد الكتب، ويرجع الفضل في ذلك الى المسلمين الذين أدخلوا صناعة الورق، ولهم الفضل في توجيه العناية إلى التجليد وإلى زخرفة الكتب .

١٤. يعتبر العالم الإسلامي والعربي المصدر الرئيس للنقود في القرن التاسع والعاشر الهجري، فقد عرفت الدراهم الفضية في أوروبا عند علماء النميات بالنقود ، ولقد عثر على النقود الكوفية في أماكن مختلفة من أوروبا .

١٥. وهكذا ظلت حضارة المسلمين في أرجاء أوروبا باقية حتى وإن توقف الفتح الإسلامي، وهذا هو الفتح الحقيقي الأبقى والأدوم، والذي أعطى لأوروبا مذاقاً خاصًّا ونقلها من العصور الوسطى المظلمة إلى ما عرف بعصر التنوير الأول في أوربا، وهو ما اصطلح عليه تاريخيًّا بأوربا عصر النهضة والذي شكلت الحضارة الإسلامية بجوانبها المختلفة حجر الزاوية في بنائه.

الملاحـــق:

. **الشكل الأول:** نسيج من الحرير الأندلسي في القرن السادس أو السابع بعد الهجرة (١٢.١٣م) محفوظ في متحف الفنون التطبيقية في برلين . زكي حسن:فنون الإسلام.ص٣٩١.

. **الشكل الثاني:** رسم عباءة التتويج التي نسجت من الحرير المطرز لروجر الثاني في بلرمو سنة(٥٢٨هـ/ ١٥٣٣م)،زكي حسن: فنون الإسلام. ص٣٦١.

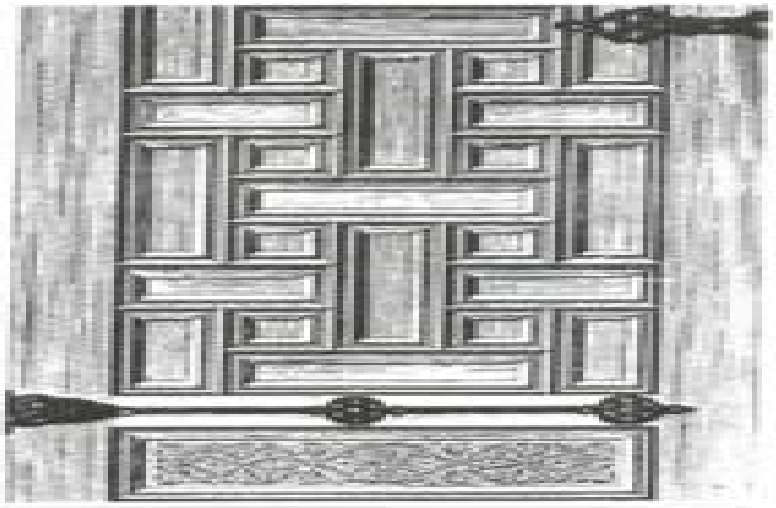

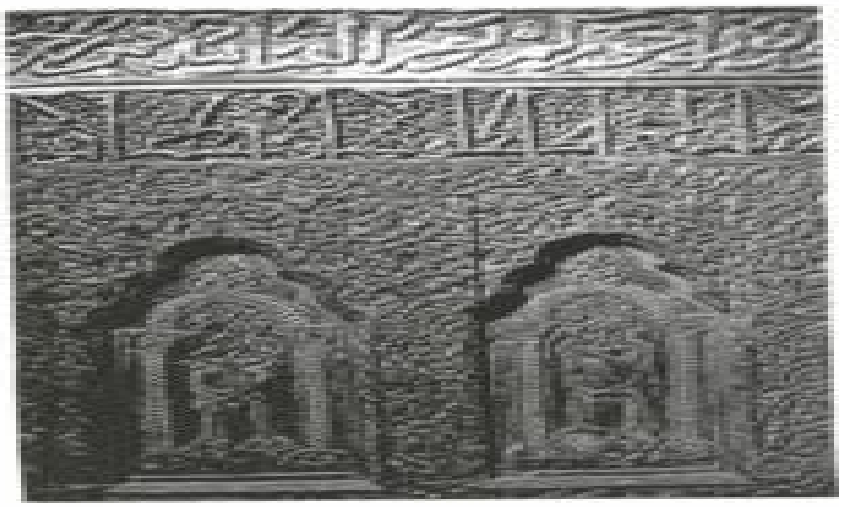

الشكل الأول : باب خشبي متداخل الحشوات في مسجد عثمان(١٠هـ/١٦م) وهو الأرابيسك .
عبدالرحيم غالب:العمارة الإسلامية.ص٣٧.

الشكل الثاني: خشب محفور.عبدالرحيم غالب:العمارة الإسلامية.ص٣٤٠.

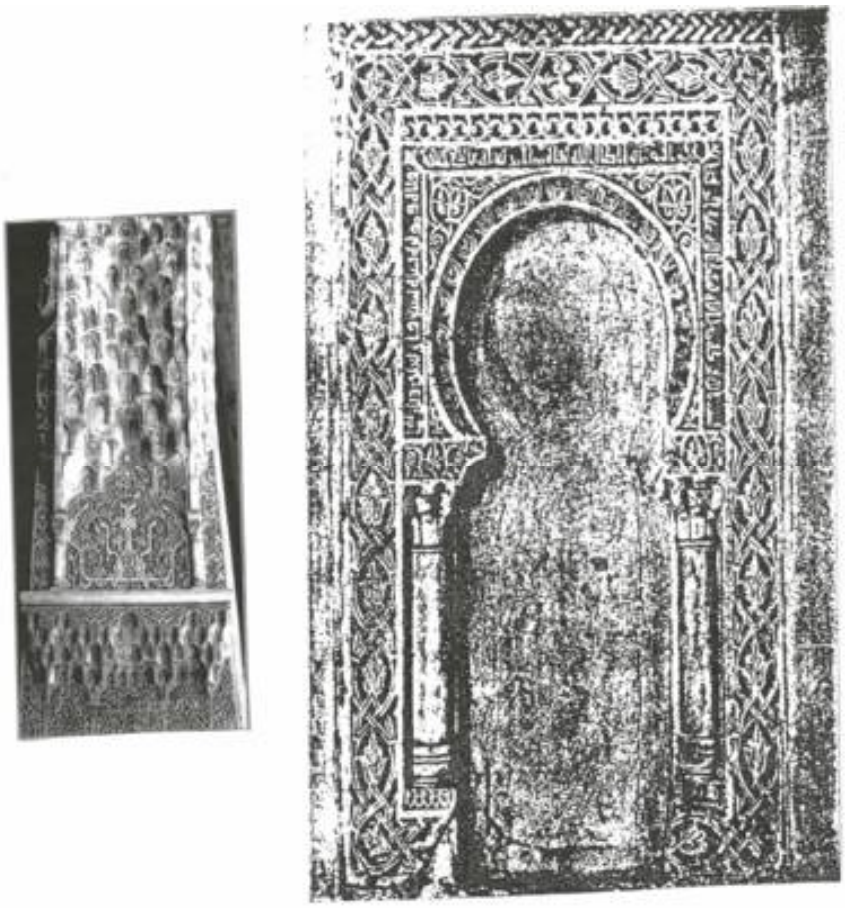

الشكل الأول : عقد في أروقة بهو كاتدرائية طركونة . مانويل مورينو:الفن الإسلامي في إسبانيا.ص١٠٢.

الشكل الثاني : نقش بالخط الكوفي المضفر.محمد عبدالمنعم الجمل :قصور الحمراء ديوان العمارة والنقوش العربية. ص١١٦.

أواني فخارية من البيرة ،والزهراء ،وأواني مزججة ، وأواني مدهونة . مانويل مورينو :الفن الإسلامي في إسبانيا.ص١٠٢.

(شكل ٢٦٧) صحن من الخزف المعدني الأزرق من صناعة بالرما من أعمال بلنسية بالأندلس في القرن الثامن الهجري (١٤ م)

(شكل ٢٦٦) صحن من الخزف من صناعة منيقة Manises من أعمال بلنسية في القرن التاسع الهجري (١٥ م)

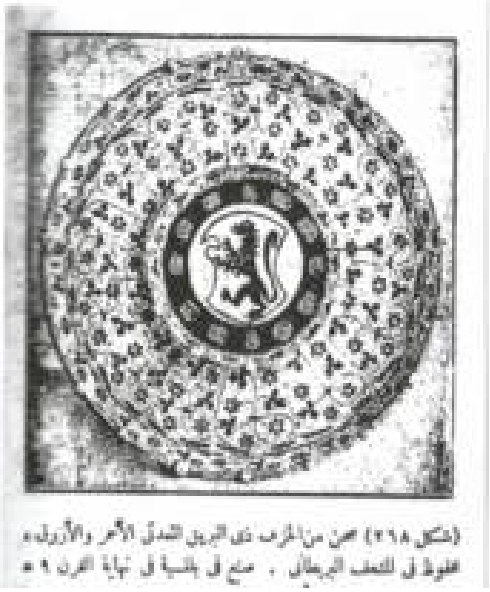

(شكل ٢٦٨) صحن من الخزف ذي التزيين المعدني الأحمر والأزرق والخطوط في المعدن البريطاني ، صنع في بلنسية في نهاية القرن ٩ هـ

** زكي حسن :فنون الإسلام .ص٣٣٦.

الشكل الأول: علبة أسطوانية من العاج عليها زخارف نباتية محفورة وكتابة بالخط الكوفي (ق٤هـ/ ١٠م) عصر الخلافة، متحف مدريد للآثار. محمد يوسف خضر: فنون وتاريخ المسلمين .ص١٠٨.

الشكل الثاني: شمعدان كبيرمن البرونز.(ق ٤هـ/١٠م) محفوظ في مجموعة دافيد في كوبنهاجن. محمد يوسف خضر: فنون وتاريخ المسلمين .ص٨٢.

الشكل الثالث: قدر من الخزف ذي البريق المعدني من صناعة ملقة (ق٨هـ /١٤م) محفوظ في متحف بلرمو.زكي حسن:فنون الإسلام.ص٣٣٣.

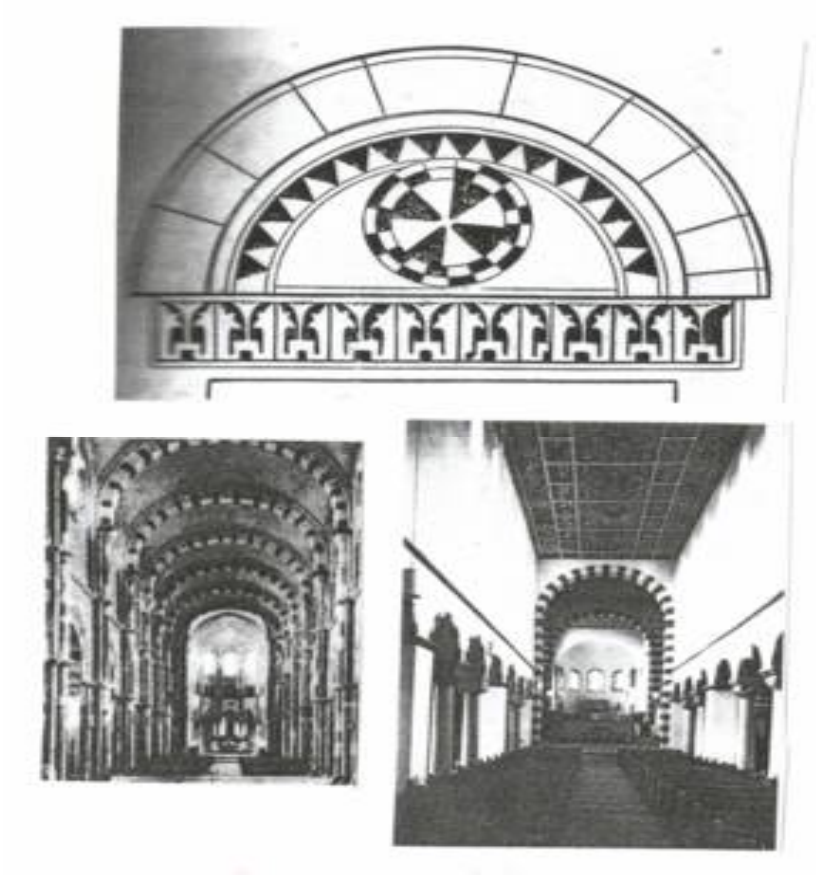

الشكل الأول: زخارف مشتقة من الكتابة الكوفية من باب كنيسة Saint Pierre de Reddes في هيرو Herant بفرنسا. زكي حسن :فنون الإسلام.ص٦٦٢.

الشكل الثاني : رواق كنيسة المجدلية في فيزلي بفرنسا. وتبدو فقرات العقود من لونين .وقد تأثر الفن الروماني المسيحي والفن القوطي بالإسلامي(ق٧.٥هـ /١٣.١١م) .عبدالرحيم غالب:العمارة الإسلامية.ص٣٠٣.

الشكل الثالث: نموذج آخر للفقرات الملونة في كنيسة ميشال في مدينة"هايلد شايم" المانيا (ق٦هـ/ ١٢م) من نماذج العمارة الغربية المتأثرة بالفن الإسلامي. عبدالرحيم غالب:العمارة الإسلامية . ص٣٠٣.

الشكل الأول: نموذج من خط الثلث. عبدالرحيم غالب:العمارة الإسلامية.ص٣٤٠.

الشكل الثاني: غلاف لمصحف شريف مزين بزخارف هندسية وتوريقة، محفوظ في دار الكتب الوطنية لجمهورية بافاريا في المانيا (ق٨هـ /١٤م). عبدالرحيم غالب:العمارة الإسلامية.ص٣٧.الشكل الثالث: صليب وجد في إيرلندا. حفر عليه بخط كوفي بسم الله (ق٣هـ / ٩م).عبدالرحيم غالب:العمارة الإسلامية.ص١٧٥.

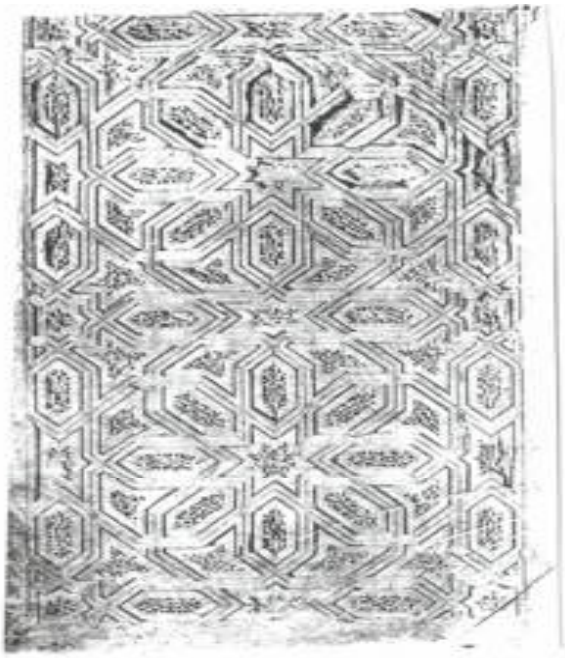

الشكل الأول: باب خشبي من صناعة الأندلس في القرن(٨هـ /١٤م) وكان محفوظاً في القسم الإسلامي من متاحف برلين.زكي حسن: فنون الإسلام.ص٤٩٢.

الشكل الثاني: دينار الملك الاثغلو سكسوني "أوفا" (١٤٠-١٨٠هـ/٧٥٧-٧٩٦م) كتب على أحد وجهيه بالخط الكوفي "لاإله إلا الله وحده لاشريك له" وعلى الوجه الثاني" محمد رسول الله" بشكل دائري وفي الوسط بأحرف لاتينية .عبدالرحيم غالب: العمارة الإسلامية. ص١٧٥.

قائمة المراجع :

١- أحمد فكري: التأثيرات الفنية على الفنون الأوروبية، مجلة سومر، ج٢، بغداد ١٩٦٧م.

٢- أنيس الأبيض: بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة. زكي حسن: تراث الإسلام، جزءان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م.

٣- أمين الطليبي: النقود العربية، انتشارها وأثرها في أوروبا في القرون الوسطى، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٩، إصدار الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العراق، ١٢٨١م.

٤- جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث: تراث الإسلام. ترجمة د.حسين مؤنس وآخرين. تعليق وتحقيق شارك مصطفى، مراجعة د. فؤاد زكرية سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٨، ج١، ط٣، ص ٤٠٣-٤٠٤.

٥- روبرت لويز: محمد وشارلمان- إعادة نظر. بحوث في التاريخ الاقتصادي، ترجمة توفيق إسكندر، مطابع دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٦١م.

٦- زكي حسن: تراث الإسلام، جزءان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م. أثر الفن الإسلامي في فنون الغرب، مجلة الرسالة، العدد ٩٣ السنة الثالثة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

٧- سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٣م.

٨- شكيب أرسلان: غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، منشورات دار مكتبة الحياة –بيروت– لبنان، ١٩٧٩م.

٩- عبدالرحمن فهمي: النقود العربية ماضيها وحاضرها، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤هـ. دراسة لبعض التحف الإسلامية، حولية كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد ٢٢، العدد ١، القاهرة، ١٩٦٤.

١٠- عبدالرحيم غالب: العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨م.

١١- عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية دار الفكر العربي.
١٢- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
١٣- مارك بلوك: مشكلة الذهب في العصر الوسيط، بحوث في التاريخ الاقتصادي، ترجمة توفيق إسكندر، مطابع دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٦١م.
١٤- مانويل مارينو: الفن الإسلامي في اسبانيا من الفتح الإسلامي حتى نهاية عهد المرابطين وفنون المتسعربين.
١٥- مونتجمرى وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد أمين، دار الشروق، الطبعة الأولى، بيروت – القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٦- محمد عبدالمنعم الجمل: قصور الحمراء ديوان العمارة والنقوش العربية ، تقديم إسماعيل سراج الدين ، مكتبة الأسكندرية، ٢٠٠٤م.
١٧- يوسف اشياخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين –ترجمة محمد عبدالله عنان ، مجلدان القاهرة، ١٩٤١م.
18- M.S. Dimand:TWO Fifteenth century. hispano – moresque pugs,The metro politan museum of art Bulletin.v.23no I.(Summer 1964)
19- Long Perier (Adriende), De l'emploi des caractres arabas sars L'ornementation ches les Peoples chre' tiens de iocadent Revue archoologigue Tannee- 1845.

"دور الشافعيّة في الحياة الفكرية في مصر الطولونية"

(٢٥٤ - ٢٩٢هـ / ٨٦٨ - ٩٠٥م)

د/ هبة عبد المقصود مرسي
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية التربية . جامعة عين شمس

ملخص:

بدأت بوادر الاستقلال الفكري والثقافي في مصر مع قيام الدولة الطولونية فيها سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨ م. وقد تزامن مع قيامها انتشار تلاميذ الإمام الشَّافِعِيّ وبداية عملهم على نشر مذهب أستاذهم وترسيخ قواعده بعد وفاته، بعد أن وجدوا في مصر الطولونية تربة صالحة لمزاولة أنشطتهم في الحياة الفكرية.

يتعرض البحث لدور فقهاء الشافعية المؤثر والمهم في تحقيق الاستقلال الفكري والثقافي في مصر من خلال: دراسة دورهم في مصر قبيل العصر الطولوني، ثم دراسة العلاقة بين فقهاء الشافعية والطولونيين، وتسليط الضوء على إسهامات الشافعية في مجال العلوم الشرعية، وكذلك إسهاماتهم في مجال العلوم اللغوية والأدبية.

وقد بيّن البحث أن فقهاء الشافعية نشطوا نشاطًا علميًّا وفكريًّا ملحوظًا في مجالات العلوم الشرعية وتشمل: الفقه وأصوله، وعلم الحديث، وعلم القراءات، وعلم التفسير، وكذلك في العلوم اللغوية والأدبية مثل: اللغة والشعر، والنحو، والتاريخ، وتركوا بصمات واضحة في هذه العلوم للعصور اللاحقة.

Abstract:

The signs of intellectual and cultural independence began in Egypt with the establishment of the Tulunian state in (254AH /868 AD). It coincided with the spread of the disciples of Imam Shafei, and the beginning of their work to propagate the doctrine of their professor, and the consolidation of the rules after his death, after they found in Egypt Tulunian fertile soil to carry out their activities in intellectual life.

The research explores the role of Shaafa'is Jurisprudence influential and essential in achieving intellectual and cultural independence in Egypt. during : Studing their role in Egypt before the Tulunian era, and then Studing the relationship between the Jurisprudences of the Shaafa'is and the tulunites. And to highlight the contributions of the Shaafa'is in the field of legitimate sciences as well as their contributions in the field of linguistic of literary sciences.

The research has shown that the Jurisprudences of the Shaafa'is had a remarkable scientific and intellectual activity in the fields of legitimate sciences including : Jurisprudence and its fundamentals, Hadith science, the science of Quraan reading, and the science of Quraan interpretation. As well as in linguistic of literary sciences such as: language and poetry, Grammer, History. and left visible impressions in these sciences later ages.

**** مقدمة**:

شهدت الفترة الأولى من العصر العباسي الثاني أو عصر نفوذ الأتراك (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧ -٩٤٦م) بعد أن ضعفت قبضة الخلافة، وتولى أمرها مَن لم يكن في قدرة الخلفاء العباسيين الأوائل كفاءةً وحزمًا، ظهورَ الدول المستقلة، وتعد الدولة الطولونية أول دولة تنفصل سياسيًّا عن الخلافة العبَّاسيَّة وتتفرَّد سُلالتها بِحُكم الديار المصريَّة والشَّاميَّة.

تُنسَب الدولة الطولونية إلى مُؤسِّسها أحمد بن طولون، وهو جندي تركي، جاء إلى مصر نائبًا عن القائد التركي باكباك منذ عام ٢٥٤هـ/ ٨٦٨ م، ثم استطاع أن يوطد سلطته في مصر ويزيح من طريقه العقبات التي اعترضته في حكمها، حتى نجح في الاستقلال بها وتأسيس دولة عرفت باسمه سنة ٢٦٦هـ/ ٨٨٠ م حكم فيها ومن بعده أولاده وأحفاده، مع إبقاء التبعية الروحية والدينية فقط للخلافة العباسية وتمثل ذلك في الدعاء للخليفة العباسي على منابر المساجد، والولاء لمذهب الخلافة السني الحَنَفِيّ.

دفعنا لاختيار هذا الموضوع أسباب عدة أهمها أن العصر الطولوني إلى جانب أنه يمثل أول تجربة استقلال ناجحة في تاريخ مصر الإسلامية منذ الفتح العربي لها، فإنه بدأ معه بوادر الاستقلال الفكري والثقافي أيضًا، ومن هنا تأتي أهمية الفترة الزمنية المختارة للبحث، وأما اختيار فقهاء الشافعية بالتحديد؛ فذلك لأن تلاميذ الإمام الشَّافِعِيّ انتشروا وبدءوا يعملون على نشر مذهب أستاذهم وترسيخ قواعده بعد وفاته، ووجدوا في مصر الطولونية تربة صالحة لمزاولة أنشطتهم في الحياة الفكرية، فكان لهم الدور المؤثر والمهم الذي سنحاول بيانه في صفحات هذا البحث من خلال المباحث التالية:

- أولًا: الشافعية في مصر قبيل العصر الطولوني.
- ثانيًا: العلاقة بين فقهاء الشافعية والطولونيين.
- ثالثًا: إسهامات الشافعية في مجال العلوم الشرعية.

- رابعًا: إسهامات الشافعية في مجال العلوم اللغوية والأدبية.
- وأخيرًا: تأتي الخاتمة لتوضح أهم النتائج التي تم التوصل إليها خلال البحث.

أولًا: الشافعية في مصر قبيل العصر الطولوني:

تلقى الإمام الشَّافِعِيّ[١] العلم من جمهرة من الشيوخ أصحاب المذاهب والنزعات المختلفة، واجتمع له فقه مكة، والمدينة، والشام، واليمن والعراق؛ لذلك كان هو المزيج الفقهي المحكم الذي تلاقت فيه كل النزعات منسجمة، متعادلة، متآلفة غير متنافرة، وتولدت منه المعاني الكلية التي صهرها الشَّافِعِيُّ وقدمها للناس في بيان رائع وقول محكم[٢].

دخل الإمام الشَّافِعِيّ مصر سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣ م بعد رحلته إلى أماكن عديدة، وكان المذهبان الحنفي والمَالِكِيّ حينئذٍ هما المذهبان المتبعان فيها، والغلبة للمالكية[٣]، فبدأ الشافعي في تأسيس مذهبه الجديد.

---

(1) هو الإمام مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيْسَ بنِ العَبَّاسِ بنِ عُثْمَانَ بنِ شَافِعِ بنِ السَّائِبِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَبْدِ يَزِيْدَ بنِ هِشَامِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ بنِ قُصَيٍّ بنِ كِلاَبِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ القرشي.
انظر: الرازي: مناقب الإمام الشافعي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٦م. ص ٢٣ ــ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م. ج١٠ ص ٥.

(2) الرازي: المصدر السابق، ص ٤٣ ـ علي الخفيف: الاجتهاد ونشأة المذاهب الفقهية، مجلة البحوث والدراسات العربية، مج٢، ١٩٧١م. ص ٢٢٦ ـ صفي علي محمد: الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م. ص ٢٣٧، ٢٣٩.

(3) البيهقي: مناقب الشافعي، تحقيق السيد أحمد صقر، ط١، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٠م. ج١ ص ٢٣٧ ــ محمد كامل حسين: أدب مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٠م. ص ٥١ ـ جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧م.ص ١٢٤، ١٢٥.
أما المذهب الحنبلي فتأخر دخوله إلى القرن السابع الهجري لعدة أسباب. (انظر أسباب عدم انتشار المذهب الحنبلي: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.ج٦ ص ١٥٩– عمر سليمان الأشقر: أضواء على المذاهب الفقهية، مجلة الحكمة، ١٩٩٧م. ص١٣٠، ١٣١–ربيع رشاد محمود إمام: الفقهاء في مصر الإسلامية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١١م. ص ٥٥، ١١٢.

صنَّف الشَّافِعِيُّ كثيرًا من كتب مذهبه في مصر ككتاب "الأم" الذي يعد موسوعة ضخمة شملت الفروع والأصول واللغة والتفسير والحديث، ويحوي بين دفتيه عددًا هائلًا من الأحاديث والآثار، ويمثل القول الجديد الذي استقر عليه مذهبه في مصر[٤]، بل إن الشَّافِعِي أعاد تأليف كتب مما ألفها بالعراق، ومنها كتاب "الرسالة" الذي كتبه للمرة الأولى في بغداد[٥]، وهو يعد أول من كتب في علم أصول الفقه[٦].

أسس الشَّافِعِيُّ مذهبه الفقهي في مصر على أصول عدة هي: الكتاب والسنة المجتمع عليها، ثم الإجماع ثم القياسِ وغيرها من الأصول[٧]، فكان مذهبه وسطًا بين أهل الرأي وأهل الحديث، كما كان له أعظم الأثر في توجيه الدراسات الفقهية توجيهًا جديدًا، فتلقاه المصريون بالقبول، ولم يمض قرن من الزمان حتى أصبح المذهب الشَّافِعِيُّ منافسًا للمذهب المَالِكِيّ في مصر[٨].

توفي الإمام الشَّافِعِيّ بمصر سنة ٢٠٤هـ/ ٨٢٠ م[٩]، أي قبل قيام الدولة الطولونية في مصر بنحو خمسين سنة، إلا إنه ترك تلاميذ عدهم الإمام الحافظ في قصيدة[١٠]، ومن بينهم من عاش

---

(4) الشافعي: الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، مكتبة الحلبي، مصر، ١٩٤٠م. ص ٩ـ البيهقي: مناقب الشافعي، ج١ ص ٢٣٧.

(5) ابن كثير: طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٣م. ص ٣٩، ٤٧.

(6) البيهقي: مناقب الشافعي، ص ٣٦٨ ـ الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص ١٥٣ ـ صفي: الحركة، ص ٢٣٣.

(7) الشافعي: الرسالة، ص ٥٩٨ ـ عمر سليمان الأشقر: أضواء ص ١١٦ ـ لمين الناجي: القديم والجديد في فقه الشافعي، دار ابن القيم، الرياض، ط١، ٢٠٠٧م. ص ١٨٥ ـ ٢٣٢.

(8) الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص ٤٣ ـ علي الخفيف: الاجتهاد ونشأة المذاهب الفقهية، ص ٢٢٦ ـ صفي: الحركة، ص ٢٣٧، ٢٣٩ ـ

(9) ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م. ج٤ ص١٦٥ – ابن كثير: طبقات الشافعيين، ص ٤٦.

(10) ابن الزيات: الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٥م. ص ١٠١، ١٠٢ – محمد كامل حسين: أدب مصر. ص ٥٧.

حتى شهد قيام الدولة الطولونية، وكان لهم الفضل في حفظ مذهبه ونشره، كما كان لهم إسهاماتهم في الحياة الفكرية خلال عهد الدولة الطولونية على النحو الذي سيتضح خلال الصفحات التالية.

ثانيًا: العلاقة بين فقهاء الشافعية والطولونيين:

دفع الطولونيين إلى الاهتمام بالفقهاء ورعايتهم عدةُ أسباب، منها تدعيم استقلالهم عن طريق الظهور بمظهر حماة الدين والعلم[١١]، إلى جانب رغبتهم في منافسة الدولة العباسية في شتى ضروب الحضارة[١٢]، بالإضافة إلى أن مؤسس هذه الدولة أحمد بن طولون (٢٥٤- ٢٧٠هـ/ ٨٦٨- ٨٨٤م) نشأ في الفقه والصلاح. وعلى الرغم من أن المذهب الحَنَفِيَّ كان المذهب الرسمي للدولة والخلافة العباسية وهو المذهب الذي تفقه عليه مؤسس الدولة[١٣]، فإن ابن طولون اعتنى وخلفاؤه بكل المدارس الفقهية ولم يميز

---

(11) محمود رزق محمود: المجتمع المصري في العصر الطولوني، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٤م، ص ٢٧٧.

(12) أحمد أمين، ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م. ج١، ص٩٥ ـ سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الطولونيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م. ص ٩١ ــ صفي: الحركة العلمية، ص ٢١٩ ــ

Hassan (Z.M): Les Tulunides : étude de l'Égypte musulmane à la fin du IXe siècle, Établissements Busson, 1933 P. 289.

(13) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦ ص ٣٩٠ ـ ٤٠٣ – ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٢م. ج ١٠ ص ١٠٧، ١٠٨ ــ سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الولاة (من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨م. ص ١٨٦.

بين أحد منها وحضروا مجالسهم بالمساواة، فنبغ عدد كبير من فقهاء المذاهب الثلاثة– المَالِكِيّ، والشَّافِعِيّ، والحَنَفِيّ– في عهدهم(١٤).

مارس فقهاء مصر من المذاهب المختلفة نشاطهم الفكري برعاية الطولونيين في المراكز المخصصة لذلك، ومنها مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط، وجامع أحمد بن طولون بالقطائع(١٥)؛ إذ عقد الفقهاء في المسجدين المناظرات، ومجالس العلوم والآداب على اختلافها، ووفد إليهم كثير من العلماء والفقهاء وخاصة من العراق وفارس والحجاز والمغرب، فنشروا علمهم وأخذوا ما ليس عندهم(١٦)، كما كان قصر الأمير أحمد بن طولون(١٧) مجمعًا

---

(14) فمن فقهاء العصر الطولوني على المذهب المَالِكِيُّ: مُحمَّد بن عبد الله بن الحكم المصري (ت ٢٦٨هـ/ ٨٨١م)، ومن المالكيَّة أيضًا مُحمَّد بن أصبغ بن الفرج (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م) وروح بن الفرج أبو الزنباع الزبيري (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م)، وأحمد بن مُحمَّد بن خالد الإسكندراني (ت ٣٠٩هـ/٩٢١م).
وبرز من فقهاء المذهب الحنفي: أشهرهم القاضي بكَّار بن قُتيبة الثقفي (ت ٢٧٠هـ/٨٨٣م)، ومنهم أيضًا أحمد بن أبي عمران (ت. ٢٨٥هـ/٨٩٨م).
انظر: الكندي: الولاة والقضاة، تحقيق: محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م. ص ٣٣٩ – السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط١، دار إحياء الكتب العلمية، مصر، ١٩٦٧م. ص ٣٠٩ ، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٦٣.

(15) انظر تفاصيل بناء الجامع، المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.ج٤ ص ٣٨ – ٤٠ – زكي محمد حسن: الفن الإسلامي في مصر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥م. ج١ ص ٣٧ – أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، ١٩٩٩م. ص ١٠١– محمد عبد الفتاح: الأوراق الندية في تاريخ مصر الإسلامية، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٣م. ص ٦٨.

(16) أحمد أمين: ظهور الإسلام، ج١ ص ١٦٨ .سيدة كاشف: مصر في فجر الإسلام، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م. ص ٣٢٨ . عبد العظيم رمضان: تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م. ص ٩١ . عطية القوصي: تاريخ مصر الإسلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ت. ص ١٣٨.

(17) سيدة كاشف: أحمد بن طولون، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٥٦م. ص ٢٣٣ ـ جمال الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ص ١٣٤ ـ صفي على محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٧٥.

للفقهاء والعلماء يجتمع بهم ابن طولون فيسمع منهم ويشاورهم في مختلف أموره[١٨]، وقد عُرف عنه أنه كان شغوفًا بمجالسة الفقهاء والعلماء مع كثرة الدرس وطلب العلم والحديث حتى أنه بلغه أن رجلًا من الأنباط في صعيد مصر يشار إليه بالعلم بعث إليه وأحضره إلى قصره، وأخلى له نفسه في ليال وأيام كثيرة يسمع كلامه[١٩]، وكان ابن طولون نفسه من أئمة الحفاظ، كما أعطاه الله حلاوة الصوت في قراءته[٢٠]، وبالإضافة إلى ذلك كان يحضر مجالس الفقهاء المليئة بطلاب العلم من الأمصار المختلفة مع المصريين[٢١].

أغدق ابن طولون الكثير من المال والعطايا على الفقهاء والعلماء، وأهل القرآن، والأئمَّة، وأرباب البيوت، فكان راتب كل واحد منهم في الشهر عشرة آلاف دينار، بالإضافة إلى ما

---

(18) من الفقهاء الذين ترددوا على قصره الفقيه المَالِكِيُّ محمد بن عبد الحكم.

انظر: ابن الداية: المكافأة، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م. ص ٤٩ ـ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب، مصر، ١٩٧٠م. ج٣ ص ٤٤ ـ محمود رزق: المجتمع المصري في العصر الطولوني، ص ٢٧٨.

(19) ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٩م. ص ١٦٥ – محمود رزق محمود: المرجع السابق، ص ٢٧٧.

(20) ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، دار الرسالة العلمية، سوريا، ٢٠١٣م. ج ١٦ ص ٧٦ ـ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٣ ص ٣ ـ ابن طولون الدمشقي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الطولونية، تحقيق: مهنا حمد المهنا، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٧م. ص ١٧.

(21) فعلى سبيل المثال كان يجيء أحمد بن طولون إلى مجلس بكار بن قتيبة ـ أشهر فقهاء الحنفية ت ٢٧٠هـ ـ وهو يملي الحديث، فيأمر حاجبه بألا يتغير أحد من مكانه، فما يشعر به بكار إلا وهو جالس إلى جنبه، فيقول له: أيها الأمير ألا تركتني حتى كنت أقضى حقّك، وأؤدّى واجبك! أحسن الله جزاءك وتولّى مكافأتك.

انظر: البلوي: سيرة أحمد بن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، المكتبة العربية، دمشق،١٩٣٩م. ص ٢٩٧ ـ الكندي: الولاة والقضاة، ص ٣٤٠ ـ ابن تغري: النجوم ، ج٣ ص ١٩ـ سيدة كاشف: أحمد بن طولون، ص ٢٣٣.

حصلوا عليه في بعض المناسبات[٢٢]، بل إن ابن طولون أوقف على الطلاب الوافدين أوقافًا يستعينون بها على العيش[٢٣].

نال فقهاء الشافعية منزلة مرموقة لدى الطولونيين، فبالإضافة إلى رعاية ابن طولون لهم، رصدت المصادر أن الطولونيين حضروا مجالس الشافعية، وتتلمذوا على أيديهم؛ إذ كان أحمد بن طولون يحضر مجلس الفقيه الشَّافِعِيّ الربيع بن سليمان[٢٤]، كما تتلمذ على يد الربيعِ عدنانُ بن أحمد بن طولون، وقد نال الربيع عند الطولونيين مكانة عظيمة فكانوا يستفيدون من علمه ووعظه[٢٥].

بلغ تقدير الطولونيين لفقهاء الشافعية أن صلّى عليهم أمراؤهم، فقد نال الْمُزنِيّ[٢٦] مكانة عالية عندهم، ولما توفي سنة (٢٦٤=٨٧٧م) صلى عليه العباس بن أحمد بن طولون[٢٧]،

---

(22) ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ١٦ ص ٧٨ ـ محمود عبد الفتاح: الأوراق الندية، ص ٦٨.

(23) السيوطي حسن المحاضرة – ص ١٢٥ ـ حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية (العصر الطولوني)، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت. ص ٢٢٤.

(24) الرَّبِيْعُ بنُ سُلَيْمَانَ بنِ عَبْدِ الجَبَّارِ بنِ كَامِلٍ المُرَادِيُّ، أَبُو مُحَمَّدٍ المُرَادِيُّ المِصْرِيُّ.
انظر: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمدا محيي الدين، مؤسسة دار التحرير، القاهرة، ١٩٦٦م. ج٤ ص ١٢٢ ـ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٥٨٧ .

(25) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص ١٨٢ـ محمود رزق محمود: المجتمع المصري في العصر الطولوني، ص ٣١٥. ـ حسن: حضارة مصر، ص ٢٢٣ ـ Hassan (Z.M): op. cit. P. 259

(26) إِسْمَاعِيل بْن يَحْيَى بْن إِسْمَاعِيل بْن عَمْرو بْن إِسْحَاق الإِمَام الْجَلِيل أَبُو إِبْرَاهِيم الْمُزنِيّ ، بضم الميم وفتح الزاي نسبة إلى مزينة بنت كلب، من القبائل المشهورة.
انظر: الشيرازي: طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م. ص ٩٧ـ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٤٩٢ .

(27) البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢ ص ٣٥٧

وكذلك صلَّى الأَمِيْرُ خُمارَويه بْنُ أَحْمَدُ بنُ طولُوْنَ (٢٧٠- ٢٨٢هـ/ ٨٨٤- ٨٩٥م) على الربيع بن سليمان المرادي (٢٧٠هـ=٨٨٣م) لما مات[٢٨].

ثالثًا: إسهامات الشافعية في مجال العلوم الشرعية:

استغل فقهاء الشافعية رعاية الطولونيين لهم، والحرية التي تمتع بها أفراد المجتمع في هذا العصر في اعتناق المذهب الذي يريدونه، وعدم تحيز حكام الدولة لأي منهم، فنشطوا نشاطًا علميًّا وفكريًّا ملحوظًا ليس في الفسطاط والقطائع والإسكندرية وحسب، بل امتد نشاطهم العلمي والفكري إلى أنحاء الدلتا والصعيد، وبخاصة في مجال العلوم الدينية اقتداء بإمامهم الذي وجه أكبر اهتمامه بهذا النوع من العلوم، فنهل منها كثيرًا حتى صار إمام الأئمة[٢٩].

ألَّف فقهاء الشافعية بمصر في ظل الطولونيين في مختلف العلوم الشرعية، فكتبوا في الفقه وأصوله، ورووا الحديث وألفوا فيه المؤلفات، كما أتقن بعضهم علم القراءات، وكان لهم مظانهم فيه أيضًا، كما ألفوا في غير ذلك من العلوم الشرعية.

١- ففي الفقه وأصوله:

ألَّف فقهاء الشافعية كتبًا في أصول مذهبهم، وعملوا على نشر مذهب أستاذهم، فلقنوا الناس الفقه الشافعي، ودرَّسوه للطلاب، ورووا أقوال الشافعي، وناظروا عن مذهبهم، ومن أبرز الفقهاء الذين كان لهم دور في ذلك صاحب الشَّافِعِيّ وتلميذه الفقيه **الرَّبِيْعُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَزْدِيُّ الجِيْزِيُّ**[٣٠](ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) الذي قال له الشافعي إنه سيكون أنفع تلاميذه فِي نشر كتب

---

(28) ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج١٦ ص ٩٠ ـ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٥٩٠ – ابن كثير: طبقات الشافعيين، ج١ ص ١٣٦ ـ

(29) صفي: الحركة، ص٢٣٣ – حسن: حضارة مصر، ص ٢٣٠.

(30) الرّبيع بن سُلَيْمَان بن دَاوُد الجيزى، أَبُو مُحَمَّد الأزدى مَوْلَاهُم المصرى الْأَعْرَج وَقيل ابْن الْأَعْرَج، ويكنى بأبو سليمان. انظر: ابن النديم: الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م. ص ٢٦١ ـ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمد محمود الطناحي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦م.ج٢ ص ١٣١ .

المذهب[٣١]، وقد تحقق ذلك؛ إذ تتلمذ على يدي الربيع كثير من أهل المغرب والأندلس[٣٢]، وقد توفي الربيع بالجيزة ودفن بها[٣٣].

ومن فقهاء الشافعية وأصولييهم بمصر زمن الطولونيين **أَبُو إِبْرَاهِيم الْمُزْنِيّ الْمصْرِيّ** (ت ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م) وكان إمام الشافعيين وأعرفهم بطرق الشَّافِعِيُّ وفتاويه[٣٤]، وقد رُوي أن الشَّافِعِيّ قال فيه: "المُزَنِيُّ نَاصرُ مَذْهبِي"[٣٥]، وإنه "سيأتي عليه– أي الْمُزنِيّ– زمان لا يفسّر شيئا فيخطئه"[٣٦]، و"لو ناظر الشيطان لغلبه"[٣٧]، وأنه سيكون لَه بِمصْر هَنَات وهنات وسيدرك زَمَانًا يكون أَقيس أهله[٣٨]، وكان **الْمُزْنِيّ** نموذجًا يحتذي به الآخذون عن الشافعي[٣٩] حتى إنه قال عن نفسه: "أنا خُلُقٌ من أخلاق الشَّافِعِيُّ"[٤٠].

---

(31) البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢ ص ١٣٦ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ص ٢٩١ ـ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ٩٤

(32) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١١٩٠٨م.ج٣ ص ٢٤٥.

(33) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ص ٢٩٣ ـ الإسنوي: طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.ج١ ص ٢٧ .

(34) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٩٣ ـ Hassan (Z.M): op. cit. P. 257

(35) الذهبي: سير أعلام، ج١٢ ص ٤٩٣ ـ ابن كثير: طبقات الشافعية، ج١ ص١٢٣ـ ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م. ج١ ص ٥٨ .

(36) ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير: بيروت، ١٩٨٦م. ج٣ ص ٣٠٠.

(37) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٩٣ ـ الإسنوي: طبقات الشافعية، ج١ ص ٢٨ ـ

(38) البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢ ص ١٣٦ – ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ص٢٩١ ـ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ٩٤

(39) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٩٥ –صفي: الحركة ص ٢٤٥.

(40) وَقَالَ عَمْرو بْن عُثْمَان الْمَكِّيّ مَا رأَيْت أحدا من المتعبدين فِي كَثْرَة من لقِيت مِنْهُم أَشد اجْتِهَادًا من الْمُزنِيّ وَلَا أدوم عَلَى الْعِبَادَة مِنْهُ وَمَا رأَيْت أحدا أَشد تَعْظِيمًا للْعلم وأَهله مِنْهُ وَكَانَ من أَشد النَّاس تضييقا عَلَى نَفسه فِي الْوَرع وأوسعه فِي ذَلِك عَلَى النَّاس.

انظر: البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢ ص ٣٥١ ـ السبكي: المصدر السابق، ج٢ ص ٩٤.

صَنَّفَ **الْمُزْنِيّ** كُتُبًا كثيرة في الفقه الشَّافِعِيّ وأصوله ووثائقه، ومِنْهَا: الْجَامِعُ الْكَبِيرُ، وَالْجَامِعُ الصَّغِيرُ، وَالْمُخْتَصَر الكبير، وَالْمَنْثُورُات، وَالْمَسَائِلُ الْمُعْتَبَرَةُ، والترغيب في العلم، والوسائل[٤١]، وكتاب الدقائق والعقارب الذي سمى بذلك لصعوبته، وغيرها[٤٢]، كما نبغ الْمُزنِيّ في الوثائق[٤٣]، وكان من أوائل تلاميذ الشافعي الذين اهتموا بهذا العلم، وله فيه مؤلف عرف بكتاب "الوثائق"[٤٤]، وقد عده الشافعية مجتهدًا؛ لأنه خالف أستاذه في بعض الآراء.

لعب كتاب **الْمُزْنِيّ** "المختصر الكبير" الذي اشتهر بـ"مختصر الْمُزنِيّ" دورًا كبيرًا في نشر المذهب الشافعي وترسيخه في مصر وفي غيرها من الأمصار الإسلامية، حيث تلقاه العلماء والطلاب بالقبول وأصبح الكتاب المتداول في فقه الشَّافِعِيّ[٤٥]، وشُدت إلى صاحبه الرحال من خراسان والعراق والشام وصعيد مصر، وقد جاء الإمام أبو جعفر الأزدي الطحاوي من الصعيد إلى مصر لخاله أبي إبراهيم الْمُزنِيّ لطلب العلم، فاشتغل بـ"المختصر"[٤٦].

---

(41) النووي: المجموع شرح المهذب، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، دار عالم الكتب، السعودية، ٢٠٠٦م. ص ١٠٧.

(42) الإسنوي: طبقات الشافعية، ج١ ص ٢٨ ــ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣ ص ٢٧٨ ـ هويدا: المجتمع في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م. ج١ ص ١٦٢.

(43) علم الشروط والوثائق، هو علم يبحث فيه الفقيه عن إنشاء الكلمات المتعلقة بالأحكام الشرعية، وموضوعه ومنفعته ظاهران. ومبادئه: علم الإنشاء وعلم الفقه، وله استمداد من العرف. انظر: ربيع رشاد محمود إمام: الفقهاء في مصر الإسلامية، ص ٣٠٤.

(44) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٤٩٣ ــ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ٩٧ ــ السبكي: طبقات الشافعية الكبري، ج٢ ص ٩٤.

(45) انظر: الْمُزَنِيِّ: مختصر الْمُزَنِيِّ، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م. ص ٩٢.

(46) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٩٥ ــ صفي: الحركة ص ٢٤٥.

شغل "مختصر الْمُزنِيّ" المصريين، علماء وطلابًا؛ إذ يروى أن أَبا زرْعَة[٤٧] أول قضاة الشافعية في مصر (ت ٣٠٢هـ/ ٩١٤م) شجَّع على حفظه وجعل لمن يحفظه مائة دينار هبه[٤٨]، وقيل إن البِكْرُ يَكُوْنُ فِي جهَازِهَا نُسْخَةٌ من (مُخْتَصرِ) المُزَنِيِّ[٤٩].

ومن فقهاء الشافعية الذين أسهموا في ترسيخ المذهب ونشره الفقيه المصري **يُوْنُسُ بنُ عَبْدِ الأَعْلَى** بنِ مَيْسَرَةَ الصَّدَفِيُّ[٥٠](ت ٢٦٤هـ/ ٨٧٧ م) وكان من مكثري الرِّوَايَة عَن الشَّافِعِيّ والملازمة لَهُ[٥١]، وقد مدحه الشَّافِعِيّ بقوله: "مَا رَأَيْت بِمصْر أَعقل من يُونُس بْن عبد الْأَعْلَى"[٥٢]. وكان يونس من كبار العلماء في زمانه، وانتهت إليه رياسة العلم (مشيخة العلم) لعلمه وفضله ونبله وعلو إسناده في الكتاب والسنة، وقد تفقه على يديه كثير من المشارقة والمغاربة[٥٣].

---

(47) مُحَمَّد بن عُثْمَان بن إِبْرَاهِيم بن زرْعَة الثقفى ، ولى قَضَاء مصر سنة أَربع وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ وَلم يل بعده قَضَاء مصر وَلَا قَضَاء الشَّام إِلَّا شافعى الْمَذْهَب.

انظر: الكندي: الولاة والقضاة ص ٥٢٣ ـ السيوطي: حسن المحاضرة، ص ٣٩٩.

(48) ابن الصلاح: طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٢م. ص ١٢. السبكي: طبقات الشافعية، ج٣ ص ١٩٧ ابن كثير: طبقات الشافعيين، ج١ ص ٢٣٢.

(49) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٤٩٣.

(50) يُونُس بن عبد الْأَعْلَى بن مُوسَى بن ميسرَة بن حَفْص بن حَيَّان الإِمَام الْكَبِير أَبُو مُوسَى الصدفي (بفتح الصاد والدال) المصري، وَكَانَ أحد الشُّهُود بِمصْر أَقَامَ شَاهدا سِتِّينَ سنة.

انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠م. ج٢٩ ص ١٨٣ـ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ١٧٠ .

(51) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٥م.ج١ ص ١٨٩.

(52) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ١٧١.

(53) الصفدي: الوافي، ج٢٩ ص ١٨٣ ـ ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م.٢ ص ٤٠٧ ـ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣ ص ٢٨٠.

ومن الشافعية الذين لعبوا دورًا كبيرًا في الحياة الفكرية بمصر زمن الطولونيين، وألفوا في الفقه وأصوله **الربيع بن سليمان المرادي** (ت ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) وكان أحد تلاميذ الشَّافِعِيّ المقربين، حتى قال عنه الشافعي "الربيع راويتي"، وقد اعتني بتعليمه علمه وقربه إليه[٥٤]، وقَالَ لَهُ: "لَوْ أَمكَنَنِي أَنْ أُطْعِمُكَ العِلْمَ لأَطعمتُكَ"[٥٥]. وقد عمر الربيع في العصر الطولوني نحو ستة عشر عامًا فأفاد مصر كثيرًا وتوفي بها[٥٦].

روى **الربيع** عن الشافعي كتبًا كثيرة من أهمها كتاب الأُمِّ[٥٧] وكتاب "المبسوط في الفقه" وهو كتاب في فقه العبادات: الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والاعتكاف[٥٨]، كما نسخ الربيع كتاب "الرسالة" بخطه، بأجزائه الثلاثة في سنة (٢٦٥هـ/ ٨٧٩م)[٥٩].

يُرجع كثير من المؤرخين الفضل إلى **الربيع بن سليمان المرادي** في نشر فقه الشَّافِعِيّ، إذ رحل إليه الطلاب من أقطار الأرض لأخذ علم الشَّافِعِيّ[٦٠]. حتى قيل في ذلك: كانت الرحلة في كتب الشَّافِعِيّ إليه من الآفاق نحو مائتي رجل. وقيل: ٧٠٠ راحلة[٦١].

ومن فقهاء الشافعية أيضًا، الفقيه **قَحزم بن عبد الله**[٦٢] (ت ٢٧١هـ/ ٨٨٤م)، المكنى بأبي حنيفة الأسواني، وكان قبطيًّا ثم أسلم وأصبح من جلة أصحاب الشَّافِعِيّ الآخذين عنه،

---

(54) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج١ ص ١٦٨.

(55) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٤ ص ٥٧ ـ السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ١٣٤.

(56) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ص ١٦٩.

(57) النووي: المجموع شرح المهذب، ص ٢٤٠.

(58) ابن النديم: الفهرست، ص ٢٦٠ ـ هويدا: المجتمع، ص ١٦١ ـ صفي: الحركة، ص ٢٤٧.

(59) الشافعي: الرسالة، ص ١٧.

(60) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج١ ص ٦٥ ـ محمد أبو زهرة: الشافعي، ط٢، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٧٨م. ص ٣٨٤.

(61) النووي: المجموع شرح المهذب، ص ٩ ـ السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ١٣٤.

(62) أَبُو حنيفَة الأسوانى بِفَتْح الْقَاف بعْدهَا حاء مُهْملَة سَاكِنة ثمَّ زاى مَفْتُوحَة ثمَّ مِيم.
انظر: السبكي: المصدر السابق، ج٢ ص ١٦٠.

وروى عَنهُ كثيرًا من كتبه، وأقام بعده بأسوان يفتي على مذهب أستاذه، فكان من عمد الدراسات الإسلامية بها، وتوفي بها[٦٣].

أدرك فقهاء الشافعية من تلاميذ الشافعي الذين تحدثنا عنهم فيما سبق قيام الدولة الطولونية في مصر، وتوفوا خلال عهدها، أما تلامذتهم فإنهم أدركوا الدولة وتوفوا بعد سقوطها، وكما كان لأساتذتهم إسهامات فكرية في الفقه وأصوله، فإنهم ساروا على دربهم وألفوا في العلمين، وعملوا على نشر المذهب، ومنهم الفقيه **بشر بن نصر بن منصور** أبو القاسم البغدادي المعروف بغلام عرق (ت ٣٠٢هـ/٩١٤م)، وقد ارتحل إلى مصر، وتفقه على مذهب الشافعي، وتوفي بمصر، وكان ضليعًا في الفقه[٦٤]، والفقيه **مَنْصُور بن إِسْمَاعِيل** أَبُو الْحسن التَّمِيمِي[٦٥] المتوفى بمصر سنة (٣٠٦هـ/ ٩١٨م)[٦٦]، وقد أخذ الفقه عن أصحاب الشَّافِعِيّ، وَله مصنفات في المذهب كثيرة مِنْهَا الْوَاجِب والمستعمل" وَالْمُسَافر وَالْهِدَايَة وَغَيرهَا من الْكتب[٦٧].

لم يقتصر دور فقهاء الشافعية في الفقه وأصوله على الفقهاء الذين عاشوا في مصر، بل كان لغيرهم من الفقهاء الذين وفدوا إلى مصر الطولونية إسهاماتهم في العلمين، ومنهم الفقيه

---

(63) الإسنوي: طبقات الشافعية، ج١ص٣١ ـ السيوطي: حسن المحاضرة، ص٣٩٩ ـ هويدا: المجتمع، ص ١٦٣.

(64) الإسنوي: المصدر السابق، ج٢ ص ٨٧ ـ السيوطي: حسن المحاضرة، ص ٤٠٠.

(65) أبو الحسن، منصور بن إسماعيل بن عمرو التميمي، المصري، الضرير.

انظر: الإسنوي: طبقات الشافعية، ج١ ص ١٤٤.

(66) المصدر السابق، ج ١ ص ١٤٤.

(67) الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص ١٠٨ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ص ٢٩٠ ـ السبكي: طبقات الشافعية، ج٣ ص ٤٧٨

أبو علي كُنَيز[٦٨] بن عبد الله خادم الخليفة المنتصر باللّه ابن المتوكل الذي جاء من بغداد بعد وفاة مولاه، وتفقه على يد الفقيهين: حرملة[٦٩] والربيع. وكان له دور في نشر المذهب الشافعي، كما كان يناظر المالكية مما تسبب في أذيته حيث وشى المالكية به لأحمد بن طولون واتهموه بأنه جاسوس، فصدقهم وأمر بحبسه سبع سنين، ولما مات أحمد بن طولون ذهب كنيز إلى الإسكندرية وأقام بها أيضًا سبعًا وأعاد كلّ صلاة صلاها في الحبس، ثم ذهب إلى الشام وأخذ يقرئ في جامِع دمشق[٧٠].

ومن اللافت للنظر أن إسهام الشافعية بمصر في علمي الفقه وأصوله زمن الطولونيين لم يكن وقفًا على الرجال، بل كان للفقيهات دورهن وإسهامهن في ذلك؛ إذ تورد المصادر – المتاحة بين أيدينا – أن أمَّ الإمام الطحاوي **أخت الْمُزَنِيّ** كانت تحضر مجلس الشافعي بمصر[٧١]، وأصبحت من أهل العلم والفقه في عصرها، فكان بعض فقهاء الشافعية ينقل أقوالها واختياراتها وترجيحاتها الفقهية، وقد نقل عنها الرافعي في زكاة المعدن، ولم ترصد المصادر تاريخ وفاتها[٧٢].

---

(68) بكاف مضمومة، ونون مفتوحة بعدها ياء التصغير، ثم زاي معجمة. ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته.
انظر: الإسنوي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ١٧٨.

(69) حرملة بن يحيى بن عبد اللّه بن حرملة، المصري التّجيبي، ولد سنة ١٦٦هـ، وتوفي سنة ٢٤٣هـ.
انظر: المصدر السابق، ج١ ص ٢٦.

(70) **انظر**: السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٣٦٤ ـ السيوطي: حسن المحاضرة، ج١ ص ٣٩٩.

(71) ذكرها السيوطي ضمن من كان بمصر من فقهاء الشافعية.
أما الميلاد فكان علي الأرجح في أواخر القرن الثاني، حيث تذكر لنا المصادر أن أخوها الإمام إسماعيل الْمُزَنِيّ قد ولد في نفس الفترة بالفسطاط، وبقيت بها حتى تزوجت فرحلت إلي بيت زوجها في صعيد مصر بعد ذلك.
انظر: نبيل عواد المزيني: أخت الإمام الْمُزَنِيّ وأم الإمام الطحاوي ،
http://www.almostaneer.com/Pages/BhothDetails.aspx?ID=45

(72) الإسنوي: طبقات الشافعية، ج١ ص ٣٢ ـ السيوطي: حسن المحاضرة، ص ٣٩٩.

سار فقهاء الشافعية بمصر الطولونية في مؤلفاتهم الفقهية على نهج أستاذهم في الكتابة العلمية، فأتوا بالآيات أو الأحاديث وشرحوها، ثم استنبطوا منها ما ينتهي إليه رأيهم، واختاروا من الألفاظ الجياد الدقيقة ما يلائم المعاني، وحولوا عبارات الشافعي وأقواله إلى نصوص علمية، محذوفة السند، كالتي نراها في مختصر الْمُزنِيّ، الذي أخذ كلام الشَّافِعِيّ وفهمه وكتبه على طريقة أستاذه دون أن يأتي بالأسانيد، فوجدت بذلك روح الكتابة عند الفقهاء(٧٣). والدليل على ذلك، أن القاضي بكار بن قُتَيْبَة (ت ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) صنف كتابًا رد فيه على الإمام الشَّافِعِيّ في ردّه على الإمام أبي حنيفة، وسبب تصنيفه أنّه نظر في مختصر الْمُزنِيّ فوجد فيه ردّا على أبي حنيفة(٧٤).

ناظر فقهاء الشافعية في العصر الطولوني بمذهبهم وعنه، ورووا مناظرات أستاذهم التي علمها لهم، حيث كانت مناظراته تعقد بينه وبينهم وتناولوا فيها "مآخذ الأئمة، ومسارات اختلافهم ومواقع اجتهادهم" وكان يقول لتلاميذه: "إذا ذكرت لكم ما لا تقبله عقولكم فلا تقبلوه"(٧٥)، وقد توصلوا من خلال هذه المناظرات إلى كثير من الأحكام الفقهية، وتعلموا الطرق العلمية في النقد وحرية التفكير في أدلة المسائل وبراهينها.

شهد العصر الطولوني العديد من المناظرات العلمية بين فقهاء الشافعية والمذاهب الأخرى، فساعد ذلك على نشاط الحركة الفكرية، ومن أشهر المناظرات تلك التي جرت بين أحد أصحاب القاضي بكار بْن قُتَيْبَة الحَنَفِيُّ المذهب– قاضي مصر – مع **الْمُزنِيّ** عن تحليل

---

(73) المسعودي: مروج الذهب، ج٤ ص ١١٨ ـ محمد كامل: أدب مصر، ص ٥٤.

(74) انظر التفاصيل: محيي الدين الحنفي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار الهجر، القاهرة، ١٩٩٣م، ج١ ص ١٧٠ ـ المقريزي: المقفي الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ٢٠٠٦م. ج٢ ص ٢٦١.

(75) صفي: الحركة، ص ٢٤٠، ٢٤٢.

النبيذ وتحريمه وتقديم التحريم على التحليل، وقد رد فيها الْمُزنِيّ بأنه وَقع الِاتِّفَاق عَلَى أَنه كَانَ حَلَالا ثم حُرم وأن هَذَا يعضد صِحَة أَحَادِيث التَّحْرِيم، فاستحسن بكار ذلك منه[٧٦]، وأعجب برأيه وقال: "سبحان الله أن يكون كلام أدق من الشعر فهو هذا"[٧٧]، وقد وصف الْمُزنِيّ بأنه مناظر، مِحْجَاج، غَوَّاص عَلَى المَعَانِي الدَّقِيقَةِ[٧٨].

تأثر بفقهاء الشافعية في مصر غيرهم من فقهاء المذاهب الأخرى، ولا سيما المالكية، ومنهم عَالِمَ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ فِي عَصْرِهِ مَعَ المُزَنِي الفقيه المالكي[٧٩] **مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن عَبْد الحكم** بْن أعين بْن لَيْث الإِمَام أَبُو عَبْد اللَّه الْمصْرِيّ (ت ٢٦٨هـ/ ٨٨١م) صاحب كِتَاب (الرَّد عَلَى الشَّافِعِي فِيمَا خَالف فِيهِ الْكتاب وَالسّنة)[٨٠]، الذي عده البعض لكثرة تأثره بالشافعي من تلاميذه، وكان ابن أعين شديد الإعجاب بالشافعي وآرائه الفقهية حتى إنه ألف كتابًا سماه "السنن على مذهب الشافعي"[٨١]، وكان يقول: "ما أحد ممن خالفنا- يعني المالكية

---

(76) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص ٢١٨ ـ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩ ص ١٤٢ ـ السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٩٥.

(77) الكندي: الولاة والقضاة ص ٥١١ ـ محمد كامل حسين: أدب مصر الإسلامية، ص ٦٢، ٦٣.

(78) النووي: المجموع شرح المهذب، ج١ ص ١٠٧ ـ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٤٩٣ .

(79) اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٧٠م.ج٤ ص ١٥٧ ـ قاسم مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م. ج١ ص ١٠١.

(80) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٦٩ ـ ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج٩ ص ٢٦١ ـ الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م. ج٦ ص ٢٢٣.

(81) ابن حجر العسقلاني: في مناقب الشافعي توالي التأسيس لمعالي محمد ابن ادريس، تحقيق: أبو الفداء عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص ٢٥٨، ٢٥٩ ـ محمد كامل حسين: أدب مصر الإسلامية، ص ٥٧ ـ حسن: الحضارة، ص ١٢٦.

ـ أحب إلي من الشافعي" . وقال:" لو رَأَيْتَ الشَّافِعِيَّ يُنَاظِرُكَ لَظَنَنْتُ أَنَّهُ سَبُعٌ يَأْكُلُكَ، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَ النَّاسَ الحُجَجَ"(٨٢).

٢- **في علم الحديث:**

لم يقتصر دور فقهاء الشافعية في الحياة الفكرية في العصر الطولوني على نشاطهم الفقهي، بل كان لهم إسهاماتهم في **علم الحديث** أيضًا؛ **فالربيع الجيزي** كان كثير الحديث مأمونًا ثقة(٨٣)، روى عن عبد الله بن عبد الحكم كثيرًا، وقلت روايته عن الشافعي(٨٤)، ومن مروياته القليلة عنه قوله: "قِرَاءَة الْقُرْآن بالألحان مَكْرُوهَة"(٨٥)، كما روى الجيزي عن عبد الله

---

(82) كَانَ الشَّافِعِي معجبا بِهِ لفرط ذكائه وحرصه عَلَى الْفِقْه وروى عنه كثيرا، حتى أنه في مرة نظرَ الشَّافِعِيُّ إليه، وَقَدْ رَكِبَ دَابَّتَهُ، فَأَتبعَهُ بصرَهُ وَقَالَ: "وَدِدْتُ أَنَّ لِي وَلداً مِثْلَهُ وَعَلَيَّ أَلْفَ دِينَارٍ لاَ أَجِدُ قَضَاءهَا" وقد توقع الشافعي رجوعه إلى مذهب أبيه.

انظر: البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢ ص١٣٦ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ص ٢٩١ ـ الصفدي: الوافي، ج٢ ص ١٢٢ ـ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠ ص ٥٠ – السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ٩٤ ـ ابن كثير: طبقات الشافعيين، ج١ ص ١٩ ـ سيدة كاشف: أحمد بن طولون، ص ٢٣٣.

(83) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٤ ص ٥٧ ـ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٣ ص ٢٤٥.

(84) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ص ٢٩٢ ـ الصفدي: المصدر السابق، ج١٤ ص ٥٧ – ابن كثير: طبقات الشافعيين، ج١ ص ١٣٤ .

(85) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ١٣١ ـ ابن قاضي شبهه: طبقات الشافعية، ص ٦٥.

وقد ذكر النووي شرح المراد من الشافعي بالكراهة، وهو: "أَنْ يُفَرِّطَ فِي الْمَدِّ وَفِي إِشْبَاعِ الْحَرَكَاتِ حَتَّى تَتَوَلَّدَ مِنَ الْفَتْحَةِ أَلْفٌ، وَمِنَ الضَّمِّ وَاوٌ، وَمِنَ الْكَسْرَةِ يَاءٌ، أَوْ يُدْغِمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الْإِدْغَامِ، فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ، فَلَا كَرَاهَةَ. أما إِذَا أَفْرَطَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ، فَهُوَ حَرَامٌ، حيث يُفَسَّقُ بِهِ الْقَارِئُ، وَيَأْثَمُ الْمُسْتَمِعُ؛ لِأَنَّهُ عَدَلَ بِهِ عَنْ لَهْجَةِ التَّقْوِيمِ".

انظر: النووي: روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م. ج١١ ص ٢٢٧.

بن وهب، وَإِسْحَاق بن وهب وَعبد الله بن يُوسُف التنيسي وأبي الأسود النضر بن عبد الحميد وَغَيرهم[٨٦]، وقد روى عَنهُ أَبُو دَاوُد والنسائي وَأَبُو بكر بن أَبى دَاوُد وَأَبُو جَعْفَر الطحاوي وابن أبي داود، وأبو بكر الباغندي وَغَيرهم.

عرف الشافعية للربيع مكانته في الحديث، فقدموه على **المُزَنِيَّ** الذي كان أعرف بالفقه مِنْهُ[٨٧]، وإذا تعَارضت رِوَايَتهما قدموا رِوَايَة الربيع على الرغم من علو قدر الْمُزنِيّ علما ودينا وجلالة وموافقة مَا رَوَاهُ للقواعد[٨٨].

أما **المُزَنِيَّ** فكان– رغم تأخر مرتبته في الحديث عن الربيع– صدوقًا وثقة، فحَدَّثَ عَنْ "الشَّافِعِيِّ، وَعَنْ عَلِيِّ بنِ مَعْبَدِ بنِ شَدَّادٍ، وَنُعَيْمِ بنِ حَمَّادٍ، وَغَيْرِهِم. وَهُوَ قَلِيْلُ الرِّوَايَةِ. ورَوَى عَنهُ أَبُو بَكْرٍ بنُ خُزَيْمَةَ، وَأَبُو الحَسَنِ بنُ جَوْصَا، وَأَبُو بَكْرٍ بنُ زِيَادٍ النَّيْسَابُوْرِيُّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ بنُ عَدِيٍّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَأَبُو الفَوَارِسِ بنُ الصَّابُوْنِيِّ، وَخَلْقٌ كَثِيْرٌ مِنَ المشَارِقَةِ وَالمغَارِبَةِ[٨٩].

كان **يُونُس بن عبد الْأَعْلَى الصَدَفي المصري**، أشهر محدثي الشافعية زمن الطولونيين، وهو أحد رواة الحافظين، وقد حَدَّثَ عَنْ: "سُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ وَهْبٍ، وَالوَلِيْدِ بنِ مُسْلِمٍ، وَمَعْنِ بنِ عِيْسَى، وَابْنِ أَبِي فُدَيْكٍ، وَأَبِي ضَمْرَةَ اللَّيْثِيِّ، وَبِشْرِ بنِ بَكْرٍ التِّنِّيْسِيِّ، وَأَيُّوْبَ بنِ سُوَيْدٍ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ الشَّافِعِيِّ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ نَافِعٍ الصَّائِغِ، وَسَلاَمَةَ بنِ رَوْحٍ، وَمُحَمَّدِ بنِ عُبَيْدٍ الطَّنَافِسِيِّ، وَيَحْيَى بنِ حَسَّانٍ، وَأَشْهَبَ الفَقِيْهِ"[٩٠].

---

(86) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٥٩٢ –. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ١٣١ .

(87) الذهبي: المصدر السابق، ج١٢ ص ٥٨٨ ـ ابن قاضي شبهة: طبقات الشافعية، ج١ ص ٦٥.

(88) انظر التفاصيل : السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ١٣١ ـ ١٣٣.

(89) الذهبي: سير أعلام، ج١٢ ص ٤٩٣، ٢٩٥ ـ المصدر السابق، ج٢ ص ٩٣ .

(90) الذهبي: المصدر السابق، ج١٢ ص ٣٤٩ ـ ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب. ج١١ ص ٤٤٠.

روى عَن يونس خلق كثير، فقد روى عنه: "مُسْلِمٌ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَأَبُو زُرْعَةَ، وَبَقِيُّ بنُ مَخْلَدٍ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَأَبُو بَكْرِ بنُ زِيَادٍ النَّيْسَابُوْرِيُّ، وَأَبُو عَوَانَةَ الإِسْفَرَايِيْنِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَعُمَرُ بنُ بُجَيْر، وَأَبُو جَعْفَرٍ بنُ سَلاَمَةَ الطَّحَاوِيُّ، وَأَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الخَامِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ سُفْيَانَ بنِ سَعِيْدٍ المِصْرِيُّ المُؤَذِّنُ، وَأَبُو الفَوَارِسِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ السِّنْدِيُّ" وغيرهم فكان ثقة[٩١].

تصدر محدثو الشافعية لإملاء الحديث في جامع أحمد بن طولون، ويعتقد بعض الباحثين أن أول من تصدر لذلك كان الربيع الجيزي[٩٢]، ولكن المصادر التاريخية القديمة تكاد تجمع على أنه كان **الربيع بن سليمان المرادي**[٩٣]، حيث استدعاه أحمد بن طولون للتدريس في الجامع الذي جعله دارًا للعلم ونقل إليه القراء والفقهاء فضلاً عن كونه مكانًا للعبادة، وقد كان الربيع يُدرس في جامع الفسطاط[٩٤]، وبالفعل بعد صلاة أول جمعة في الجامع بعد اكتماله، جلس الربيع وألقى فيه درسًا يتضمن حديث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:

---

(91) النووي: روضة الطالبين، ج٧ ص ٥٠ ـ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ١٧٠.

(92) وقد ذكرت د. سيدة كاشف في كتابها أحمد بن طولون أن أحمد أعطى كيساً للربيع الجيزي.
انظر: أحمد بن طولون، ص ٢٣٣.
كما ذكر د. عبد العظيم رمضان في كتابه المدارس، أن الربيع الجيزي هو الذي قام باملاء الحديث في جامع ابن طولون، ووجدنا أنه رجع إلى المقريزي والسيوطي على الرغم من أن الاثنين ذكروا أنه الربيع المرادي.
انظر: المدارس في مصر الإسلامية، ص ٩٢.

(93) المقريزي: الخطط، ج٤ ص ٤٠ ـ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص ٢٥٦ ـ محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولوني، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٧م، ص ٢٩ ـ محمود رزق محمود: المجتمع المصري في العصر الطولوني، ص ٢٧٨ ـ هويدا عبد العظيم: المجتمع، ج٢ ص ١٦٢ ـ رشاد: الفقهاء في مصر الإسلامية، ص ٥١.

(94) أحمد امين: ظهر الإسلام، ج١ ص ١٧٠ ـ صفي ص ٧١.

«من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة، بنى الله له بيتًا في الجنة»[٩٥]، وقد جلس أحمد بن طولون في مجلسه، هو وغلمانه والحجاب، وبعد انتهاء المجلس أرسل إلى الربيع غلامه بكيس فيه ألف دينار هدية لولده[٩٦]، فكان الربيع بذلك مصدر حركة علمية دينية كبيرة[٩٧].

روى الربيع عن أعلام كثر حتى إنه قال عن نفسه: "كُلُّ مُحَدِّثٌ حَدَّثَ بِمِصْرَ بَعْدَ ابْنِ وَهْبٍ كُنْتُ مُسْتَمْلِيَهُ[٩٨]، وقد روى عَن "أَسد بن مُوسَى وَأَيوب بن سُوَيْد الرَّمْلِيّ وَشُعَيْب بن اللَّيْث وَعبد الله بن وهب وَعبد الله بن يُوسُف التنيسِي"[٩٩]. أما المحدثون عَنْه فهم "أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَه والطَّحَاوِي وزَكَرِيا السَّاجِي وَابْن أبي حَاتِم وَأَبُو زرْعَة الرَّازِيّ وَأَبُو معد عدنان بن أَحْمد بن طولون وَأَبُو الْعَبَّاس الْأَصَم وروى عَنهُ التِّرْمِذِيّ إجَازَة" وغيرهم لأنه صدوق وثقة[١٠٠]. وقد صار قِبلةَ أنظار المُحَدِّثين من الأقطار المختلفة، فرحلوا إلى مصر يأخذون عنه.

كان **لكُنَيز بن عبد الله** إسهاماته في علم الحديث أيضًا، فحدث عن يحيى بن عثمان بن صالح المصري والحسن بن محمد الزعفراني وداود ابن علي الظاهري وحرملة بن

---

(95) المقريزي: الخطط ج ٤ ص ٣٩.
المفحص: هو الموضع التي تقيم فيه القطاة، وتبيض كأنها تفحص عنه التراب وتكشفه.
انظر: محمود عكوش، الجامع الطولوني، ص ٢٩.

(96) المقريزي: الخطط ج ٤ ص ٣٩.

(97) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج١ ص ١٧٠.

(98) الذهبي: تذكرة الحفاظ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م.ج٢ ٥٨٧ ـ ابن الزكي المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م. ج٩ ص ٤٠٨.

(99) الذهبي: المصدر السابق، ص ٢٥٦ ـ صفي ص ٢٤٧.

(100) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٥٨٨ – ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج٣ ص ٢٤٦.

يحيى والربيع بن سليمان المرادي. وروى عنه أبو علي الحسن بن حبيب الحصائري وأَبُو الْقَاسِمِ الطبرانى وغيره[١٠١].

٣- علم القراءات:

أتقن بعض الشافعية بمصر الطولونية أيضًا **علم القراءات**[١٠٢] كأستاذهم، وكان لهم إسهاماتهم فيه، **فيونس بن عبد الأعلى الصدفي** المصري قرأ القرآن في مصر[١٠٣] برواية متواترة هي رواية وَرْش عن نافع[١٠٤]، وقد روى **الربيع الجيزي** قراءة يونس ورواه عن الربيع جعفر بن أحمد البزاز أبو العباس المطوعي ومحمد بن إبراهيم بن زاذان[١٠٥]، أما **الربيع بن سليمان المرادي** فكان شَيْخُ المُؤَذِّنِينَ بِجَامعِ الفُسْطَاطِ- عَمْرو بن الْعَاصِ- ولم يؤذن أحد

---

(101) ابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة، دار الفكر، بيرت، ١٩٩٥م. ج٥٠ ص ٢٦١ ـ السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٣٤٦.

(102) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وإفريقية، تحقيق: حسين عاصي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ج ١٥ ص ٤١- سيدة كاشف: مصر في عصر الولاة، ص ١٨٤.

(103) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٣٤٩ ـ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ١٧٠ ـ انظر تفاصيل من روى القراءة عنه. الصفدي: الوافي، ج٢٩ ص ١٨٣ – ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: ج برجستراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٣م. ج٢ ص ٤٠٦.

(104) كل القراءات بمصر رواية عن نافع، نقلها عنه إلى مصر عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش ، فهو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان بن إبراهيم القرشي مولى لآل الزبير بن العوام، كان أصل أجداده من الأقباط، ثم اعتنقوا الدين الإسلامي، ولد ورش بمصر سنة ١١٠هـ، واشتغل بقراءة القرآن وتعلم العربية، ورحل إلى المدينة فقرأ بها على نافع سنة ١٥٥هـ . ثم عاد إلى مصر وانتهت إليه رياسة الإقراء فيها وتوفى سنة ١٩٧هـ.

انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م. ج٥ ص ٣٣- محمد حسين: الأدب، ص ٣٦ – سيدة كاشف: فجر الإسلام، ص ٣٢٨ .

(105) ابن الجزري: غاية النهاية، ج٢ ص ١٤٠.

قبله في جامع مصر، كما كان مستملِي مَشَايِخِ وَقْتِهِ[١٠٦]، وكان يقرأ بالألحان[١٠٧]، وقد تصدى للإقراء فشارك في تعليم المصريين قراءة القرآن.

٤- علم التفسير:

كان للشافعية في مصر الطولونية دورهم أيضًا في علم التفسير، وبخاصة في نشر ما أُثر عن أستاذهم من تفسير لبعض آيات القرآن الكريم؛ إذ عمل شافعية مصر الطولونية من بعده على نشر هذه التفاسير، وحدثوا بها في مجالسهم، ومن ذلك ما رواه **الْمُزْنِيّ** عن الشافعي في تفسير قوله عز وجل (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)[١٠٨] ، قال: معناه ما تقدم من ذنب أبيك آدم وهبته لك وما تأخر من ذنوب أمتك أدخلتهم الجنة بشفاعتك[١٠٩].

كذلك روى **الربيع بن سليمان المرادي** تفسير الشافعي لبعض الآيات، ومن ذلك ما رواه في تفسيره لقوله عز وجل (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)[١١٠]، قال: معناه الخوف: خوف العدو والجوع: جوع شهر رمضان ونقص من الأموال: الزكوات والأنفس: الأمراض، والثمرات: الصدقات، وبشر الصابرين على أدائها([١١١]).

([106]) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٥٨٧.

(107) المصدر السابق، ج١٢ ص ٥٨٨ – السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ١٣٤.

(108) سورة الفتح، الآية رقم ١.

(109) البيهقي: أحكام القرآن للشافعي، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م. ج١ ص ٣٨.

(110) سورة البقرة، الآية رقم ١٥٥.

(111) البيهقي: أحكام القرآن للشافعي، ج١ ص ٣٩.

رابعًا: إسهامات الشافعية في مجال العلوم اللغوية والأدبية:

١- في اللغة والشعر:

لم تتوقف إسهامات الشافعية في الحياة الفكرية في مصر الطولونية عند العلوم الشرعية، بل امتدت إلى العلوم الأدبية واللغوية التي استفادوها من أستاذهم الشافعي الذي كان بصيرًا بالعربية وحجة تؤخذ منه اللغة(١١٢)، وقد أوصاهم بحفظ اللغة وشعرها لأنه كان يرى أن "من حفظ العربية والشعر رق طبعه"(١١٣).

ويمكن القول إن مجالس الشافعية العلمية بمصر الطولونية كانت كمجالس أستاذهم مزيجًا من علوم الدين والأدب واللغة(١١٤)، وقد رووا شعرهم وشعر غيرهم في هذه المجالس، **فالربيع الجيزي** الذي كان من خيرة تلاميذ الشَّافِعِيّ والمشهود لهم بالعلم حفظ عيون الأدب، كما كان **يونس بن عبد الأعلى** يروي أشعار الشَّافِعِيّ(١١٥)، وكان **الْمُزنِيّ** يحفظ الشعر ويكتبه وبالأخص شعر الحكمة؛ ويستشهد به عندما تأتي مناسبته(١١٦)، كما كان **الربيع بن سليمان المرادي** يقول الشعر (١١٧).

---

(112) الرازي: مناقب الشافعي، ص ٢٣٩ –صفي: الحركة، ص ٢٣٣.

(113) المرجع السابق، ص ٢٢٩.

(114) **انظر**: الرازي: مناقب الشافعي، ص ٣٥– أبو زهرة: الشافعي حياته وعصره، ص ٣٥ ـ صفي، ص ٢٤٠.

(115) مما كان يرويه قوله: ما حكَّ جلدكَ مثلُ ظفركَ فَتَوَلَّ أنْتَ جَميعَ أمركْ
وإذا قصدْتَ لحاجَةٍ فاقْصِدْ لمعترفٍ بقدْرِكْ
هويدا عبد العظيم: المجتمع، ج٢ ص ١٦٢.

(116) من أجمل أشعاره في الحكمة قوله: لا خيرَ في حلمٍ إذا لم يكن له ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أنْ يُكدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له ... حليمٌ إذا ما أوْرَدَ الأمر أَصْدَرَا
ويذكر محمد بن إسماعيل بن إسحاق بن بحر أنه سمع الْمُزنِيّ يقول هذا الشعر عندما مر بقوم يشربون النبيذ على شاطئ النهر، فأراد أن يعظهم وينكر عليهم فعل ذلك.
انظر: البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢ ص ٣٥٥.

(117) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٤ ص ٥٧.

ومن فقهاء الشافعية الذين برعوا في الشعر **مَنْصُور التَّمِيمِي**، المعروف بمنصور الفقيه، وكانت أشعاره موجزة لكنها كانت بمقام الحكم والأمثال(١١٨). وقد لوحظ في شعره مدى دقته في اختيار ألفاظه التي يسهل ترديدها لدى العامة من الناس وخاصتهم فلم يكن في زمانه مثله(١١٩)، وله شعر مشهور في إخلاف الوعد(١٢٠)، كما أن له شعر في الهجاء وهو فيه خبيث اللسان(١٢١).

لقد كان شافعية مصر الطولونية، كأستاذهم، شعراء يتذوقون الشعر، فساعدهم ذلك على اختيار ألفاظهم بدقة وعناية لتعبر عن هدفهم الديني والروحاني وإن بقي شعرهم أقرب إلى شعر العلماء من شعر الشعراء المحترفين، فجاء في أغلبه مواعظ تكاد تخلو من العاطفة والتصوير والخيال بلغة اصطلاحية تقريرية(١٢٢).

٢- في النحو:

لا تمدنا المصادر بجهود نحوية لفقهاء الشافعية في مصر الطولونية، وإن كان من المؤكد أن تلاميذ الشافعي في مصر كان لهم اجتهادات نحوية، وبخاصة أنهم كانوا من

---

(118) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٣ ٣١٣ – ربيع رشاد : الفقهاء في مصر الإسلامية، ص ٣٠٠.

(119) **انظر**: البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص ٢٢٣ ـ ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج١ ص ١٠٤.

(120) يقول: من قال: لا في حاجة مطلوبة فما ظـلم.
وإنما الظـالم من يقول: لا، بعد نعم.
ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ص ٢٢٣.

(121) المصدر السابق، ص ١٠٤.

(122) من شعره: صبرًا جميلاً ما أسْرع الفرجَا مَنْ صدَّقَ اللهَ في الْأُمُورِ نجَا
مـن خَشِيَ اللهَ لم يَنَلْهُ أَذَى ومَنْ رَجَا اللهَ كانَ حيْثُ رجَا.
البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص ٢٢.

الأصوليين، ومعلوم مدى الصلة بين علمي أصول الفقه وأصول النحو[١٢٣]، ويزيد يقيننا في ذلك أن أستاذهم **الشافعي**– رحمه الله– كان يقول لا أُسأل عن مسألة في الفقه إلا أجبت عنها من قواعد النحو[١٢٤].

٣- في التاريخ:

أسهم الشافعية أيضًا في علم التاريخ؛ إذ كان **الربيع الجيزي** من المؤرخين المصريين وله مؤلف أسماه "تاريخ الصحابة الذين نزلوا مصر"[١٢٥]. وعلى الرغم من عدم وصوله إلينا، فإن كتب التراجم حفظت لنا الكثير من مادته، وقيل إن هذا الكتاب كان النواة التي اعتمد عليها السيوطي في تأليف كتابه المشهور "درُّ السحابة فيمن نزل مصر من الصحابة"[١٢٦].

**** الخـــاتمـــة**:

تبين لنا من خلال البحث أن فقهاء الشافعية كان لهم دور مهم في إثراء الحياة الفكرية في مصر في العصر الطولوني؛ وقد ساعدهم على ذلك تشجيع الطولونيين ورعايتهم لهم وحرية التعبير والإبداع التي منحوها للعلماء وأصحاب المذاهب من أجل النهوض بالفكر، وتحقيق النهضة الثقافية في عصرهم، وقد استغل فقهاء الشافعية هذا المناخ، ورسخوا قدم مذهب أستاذهم، وحققوا إنجازات فكرية في العلوم الشرعية فقهًا وأصولا وحديثًا وتفسيراً، وفي العلوم الأدبية واللغوية والتاريخ، وتركوا بصمات واضحة في هذه العلوم للعصور اللاحقة.

---

(123) النعيم محمد أحمد إبراهيم: أثر العلاقة بين أصول الفقه وأصول النحو، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة السودان، ٢٠١٥م. ص ٥٤.

(124) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٢ ص ٤٠٧.

(125) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٠م. ج٤ ص ٤٧١ ـ السيوطي: حسن المحاضرة، ص ٥، ٥٥٣.

(126) انظر التفاصيل: درُّ السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة، تحقيق: حمزة النشرتي وآخرون، المكتبة القيمة، القاهرة، د.ت. ص ٢٣ ـ حسن المحاضرة، ج١ ص ١٦٦ ـ ربيع رشاد: الفقهاء في مصر الإسلامية. ص ٣٣٧.

المرأة الجميلة عند المسلمين

ابن عبد ربه (٣٢٨ هـ / ٩٤٠م) أنموذجاً

د. محمد فهمي امبابي
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
كلية الآداب – جامعة طنطا

ملخص:

دعي الاسلام المسلمون الي الاهتمام بكل جميل ، ودعاهم الي كل فضيلة مُثلي، وارشدهم الي كل ما من شأنه أن يأخذهم الي الجمال، جمال السلوك ، وجمال القول، وجمال الصنع، وجمال العلاقات مع الغير، وجمال الطبيعية . والانسان قد حباه الله سبحانه وتعالي نعمة الاحساس بالجمال وتذوقه في كل ما يدرك من مظاهر الحياة. فلقد انعم الله علي الانسان بنعمتي التذوق والاختيا، اللتان تسهمان بشكل كبير في تنمية الحس الجمالي لديه. ولو نظرنا الي معني الجمال في الاسلام لوجدناه تجسيد لقدرة الخالق في الخلق . فقد حس الاسلام الناس علي الاهتمام بجمال السماء ، وجمال الكون كله، لان إدراك جمال الوجود هو اقرب وسيلة لإدراك جمال خالق الوجود. وهذا الادراك هو الذي يرفع الانسان الي اعلي افق يمكن أن يبلغه . والنفس البشرية مجبولة علي قبول الحُسن ورفض القبح. وكان الرسول صلي الله عليه وسلم يعجبه الفأل الحسن والجمال في أي صورة حسنة يستمتع به الناظر والسامع ويطلبه كل الناس. فالوجه الجميل حسن يحب الناس رؤيته، والصوت الجميل حسن يحب الناس سماعه ، والتصرف الجميل حسن يحب الناس صاحبه .

وكانت المرآة ولا تزال –منذ ظهور الانسان وحتي انتهاء الحياة علي الارض– محط اهتمام الرجال ، فكانوا يبحثون عن المرأة الجميلة، وسوف تظل المرأة الجميلة ضالة الرجل في كل زمان ومكان، يجد في البحث عنها، وينشد الطرق التي توصله اليها. فهي التي تملك أن تجعله في سعادة وهناء، ووفاق مع نفسه ومع الحياة ، وبدونها يضيع . لذلك كانت المرأة الجميلة محط اهتمام الرجال في مختلف

العصور والأزمان. ولكن من هي هذه المرآة الجميلة ؟ هل هي جميلة الشكل فقط ؟ أم جميلة الروح والجسد معاً. ولذلك سعي عدد من الباحثين في البحث في هذا الموضوع والكتابة فيه لتوضيح من هي المرأة الجميلة، وذلك اقتداءً **برسول الله صلي الله عليه وسلم** الذي تحدث عن المرأة بشكل متكامل في أحاديث عدة ومنها **(خير النساء من تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك)** وغير ذلك من الأحاديث .

ومن المؤلفين الذين شغلهم أمر المرأة وصنفوا فيه بعض من مصنفاتهم القيمة، الفقيه **ابن قيم الجوزية** في كتابه "**اخبار النساء**"، **وابن عساكر** في "**اعلام النساء**"، و**الاصفهاني** في موسوعته "**الاغاني**"، **والنويري** في "**نهاية الارب**"، وهناك مؤلفات **السيوطي** المتعددة في هذا المجال. ومن المؤلفين الذين أهتموا بالكتابة عن المرأة **ابن عبد ربه** صاحب الموسوعة الشهيرة "**العقد الفريد**" الذي نجد به معلومات هامة عن المرأة، ولكننا للأسف نجدها متفرقة في ثنايا الموسوعة ، ولكن عندما ندرسها نجد فيها معلومات هامة عن المرأة تعكس لنا خبرة صاحبها ونظرته العميقة وصائب رأيه في أمور المرأة .

وقد تناول **ابن عبد ربه** في موسوعته "**العقد الفريد** "المرأة في مواضع متعددة ، فمثلاً في **الجزء الاول** تحدث عن " **الوافدات علي معاوية** " وفي **الجزء الثاني** " **من يضرب به المثل من النساء** "، وفي **الجزء السادس**" **قولهم في التشبيب، وقولهم في النحول، وقولهم في التوديع** "، وفي **الجزء السابع** " **قولهم في المناكح ، وفي النساء وصفاتهن ، وصفة المرأة السوء وعلامة الحب والبغض، وصفة الحسن ، والمنجبات من النساء، ومن اخبار النساء** "، وفي **الجزء الثامن**" **في المفاكهات، وما يكتب علي العصائب وغيرها والمضحكات** ".

هكذا نجده يتحدث عن المرأة بإسهاب وبتفصيل محاولاً رسم صورة واضحة للمرأة الجميلة خَلقاً وخُلقاً حسب تصوره . وقد أخترت **المرأة الجميلة** عند **عبد ربه** لتكون محورا لبحثي عن الجمال عند المسلمين، في محاولة لتوضيح الصورة التي ارتسمت لها في اذهان البعض بأن المسلمين ضد جمال المرأة وزينتها . ووجدت ان خير مثال لذلك هو **ابن عبد ربه** صاحب " **العقد الفريد** " .

(The Pretty woman in the eyes of Muslims' Jurists)

(Ib Abd Rabouh –As a Model)

Dr. Mohammed Fahmy Imbaby

Tanta University – Faculty of Arts

*Islam has called it's followers to take care of whatever is beautiful and urged them to uphold every precious value also it guided them to the ways that led them to the value of "Beauty" such as the beauty of behavior , saying , creating , relations with others and the nature .God has gifted Man the grace of tasting the beauty of his surroundings and as a result of God's both blessings (Taste and Choice) on Man which have a great contributions on improving his aesthetic sense . And if we had a deep look inside the meaning of (Beauty) in Islam we may get surprised as it is considered an embodiment to the creator on its creatures as Islam motivated people to contrive the beauty of the sky or the whole universe as realizing the beauty of the whole existence is the shortest route to contemplate the beauty of the Great Creator of the whole universe , that perception which raises Man up to the supreme horizon .Moreover , the human soul has been molded to enjoy beauty and reject ugliness , and the prophet (pbuh) liked the good omen and beauty which is admired by any one who sees or looks at it and be asked by the majority of people as the beautiful face is liked to be mostly seen by people and the beautiful voice is liked to be heard and finally good behavior makes people approve the doer .

*And woman was and still –since the emerging of Man to the end of life on this earth – Man's main focus as the permanent pursuit for

the pretty woman who becomes the lifelong goal at any place or time as he thinks she has the magic clue that will make him living in happiness and joy , enjoying himself and his life , otherwise , he will be lost without her . That's why the pretty woman has been the central point for men all over the ages . But let's ask here what do we mean by the pretty woman ? Is she who is pretty in appearance only ? Or who have both pretty in appearance and soul too ? , perhaps that was the reason why a number of jurists have done a lot of researches at this topic in order to clarify the real meaning of the pretty woman as they keen on following the footsteps of the prophet (pbuh) who fully described the pretty woman in many of his honored sayings (Ahadith) such as (the best of women who makes you pleased if you looked at her , obeys when being ordered , keeps your presence while being away) .

*And of the famous Islamic jurists who cared about the issue of women and its classification was the jurist (Ibn Kaiem Al-Gawziea) in his famous work (The Women's News) , the jurist (Ibn A'asaker) in his work (The most famous women) , the jurist (Al-Asfahany) in his encyclopedia (Al-Aghany / The songs) and finally the jurist (Al-Nweery) in his masterpiece (The Ultimate End) . Also there are the works of (Al-Seuoty) concerning this field . Finally one of the jurists who was keen on writing about women (Ibn Abd Rabouh) the author of the famous encyclopedia (The Unique Necklace) where we find precious information about woman but unfortunately , they are scattered all through the encyclopedia . However , it has a valuable information about woman that reflects the experience , deep insight and wise point of view about the woman's affairs .

*In his famous encyclopedia (The Unique Necklace) the jurist (Ibn Abd Rabouh) mentioned woman in different places , for example , in the first volume , he talked about (The newcomers to Ma'waia) , while in the second volume , (The model women) and in the sixth volume where he mentioned (Their opinion about flirtation ,Slimness and farewell) , , in the seventh volume , he mentioned (Their point of view about marriage , women and their qualities , the bad woman and the remarks of love and hatred , the signs of being beauty , procreant of women and women's news) and finally , in the eighth volume in which he mentioned (Their droll stories and what have been written about troops or tribes).

*As we conclude , we can notice that he tackled with the issue of woman briefly and in details in attempt to draw a clear image of the pretty woman in both appearance and morals which cope with his point of view . And I have chosen the pretty woman at the works of (Ibn Abd Rabouh) to be the axis of my research about Beauty in the eyes of Islamic Jurists in attempt to clarify the image that has been settled in the minds that Islam and its followers are against women's beauty and ornamentation and I have searched a lot and didn't find a more good example than (The Unique Necklace) by the jurist (Ibn Abd Rabouh) .

حث الإسلام الناس علي الزواج وبناء الأسرة قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (١)

وحث **رسوله الكريم** الشباب عليه بقوله: (**... يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**)(٢) .

ومن ثم اندفع الشباب طلباً للزواج، فأخذوا يبحثون عن الزوجة الصالحة . وكانوا دوماً في بحثهم عنها يبحثون عن **المرأة الجميلة** . ولذلك سعي **الفقهاء والعلماء** إلى بيان **المرأة الجميلة** للناس، والتفرق بينها وبين **المرآة السيئة**، سواء قبيحة الوجه أو سيئة الخلق . ولم يكن **ابن عبد ربه** (٢٦٤– ٣٢٨هـ /٦٨٠– ٩٤٠م) بعيداً عن هذا الموضوع، فقد تناوله بالتفصيل في موسوعته " **العقد الفريد**"، فقد تحدث عن النساء وصفاتهن فقال (**... ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في النساء وصفاتهن وما يحب ويذكر من عشرتهن**) (٣). وكان الدافع لذلك رغبته في أن يجعل الإنسان يعيش في سعادة وهناء؛ لأن ذلك مرتبط بالمرأة الصالحة و (**... الزوجة الموافقة، والبلاء كله موكول بالقرينة السوء التي لا تسكن النفس إلى كريم عشرتها، ولا تقر العين برؤيتها**) (٤).

ومن هنا قدم لنا حديثاً طويلاً عن الزواج وأهميته في حياة الفرد والمجتمع (٥)، ثم تطرق إلى الحديث عن النساء عند العرب قبل الإسلام، وذكر أنهم كانوا لا يردون الأكفاء عن النساء؛ لأنهم إن فعلوا ذلك أحوجهن (**... إلى البلاء، فإن لم تجدوا الأكفاء، فخير أزواجهن القبور**) (٦). وذكر **ابن عبد ربه** أن العرب قبل الإسلام كانت تفضل **المرأة البكر** عن **الثيب**، فنقل **ابن عبد ربه** عن **هبنقه القيسي** (٧) أنه قال (**... البكر لك، والثيب عليك، وذات الولد لا تقربها، واحذر جوادي لا يلفحك**) (٨) وذكر أيضاً أن العرب كانت تفضل زواج المرأة من ابن عمها على الغريب عنها، فذكر **ابن عبد ربه** نقلاً عن **الأصمعي** (٩) أن إعرابيَّة قالت لبنات عمها (**... السعيدة منكن من يتزوجها ابن عمها، فيمهرها**

بتيسين، وكلبين، وعيرين، ورحيين، فينب التيسان، وينهق العيران " الحمار "، وينبح الكلبان، وتدور الرحيان، فيعج الوادي " يمتلئ بالأصوات والحركة ") [١٠] . وأما إذا تزوجها الحضري، فإنه (**... يكسوها الحرير ويطعمها الخمير، ويحملها ليلة الزفاف على عود " أي سراج "**) [١١] .

ثم يناقض **ابن عبد ربه** نفسه في زواج المرأة من ابن عمها عندما يذكر أن العرب كانت تفضل الغرائب للإنجاب عن بنات العم،فيذكر ذلك بقوله (**... وقالت العرب : بنات العم أصبر والغرائب أنجب**) [١٢] . ومما ذكره في هذا المجال بقوله (**... والعرب تقول : اغتربوا ولا تضووا : أي أنكحوا في الغرائب، فإن القرائب يضوين البنين**) [١٣] . وبالتالي، ويذكر لنا رأي البعض من العرب الذين كانوا يبحثون عن النسل الجيد من زوجة غريبة غير ابنة العم. وأثبتت النظريات العلمية الحديثة صحة هذا الرأي [١٤].

وكان العرب أيضاً يفضلون تزويج بناتهم من صاحب العقل وإن كان فقيرًا على صاحب المال الكثير وقلة العقل . فيذكر **ابن عبد ربه** ان **الاصمعي** قال: إن رجلًا من أصحابه (**... كان مقلاً " قليل المال "، فخطب إليه مكثر " غني " من مال، مقلاً من عقل، فشاور فيه رجلاً يقال له : أبو يزيد، فقال : لا تفعل، ولا تزوج إلا عاقلاً ديناً، فإنه إن لم يكرمها لم يظلمها**) [١٥] .

كما حرص العرب قبل الإسلام وبعده علي حث الخطيب أن يرى المرأة التي يرغب في الزواج منها؛ لأن ذلك مدعاه لعدم الغش والتدليس، ذكر **ابن عبد ربه** أن رجلاً تقدم لخطبة امرأة من **بني أسد** – وكانت النساء تجلس لخطابهن – وكان بينهما ستار، فإذا بها تطلب من خادمتها أن تأتيها بوعاء من الثريد مكلل باللحم، وأكلته كله، والقت العظام نقيه، ثم طلبت إناء كبيرًا مملوءًا باللبن، فشربته كله حتي وضعته على وجهه بعد فراغه. ثم طلبت من جاريتها أن ترفع الستار، فإذا هي شابة جميلة تجلس على جلد أسد، وخاطبت طالب الزواج منها بقولها (**... يا عبد الله، أنا أسدة من بني أسد، وعليّ جلد أسد، وهذا طعامي وشرابي، فعلاما تراني ؟ فإن أحببت أن تتقدم،**

فتقدم، وإن أحببت أن تتأخر، فتأخر !، فقلت : استخير الله في أمري وانظر!) وخرج ولم يعد **!**[١٦] . وكان العرب ينصحون طالب الخطبة ألا يتزوج من امرأة تنظر في يدها، ولكن يتزوج من التي تنظر في يد الزوج [١٧] .

وكان العرب قبل الإسلام وبعده حريصين أيضًا على نصح بناتهم قبل الزواج على طاعة الزوج وتجنب إغضابه، وعلى المحافظة علي ماله وخدمه، وعدم إفشاء أسراره. فذكر **ابن عبد ربه** لنا النصيحة الغالية التي قدمتها **أمامة بنت الحارث** لابنتها قبل زواجها من **عمرو بن حجر** [١٨] وجاء فيها **(... أي بنية، إنك فارقت بيتك الذي منه خرجت، وعُشك الذي فيه درجت، إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أمّه يكن لكِ عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً تكن لكِ ذخرًا)** [١٩] .

وكان العرب يوصون الزوج أيضًا أن يحسن التعامل مع المرأة التي يتقدم للزواج منها، ومن ذلك ما ذكره **ابن عبد ربه** من نصيحة **عامر بن الظرب** – حكيم العرب – **لصعصعة بن معاوية** عندما تقدم لخطبة **بثته عمره**– وهي **أم عامر بن صعصعة** – بقوله **(... ياصعصعة : إنك أتيتني تشتري من كبدي، فارحم ولدي، قبلتك أو ردتك، والحسيب كفء الحسيب، والزوج الصالح أب بعد أب)** [٢٠]

المرأة الجميلة عند ابن عبد ربه:

والمرأة الجميلة عند **ابن عبد ربه** هي المرأة التي تتمتع بالجمال **الخَلْقي والخُلقي**، وبالتالي تجمع بين الحسنيين . ومن هنا أفرد صفحات طوال في موسوعته " **العقد الفريد** " في بيان الجمال سواء كان **شكليًّا** أم **خلقيًّا**.

أولاً : الجمال الخَلقي :-

كان العرب كغيرهم من شعوب الأرض يفضلون المرأة الجميلة ويسعون إليها ليتزوجوها [٢١]، والجمال المقصود هنا هو جمال **الوجه والجسم**، وهو مطلب دائم للرجال في النساء منذ قديم الأزل وإلي

آخر الزمان . ولو نظرنا إلي **جمال المرأة**، لوجدنا **ابن عبد ربه** يحذرنا أولاً من **الجمال الأخاذ** الذي يفتن صاحبه، فذكر أن **عمرو بن حجر** [٢٢] **ملك كنده** [٢٣] أراد أن يتزوج من **ابنه عوف ابن محلم الشيباني**، وهي **أم إياس**، وكانت ذات جمال وكمال، وأرسل إليها امراة لتنظر إليها وتمتحن ما بلغه عن جمالها الأخاذ . فعادت ووصفت له جمالها الذي فاق الحدود بقولها (**... رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل ... ومع ذلك حاجبان كأنهما خطا بقلم، أو سودا بحمم، قد تقوسا علي مثل عين العبهرة** [٢٤] **... بينهما أنف كحد السيف المصقول ... حفت به وجنتان كالأرجوان ... شق فيه فم كالخاتم**) [٢٥] ثم تستكمل الوصف بوصف جسمها ومفاتنها كأحسن ما يكون .[٢٦] فأرسل **عمرو بن حجر** إلي أبيها يخطبها بعد هذا الوصف للجمال النادر والفاتن .

وكان الرجل المتزوج من امرأة جميلة يغار عليها حتي وهو في فراش المرض، فذكر **ابن عبد ربه** أن **الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب**[٢٧] كان عند احتضاره متزوجًا من **فاطمة بنت الحسين بن علي** [٢٨]، وكانت شديدة الجمال، وعندما أراد **عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان** أن يعوده في مرضه، طلب **الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب** أن لا يدخل عليه؛ لأنه توقع أن زيارته كانت لمشاهدة **فاطمة** زوجته وليس لعيادته في مرضه **!**. وبالفعل رفض طلبه لزيارته، وعندما مات وشاهد **عبد الله بن عمرو** زوجته **فاطمة** وهي تبكي علي قبرة وهي حاسرة الوجه، أرسل اليها وصيفاً له وقال له (**... قل لها: يقرئك ابن عمك السلام " المقصود عبد الله بن عمرو " ويقول لك كفي عن وجهك، فإن لنا به حاجة**)**!**. فاستجابت **فاطمة** لطلبة، وتوقفت عن لطم وجهها بيديها وأرسلت (**... يديها فأدخلتهما في كميها حتي انصرف الناس**) [٢٩] . وتزوجها **عبد الله بن عمرو** بعد ذلك، فأنجبت له **محمد بن عبد الله** الذي كان يسمى **المذهب** لجماله [٣٠] .

وبالتالي كان بعض عقلاء العرب يحذرون الناس من **جمال النساء**، ويذكرون أن ذلك يسبب الفتنة، ومن ذلك ما ذكره **ابن عبد ربه** نقلاً عن **معاذ بن جبل** [٣١] الذي قال (**... إنكم**

ابتليتم بفتنه الضراء فصبرتم، وإني أخاف عليكم من فتنة السراء : وهي النساء، إذا تحلين بالذهب، ولبسن ريط الشام [٣٢]**، وعصب اليمن، فأتعبنا الغني، وكلفن الفقير ما لا يطاق)**[٣٣].

ولو نظرنا إلي وصف العرب **للمرأة الجميلة** لوجدناها هي التي وصفها **يزيد بن عمر بن هبيرة** [٣٤] **(... شقاء، مقاء، رسحاء، بعيدة ما بين المنكبين، ممسوحة الفخدين)** [٣٥] . وأيضًا وصفت **تماضر** امرأة **عبد الرحمن بن عوف** [٣٦] ابنه عم لها **لعثمان بن عفان** [٣٧] ليتزوجها بأنها **(... جميلة، ممتلئة الخلق، أسيلة الخد** [٣٨]**، أصيلة الرأي)**، فوافق عثمان علي الزواج منها، وهي **نائلة بنت الفرافصة الكلبية**[٣٩]،التي عاش معها ورفضت الزواج من غيره من بعده.

وذكر **ابن عبد ربه** أن **عبد الملك بن مروان** [٤٠] طلب من رجل من **غطفان** [٤١] أن يصف **له أحسن النساء**، فقال له **(... خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين، ردماء الكعبين** [٤٢]**، مملوءة الساقين، جماء الركبتين** [٤٣]**، لفاء الفخذين، مقرمدة الرفغين** [٤٤]**، ناعمة الإليتين** [٤٥]**، منيفة المأكمتين** [٤٦]**، فعمة** [٤٧] **العضدين، فخمة الذراعين، رخصة** [٤٨] **الكفين، ناهدة الثديين، حمراء الخدين، كحلاء العينين، زجاء** [٤٩] **الحاجبين، لمياء الشفتين** [٥٠]**، بلجاء الجبين، شماء العرنين**[٥١]**، شنباء الثغر، كاحلة الشعر، غيداء العنق، عيناء العينين ، مكسرة البطن، ناتئة الركب)** [٥٢] فتعجب **عبد الملك** من هذا الوصف وسأله **(... ويحك ! وآن توجد هذه ؟)**، فأجابه الرجل **(... تجدها في خالص العرب، أو خالص الفرس)** [٥٣] .

وكانت **عائشة بنت طلحة** [٥٤] هي أجمل نساء زمانها حتى أن الناس كانوا يفتتنون بها، فذكر **ابن عبد ربه** أن **أبا هريرة** [٥٥] نظر إليها وقال **(... سبحان الله، ما أحسن ما غذاكِ أهلكِ، والله ما رأيت وجهاً أحسن منك إلا وجه معاوية علي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم)**[٥٦].

هذا عن الجمال بشكل عام كما يفضله العرب، ولو أمعنا النظر في التفاصيل، لوجدنا أن العرب

كانوا يفضلون **المرأة البيضاء** على **السوداء**، فيذكر **ابن عبد ربه** نقلاً عن أحد الشعراء –لم يذكر اسمه –وصف بياض المرأة بقوله :

كأن بيض نعامٍ في ملاحِفها إذا اجتلاهن قيظ ليلة ومد (٥٧).

ويذكر **ابن عبد ربه** أيضًا وصف أعرابي لامرأته بقوله (**... بيضاء جعدة، لا يمس الثوب منها الا مشاشة كتفيها، وحلمتي ثدييها**) (٥٨)

وذكر **أبو نواس** (٥٩) بياض جسم المرأة بقوله :

وذات خَّد مورد قوهية المتجرد (٦٠).

وكان العرب يفضلون **المرأة البيضاء** التي يختلط بياضها بحمره أو صفره، فقال **عدي بن زيد** (٦١) يصف لون الوجه :

حمرة خلطت صفرة في بياض مثل ما حاكِ حائك ديباجا(٦٢).

ويذكر **ابن عبد ربه** أبيات شعريه خاصه به في هذا الأمر فيقول :

بيضاء يحمر خداها إذا خجلت كما جري ذهب في صفحتي ورق (٦٣).

وكان العرب يكرهون المرأة **السوداء** ويفضلون **البيضاء** عليها، ومما قاله بعض الشعراء في **المرأة السوداء**

كأنها والكحل في مرودها تكحل عينيها ببعض جلدها (٦٤).

وينقل **ابن عبد ربه** أيضاً عن أحد الشعراء قوله في المرأة السوداء :

أشبهك المسك وأشبهته قائمة في لونها قاعدة

لا شك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحدة (٦٥).

وكان العرب أيضًا يفضلون **المرأة جميلة العينين**، فكانوا يشبهون المرأة بالمهاه، وهي بقر الوحشي لسعة عينها، فقال **حبيب الطائي** يرثي جاريه له

منحت المها هجري فلا محسناتها أريد ولا يهوي فؤادي حسانها (٦٦).

وحذر **إسحاق بن إبراهيم** الناس من النظر في عيون النساء بقوله :

أتهوون الحياة بلا جنون فكفوا عن ملاحظة العيون (٦٧).

وكتبت **عنان** جارية **الناطفي** على عصابتها

الكفر والسحر في عيني إذا نظرت فاغرب بعينيك يا مغرور عن عيني

فإن لي سيف لحظ لست أغمده من صنعة الله لا من صنعة القينِ (٦٨).

وكان العرب أيضًا يفضلون المرأة **صغيرة السن** على **الكبيرة**، فيذكر **ابن عبد ربه** أن أعرابيًّا خطب امرأة شابة، ولكن أهلها خدعوه وزوجوه عجوزاً بدلاً عنها، فقال في ذلك :-

عجوز ترجي أن تكون فتية وقد نحل الجنبان واحدودب الظهر

تدس إلي العطار سلعة أهلها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟

تزوجتها قبل المحاق بليلة فكان محاقاً كله ذلك الشهر

ما غرني إلا خضابِ بكفها وكحل بعينيها وأثوابها الصُفر (٦٩).

وذكر **ابن عبد ربه** أن أحد الرجال قال إن (**... آخر عمر المرأة شر في أوله، يذهب جمالها، ويذرب " يطول " لسانها، وتعقم رحمها، ويسوء خلقها**) (٧٠)

ويذكر في موضع آخر أن **جعفر بن محمد** قال ناصحًا رجلاً أراد الزواج أن لا يتزوج امرأة في منتصف العمر بقوله (**... إذا قال لك أحد : تزوجت نصفاً " متوسطه العمر " فأعلم أن شر النصفين ما بقي في يده! وأنشد :**

وان أتوك وقالوا إنها نصف فإن أطيب نصفيها الذي ذهبا (٧١).

وكان العرب أيضًا يفضلون المرأة **فصيحة اللسان** علي **المرأة اللثغاء**، فيذكر **ابن عبد ربه** أن رجلاً وصف امرأة لثغاء بقوله :

أول ما أسمع منها في السحر تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكر [٧٢].

وذكر أيضًا أن **يزيد بن عمر بن هبيرة** قال (**... لا تنكحن برشاء** [٧٣]**، ولا عمشاء، ولا وقصاء** [٧٤]**، ولا لثغاء، فيجيئك ولد ألثغ، فو الله لولد أعمي أحب إلى من ولد ألثغ !)** [٧٥] .

وكان العرب أيضًا يفضلون **المرأة النحيفة** على **المرأة السمينة** بشكل عام إلا إنهم قد يغفلون عن بعض أجزاء جسدها إذا كان ممتلأ، فذكر **ابن عبد ربه** أن مخنثاً –يسمي **هيت** [٧٦]– كان عند **أم سلمة** [٧٧] زوج **رسول الله صلي الله عليه وسلم** فقال **لعبد الله بن أمية** [٧٨] ورسول الله يسمع (**... أبا عبد الله، إن فتح الله لكم الطائف** [٧٩] **غداً فأنا أدلك على بنت غيلان، فإنها تقبل بأربع، وتدبر بثمان !)** [٨٠] . فقال **رسول الله صلي الله عليه وسلم** (**... لا يدخلن عليكم هؤلاء)**[٨١] . ويذكر ابن عبد ربه مثالاً أخر حدث **للحجاج بن يوسف الثقفي** [٨٢] عندما طلب من أحد الأشخاص أن يخطب لابنه **عبد الملك** امرأة (**... جميلة من بعيد، مليحة من قريب، شريفة في قومها، ذليلة في نفسها، مواتية لبعلها**)، فكتب إليه أنه قد وجدها، ولكنَّ بها عيباً واحداً وهو **عظم ثدييها**. فكتب إليه **الحجاج** قائلاً (**... لا يكتمل حسن المرأة حتي يعظم ثدياها، فتدفئ الضجيع، وتروي الرضيع)**[٨٣] .

وكان العرب يفضلون المرأة **صاحبة الزينة، طيبة الرائحة** [٨٤]، فذكر رجل من **غطفان لعبد الملك بن مروان** أن أحسن النساء هي (**... حمراء الخدين، كحلاء العينين، زجاء الحاجبين**[٨٥]**، لمياء الشفتين**) [٨٦].

وذكر **ابن عبد ربه** حث **رسول الله صلي الله عليه وسلم الناس على التطيب**، فذكر أن الرسول قال (**... إياكم والشعث، حتي لو لم يجد أحدكم إلا زيتونة، فليعصرها وليدهن بها)**[٨٧]

وقد أورد **ابن حجر العسقلاني** في " فتح الباري "، في باب " اللباس " أحاديث كثيرة عن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** يحث الناس فيها على **الزينة والتطيب** [٨٨] . والمرأة كانت ولا تزال

تحرص كل الحرص علي إبراز جمالها باستخدام مختلف أدوات الزينة المتاحة لها لتحقيق هذا الغرض، ويذكر أحد الباحثين المحدثين أن التزين والتطيب وحب الزينة اصل من أصول الرياء، يشترك الرجل مع المرأة فيه في ظاهر الأمر، ولكنه يخصها أكثر منه؛ لأن الرجل يتزين ليعزز إرادته، في حين أنها تتزين لتعزز إرادة غيرها في طلبها (٨٩).

ثانياً : جمال المرأة الخلقية :-

حرص **ابن عبد ربه** عند حديثه عن **جمال المرأة** أن يوضح أن الجمال المطلوب ليس **الخَلقي** فقط، بل أنه أيضاً **الجمال الخُلقي**؛ وذلك لأن **حسن الخلق** أصل مهم في طلب الفراغة والاستعانة علي الدين، فالمرأة إذا كانت سليطة وبذيئة اللسان، وسيئة الخلق وكافرة للنعم كان الضرر منها أكثر من النفع، والصبر علي النساء مما يمتحن به الأولياء (٩٠) . وقد حذرنا **رسول الله صلي الله عليه وسلم** من أن يدفعنا **جمال المرأة** الي الزواج بها دون أن نهتم بأصولها ومعرفة أحوال أهلها بقوله (**... إياكم وخضراء الدمن**) (٩١). أي المرأة الحسناء في المنبت السوء .

وينقل **ابن عبد ربه** عن نبي الله **سليمان بن داوود** (٩٢) قوله : (**... الجمال كاذب، والحسن مخلف، وإنما تستحق المدح المرأة الموافقة**) (٩٣) . أي التي تطيع زوجها؛ لأن الجمال والحسن قد يطرأ عليهما ما يغيرهما . وبالتالي فهما عرض زائل، وأما الطبع الجميل، فهو الذي يبقي ولا يتغير . وينقل **ابن عبد ربه** عن **معاوية بن أبي سفيان** أنه سأل **صعصعة بن صوحان** (٩٤) : (**... أي النساء أشهي إليك ؟، فأجابه : المواتية لك فيما تهوي**) (٩٥) . وذكر أيضاً أن المرأة سيئة الخلق هي التي وصفها أعرابي بقوله (**... مشرفة الأذنين، جاحظة العينين، ذات خلق متضائل، يعجبك الباطل، إن شبعت بطرت، وإن جعت صخبت، وإن رأيت حسناً دفنتيه، وإن رأيت سيئاً أذعتيه، تكرمين من حقرك، وتحقرين من أكرمك**) (٩٦).

وبالتالي حرص **ابن عبد ربه** على ان يوضح لنا أن أفضل النساء خلقاً هي التي (**... إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئاً جودت، التي تطيع زوجها وتلزم بيتها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود الولود، وكل أمرها محمود**)[٩٧]. ويذكر أن هذه المرأة لن تكون إلا في **الجنة !!** . وذكر ذلك عندما قال: إن امرأة كانت تدل علي النساء – الغالب أنها خاطبة – جلس إليها **خالد بن صفوان** [٩٨] وسألها عن امرأة (**... بكراً كثيب، أو ثيباً كبكر، حلوة من قريب، فخمة من بعيد، كانت في نعمة، فأصابتها فاقة، قمعها أدب النعمة، وذل الحاجة، فإذا اجتمعنا، كنا أهل دنيا، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة**)، فأجابته أنها موجودة، ولكن (**... في الرفيق الأعلى من الجنة فاعمل لها**) .[٩٩]

ورغم ذلك حرص **ابن عبد ربه** على أن يوضح لنا ما يعاب علي **أخلاق المرأة**، فذكر أن من أهم عيوبها **الغيرة**، فذكر أن رجلاً من أهل **الكوفة** خرج إلى الحرب، فوصل إلى **اذربيجان**[١٠٠] واشتري جارية وأرسل إلى زوجته ليغيرها :

ألا ابلغوا أم البنين بأننا ... غنينا وأغنتنا الغطارفة المرد

بعيد مناط المنكبين إذا جري ... وبيضاء كالتمثال زينها العقد

فغارت المرأة من زوجها، وأرادت أن تثير غيرته فكتبت إليه تجيبه :

إذا شئت غناني غلام مُرجل ... ونازعته من ماء معتصر الورد

وان شاء منهم ناشئ مد كفه ... إلى كبد ملساء أو كفل نهد

فما كنتم تقضون من حاج أهلكم ... شهوراً قضيناها علي النأي والبعد [١٠١]

فأصابت الرجل غيرة شديدة، وأسرع بالرحيل صوب بيته في **الكوفة**. ودخل عليها غاضبًا وسألها (**... بالله هل كنت فاعلة ؟**) فأجابته بقولها (**... الله أجل في قلبي وأعظم، وأنت في عيني أذل وأحقر من أن أعصي الله فيك، فكيف ذقت طعم الغيرة ؟**). فوهب الزوج لها الجارية،

وانصرف عائداً إلى **اذربيجان**[١٠٢]. وذكر أيضًا **ابن عبد ربه** مثال آخر **لغيرة المرأة** عندما تحدث عن صدامٍ حدث بين زوجتين لرجل واحد، القديمة والجديدة [١٠٣] .

وحذرنا **ابن عبد ربه** من المرأة **قليلة العقل** التي تتسمع وتنظر إلى غيرها، وإن لم يكن هناك شيء تصورته حقيقة، وبالتالي فهي **مضطربة العقل** [١٠٤] . وقدم لنا مثالاً علي **عقل المرأة،** فذكر أن **الحسن بن علي بن الحسين** قال لامرأته **عائشة بنت طلحة** [١٠٥] **(أمرك بيدك)** فقالت : **(قد كان عشرين سنة بيدك، فأحسنت حفظه، فلم أُضيعه إذا صار بيدي ساعة واحدة، وقد صرفته إليك)** [١٠٦] فأعجبه ذلك منها وازداد تمسكاً بها .

وحذرنا **ابن عبد ربه** من **المرأة التي تدخل علي الجيران** فتوقع بينهم، وذلك عندما ذكر أن رجلاً طلب أن يتزوج من امرأة **(... لا تؤنس جارًا، ولا توهن دارًا، ولا تثقب نارًا)**[١٠٧] . وبالتالي فهي لا تدخل على الجيران، ولا يدخل عليها الجيران ولا تغري بينهم بالشر [١٠٨] . ومن أبرز عيوب المرأة التي ذكرها **ابن عبد ربه المرأة المدللة،** فذكر أن **الشعبي** [١٠٩] تزوج من امرأة من **بني تميم**[١١٠] فدخلت عليه أمها وحذرته بقولها **(... أن المرأة لا تكون أسوأ منها في حالتين : إذا ولدت غلاماً، أو حظيت عند زوجها ... فو الله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة)**[١١١].

ويذكر **ابن عبد ربه** نقلاً عن **حيوة بن شريح** [١١٢] أن الرجل يجد صعوبة في الوصول إلى امرأة توافق طباعه، فمن بين عشرة من النساء، يمكن أن يجد واحدة فقط منهن توافق طباعه[١١٣]. وبالتالي ينصح الزوج أن يعرف **طباع زوجته** قبل الزواج بها، وأن تعرف الزوجة أيضًا طباع زوجها، فيذكر أن **زوجه الشعبي** قالت له **(... إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تحب فآتيه، وما تكره فازدجر عنه)** [١١٤]. وبالتالي كان على الرجل أن يعرف طباع زوجته قبل الزواج بها، وإذا تزوجها دون أن يعرف، فعليه أن يتعامل معها كما هي، فذكر **ابن عبد ربه** أن

نبي الله **إبراهيم عليه السلام** شكى إلى ربه رداءه في خلق زوجته **سارة**، فأوحي الله إليه (**... أن ألبسها على لباسها، ما لم تري فيه دينها وصمه " عيب "**) [١١٥] وهذا يتمشي مع ما نصحنا به **رسول** الله **صلى الله عليه وسلم** عندما قال (**المرأة كالضلع، إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج**) [١١٦] .

وذكر **ابن عبد ربه** أيضًا أن من **أسوأ النساء** خلقاً **المرأة الغادرة**، فذكر أن **الغساني** غزا **الحارث بن عمرو أكّل المرار الكندي** [١١٧]، فلم يجده في منزله، فأخذ زوجته، فلما أصابها أعجبت به. وقدم **الحارث** وقتل غريمه واستعاد زوجته، وسألها (**هل أصابك ؟**) فقالت (**...نعم والله ما اشتملت النساء على مثله قط !**) [١١٨] فقتلها شر قتلة وقال :

بعد هند لجاهل مغرور [١١٩] **إن من غره النساء بود**

وقدم لنا **ابن عبد ربه** نموذجًا مضادًا **للمرأة الغادرة**، وهي **المرأة الوفية** لزوجها حتى ولو مات، فذكر أن **نائلة بنت الفرافصة الكلبية** – زوج **عثمان بن عفان** – انصرفت من أمام قبر زوجها وقالت (**... إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان في قلبي !، فدعت بفهر " حجر صغير "، فهشمت فاها، وقالت : والله لأقعد مني رجل مقعد عثمان أبداً**)[١٢٠].

خاتمـــــة

وهكذا ذكر لنا **ابن عبد ربه** أن العرب كانت تفضل المرأة **البكر** على **الثيب**، وأن تزوج البنت من **ابن عمها** على **الغريب**. بالإضافة إلى سعيها أن يكون الزوج **صاحب عقل** وإن كان **فقيراً**، على أن يكون **صاحب مال** ولا حظ له من **العقل**. وحدثنا على حرص العرب على **نصيحة** بناتهم قبل الزواج على حسن معاملة الزوج وتجنب إغضابه، والاهتمام بتحقيق الراحة له . ثم يحدثنا أن **الجمال نوعان، خَلقِي وخُلقِي** . ففي الجمال **الخَلقِي** يحدثنا عن **الجمال الأخاذ** الذي يسحر القلوب والعقول ويحذرنا منه . ويذكر لنا مواصفات هذا الجمال كما رآه أصحاب العقول الراجحة والعيون الثاقبة، فيذكر لنا بعض مواصفات هذا الجمال مثل **العيون الجميلة، واللون الأبيض** المضرب بحمرة، **وجمال وتناسق الجسم** . ويذكر لنا أن العرب كانت تفضل المرأة صغيرة السن علي **الكبيرة، وفصيحة اللسان** على **اللثغاء، والنحيفة** على **السمينة**، وصاحبة **الزينة**، والرائحة **الطيبة** على **الشعثاء** .

ثم يعرج بنا **ابن عبد ربه** إلى الجمال **الخُلقي**، فيذكر أن **الطبع الحسن** هو الذي يدوم، وأن **الجمال والحُسن** قد يطرأ عليهما ما يغيرهما . فيذكر لنا أن من أهم عيوب الجمال **الخُلقي** للمرأة **الغيرة، وقلة العقل، والغدر** . وبالتالي يذكر لنا **ابن عبد ربه** أن **الجمال مطلوب ومستحب، ولكن علينا أن لا يغلب علينا حبه على أن ننظر إلى الخلق ونسعي إليه؛ لانه هو الذي يدوم ويبقى** .

الهوامش

1- القرآن الكريم: سورة النساء، آية ٣. وذكر ابن قدامة المقدسي أن الأصل أن نقول كلمة **نكاح** بدلاً من **زواج**، فقد اشتهر في الكتاب والسنة استعمال لفظ نكاح بإيذاء العقد في الكتاب والسنة ولسان أهل العُرف. ابن قدامة المقدسي: المغني، ج٩، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الله الحلو، دار عالم الكتاب، الرياض، ط٥، ٢٠٠٥ م، ص ٣٣٩ .

2- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٢، بيت الأفكار الدولية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤ م، ص ٢٢٣٦، حديث رقم ٥٠٦٦، كتاب النكاح .

3- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، تحقيق أحمد أمين وآخرون، سلسلة الذخائر رقم ١١٦، الهيئة المصرية لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٨٢ .

4- ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج٦، ص ٨٢ .

5- ابن عبد ربه: نفسه، ج٦، ص ٨٢ – ٨٣ .

6- ابن عبد ربه: نفسه، ج٦، ص ٨٦ . وكان هذا الحديث الذي استشهد به ابن عبد ربه من حديث قيس بن زهير عندما قدم على النمر بن قاسط وطلب منه أن يزوجه من امرأة قد أزلها الفقر وأدبها الغني، ولها حسب وجمال.

7- هبنقه: لقب ذي الوداعات يزيد بن ثروان، الذي يضرب به المثل في الحمق؛ لأنه جعل في عنقه قلاده من ودع وعظام وخزف، مع طول لحيته، فسئل فقال: لئلا أضل، فسرقها أخوه في ليله وتقلدها. فأصبح هبنقه ورآها في عنقه فقال: أخي أنت أنا فمن أنا؟. فضرب به المثل في الحمق. ابن عبد ربه: طبائع النساء، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٦٨، هامش١ .

8 – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص ١٠٠ .

9- **الأصمعي**: هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي، الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدباء، لسان العرب، أحد أئمة اللغة الأقدمين من البصريين، حفظ لغة البدو ولهجاتها. وكان معلماً للأمين، ولولاه لذهبت أكثر دواوين العرب. توفي سنة ٢١٦هـ/٨٣١م عنه انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ١٧٠ – ١٧٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ٢٠٠٤ م، ص ٢٥٧٩ – ٢٥٨٠، ترجمة رقم ٣٥٢١ .

10- ابن عبد ربه: العقد الفيد، ج٣، ص٤٧٠ .

11- ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج٣، ص ٤٧٠.

12- ابن عبد ربه: نفسه، ج٦، ص ١٠٣ . ود ذكر ابن قتيبة هذه الرواية نقلاً عن الأصمعي. لمزيد من التفاصيل انظر ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٤، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٣ .

13- ابن عبد ربه: نفسه، ج٦، ص ١١٧. والضوي: الهزال، ودقة العظم وقلة اللحم، وأضوي دق وأضعف، والمرأة ولدت ولداً ضاوياً. الرازي: مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣م، ص٣٣٥ .

14- حسب بعض الدراسات الحديثة، فإن زواج الأقارب يورث ٨٢ مرضاً مثل الإجهاض المبكر، والإعاقات المتعددة، ومرض الحويصلات المتعددة بالكلي، مرض التلاسيميا، وغيرها من الأمراض. وعن زواج الأقارب، انظر بولس البولس: عوائد العرب، لبنان، ١٩٢٦م، ص ٦١-٦٤؛ جمال عبد الناصر: نعم للاغتراب، لا لزواج الأقارب، مقال علي شبكة الألوكه .www.alukah.net /social/0/8061/ .

15- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص ١٠٠ . ويكمل ابن عبد ربه الرواية بأن الرجل لفقره طلب النصيحة من رجل آخر، فقال له زوجها اياه، فان ماله لها وحمقه علي نفسه . ففعل، ولكنه رأي منه ما يكره في نفسه وابنته فقال:

ولهفي اذا اطعت ابا العلاء ألهفي اذا عصيت أبا يزيد

وكانت زلقه من غير ماء !! وكانت هفوة من غير ريح

ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج٦، ص١٠١.

16- ابن عبد ربه: نفسه، ج٦، ص ١٠١ . وذكر أحد الباحثين المحدثين هذه الرواية نقلاً عن كتاب " أثر المعدة في الأدب العربي " لبهيج إسماعيل، وعلق علي هروب الرجل من تلك المرأة بأنه خشي أنها قد تأكله إذا جاعت !.أحمد بهجت: تأملات ساخرة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٨٦ م، ص ١٣٢ – ١٣٣ .

17- ابن عبد ربه: نفسه، ج٦، ص ١٠٢.

18- عنه انظر الكلبي: جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٣ م، ص ٤٩١ – ٤٩٢ ؛ ابن سعيد المغربي: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ج١، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الاقصي، الأردن، ط١، ١٩٨٢م، ص، ١٥٢، ٢٤٤ – ٢٤٥ ؛ القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ٣٣٩ .

19- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٦، ص ٨٣ .

20- ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج ٦، ص ٨٣ .

21- دلل ابن عبد ربه علي حب العرب للجمال برواية عن أعرابي نظر إلى امرأة حسناء جميلة تسمي ذلفاء ومعها صبي يبكي، وكلما بكى قبلته، فانشأ يقول:

تحملني الذلفاء حولاً اكتعاً **يا ليتني كنت صبياً مرضعاً**

فلا ازال الدهر ابكي أجمعاً . **اذا بكيت قبلتني اربعاً**

ابن عبد ربه: نفسه، ج ٣، ص ٤٦٠. لقد جاء الإسلام يهتف بالناس لكل جميل، ويدعوهم إلى كل فضيلة مثلي ويرشدهم إلى كل ما من شأنه أن يأخذ بهم إلى الجمال، جمال السلوك، وجمال القول، وجمال الصنعة، وجمال العلاقات مع الغير، وجمال الطبيعة، والطبيعة البشرية مجبلة علي قبول الحسن ورفض القبيح . مصطفي محمد لطفي القطان: رأي الاسلام في الآداب والفنون الجميلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الأعمال الفكرية والثقافية رقم ١٨، القاهرة، ٢٠١٣ م، ص ٦٦، ٦٨ ؛ مختار قطش: مفهوم الجمال عند الجاحظ، مقال بمجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٨، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٢ م، ص ٢٠٩ – ٢١٠ .

22- عنه راجع ما سبق، ص ١٦، هامش ١٨ .

23- كنده: قبيلة من كهلان، وكنده هذه أبوهم واسمه ثور، وسمي كنده، لأنه كند أباه، أي كفر نعمه . وكنده هذا أخى قصي جذام، ولخم وعامله، وبلاد كنده باليمن، وكان لكنده ملك بالحجاز واليمن، ومنهم امرؤ القيس بن عابس الكندي الصحابي . عنهم انظر ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص ٣٩١؛ القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٣٦٦ .

24- العبهرة: الرقيقة البشرة الناصعة البياض، والسمينة الممتلئة، والجامعة للحسن في الجسم والخلق . وكان العرب يشبهون عيون المرآة بعيون المها " بقر الوحشي " . ابن عبد ربه: طبائع النساء، ص ٨٥، هامش ٥ . وذكر الثعالبي في فقه اللغة ان العبهرة هي المرأة العظيمة . الثعالبي: فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢ م، ص ٧١.

25- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦،ص ١١٠ .

26- للمزيد من التفاصيل، انظر ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج٦، ص ١١٠ .

27- هو أبو محمد الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، حدث عن أبيه وعن عبد الله بن جعفر، وهو قليل الرواية والفتية مع صدقه وجلالته . ذكر الذهبي أن له أخبارًا طويله في تاريخ ابن عساكر، وأنه كان يصلح للخلافة . توفي سنة ٩٧هـ/٧١٥م، وقيل ٩٩هـ/٧١٧م. عنه انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص ١٤٠٠، ترجمة ١٥٣٠ .

28- كانت شديدة الجمال، وهي تشبه أمها الجرباء بنت قسامه، التي سميت بالجرباء لشده حسنها، فجاءت فاطمة على جمال أمها الذي لا يدانيه جمال آخر. واختارها الحسن بن الحسن بن على للزواج وطلب من عمه الحسين بن علي أن يزوجه إياها؛ لأنها كانت أكثر الناس شبها بالسيدة فاطمة بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام . عنها انظر الزُهري: تهذيب طبقات النساء، تهذيب هاني مهنا طه، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤ م، ص ٣١٦، ترجمة ٥٥٥؛ الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ج١، شرح السيد أحمد صقر، سلسلة الذخائر، رقم٩٧، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص ١٧٩- ١٨٠ ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ٤٨٠، ج٣، ص ٢٩- ٧٠ .

29- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ٩١- ٩٢ .

30- ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٢ . وذكر ابن عبد ربه في موضع آخر أن سلمة بن محارب قال (.. ما رأيت قرشيًّا قط كان أكمل ولا أجمل من محمد بن عبد الله بن عمرو الذي ولدته فاطمة بنت الحسين). ابن عبد ربه: نفسه، ج ٦، ص ٩٢ ؛ وانظر أيضًا الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ج١، ص١٨٠ .

31 – معاذ بن جبل: هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، وشهد العقبة مع السبعين، وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلي الله عليه وسلم، وأردفه رسول الله وراءه وبعثه إلى اليمن بعد غزوة تبوك، وشيعه ماشياً في مخرجه وهو راكب . وتوفي سنة ١٨ هـ /٦٣٩ م، عنه انظر الزُهري: تهذيب طبقات الصحابة، تهذيب هاني مهنا طه، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ١٥٤، ابن الجوزي: صفوة الصفوة، تحقيق خالد طرطوسي، دارالكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٧٨- ١٨٢؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٦، ص ٤٩، ج٧، ص ٢١٤ ؛ الذهبي: سير أعلام، ج٣، ص ٣٨٦٩ – ٣٨٧٣، ترجمة رقم ٦١٥٨.

32- جمع ريط: ريطة وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسيجاً واحداً . الرازي: مختار الصحاح، ص ٢٦٦

33- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص ١٠٣ .

34 – هو أبو خالد يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري، نائب الخليفة مروان بن محمد الأموي، كان بطلاً شجاعًا، سائسًا جوادًا، فصيحًا خطيبًا، وكان من الأكلة، وله في كثرة الأكل أخبار، هزمة العباسيون فهرب إلى واسط، ثم خدعه المنصور وأمنه ثم انقلب عليه وقتله. ولد سنة ٧٧هـ/٦٩٦م، وتوفي سنة ١٣٢ هـ/٧٤٩م. عنه انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص ٣١٣- ٣٢١ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٢٢٨، ترجمة رقم ٦٧٤٤ .

35 – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص ١٠٣. والمقصود بالشقاء: أي كأنها شق جبل، ومقاء: طويلة، ورسحاء: صغيرة العجيزة أرادها للولد؛ لان الأرسخ أفرس من العظيم العجيزة، فقد قال عمرو ابن هبيرة لرجل: ما أنت بعظيم الرأس، فتكون سيداً ولا بأشج، فتكون فارسًا. الرازي: مختار الصحاح، ص ٣٤٣–٣٤٤، ٦٢٩.

36– هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل عبد الحارث، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن. أسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين، وشهد المشاهد كلها، وثبت مع رسول الله يوم أحد، وصلي الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك . وتوفي سنة ٣٢ هـ /٦٥٢ م . عنه انظر الزهُري: تهذيب طبقات الصحابة، ص ٤٣ – ٤٥ ؛ ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ص ١٢٨ – ١٣٠ ؛ الذهبي: سير أعلام، ج٢، ص ٢٢٠٩– ٢٢٣١، ترجمة قم ٢٨٦١ .

37 – عنه انظر الزُهري: المصدر السابق، ص ٢٩– ٣٣؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ص ١١١ – ١١٥؛ ابن سعيد المغربي: نشوة الطرب، ج١، ص ٢٦٩، ٣٤٦، ٤٣٣، ج٢، ٦٥٢.

38 – أسيلة الخد: أي لينة الخد مع طوله، وكل مسترسل فهو أسيل. ابن عبد ربه: طبائع النساء، ص٣٨، هامش ١

39– ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص ٩١ .

40 – عنه انظر الذهبي: سير أعلام، ج٢، ص ٢٥٨٣ – ٢٥٨٤، ترجمة رقم ٣٥٢٩ .

41 – غطفان: بطن من قيس عيلان من العدنانية، وهم بنو غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، ومنازلهم مما يلي وادي القرى، وجبلي طي رجاء وسلمي . ثم تفرقوا بعد الفتوحات الإسلامية واستولت على مواطنهم هناك قبائل طي. عنهم انظر الكلبي: جمهرة النسب، ص ٢٣ – ٢٤؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٣، ص٣٥١؛ القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٣٤٨ .

42– الرد هو السد، أي ليس بهما شقوق . الرازي: مختار الصحاح، ص ٢٤٠ .

43– الشاه الجماء التي لا قرن لها، ويقصد إن ركبتيها غير بارزتين . الثعالبي: فقه اللغة، ص ١١٠ .

44– الرسغ هو أصل الفخذ أي مطلي بالطيب والزعفران . ابن عبد ربه: طبائع النساء، ص٥٣، هامش٣.

45– الية الشات، وهي اللحمة التي تحت الإبهام. الثعالبي: فقه اللغة، ص ١٥٦ .

46– المأكم والمأكمة تكسر كافها لحمة علي رأس الورك، ويقصد أنها عظيمة المأكمتين . ابن عبد ربه: طبائع النساء، ص ٥٣، هامش ٥ .

47- فعم الساعد والإناء: امتلأ، وفعمة المرأة: استوي خلقها، وغلظت ساقاها فهي فعمة . الرازي: مختار الصحاح، ص ٥٠٨ ؛ ابن عبد ربه: المصدر السابق، ص ٥٣، هامش ٦ .

48- ناعمة الكفين . ابن عبد ربه: نفسه، ص ٥٣، هامش ٧ .

49- إذا رق حاجة المرأة في طول فهي زجاء. والحاجب أزج، والتزجيج حف ما حول الحاجبين من الشعر وأطالتهما بالأسمد. الرازي: مختار الصحاح، ص ٢٨٦ – ٢٨٩ .

50 – اللامي سواد بالشفة . والتلمية خضاب بالشفاه بالأسمد حتي تحكي اللمي الطبيعي . ابن عبد ربه: طبائع النساء، ص ٥٣، هامش ٩ .

51- العرينين: الأنف وشماء عالية، ويقصد أن فيها عزة. وامرأة شماء: عالية الأنف . ابن عبد ربه: المصدر السابق، ص ٥٣، هامش ١١ .

52- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص ١٠٨ .

53- ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج ٦،ص ١٠٨

54- هي عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التميمي بنت أخت ام المؤمنين عائشة، تزوجها ابن خالها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، ثم بعده أمير العراق مصعب بن الزبير بن العوام، فأصدقها مصعب مائة ألف دينار . قيل كانت أجمل نساء زمانها وأرسهن، وحديثها مخرج في الصحاح . روت عن خالتها عائشة، وتوفيت بعد سنة ١١٦هـ/٧٣٤م. عنها انظر الذهبي: سير أعلام، ج٢، ٢٠٧٧، ترجمة رقم ٢٦١٢.

55- أبو هريرة: هو أبو هريرة الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيد الحفاظ الإثبات، والمشهور عنه انه كني بأولاد هرة برية، قال وجدتها فاخذتها في كمي، فكنيت بذلك . وتوفي سنة ٥٧هـ/٦٧٦م. عنه انظر ابن سعد: الطبقات الكبير، ج٢، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص، ٣١٢ – ٣١٤ .

56 – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٦، ص١٠٩. وقد ذكر ابن عبد ربه تفاصيل كثيرة عن جمالها وافتتان الناس بها.

57- ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج ٦، ص ١١٥ .

58 – ابن عبد ربه: نفسه، ج٣، ص ٤٦٢.

59 – أبونواس: هو ابو علي الحسن بن هانئ الحكمي، المعروف بأبى نواس الشاعر الشهير، ولد بالاهواز ونشأ بالبصرة، مدح الخلفاء والوزراء. قيل لقب بهذا اللقب لضفيرتين كانت تتوسان على عاتقيه. توفي سنة ١٩٥هـ/٨١٠م عنه انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص ١٩٥ – ٢٠٤ ؛ الذهبي: سير أعلام، ج١، ص ١٤٥٤، ترجمة رقم ١٦٥٤ .

60- ابن عبد ربه: طبائع النساء، ص ١١٢ .

61- عدي بن زيد: هو عدي بن زيد بن الحمار العبادي التميمي النصراني، من فحول الشعراء، وهو أحد الفحول الأربعة، وهم: هو وطرفة بن العبد، وعبيد الله بن الأبرص، وعلقمة بن عبده. توفي سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م. عنه انظر الكلبي: جمهرة النسب، ص ٢٤٩؛ الذهبي: سير أعلام، ج ١، ص ٢٦٧٣، ترجمة رقم ٣٧٤٨ .

62- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص ١١٦ .

63- ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج٦، ص ١١٦ .

64- ابن عبد ربه: نفسه، ج٣، ص ٤٥٨.

65- ابن عبد ربه: نفسه، ج٣، ص ٤٥٨.

66- ابن عبد ربه: نفسه، ج ٣، ص٢٨١ .

67- ابن عبد ربه: نفسه، ج ٦، ص ٤٢٤ .

68 – ابن عبد ربه: نفسه، ج٣، ص ٤٢٦.

69- ابن عبد ربه: نفسه، ج٣، ص ٤٥٧. وذكر ابن عبد ربه هجاء أحد الأعراب لامرأته لكبر سنها بقوله:-

يا بكُر حواء من الاولاد	**وام الالاف من العباد**
عمرك ممدود الي التناد	**فحدثينا بحديث عاد**
والعهد من فرعون ذي الاوتاد	**يا اقدم العالم في الميلاد**

ابن عبد ربه: نفسه، ج٣، ص ٤٥٧.

70 – ابن عبد ربه: نفسه، ج ٦، ص ١١٣ .

71- ابن عبد ربه: نفسه، ج ٦، ص ١١٣ .

72- ابن عبد ربه: نفسه، ج ٦، ص ١١٤ .

73 – البرشاء: ما كان علي جلده نقط بيضاء، أو يخالف لونها لون الجلد ويقال له برش، برشاء، وبرشه، أي اختلف لونه فهو أبرش، وهي برشاء . مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٩٥ م، ٤٥ .

74 – الوقصاء: قصيرة العنق . الرازي: مختار الصحاح، ص٧٣٢ ؛ مجمع اللغة العربية: المرجع السابق، ص ٦٧٨ .

75 – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٦، ص ١١٣ . وذكر الجاحظ أن الحروف التي تدخلها اللثغة هي أربعة حروف: القاف، السين، واللام، والراء . الجاحظ: البيان والتبين، ج١، تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة الذخائر رقم ٨٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص ٣٤ .

76 – ذكر التيجاني اسمه في تحفه العروس، وذكر أنه كان في المدينة في أيام رسول الله ثلاثة من المخنثين يدخلون علي النساء فلا يحجبون وهم " هيت، وهرم، وماتع " . التيجاني: تحفة العروس، ومتعة النفوس، تحقيق خليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط ١، ١٩٩٢ م،ص ٢٥٥.

77– أم سلمة: هي هند بنت ابي أمية بن المغيرة المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد، من المهاجرات الأول، كانت قبل النبي صلي الله عليه وسلم عند اه من الرضاعة ابي سلمة بن عبد الاسد المخزومي الرجل الصالح . دخل بها النبي في سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسباً، وكانت أخر من ماتت من أمهات المؤمنين . عنها انظر الزُهري: تهذيب طبقات النساء، ص ٤٩– ٥١ ؛ ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ص ٦٦– ٦٧ ؛ الذهبي: سير اعلام، ج٣، ص ٤١٠٧، ترجمة ٦٥٣٧ ؛ عبد الرحمن عميرة: رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآناً، مج١، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص ٤٨، ١٣٧، ١٨٦، ج٢، ص ٢٠٨ ؛ عائشة عبد الرحمن: تراجم سيدات بيت النبوة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص ٢٦٥ –٢٧٨ .

78– هو عبد الله بن أمية بن المغيرة أخو السيدة أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم. عنه آنظر التيجاني: تحفة العروس، ص ٢٥٥ .

79– الطائف: تسمي وج، وهو الطائف، وقيل هو وادي الطائف، في كتاب رسول الله صلي الله عليه وسلم لثقيف . وهي مدينة صغيرة نحو وادي القري، وهي طيبة الهواء وأكثر فواكه مكة منها، وأكثرها الزبيب . عنه انظر ابن خرداذابة: المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت، ص ١٨٧– ١٨٨ ؛ الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، سلسلة الذخائر، رقم ١١٩، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤ م، ص ٢٤ ؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص ٦٠٨ .

80 – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٦، ص ١٠٥ .

81– ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج، ص ؛ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٢، ص ٢٣٢٧ – ٢٣٢٨، حديث ٥٢٣٥ . وقد أورد التيجاني الرواية بالتفصيل عما في العقد الفريد، فذكر أن المخنث ويدعي هيت ذكر لعبد الله بن أمية بن المغيرة في وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم (.. إن فتح الله عليكم الطائف غداً، فعليك ببادية

بنت غيلان بن متعب، فإنها مبتلة هيفاء، شموع نجلاء، ن قامت تبنت، وان إقعدت تثنت، وإن تكلمت تغنت، تقبل بأربع وتدبر بثمان، مع ثغر كالأقحوان، وثدي كالرمان، أعلاها قضيب، وأسفلها كثيب، وبين رجليها كالقعب المكفأ ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سمع كلامه (لقد غلغلت النظر،ما كنت أحسبك إلا من غير أولي الإربة). ومنع دخوله علي نسائه بعد ذلك . التيجاني: تحفة العروس، ص ٢٥٥ – ٢٥٦ .

82 – الحجاج بن يوسف الثقفي: كان ظلومًا جبارًا، سفاكًا للدماء، وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء، وفصاحة وبلاغة وتعظيم للقرآن. تولى العراق والمشرق لبني أمية مدة عشرين عاماً . وذكر الذهبي أن له حسنات مغمورة في بحر ذنوبه . عنه انظر الطبري: تاريخ الطبري، تحقيق أبى صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ٢٠٠٢ م، ص ١٢٥٨ – ١٢٥٩ ؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥ م، ص ٣٠٧ – ٣٠٩ ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٩– ٥٤ ؛ الذهبي: سير أعلام، ج١، ص ١٣٧١، ترجمة ١٤٧٠ .

83 – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٦، ص ١٠٧ . وذكر ابن قتيبة في عيون الأخبار أن الحجاج قال (... لا يحسن نحر المرأة حتي يعظم ثدياها) في حين ينسب باقي القول وهو (... تدفئ الضجيع، وتروي الرضيع) إلى علي بن أبي طالب . وكان الترتيب مختلفاً عما ذكره ابن عبد ربه !، فقال ابن قتيبة نقلاً على ابن أبي طالب (... لا تحسن المرأة حتي تروي الرضيع، وتدفئ الضجيع) . ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٤، ص ٣٠ . وذكر أحد الباحثين المحدثين أن المرأة كانت في العصر المملوكي تعتبر جميلة إذا كانت بيضاء البشرة ناعمة الملمس، ذا وجه مستدير يشبه القمر في استدارته ومفرطة البدانة، ذات صدر كبير ممتلئ، وأرداف عريضة. أحمد عبد الرازق: المرأة في العصر المملوكي، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ١٤٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩ م، ص ١٥٦ .

84 – يذكرالتيجاني نقلاً عن السيدة عائشة أنها قالت (... إن النساء لعب الرجال، فليزين الرجل لعبته ما استطاع، فإن ذلك ادعي لشهوته، وأملاً لعينيه، وأظهر لمحاسن المرأة، وأدوم للألفة والمودة). التيجاني: تحفة العروس، ص ١٢٩ .

85– إذا رق حاجب المرأة في طول فهي زجاء، والحاجب أزج، والتزجيج حف ما حول الحاجبين من الشعر وأطالتهما بالأسمد. وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك . انظر ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٣، ص ٢٦٢١ – ٢٦٢٢ .

86– ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٦، ص ١٠٨ .

87 – ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٢٦ . وذكر البخاري أن السيدة عائشة قالت (... كنت أطيب النبي صلى الله عليه وسلم بأطيب ما يجد، حتي أجد وبيض الطيب في رأسه ولحيته) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٣، ص ٦١٦، حديث ٥٩٢٣، باب اللباس . وانظر أيضًا محمود قريبيز: فكرة الجمال عند صوفية الأندلس، مقال بمجلة دراسات أندلسية، العدد ٤٩، ٢٠١٣ م، تونس، ص ٨٠ .

88– لمزيد من التفاصيل، انظر ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج٣، ص ٢٦١٦– ٢٦٢١ . وذكر ابن قتيبة أن الفرافصة الكلبي نصح ابنته نائلة حين جهز هل للزواج من عثمان بن عفان قائلاً (... يا بنيه إنك تقدمين علي نساء قريش وهن أقدر علي الطيب منك، فلا تغلبي علي خصلتين: الكحل والماء، تطهري حتي يكون ريحك ريح شن أصابه المطر) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٤، ص ٧٦ .

89– عباس محمود العقاد: المرأة في القرآن، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠ م، ص ٢٠. وحول زينة المرأة، انظر ناريمان عبد الكريم: المرأة في العصر الفاطمي، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٦٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣ م، ص ١٤٣ – ١٧٤ .

90 – محمد عثمان الخشت: المرأة المثالية في أعين الرجال، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط ١، ١٩٨٤ م، ص ٤٧ .

91 – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٦، ص ١١١ . وذكر ابن عبد ربه الأصل الطيب وضرورة البحث والتقصي عنه عند حديثة عن عقيل بن علفة المري الذي كان خلفاء بني أمية يطلبون منه أن يزوجهم بناته، وذلك عندما طلب منه عبد الملك بن مروان أن يزوج ابنته لأحد أولاده، قال له عقيل (... جنبني هجناء ولدك) ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص٦٣ .

92 – عنه انظر الطبري: تاريخ الطبري، ص١٦٢ – ١٦٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ٢٠٠٢ م، ص ٦٧– ٧٠ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٢، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨ م، ص ١٨ – ٣٢ .

93 – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٦، ص ٨٢ .

94– صعصعة بن صوحان: أبو طلحة، أحد خطباء العرب، وكان من المشاهير في معرفة أنساب العرب، كان من كبار أصحاب علي، قتل أخواه يوم الجمل فأخذ صعصعة الراية . ودخل على معاوية فخاطبه، فقال معاوية: كنت لأبغض أن أراك خطيباً !، فقال: وأنا كنت أبغض أن أراك خليفة . عنه انظر ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٢، ص ١٣٧، ج٤، ص ١٠١ ؛ الذهبي: سير أعلام، ج٢، ص ٢٠٢٥، ترجمة رقم ٢٥٣٠. وذكر ابن عبد ربه أن صعصعة سأل معاوية يا أمير المؤمنين كيف ننسبك إلى العقل وقد غلب عليك نصف إنسان ؟

فيقصد سيطرة زوجة معاوية عليه، فأجاب معاوية بأن النساء (... يغلبن الكرام، ويغلبهن اللئام) . ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٦، ص ١٠٦ .

95- ابن عبد ربه: المصدر السباق، ج ٦، ص ١٠٦

96- ابن عبد ربه: طبائع النساء، ص ١٥٥ .

97 – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص ١٧ .

98-. خالد بن صفوان: العلامة البليغ، فصيح زمانه، وفد علي عمر بن عبد العزيز، وذكر الذهبي أنه لم يعرف تاريخ وفاته، ولكنه ذكر أنه كان أيام التابعين، عنه انظر خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص ٢٤٨ ؛ الجاحظ: البيان والتبين، ج١، ص ٤٧ ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١١ – ١٢ ؛ الذهبي: سير أعلام، ج٢، ص ١٥٩٧، ترجمة رقم ١٩٠٨ .

99- ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٠٧ .

100- إذربيجان:- تقع في إقليم الرحاب على حسب تسمية المقدسي، أكبر مدينة بها هي أردبيل، وهي مدينة خصبة، وأسعارها رخيصة، ولها رساتيق وكور، وكانت في قديم الأيام المعسكر ودار الإمارة. عنها انظر الاصطخري: المسالك والممالك، ص ٢٠٨ ؛ ابن خرداذابة: المسالك والممالك، ص ١٧، ١١٨ ؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٢٠- ٢١ .

101 – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص ١٠٥-١٠٦ .

102 – ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٠٦.

103- ابن عبد ربه: نفسه، ج٦، ص ١٠٢ . وذكر ابن قتيبة نقلاً عن ابن المقفع قوله (... اياك والتغاير في غير موضع غيره، فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن الي السقم). وذكر أيضًا أن الخليفة المأمون كان يقول " الغيرة بهيمية ". ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ٤، ص٧٩ . وذكر الزُهري أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتزوجها أنها شديدة الغيرة، فدعا رسول الله أن يذهب الله ذلك عنها . الزهري: تهذيب طبقات النساء، ص ٤٩ – ٥٠ .

104- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص ١١٣ .

105- عنها انظر الذهبي: سير أعلام، ج٢، ص ٢٠٧٧، ترجمة رقم ٢٦١٣ .

106 – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص ١١٩.

107- ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج٦، ص ١٠٨ .

108- ابن عبد ربه: نفسه، ج٦، ص ١٠٨ .

109- الشعبي: هو عامر بن شراحيل تابعي محدث، كان مستشار الخلفاء، وهو علامه الكوفة، وروي عن علي بن أبي طالب وابي هريرة وعن عائشة . توفي سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م. ومن تلامذته أبو حنيفة . عنه انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ؛ ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ص ٥٤٩ – ٥٥٠، ترجمة ٤١٠ ؛ ابن سعيد المغربي: نشوة الطرب، ج٢، ص ٥٧٦ – ٥٧٧ ؛ ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء،ج١، تحقيق ج. برجستر أسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٥٠٠، ترجمة ١٦٠٠ .

110- بني تميم: قبيلة عربية أنجبت فحول شعراء الجاهلية، ولغتها حجة بين لغات القبائل . عنها انظر الكلبي: جمهرة النسب، ص ١٩١ ؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص ٣٤٤ – ٣٤٥ ؛ القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١٧٧ – ١٧٨ .

111- ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٩.

112- حيوة بن شريح: الإمام الرباني، الفقيه، شيخ الديار المصرية، أبو زرعة التجيبي المصري، حدث عن ربيعة القصير، وعقبة بن مسلم، وأبي يونس سليم بن جبير، وذكر ابن وهب: كان حيوة يأخذ عطاءة في السنة ستين ديناراً، فل يطلع الي منزلة حتي يتصدق بها . وتوفي سنة ١٥٨ هـ / ٧٧٤م . عنه انظر ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٣، ص ٣٧ ؛ الذهبي: سير أعلام، ج٢، ص ١٥٨٨ – ١٥٨٩، ترجمة ١٨٨٩ .

113- ابن عبد ربه: العقد الفريد ، ج٦، ص ١٠٠ .

114- ابن عبد ربه: طبائع النساء، ص ٤١. ونقل ابن عبد ربه عن الأصمعي أنه دخل على أعرابي كان يقتبس منه الغريب في اللغة، فلم يسمعه يذكر امرأته علي حسب عادته، فسأله عنها فقال له الأعرابي:

والعيش ليس يطيب ب بين اثنين من غير اتفاق

له لم أرج بفراقها لا رحت نفسي بالاباق.

ابن عبد ربه: نفسه، ج٦، ص ١٢١ .

115- ابن عبد ربه: طبائع النساء، ص ٥٠.

116- ابن حجر: فتح الباري، ج٢، ص ٢٢٩٣، حديث رقم ٥١٨٤ . وذكر ابن حجر حديث آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه نفس المعنى عندما قال (**استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع، وإن اعوج شئ في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا)** ابن حجر: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٢٩٤، حديث ٥١٨٥. وذكر ابن قتيبة الدينوري ان رسول الله صلي الله

عليه وسلم (**إنما المرأة خلقت من ضلع عوجاء، فإن تحرص على إقامتها تكسرها فدارها تعش بها**) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٤، ص ٧٧ . وذكر ابن عبد ربه ان أبا الدرداء قال لامرأته: (... إذا رأيتني غضبت فترضيني، واذا رأيتك غضبت ترضينك، وإلا لم نصطحب) . ابن عبد ربه: المصدر السابق، ص ١٦٩ .

117- عنه انظر الكلبي: جمهرة النسب، ص ٤٩١ – ٤٩٢ ؛ ابن سعيد المغربي: نشوة الطرب، ج١، ص ٢٤٥ – ٢٤٦ .

118- ابن عبد ربه: نفسه، ج٦، ص ١٢٦ . وعن هند زوجة الحارث انظر ابن سعيد: المصدر السباق، ج٢، ص ٦٠٩ – ٦١٠ .

119- ابن عبد ربه: طبائع النساء، ص١٨٣ .

120- ابن عبد ربه: المصدر السابق، ص .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:-

١- **القرآن الكريم:**

٢- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ٢٠٠٢م.

٣- الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، شرح السيد أحمد صقر، سلسلة الذخائر، رقم٩٧، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣ م .

٤- . التيجاني: تحفة العروس، ومتعة النفوس، تحقيق خليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط ١، ١٩٩٢ م .

٥- الثعالبي: فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢ م .

٦- الجاحظ: البيان والتبين، تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة الذخائر رقم ٨٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣ م .

٧- ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج. برجستر أسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م .

٨- ابن الجوزي: صفوة الصفوة، تحقيق خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٨م .

٩- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤ م .

١٠- الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م .

١١- ابن خرداذابة: المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت

١٢- ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت .

١٣- خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥ م .

١٤- الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ٢٠٠٤ م .

١٥- الرازي: مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣ م .

١٦- الزُهري: تهذيب طبقات النساء، تهذيب هاني مهنا طه، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤ م .

١٧- ـــــــــــ: تهذيب طبقات الصحابة، تهذيب هاني مهنا طه، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢ م .

١٨- الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، سلسلة الذخائر، رقم ١١٩، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤ م .

١٩- ابن سعد: الطبقات الكبير، ج٢، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٢ م .

٢٠- ابن سعيد المغربي: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ج١، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، الأردن، ط١، ١٩٨٢م .

٢١- الطبري: تاريخ الطبري، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الافكار الدولية، الرياض، ٢٠٠٢ م .
٢٢- ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرون، سلسلة الذخائر رقم ١١٦، الهيئة المصرية لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م .
٢٣- _____: طبائع النساء، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٥ م.
٢٤- ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٤، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م .
٢٥- ابن قدامة المقدسي: المغني، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الله الحلو، دار عالم الكتاب، الرياض، ط٥، ٢٠٠٥ م .
٢٦- القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت .
٢٧- ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م.
٢٨- الكلبي: جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٣ م .

ثانياً المراجع: –

١– أحمد بهجت: تأملات ساخرة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٨٦ م .
٢– أحمد عبد الرازق: المرأة في العصر المملوكي، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ١٤٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩ م .
٣– بولس البولس: عوائد العرب، لبنان، ١٩٢٦م .
٤– جمال عبد الناصر: نعم للاغتراب، لا لزواج الأقارب، مقال علي شبكة الألوكه www.alukah.net /social/0/8061/. .
٥– عائشة عبد الرحمن: تراجم سيدات بيت النبوة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢ م .
٦– عباس محمود العقاد: المرأة في القرآن، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠ م .
٧– عبد الرحمن عميرة: رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآناً، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٨– محمد عثمان الخشت: المرأة المثالية في أعين الرجال، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط ١، ١٩٨٤ م .
٩– محمود قريبيز: فكرة الجمال عند صوفية الأندلس، مقال بمجلة دراسات أندلسية، العدد ٤٩، ٢٠١٣ م، تونس.
١٠– مختار قطش: مفهوم الجمال عند الجاحظ، مقال بمجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٨، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٢ م .
١١– مصطفي محمد لطفي القطان: رأي الإسلام في الآداب والفنون الجميلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الأعمال الفكرية والثقافية رقم ١٨، القاهرة، ٢٠١٣ م .
١٢– ناريمان عبد الكريم: المرأة في العصر الفاطمي، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٦٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣ م .

الدور السياسي والحضاري لمدينة إسبيجاب
منذ العصر الساماني حتى الغزو المغولي
(٢٦١– ٦١٧هـ/ ٨٧٤– ١٢٢٠م)

د. هنية بهنوس نصر عبد ربه
مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة
الإسلامية بكلية التربية جامعة دمنهور

ملخص:

يتناول موضوع البحث الدور السياسي والحضاري لمدينة إسبيجاب منذ العصر الساماني حتى الغزو المغولي (٢٦١– ٦١٧هـ/ ٨٧٤– ١٢٢٠م) ، والتي تقع شمال إقليم الشاش على الضفة اليمنى لنهر سيحون في جنوب دولة كازاخستان حاليًا، وتتمثل أهمية هذه المدينة في أنها مدينة ثغرية ، تقع على الحدود مع الترك الشرقيين الوثنيين في أقصى المشرق الإسلامي؛ مما جعلها تمثل حائط سد لحماية المسلمين في بلاد ماوراء النهر ضد غاراتهم وهجماتهم.

وقد ألقت الدراسة الضوء بداية على أصل وأسباب تسمية المدينة بهذا الاسم وموقعها الجغرافي في قارة أسيا، ثم تتبعت الدراسة بعد ذلك الدور السياسي للمدينة منذ العصر الساماني حتى الغزو المغولي خلال حكم السامانيين ثم القراخانيين ومن تبعهم من القراخطائيين حتى اجتياح الغزو المغولي للمشرق الإسلامي وتدمير المدينة، حيث كان لمدينة إسبيجاب إسهاماتها ومشاركاتها في الحياة السياسية وفي الاضطرابات والتمردات السياسية خلال تلك الفترة ، وقد بذلت الأسر الحاكمة التي توالت على حكم بلاد ماوراء النهر عنايةً خاصةً بهذه المدينة ، فعملوا على تأمينها وحمايتها، وإقامة التحصينات والرُبُط الحربية بها للدفاع عنها، فازدهرت هذه المدينة وتوسعت حتى جاء خرابها علي يد السلطان

علاء الدين خوارزم شاه الذي أمر بتخريبها وتهجير سكانها؛ لعجزه عن حمايتها وتأمينها ضد هجمات التتر بزعامة كشلوخان، وأعقب ذلك الغزو المغولي للمشرق الإسلامي الذي دمر ما بقي من المدينة.

أما فيما يتعلق بالدور الحضاري للمدينة، فقد تناول نظام الحكم والإدارة بها، والتركيب الاجتماعي للمدينة، حيث كان المجتمع الإسبيجابي خليط من ثلاث عناصر سكانية: هم الترك والفرس، والعرب. أما عن طبقات المجتمع فكان يتكون من ثلاث طبقات رئيسة وهي: الطبقة العليا الممثلة في الحاكم، وأفراد الأسرة الحاكمة، وكبار الأمراء ، والطبقة الوسطى ويمثلها كبار التجار، وطبقة العامة، والتي تمثل الشريحة الأكبر داخل المجتمع وأغلبهم من الصناع وأصحاب الحرف والفلاحين، وفئة من الفقراء المعدمين، كما كان لإسبيجاب إسهاماتها في مجال الحياة الاقتصادية من الزراعة والإنتاج الحيواني والصناعة والتجارة، كما لها دورها في الحياه الفكرية والعلمية. وبذلك يتبين مدى الدور الحيوي الذي قامت بها مدينة إسبيجاب في شتى مناحي الحياة السياسية والحضارية .

English Abstract

The topic of the research discusses the political and the civilized role of Ispijab city from the Samani age to the Mongol invasion (AH 261-617/ CE 874- 1220 AD) which lies in the north shash coast on the right bank of Syr Darya river in the south of Kazakhstan now . The importance of this city dervies from being a border city . It lies at the borders with the heathen eastern Turkish in the far Islamic east which made it represent a blocking wall to protect Muslims in Transoxiana (Ma Wara Al-Nahr) against their raids and attack.

Firstly the research has spotted light on the origin and reasons why the city was given such a name and its geographic location in Asia . Then it has traced the political role of the city from the Samani age to the Mongol invasion in the rule of Samanids and the Qarakhanids and the Qarakhitays who followed them up to the Mongol invasion to the Islamic east or (Mashreq) and the destruction of the city .

As for the civilized role of the city, it dealt with the system of regime and administration and the social structure of the city as the community was a mixture of the three elements of population : Turk, Persians and Arabs. The classes of society consisted of three main classes: the upper class represented by the ruler, members of the royal family and senior princes, the middle class represented by senior merchants, and the public class, which represented the largest segment within the society, mostly craftsmen, manufacturers, peasants and the poor. It also made contributions to economic life from agriculture, animal production, industry and trade. It also had a role in intellectual and scientific life. This shows the vital role played by the city of Ispijab in all aspects of the political and civilized life.

مقدمة:

إن دراسة تاريخ المدن من الموضوعات التي عُنيت بها كثير من المصادر التاريخية، وقام على دراستها مجموعة كبيرة من المؤرخين والباحثين في التاريخ على نحو عام، وتاريخ مدن المشرق الإسلامي على نحو خاص، وتأتي الأهمية من حيث الأثر الكبير الذي أحدثه الفتح الإسلامي لهذه المدن على الساحة السياسية والحضارية في المشرق الأسيوي، والذي غير مجرى التاريخ في تلك البقعة الجغرافية.

وسوف تتناول الدراسة إحدى هذه المدن وهي **مدينة إسبيجاب** على الحدود في أقصى المشرق الإسلامي، حيث تُعد مدينة ثغرية[١] ودار حرب ورباط[٢] للمسلمين في مواجهة الترك الشرقيين الوثنيين الذين كانوا دائمي الإغارة على مدن ماوراء النهر، وتهديد أهلها من المسلمين، وتهديد أمن وسلامة المنطقة، حيث كانت حدود ماوراء النهر جميعها دار حرب، وتعد مدنه ثغورًا للمسلمين في وجه الترك يصدونهم عن انتهاكها، وكانت هذه الثغور مشحونة بالقوى الحربية المادية والبشرية للدفاع عن ديار الإسلام وحماية حدودها، وهذه يفسر انتشار الرُبُط وتشييدها في هذه المدن الحربية أو الثغور المتاخمة لغير المسلمين من الأتراك الوثنيين، وكانت مدينة إسبيجاب على رأس هذه الثغور.[٣]

---

(1) **الثغر**: بالفتح ثم السكون، وراء كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغرا، كأنه مأخوذ من الثغرة، وهي وهي الفرجة في الحائط. . الحموي: **معجم البلدان** ، ج٢ ، ط٢، دار صادر ، بيروت، ١٩٩٥م، ص٧٩.

(2) **الرُبُط**: جمع رباط، وهو دار يسكنها أهل طريق الله. والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطًا. وربما سميت الخيل نفسها رباطا، والرباط المواظبة على الأمر.وأصل الرباط ما تربط فيه الخيول، و لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط، فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه، والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد. المقريزي: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ج٤ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٧م، ص ٣٠٢.

(3) الاصطخري : **المسالك والممالك** ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٤ م، ص ٢٧١؛ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ج٢، دار صادر – أفست ليدن ، بيروت ، ١٩٣٨ م، ص ٤٦٧.

كانت إسبيجاب تضم مدن وقرى كثيرة، ولكن الدراسة ستقتصر على المدينة نفسها وهي اسبيجاب العاصمة أو قصبة المدينة كما يسميها الجغرافيون، ولن نتطرق إلى ما يدخل في نطاقها من مدن وقرى لعدم اتساع البحث لذلك، وسوف تتناول الدراسة الدور السياسي والحضاري لمدينة إسبيجاب منذ العصر الساماني حتى الغزو المغولي، وما طرأ على أحوالها من تغيرات وأحداث في ظل الحكم الساماني (٢٦١-٣٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٩٩م) وما تبعة من حكم القراخانيين (٣١٥- ٥٣٦هـ/ ٩٢٧-١١٤١م) ثم القراخطائيين (٥١٨- ٦١٥هـ/١١٢٤-١٢١٨م) حتى الغزو المغولي (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، ثم تعرج الدراسة على أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والحياة الفكرية والعلمية خلال الفترة موضوع الدراسة، كما ستُختتم الدراسة بأبرز النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال دراسة الموضوع بالإضافة إلى بعض التوصيات.

التمهيد:

يتناول التمهيد الموقع الجغرافي للمدينة ، والتسمية وأصلها:

-الموقع الجغرافي:

تقع إسبيجاب في شمال الشاش[٤] وهي من الإقليم الخامس في حدود تركستان[٥] على يمين نهر سيحون بالتحديد على نهر أريس أحد روافد نهر سيحون،

([4]) **الشاش:** يقع في غرب إقليم فرغانة على الضفة اليمنى لنهر سيحون . ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج٣ ،ص ٣٠٨؛ محمود محمد خلف : **الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر بين حقائق المؤرخين وأوهام المستشرقين** ، دار المعارف، القاهرة ، د.ت، ص ٣٩.

([5]) ياقوت الحموي: **معجم البلدان** ، ج١ ، ص ١٧٩؛ ابن عبد الحق: **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ج١، دار الجيل، بيروت ، ١٩٩١م ، ص ٧٤.

وتقع حاليًا في جنوب كازاخستان[٦] ، ومن الشاش إلى إسبيجاب اثنين وعشرين فرسخًا[٧] وتمثل نحو الثلث من مدينة بنكث[٨] في الرقعة، وتشتمل على مدينة وقهندز[٩] وربض[١٠] وحصن [١١]، وفي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي كانت قلعتها في حالة خراب وبقي الحصن والربض[12]والمدينة ، وبداخل المدينة، كانت تقع دار الإمارة وهي مقر الحاكم والسجن والمسجد الجامع، أما الأسواق فتوجد في

---

(6) محمود محمد خلف : **الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر** ، ص ٣٩؛
Buryakov, Y.F., Batpakov, K.M., Tashbaeva, Kh and Akubov, Y. ***The Cities and Routes of the Great Silk Road on Central Asia Documents***, Tashkent: Publishig & Printing Concern (Sharq),1999,P.100.

(7) ابن الفقيه: **البلدان**، تحقيق: يوسف الهادي ، عالم الكتب ، بيروت ،١٩٩٦ م، ص ٦٢٦؛ ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج٣، ص ٣٠٩. و **الفرسخ**: ثلاثة أميال ، أو اثنتا عشرة ذراعًا أو عشرة آلاف . الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ط٨، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٢٥٧، والفرسخ يساوي خمسة كيلو متر ونصف تقريبًا . علي محمد جمعة : **المكاييل والموازين الشرعية**، ط٢، القدس للإعلان والنشر والتسويق ، القاهرة ، ٢٠٠١، ص٥٤.

(8) **بنكث**: هي عاصمة اقليم الشاش ولها قهندز (قلعة) ومدينة وقهندزها خارج المدينة غير أن حائط القهندز والمدينة شيء واحد ، وللمدينة ربض وعلى الربض سور ثم خارج هذا السور ربض آخر وبساتين ومنازل ويحيط به سور آخر. ابن حوقل: **صورة الأرض** ، ج٢، ص ٥٠٨؛ ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج١، ص ٥٠٠.

(9) **قهندز**: كلمة فارسية أصلها كهندژ وتعني القلعة. (النرشخي: **تاريخ بخارى**،، ط٣، تعريب وتحقيق: أمين عبد المجيد بدوي ونصرالله مبشر الطرازي، القاهرة، دار المعارف ، دت ، ص ٩) ، وهي الحصن المنيع على جبل أو تل .السيد ادي شير : **الألفاظ الفارسية المعربة** ، ط٢، دار العربي، القاهرة، ، ١٩٨٨م، ص ١٢٧.

(10) ابن حوقل: **صورة الأرض** ، ج٢، ص ٥١٠.

(11) فاسيلي فلاديميروفتش بارتولد: **تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي**، نقله عن الروسية : صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، ، ١٩٨١م، ص ٢٩١.

(12) **الربض**: ما حول مدينة أو قصر من مساكن جند أو غيرهم، ومسكن كل قوم على حيالهم: ربض، ويجمع على أرباض. رُبُض. الفراهيدي: **كتاب العين**،ج٧، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، ، د.ت، ص ٣٥.

المدينة والربض على السواء [١٣] وهي في مستوى من الأرض وأبنية أهلها من الطين[١٤]، أما عن حماية المدينة، فإنه يحيط بها سوران سور داخلي على المدينة الداخلة وسور آخر ضخم يحيط بالربض مقدارة فرسخ ، ولها أربعة أبواب[١٥] هي باب نوجكت وباب فرخان وباب شاكرانه وباب بخارى.[١٦]

-الأصل والتسمية:

لم يتفق المؤرخون والجغرافيون على تسمية موحدة للمدينة، ولكن المشهور عنها في المؤلفات (**إسبيجاب**) وهو الاسم الفارسي للمدينة، و(**إسفيجاب**) وهو الاسم العربي لها، فعلى الرغم من أنها مدينة تركية أغلبية سكانها كانوا من الترك من الناطقين باللغة التركية[١٧] إلا أنه يُلاحظ أنه منذ الفتح الإسلامي لبلاد خراسان وبلاد ماوراء النهر تأثر الترك بالثقافة العربية الخالصة في الدور الذي يمكن أن نسميه بالدور العربي الذي استمر منذ فتوح الأمويين حتى قيام الدولة السامانية

---

(13) ابن حوقل: **صورة الأرض** ، ج٢، ص ٥١٠؛ الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ، ط٢، تحقيق: إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠ م، ص ٥٦.

(14) الاصطخري: **المسالك والممالك** ، ص ١٨٦؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٢٩٢؛ محمود محمد خلف: **الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر** ، ص ٤٢.

(15) ذكر **ابن حوقل** أن أسماء الأبواب الأربعة هي باب نوجكث وباب فرخاذ وباب سراكراثه وباب بخارى. **صورة الأرض**، ج٢، ص ٥١٠.

(16) المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط٣، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩١م، ص ٢٧٢؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٢٩١؛ محمود محمد خلف : **الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر** ، ص ٤٢.

(17)Levi ,Scott .C and Sela, Ron . ***Islamic Central Asia : An Anthology Of Historical Sources*** ,Bloomington & Indianapolis :Indiana University Press, 2010,p.72.

(٤١– ٢٦١هـ/ ٦٦١–٨٧٤م)، وفيه كانت الثقافة الشائعة في مدارس خراسان وما وراء النهر كلها هي ثقافة عربية خالصة، أما الدور الفارسي وهو دور إحياء اللغة الفارسية، فبدأ بظهور السامانيين، واستمر حتى ظهور السلاجقة وقيام دولتهم سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، وفيه تأثروا بالنهضة الفارسية التي نبعت من بلاط السامانيين في بلاد ماوراء النهر، حيث ساهم السامانيون بشكل كبير في تطوير وتمكين اللغة الفارسية، فكانوا هم أول سلالة إسلامية عملت على تعزيز اللغة الفارسية، وأول من تبني منهجًا علميًّا منظمًا لإحياء اللغة الفارسية من الموت التدريجي بعد سيطرة اللغة العربية، وبذلك عُرفت بلاد ماوراء النهر اللغة الفارسية إلى جانب اللغة العربية، بسبب نزوح كثير من الفرس الإيرانيين واستقرارهم في ماوراء النهر في ظل السامانيين، وبسبب جعل السامانيين اللغة الفارسية لغة الكتابة والأدب والتدوين والحياة العامة.[١٨]

وبذلك، فقد شاع استخدام اسم إسبيجاب، ولعل أصله **(إسپيجاب)** بالباء الفارسية المثلثة من تحت، ولكنها تكتب بالباء الموحدة تارة وتارة تكتب بالفاء[١٩]

([18]) حسن أحمد محمود: **الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ، ١٩٧٢م، ص ١٧١، ص ١٩٣؛

Bakhtiari, Behrooz Mahmoodi. **Planning The Persian Language In The Samanid Period**, Leiden: Brill,2003,p.251; Michailidis. M.,**Samanid Silver and Trade along the Fur Route**, Medieval Encounters,Vol. 18, Leiden: Brill 2012,p.317.

([19]) السمعاني: **الأنساب** ، ج٧ ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٩٦٢ م ، ص ٢٦، حاشية رقم (٢).

فتصبح **(إسفيجاب)** بالفاء وهو من قلب الباء الفارسية إلى فاء في النطق العربي [٢٠]، فالعجم كثيرًا ما يبدلون الفاء باءً[٢١]، وهو الاسم العربي للمدينة، كما ورد ذكر المدينة أيضًا باسم استيجاب[٢٢] واسبيشاب[٢٣]، ورغم اختلاف المنطوق للكلمة إلا إن المقصود بها واحد، فاسبيجاب هي اسفيجاب واستيجاب واسبيشاب، كما نجد مسمى آخر للمدينة وهو سيرم أو سايرام ورد في كتاب **(ديوان لغات الترك)** –يرجع إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي– حيث أكد أن إسبيجاب هي **سيرم** باللغة التركية.[٢٤]

كما كانت إسبيجاب تسمى أيضًا بالمدينة البيضاء أو المدينة التي تقع على النهر الأبيض[٢٥]، والنهر الأبيض[٢٦] يعني بالفارسية**(سفيد رود أو سبيد**

---

(20) الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج٤٣ ، ، ط٢، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م ، ص ٢٦، حاشية رقم (١).

(21) ابن العجمي: **ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب**، دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ، اليمن ، ٢٠١١ م، ص ٦٣.

(22) سبط ابن الجوزي: **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان** ، تحقيق وتعليق: فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، ج١٤، دار الرسالة العالمية، دمشق ، ٢٠١٣ م، ص ٣٦٩؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام** ، ج١٥، ص ٣٨؛ ابن فضل الله العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ج٣ ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م ، ص ١٤٤ كما ورد في الحاشية رقم (٣) من ذات الصفحة أن إستيجاب هي اسفيجاب أو إسبيجاب.

(23) ذكرها بهذا المنطوق كل من: ابن خردانبة: **المسالك والممالك** ، دار صادر– أفست ليدن، بيروت، **١٨٨٩م**، ص ١٦٩؛ اليعقوبي: **البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت ،٢٠٠١م، ص ٤٠؛ الدواداري: **كنز الدرر وجامع الغرر**، جـ ٥، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ، ١٩٩٢ م ، ص ٣٣٣.

(24) الكاشغري **ديوان لغات الترك**، ج١، دار الخلافة العلية– مطبعة عامرة، الأستانة، ١٩١٤م، ص ٧٨.

(25) Buryakov et al, ***The Cities and Routes***, P.100.

رود)[٢٧]وبذلك فإن كلمة **(سپيد)** أو **(سفيد)** تعني بالفارسية (الأبيض)، وهي المقطع الأول من كلمة إسبيجاب أو إسفيجاب، كما نلاحظ أن كلمة **(اسفيداج)** و**(اسفيداب)** تعني بالفارسية (الماء الأبيض)[٢٨] وأن كلمة **(آب)** وهي المقطع الأخير من الكلمة تعني بالعربية (ماء) [٢٩]، وبذلك فإن اسم المدينة يعني المدينة البيضاء أو المدينة التي تقع على النهر الأبيض، ومن هذه الكلمات الفارسية اشتق اسم إسبيجاب أو إسفيجاب كما اصطلح عليه كثير من المؤرخين والجغرافيين، وأما ضبط الاسم، فقد اختلف فيه أيضًا، فتارة تكتب بكسر الهمزة وتارة أخرى بفتح الهمزة، وفي أحيان كثيرة تكتب بدون همزة.

وفي ضوء ما سبق، فإن الاسم الذي سيتم استخدامه في الدراسة هو إسبيجاب بالهمزة؛ لأنه في الأغلب الأعم كتابة أسماء الأعلام تبدأ بهمزة سواء من الأسفل أو من الأعلى، كما إن إسبيجاب هو الاسم الفارسي للمدينة والذي ظل يطلق عليها حتى الغزو المغولي، والذي ورد أيضًا في أغلب كتابات المؤرخين والجغرافيين إلا في بعض الحالات سنستخدم اسم إسفيجاب بالفاء بدلًا من الباء عند الحديث عن بعض أهل العلم المنسوبين إلى المدينة، فقد نقلنا الاسم كما جاء في المصدر الأصلي، فمن

([26]) **النهر الأبيض:** وهو اسم لنهر مشهور من نواحي أذربيجان يقع على عدة فراسخ من همدان ، مخرجه من عند بارسيس، ويصب في بحر جرجان، وهو نهر يصغر عن جريان السفن فيه، وأصله في بلاد الديلم حيث يصب في بحر قزوين. الاصطخري : **المسالك والممالك**، ص ١١١؛ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ج٢، ٣٤٥؛ ياقوت الحموي: **معجم البلدان** ، ج١ ، ص ١٧٢– ١٧٣.

([27]) السيد ادي شير: **الألفاظ الفارسية المعربة** ، ص ٩– ١٠، ص ٧٥.

([28]) المرجع السابق ، ص ٩– ١٠.

([29]) المرجع السابق ، ص ٣٧.

كانت نسبته إسفيجابي كتبناها كما هي، ومن كانت نسبته إسبيجابي كُتبت أيضًا كما هي دون تغيير.

أولًا: الدور السياسي لمدينة إسبيجاب منذ العصر الساماني حتى الغزو المغولي (٢٦١- ٦١٧هـ/ ٨٧٤- ١٢٢٠م):

١- إسبيجاب تحت حكم السامانيين (٢٦١- ٣٨٩هـ/ ٨٧٤- ٩٩٩م):

بلغ الفاتح المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي(٨٨- ٩٦هـ/٧٠٧- ٧١٤م) في فتوحاته في بلاد ماوراء النهر إلى إسبيجاب ليكون بذلك قد أتم فتح عامة الشاش، وذلك سنة (٩٥هـ/٧١٣م)[٣٠]، وظلت إسبيجاب خاضعة للحكم الإسلامي منذ ذلك الحين وحتى العصر العباسي(١٣٢- ٦٥٦هـ/ ٧٤٩-١٢٥٨م)، ومما يؤكد ذلك أنه في سنة (١٧١هـ/٧٨٧م) في عهد الخليفة هارون الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) عندما أمر بعمارة وتحصين مدينة طرسوس[٣١] قدمت الخيل من مدن خراسان وما وراء النهر للمشاركة في تعمير المدينة بناء على أوامر الخليفة هارون الرشيد، وكانت مدينة إسبيجاب من ضمن مدن ماوراء النهر التي قدمت رواحلها محملة بالدقيق، وقد كتب عليها إسبيجاب[٣٢]، وذلك لتبيان أن هذه المساعدات قادمة من إسبيجاب حتى لا يقع الخلط بينها وبين رواحل غيرها من المدن الأخرى التي قدمت

---

(30) البَلَاذُري: **فتوح البلدان** ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، ، ١٩٨٨ م، ص ٤٠٧؛
Barthold, V. V. ***Four Studies On The History Of Central Asia*** ,Translated From The Russian By V. And t. Minorsky,Vol. I, Leiden:E. J. Brill, 1956,P.10.

(31) **طرسوس:** مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم.ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج٤، ص ٢٨.

(32) ابن العديم: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ج١، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص ١٨٦.

معها من مدن خراسان وماوراء النهر، مما يؤكد على تبعية إسبيجاب للخلافة العباسية، واستجابة حاكمها لأمر الخليفة العباسي هارون الرشيد.

وقد استمرت إسبيجاب خاضعة للحكم العباسي حتى عهد الخليفة المعتصم بالله العباسي (٢١٨- ٢٢٧هـ/ ٨٣٣- ٨٤٢م)[٣٣] حيث قام الترك الوثنيون الشرقيون[٣٤] ومعهم قوم من أهل الشاش وتغلبوا على إسبيجاب وانتقضوا ضد الحكم الإسلامي[٣٥]، ولكن الأمير نوح بن أسد بن سامان[٣٦] تمكن من إعادة فتح إسبيجاب

---

(33) سبط بن الجوزي: **مرآة الزمان**، ج١٤، ص ٣٦٩؛ الذهبي: **العبر في خبر من غبر**، ج١، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٥م ، ص ٣١٥.

(34) تعرف المنطقة الممتدة فيما وراء نهر جيحون وحتى شرق نهر سيحون في آسيا الوسطى بتركستان والتي تقسمها جبال تيان شان إلى تركستان الشرقية وتركستان الغربية ، أما تركستان الشرقية، فهي التي كان يقطنها الترك الوثنيين الشرقيين والتي تمتد في أقصى شرق العالم الإسلامي ، وهي تقع في غرب وشمال غرب الصين حتى جبال تيان شان في الغرب، وكان سكانها يدينون بالبوذية حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي على الرغم من أن قتيبة بن مسلم قد وصل في فتوحاته إلى بعض أجزائها، وبدأ الإسلام ينتشر بين أهلها، ولكن ليس بصورة كبيرة، حتى اعتنق عدد كبير من سكانها الدين الإسلامي بزعامة ساتوق بغراخان مؤسس الدولة القرا خانية، وكان هؤلاء قبل اسلامهم دائمي الإغارة على أراضي المسلمين المتاخمة لهم وبإسلامهم كفى الله المسلمين شرورهم، وأصبحوا من المدافعين عن ديار الإسلام ضد غيرهم من قبائل الترك الوثنية المجاورة لهم، وقد احتلت الصين تركستان الشرقية وضمتها إلى أراضيها وأطلقت عليها اسم سينكيانج أو شينجيانج وتعني المستعمرة الجديدة وذلك سنة ١٩٤٩م، أما تركستان الغربية، فتمتد بين جبال تيان شان في الشرق وبحر قزوين في الغرب، وهي حاليًا تشتمل على الجمهوريات الخمسة الإسلامية تركمانستان و طاجيكستان وأوزباكستان وكازاخستان وقيرغيزستان. أحمد عادل كمال : **الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٣- ٥، ص ٢١-٢٢؛ محمد يوسف عدس: **الإسلام والمسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز**، تقديم: وليد فكري فارس، مركز دراسات العالم الإسلامي الجامعة الإسلامية العالمية، كوالالمبور – ماليزيا، ٢٠١٧م، ص ٢٨١- ٢٨٣.

(35) البلاذري : **فتوح البلدان**، ص ٤٠٧.

وإخضاعها سنة (٢٢٥هـ/٨٤٠م)، حيث قاد الجيش إلى إسبيجاب وأوقع الهزيمة بالترك الوثنيين وطردهم منها، وأخضع مدينة إسبيجاب للحكم العباسي مرة أخرى[٣٧]، كما أمر ببناء الجدران حول مزارع أهل إسبيجاب لحماية محاصيلهم من النهب والسرقة والتخريب جراء غارات الترك الوثنيين[٣٨]، وذلك في عهد الخليفة المعتصم بالله العباسي.[٣٩]

وقد حكم السامانيون بلاد ما وراء النهر نيابة عن الطاهريين حتى كان من ضعف الطاهريين وسقوط دولتهم سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م) فبعث الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ /٨٧٠-٨٩٢م) منشورًا في سنة(٢٦١هـ/٨٧٥م)، بولاية جميع بلاد ما

---

(36) **الأمير نوح بن أسد بن سامان:** أحد ولاة الطاهريين على سمرقند منذ عهد الخليفة المأمون حتى وفاته سنة (ت ٢٢٧هـ/ ٨٤١م)، خواندمير : **روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء**، راجعة وقدم له:السباعي محمد السباعي، ترجمه عن الفارسية وعلق عليه وقدم: أحمد محمد الشادلي، الدار المصرية للكتاب ، القاهرة،١٩٩٨)، ص ٧٩.

(37) السمعاني: **الأنساب، ج٧**، ص ٢٦؛ حسن أحمد محمود: **الإسلام في آسيا الوسطى**، ص ١٧٢؛
Negmatov, N. N . "***The Samanid State***" in the History of Civilizations of Central Asia :The Age of Achievement:A.D. 750 To The End of the Fifteenth Century,Part One,The Historical, Social and Economic Setting, .Vol. IV ,Editors: Asimov M. S. And C. E. Bosworth,UNESCO Publishing, 1998,p.78.

(38) البلاذري : **فتوح البلدان**، ص ٤٠٧؛ ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ، ج٦، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م ، ص ٦١؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٣٣٥؛
Davidovich, E. A. "***The Karakhanids***" in the History of Civilizations of Central Asia :The Age of Achievement:A.D. 750 To The End of the Fifteenth Century,Part One,The Historical, Social and Economic Setting, .Vol. IV, Editors: Asimov M. S. And C. E. Bosworth,UNESCO Publishing, 1998,p.120.

(39) البلاذري : **فتوح البلدان**، ص ٤٠٧؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج١٨، ص ٣٦.

وراء النهر إلى نصر بن أحمد الساماني[٤٠]، فاتخذ من سمرقند حاضرة له حتى توفي الأمير نصر سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فآلت زعامة السامانيين إلى أخيه إسماعيل بن أحمد الساماني (٢٧٩-٢٩٥هـ/٨٩٢-٩٠٩) الذي يُعَد المؤسس الفعلي للدولة السامانية، وقد اعترف الخليفة المعتضد(٢٧٩- ٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠١م) بإسماعيل بن أحمد الساماني سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م) حاكمًا شرعيًّا في بلاد ما وراء النهر وخراسان بعد انتصاره على الصفاريين سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م) والذي اتخذ من مدينة بخاري حاضرة لدولته.[٤١]

وقد بذل الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني جهوده في إنشاء منطقة حدود محصنة في حوض نهر سيحون تمتد من إسبيجاب إلى طراز وشرق فرغانة لحماية

---

(40) النرشخي: **تاريخ بخارى**، ص ١٤٦- ١٤٧؛ خواندمير: **روضة الصفا**، ص ٨٠ -٨١؛ محمود عبد الله جمعه مراد: **إقليم الشاش من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق ، ٢٠٠٦ ، ص ٦٠- ٦١؛

Marlow, Louise., ***A Samanid Work Of Counsel And Commentary: The Nas1hat Al-Muluk Of Pseudo-Mawardi***, Journal of the British Institute of Persian Studies, Iran :Routledge Taylor and Francis Group, 2007,pp183- 184.

(41) النرشخي: **تاريخ بخارى**، ص ١٤٦- ١٤٧؛ خواندمير: **روضة الصفا**، ص ٨٠ -٨١؛ محمود عبد الله جمعه مراد: **إقليم الشاش** ، ص ٦٠- ٦١؛

Fedorov, M. ***The Date Of The Transition Of Akhsikat To The Samanid Appanage Ruler Muhammad B. Asad*** , British Institute of Persian Studies,Vo.l, Iran: 2008,pp.362; Barthold, ***Four Studies***,pp.13; Negmatov,"***The Samanid State***",p. 78.

حدود بلاده ضد غارات الترك الوثنيين[٤٢]، ولكن رغم مجهوداته تلك، فإن بلاد ماوراء النهر لم تسلم من هذه الغارات ولا سيما مدينة إسبيجاب ففي سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م) في عهد الأمير أحمد بن إسماعيل الساماني(٢٩٥- ٣٠١هـ/٩٠٩- ٩١٣م) كادت إسبيجاب أن تتعرض لهجوم عنيف من الترك الخرجة الشرقيين الوثنيين، الذين قاموا بوضع خطة لغزو المسلمين في بلاد ماوراء النهر، وعلى رأسها إسبيجاب التي وجهوا إليها قوة عسكرية مكونة من خمسين ألف مقاتل لغزوها والسيطرة عليها، واستعادة سيطرتهم عليها مرة أخرى بعد أن طردهم منها نوح بن أسد سنة (٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، ولكنهم فشلوا في تحقيق مرادهم ولم يتمكنوا من الوصول إلى إسبيجاب؛ لزيادة نهر الشاش الذي حال بينهم من ناحية ولتصدي الأمير الساماني لهم من ناحية أخرى بعدد كبير من الجنود والمطوعة[٤٣] الذين حشدهم للتصدي لهم. [٤٤]

ولقد كان لأمراء إسبيجاب دور في التمردات السياسية والصراعات الداخلية بين أبناء الأسرة السامانية ففي عهد الأمير السعيد نصر الثاني بن أحمد بن إسماعيل بن الساماني(٣٠١- ٣٣١هـ/٩١٣- ٩٤٣م) خرج عليه ابن عم أبيه إلياس بن إسحاق بن أحمد بن أسد الساماني سنة (٣١٠هـ /٩٢٢م) في فرغانة، واستعان عند خروجه

---

(42) Negmatov, ***The Samanid State***, P. 78.

(43) **المطوعة:** بضم الميم وتشديد الطاء المهملة وفتحها وكسر الواو وفي آخرها العين المهملة، هذه النسبة إلى المطوعة، وهم جماعة فرّغوا أنفسهم للغزو والجهاد، ورابطوا في الثغور، وتطوعوا بالغزو، فقصدوا الغزو في بلاد الكفر لا إذا وجب عليهم وحضر إلى بلدهم. السمعاني: **الأنساب**، ج١١، ص ٣٧٠.

(44) الدواداري: **كنز الدرر وجامع الغرر**، ج٥، ص ٣٣٤- ٣٣٥؛

Treadwell, L. ***The Account of the Samanid Dynasty in Ibn Ẓāfir al-Azdī's Akhbār al-duwal al-munqaṭiʿa***, Journal Of Persian Studies , Vol. 43, Iran: British Institute of Persian Studies, 2005, Pp.139- 140

بأحد قواد بني سامان في إسبيجاب وهو محمد بن الحسين بن مُت، الذي انضم إليه وجمع له جيش كبير من الترك من أهل إسبيجاب الذين انضموا إلى صفوف جيش إلياس بن اسحق في مواجهة الأمير السعيد نصر الثاني، بالإضافة إلي الجيوش الأخري التي انضمت إليه من مختلف ما وراء النهر من الترك والتي بلغ عددها ثلاثين ألف مقاتل، توجه إلياس ومعه محمد بن الحسين بن مت والجيوش من فرغانه، وقصد سمرقند مُشاقًا للأمير نصر بن أحمد، ولكن الأمير نصر بن أحمد تمكن من التصدي لهذا الخروج، حيث أرسل فرقة من الجيش تقدر بألف وخمسمائة جندي كمنوا له خارج سمرقند قبل ورودها، وعندما وصلها وانشغل هو ومن معه بالنزول خرج عليه الكمين من بين الشجر وهجموا عليه على حين غفلة، فانهزم إلياس وأصحابه وارتدوا إلى فرغانة[٤٥]، أما محمد بن الحسين بن مت فإنه فر إلى إسبيجاب ومنها إلى طراز[٤٦] ولكن يبدو أن دهقانها[٤٧] كوتب من قبل الأمير الساماني الذي أغراه وأطمعه فقبض عليه وقتله وأنفذ رأسه إلى الأمير السعيد نصر بن أحمد في بخارى،

---

(45) ابن الأثير: **الكامل**، ج ٦، ص ٦٧٦؛ ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج٤، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل حشادة، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر العربي، بيروت، ، ١٩٨١م ، ص ٤٤٥– ٤٤٦.

(46) **طراز**: في آخر الإقليم الخامس، طولها مائة درجة ونصف، وعرضها أربعون درجة وخمس وعشرون دقيقة، قال أبو سعد: هو بالفتح، ورواه غيره بالكسر، وآخره زاي إجماعا: بلد قريب من إسبيجاب من ثغور الترك وهو قريب من الذي قبله، وقد نسب إليه قوم من العلماء. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج٤، ص ٢٧.

(47) **الدهقان**: بكسر الدال وفتح القاف، وهي كلمة فارسية، تعني القوي على التصرف، وزعيم فلاحي العجم، تعريب دهكان، وقيل أصل دهكان ده خان أي رئيس القرية. السيد ادي شير: **الألفاظ الفارسية المعربة**، ص٦٨.

وكان محمد بن الحسين بن مت مثالًا للشجاعة والجرأة اجتمع له جمع كبير من الجند فوثق في كثرة جمعه وقوته فجاءت الأقدار بما لم يكن في الحسبان.[٤٨]

وفي سنة (٣١٨هـ/ ٩٣٠م) أيضًا قام إخوة الأمير نصر الثاني وهم (يحيى ومنصور وإبراهيم) بالثورة ضده وقد استمالوا في خروجهم عليه الأمير قراتكين أحد أفراد الأسرة الحاكمة في إسبيجاب، والذي كان واليًا على بلخ[٤٩] للأمير السعيد نصر الثاني، ولكن الأمير السعيد نصر الثاني أرسل الجيوش لإخماد هذه الثورة وقمع إخوته، كما أرسل جيش إلى بلخ لمحاربة قراتكين فاقتتلا قتالًا شديدًا انتهى بهزيمة قراتكين، ورغم ذلك، فقد لجأ الأمير نصر الثاني إلى استخدام الحيلة واللين في تعاملة مع أعدائه لاخماد هذه الثورة، فأرسل إلى الأمير قراتكين يعفو عنه ويأمنه وولاه على بلخ مرة أخرى ، كما بذل الأمان لأخوته فمالوا إلى الصلح وعفا عنهم، فقدموا إليه وظلوا في حبسه حتى هلكوا، أما قراتكين فما لبث أن توفي ببست[٥٠] ونقل إلى إسبيجاب ودفن في رباطه المعروف برباط قراتكين، وخمدت بذلك الفتنة سنة(٣٢٠هـ/٩٣٢م).[٥١]

---

(48) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** ، ج ٦، ص ٦٧٧.

(49) **بلخ:** مدينة مشهورة بخراسان ، وهي في الإقليم الخامس، وهي من أجل مدن خراسان وأكثرها خيرًا وأوسعها غلة وتحمل غلتها إلى خراسان وإلى خوارزم، تقع على الضفة الغربية لنهر جيحون. الحموي: **معجم البلدان**، ج١، ص ٤٧٩– ٤٨٠.

(50) **بست:** بالضم مدينة بين سجستان وغزنة وهراة ، من أعمال كابل ، وهي كبيرة وخرج منها جماعة من أعيان الفضلاء في علم الحديث. ياقوت الحموي : **معجم البلدان** ، ج١، ص ٤١٥.

(51) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** ، ج٦، ص ٧٤٣– ٧٤٦؛ ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج٤ ، ص ٤٤٩ .

وفي سنة (٣٣٥هـ/٩٤٦م) أعلن الجند في خراسان الثورة ضد الأمير نوح بن نصر(٣٣١-٣٤٣هـ/٩٤٣-٩٥٤م) يقودهم في ذلك أبو علي بن محتاج[٥٢] والي خراسان المعزول، واتفقوا على خلع الأمير نوح بن نصر وتولية عمه إبراهيم بدلًا منه، وخرج أبو علي يقود الجند إلى نيسابور وكان بها منصور بن قراتكين وعدد من القواد السامانيين، وكان منصور بن قراتكين من أكابر أصحاب نوح وخواصه وأحد أفراد الأسرة الحاكمة في إسبيجاب، فاستماله على بن محتاج فوافقه على خلع طاعة الأمير نوح بن نصر، ولكن يبدو أن أبي علي بن محتاج ارتاب من أمر منصور بن قراتكين وشك في ولائه له وأمر بالقبض عليه، ولكنه مالبث أن أطلق سراحه لسبب غير معلوم، فسار منصور بن قراتكين إلى الأمير في بخارى وأعلن ولائه له وانضم إلى صفوفه. [٥٣]

كافأ الأمير نوح بن نصر الثاني قائدة منصور بن قراتكين بأن ولاه قيادة الجيوش الخراسانية، وأمره بتسيير الجيوش لإخضاع أبو علي بن محتاج ومن تحالف معه وانضم إلى ثورته من العمال السامانيين ، فقاد منصور بن قراتكين الجيش إلى مرو[٥٤] وطوس[٥٥] وغيرها من المدن التي خلعت الطاعة وانضمت إلى ثورة أبي

---

(52) **الأمير أبوعلي بن محتاج:** كان واليًا على خراسان ومتولي لديوان الجند في عهد الأمير السعيد نصر الثاني، ولكن بعد وفاته وولاية ابنه نوح بن نصر الثاني قام بعزل الأمير أبو علي بن محتاج عن ولاية خراسان وعن النظر في ديوان الجند، مما أدى إلى إثارة حفيظته ضد الأمير نوح بن نصر الثاني وإعلان الثورة ضده.ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج٤، ص ٤٥٤.

(53) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص ١٦٥- ١٦٧.

(54) **مرو:** أشهر مدن خراسان وقصبتها ، تقع في الإقليم الرابع. الحموي: **معجم البلدان**، ج٥، ص ١١٢- ١١٣.

(55) **طوس:** مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ تشتمل على بلدتين يقال لهما الطابران ونوقان ولهما أكثر من ألف قرية فتحت أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبها قبر موسى الرضا وقبر هارون الرشيد . ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج٤، ص ٤٩.

علي بن محتاج، فتمكن منصور بن قراتكين من إخضاعها وتهدئة الأوضاع بها وتجديد ولائها للأمير نوح بن نصر الثاني[٥٦]، وفي سنة (٣٣٩هـ/٩٥٠م) قاد منصور بن قراتكين الجيوش الخراسانية إلى الري[٥٧] للسيطرة عليها بعد أن تغلب عليها البويهيون (٣٣٤- ٤٤٧هـ/٩٤٥- ١٠٥٥م)، فنجح في الاستيلاء عليها، ولكنه مالبث أن توفي في الري سنة (٣٤٠هـ/٩٥١م) ثم حمل في تابوت إلى إسبيجاب ودفن بجوار قبر والده في رباط قراتكين. [٥٨]

وبذلك فإن أمراء الأسرة الحاكمة في إسبيجاب كان لهم دورهم الملموس والبارز في الأحداث السياسية خلال العصر الساماني، كما إنهم كانوا من المقربين إلى الأمراء السامانيين حتى أنهم عينوهم في المناصب الكبرى في الدولة، وعلى رأسهم منصور بن قراتكين واليًا على خراسان والتي كانت تعد من أهم ولايات المشرق الإسلامي، وذلك في عهد الأمير نوح بن نصر بن أحمد الساماني، كما أنهم كان لهم دور كبير في الثورات والصراعات الداخلية بين أبناء الأسرة السامانية، فتارة نجدهم ينضمون إلى صفوف الخارجين على السلطة الحاكمة وتارة نجدهم من أشد المؤيدين لها والمدافعين عنها، مما يدل على ماتمتعوا به من سطوة ونفوذ خلال الحكم الساماني ليس فقط فيما وراء النهر وإنما في خراسان أيضًا.

---

(56) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** ، ج٧، ص ١٦٧، ص ١٧٦

(57) **الري:** بفتح أوله وتشدي ثانيه ، وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، وقصبة بلاد الجبال في اقليم خراسان. . ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج٣، ص ١١٦.

(58) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** ، ج٧، ص ١٩٠- ١٩٥؛ سبط بن الجوزي: **مرأة الزمان** ، ج١٧، ص ٢٧٣.

ونظرًا للدور السياسي والعسكري الذي كانت تقوم به إسبيجاب خلال العصر الساماني في حماية بلاد ماوراء النهر من غارت الترك الوثنيين، فقد أُنشئت في إسبيجاب الرُبُط الحربية التي بلغ عددها ألف وسبعمائة رباط، تم تعميرها بالجنود حتى أصبحت هذه الرُبُط محطات يفد إليها المجاهدون والمتطوعة؛ ليسهموا فى المشاركة في هذا الجهاد ضد الترك الشرقيين الوثنيين، ولا شك أن إنشاء هذه الربط يشير إلى انتشار الإسلام على نطاق واسع في إسبيجاب(٥٩).

وكغيرها من الثغور، فإن بعض رباطاتها قد شيده أهل المدن الكبرى من أجل مطوعة مدنهم، فنجد ذكرًا لرباط النخشبيين نسبة إلى مدينة نخشب(٦٠)، ورباط البخاريين ورباط السمرقنديين(٦١)، والبعض الآخر بناه أهل الخير من الأثرياء مثل رباط قراتكين الذي كان حاكمًا على إسبيجاب في عهد نصر بن أحمد بن أسد الساماني، وعند هذا الرباط كان يوجد قبره.(٦٢)

---

(59) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ٢٧٣؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٢٩١– ٢٩٢؛ محمود محمد خلف : **الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر** ، ص ٤٣.

(60) **نخشب:** بالفتح ثم السكون، وشين معجمة مفتوحة، وباء موحدة: من مدن ما وراء النهر بين جيحون وسمرقند وليست على طريق بخارى فإن القاصد من بخارى إلى سمرقند يجعل نخشب عن يساره ، بينها وبين سمرقند ثلاث مراحل. الحموي: **معجم البلدان**، ج٥، ٢٧٦.

(61) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ٢٧٣؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٢٩١– ٢٩٢؛ محمود محمد خلف : **الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر**، ص ٤٣؛ طارق عبد السلام لعجال وأحمد زكي إبراهيم إبراهيم: **التصوف بين التوظيف السياسي والثابت التاريخي**،
Jurnal Al-Tamaddun Bil,vol. 7(1), 2012,p. 175

(62) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** ، ج٦، ص ٧٤٦؛ المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ٢٧٣.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الرُبُط لم تظهر إلا في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، ويمكن إرجاع ذلك إلى أن الإسلام كان حديث العهد في البلاد ولم يكن تعمق في قلوب السكان على نطاق واسع، وإنما ظهرت هذه الربط في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين وذلك خلال العصر العباسي، فقد اهتم العباسيون منذ القرن الثاني الهجري ببناء الرُبُط في الثغور على الحدود، وكانت هذه الرُبُط يرابط فيها المجاهدين من المتصوفة وغيرهم للجهاد ضد الترك الوثنيين في أيام الحرب، وللنسك والعبادة في أيام السلم.(٦٣)

وكانت موارد هؤلاء المطوعة من الضياع التي اقطعتها لهم الخلافة العباسية وجعلتها وقفًا للإنفاق عليهم، فقد منحت الحكومة السامانية الأراضي شريطة الدفاع عن الحدود ضد هجمات الترك الوثنيين(٦٤)، وبفضل جهاد ومرابطة أهل إسبيجاب فقد أسقط عنهم الخلفاء العباسيون الخراج؛ وذلك ليصرف أهلها خراجها في توفير السلاح والمؤن اللازمة لهم ولدوابهم وعيالهم ومن نزل عليهم، لتمكينهم من المرابطة والمقام بها للدفاع عن دار الإسلام.(٦٥)

---

(63) شوقي ضيف: **من المشرق والمغرب بحوث في الأدب**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ، ١٩٩٨م، ص ٦٤– ٦٥.

(64) Barthold, ***Four Studies***, P.19.

(65) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج١، ص ١٧٩؛ عبد الحميد حسين حموده: **الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها العالمي**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٢١؛ محمود محمد خلف : **الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر** ، ص ٤٣.

وكان إعفاء إسبيجاب من الخراج من أبرز الامتيازات التي تمتعت بها في ظل الحكم الساماني دون غيرها من مدن ماوراء النهر، وهو ما ميزها عن مثيلاتها من المدن فيما وراء النهر إذ لا توجد بما وراء النهر مدينة لا خراج عليها إلا إسبيجاب وكان أميرها يرسل في كل عام إلى حكومة السامانيين بأربعة دوانق(٦٦) ومكنسة كهدية(٦٧) بدلًا من الخراج وكدليل على تبعيته وولائه للأمير الساماني ممثل الخليفة العباسي(٦٨)، وهو مبلغ زهيد للغاية إذا ما قورن بحجم الخراج الذي كان يجبى من غيرها من المدن المجاروة لها فيما وراء النهر(٦٩).

وبذلك فعلى الرغم من مشاركة بعض أمراء إسبيجاب في الصراعات بين أبناء البيت الساماني على الحكم إلا أن ذلك لم ينعكس سلبًا على الأوضاع في إسبيجاب وعلى مكانتها لدى الدولة السامانية وعلى دورها كمدينة ثغرية على الحدود مع الترك الوثنيين، كما أن إعفاء إسبيجاب من الخراج يدل على عظم الأهمية والمكانة التي

---

(66) **الدوانق:** جمع دانق ، وهو لفظ معرب مأخوذ عن اليونانية ومقداره سدس درهم . زين الدين الرازي: **مختار الصحاح**، ط٥، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت – صيدا، المكتبة العصرية – الدار النموذجية ، ١٩٩٩م، ص ٥٥؛ علي محمد جمعة : **المكاييل والموازين** ، ص ٢٤.

(67) الاصطخري: **المسالك والممالك** ، ص١٨٦؛ ابن حوقل : **صورة الأرض**، ج٢، ص ٥١٠؛ الحميري: **الروض المعطار** ، ص ٥٦.

(68) بارتولد: **تركستان** ، ص٣٣٥– ٣٣٦.

(69) فكان خراج فرغانة مائتا ألف وثمانين الفًا محمدية، وعلى الشاش مائة ألف وثمانون ألفًا مسيبية، وعلى خجندة من مقاطعة الاشعار مائة ألف مسيبية، وعلى الصُّغْد وكش ونَسَف واشر وسنة ألف ألف وتسعة وثلاثون ألف واحد وثلاثين درهما محمدية، وخراج بخارى ألف ألف ومائة ألف وستة وستون الفا وثمانمائة وسبعة وتسعون درهما غطريفية، وكانوا ثلاثة اخوة محمد ومسيب وغطريف ضربوا هذه الدراهم وهي سود على عمل الفلوس، وخراج الصغانيان ثمانية وأربعون الفا وخمسة مائة وتسعة وعشرون درهما، وعلى خوارزم أربعمائة ألف وعشرون ألف ومائة وعشرون بدراهمهم. المقدسي : **أحسن التقاسيم**، ص ٣٣٩– ٣٤٠.

احتلتها إسبيجاب لدى الخلافة العباسية وأمرائهم السامانيين الذين لم يغفلوا دور إسبيجاب في تأمين الحدود الشمالية الشرقية للدولة الإسلامية ضد خطر الترك الوثنيين.

٢- إسبيجاب في ظل حكم القراخانيين[٧٠](٣١٥- ٥٣٦هـ/٩٢٧- ١١٤١م):

مؤسس هذه الدولة " ستوق بغراخان" (٣٠٨-٣٤٤هـ/٩٢٠- ٩٥٦م) الذي كان يحكم دولة تركية على حدود الدولة السامانية في بلاد ماوراء النهر تشمل كل البلاد التي تقع شمالي جبال تيانشان وجنوبها أي التركستان الشرقية كلها، وكان ستوق بغراخان هو أول حاكم تركي شرقي يعتنق الإسلام عام (٣١٥هـ/٩٢٧م) واتخذ بعد إسلامه اسم عبد الكريم بغراخان، وقد تبعه أفراد أسرته وكبار رجال دولته، وكان هارون بغراخان بن سليمان(٣٤٤- ٣٤٧هـ/٩٥٦- ٩٥٨م) حفيد ستوق بغراخان هو أول من قاد الجيوش لغزو بلاد ماوراء النهر من هذه الدولة.[٧١]

---

(70) كان المستشرقون هم أول من أطلقوا على هذه الأسرة اسم القراخانيين؛ نظرًا لتواتر كلمة " قرا" بمعنى الأسود أو القوي في ألقابهم، كما يعرفون باسم خانات ال" إيلك" ويطلق عليهم أيضًا " آل أفراسياب" أي بيت أفراسياب؛ نظرًا لوجود نوع من القرابة الافتراضية التي تصل نسبهم لأمير توران في شهنامة الفردوسي، وهم من قبائل الترك القارلوق. ابن الأثير : **الكامل في التاريخ** ، ٩، ص ١١٦؛ كليفورد.ا. بوزورث: **الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، ط٢، ترجمة: حسين علي اللبودي، مراجعة: سليمان إبراهيم العسكري، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت، ، ١٩٩٥م ، ص ١٦٣؛

Biran, M . ***Karakhanid Khanate***, The Encyclopedia of Empire, First Edition. Edited by John M. Mackenzie, John Wiley & Sons, Ltd, 2016,P.1 .

(71) حسن أحمد محمود: **الإسلام في أسيا الوسطى**، ص ١٨١- ١٨٣؛ بوزورث: **الأسرات الحاكمة** ، ص ١٦٣؛ عصام الدين عبد الرءوف الفقي: **الدول المستقلة في المشرق الإسلامي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ، ١٩٩٩م، ص ٩٦- ٩٨ ؛ محمود عبد الله جمعه مراد: **إقليم الشاش** ، ص ٦٤؛=

وسرعان ما ظهر الصراع بين القراخانيين في الشرق وجيرانهم من الترك الغربيين المسلمين؛ ولذلك كان لابد أن يصطدموا مع السامانيين(٧٢)، فمنذ العقد الأخير من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بدأ الصدام القراخاني المنظم ضد السامانيين للسيطرة على ما وراء النهر، فبدأوا غزو الدولة السامانية من الشمال الشرقي بزعامة هارون بغراخان الذي دخل بلاد ما وراء النهر أول مرة استجابة لدعوة الدهاقنة المحليين، فقد أغراه ما وجده في الجنوب من فراغ في السلطة عقب اضمحلال نفوذ السامانيين فى منطقة ما وراء النهر، وكان قد تم الاتفاق سرًّا بين هارون بغراخان وبين والى خراسان آنذاك أبى على أحمد بن محمد بن سيمجور على اقتسام أملاك السامانيين على أن تُترك بلاد ما وراء النهر لبغراخان وتُطلق يد أبى على في البلاد جنوب نهر جيحون. (٧٣)

وكانت إسبيجاب أول إمارة سامانية يسيطر عليها الترك المسلمون القراخانيون بزعامة هارون بغراخان(٧٤) حيث دخلها مع جيشه سنة (٣٨٠/٩٩٠) واستولى عليها دون أية مقاومة تذكر من قبل الأسرة الحاكمة بها أو من قبل أهلها، الذين فتحوا أبواب المدينة أمام هارون بغراخان واستقبلوه بالهدايا، ومنها توجه بغراخان إلى سمرقند ثم إلى بخارى حاضرة السامانيين في سنة (٣٨٢هـ /٩٩٢م)، منتهزًا فرصة ضعف

=Barthold, ***Four Studies***,p.21; Levi and Sela*, **Islamic Central Asia*** ,p.48*.*

(72) Levi and Sela*, **Islamic Central Asia*** ,p.48*.*

(73) النرشخي: **تاريخ بخارى**، ص ١٥٣؛ بوزورث: **الأسرات الحاكمة** ، ص ١٦٣؛ محمود عبد الله جمعه مراد: **إقليم الشاش** ، ص ٦٥.

(74) بارتولد: **تاريخ الترك في أسيا** ، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٩٩؛

Davidovich, ***The Karakhanids***,p.121.

الإمبراطورية السامانية في عهد الأمير الساماني نوح الثاني بن منصور(٣٦٦-٣٨٧هـ/ ٩٧٧-٩٩٩م) واضطراب أوضاعها. (٧٥)

ويتضح من ذلك أن إسبيجاب كانت أول مدينة سامانية يفكر القراخانيون في الاستيلاء عليها؛ لأنها كانت متاخمة لحدود بلادهم من ناحية؛ ولأنهم كانوا يدركون أهميتها السياسية والعسكرية حتى أنهم اتخذوا منها قاعدة عسكرية بعد السيطرة عليها لتوجيه الجيوش لغزو المدن السامانية فيما وراء النهر. كما يمكن تعليل غياب المقاومة الإسبيجابية للقراخانيين إلى أن القراخانيين كانوا مسلمين سُنة يتّبعون المذهب الحنفي، وهو نفس معتقد ومذهب غالبية سكان ماوراء النهر ومنها إسبيجاب، وكان وصولهم للحكم يمثل مجرد تغيير للحكام فقط أو للسلالات الحاكمة لذلك أبدى الناس نوع من اللامبلاه إزاء ذلك، في وقت كان فيه كثير من الناس غير راضين عن السامانيين؛ نظرًا لكثرة الضرائب التي فرضها السامانيون على رعاياهم مما أثار سخطًا شديدًا ضدهم، كما أنهم تطلعوا إلى الحصول على امتيازات ومزايا جديدة في ظل حكم القراخانيين الذين كانوا يكافئون بسخاء من يساعدهم، وقد كافأ القراخانيون الدهاقنة نظير مساعداتهم لهم فمنحوهم حكم بعض المناطق في ماوراء النهر، حيث حكموا كتابعين للقراخانيين.(٧٦)

---

(75) الكرديزي: **زين الأخبار**، ترجمة: عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ٢٠٠٦م، ص ٢٣٢-٢٣٣؛ ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج٤، ص ٤٦٧؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٣٩٥.

Molotova, E. and Maximova, S. "Qarakhanids and Seljukids in the History Of Central Asia", Uygur Araştırmaları Dergisi, vol.9,2017,p. 54.

(76) بارتولد: **تركستان** ، ص ٣٩٥- ٣٩٦؛

Davidovich, ***The Karakhanids***, p.122.

لم يمكث هارون بغراخان طويلًا في بخارى، إذ سرعان ما أصابه المرض وتدهورت حالته الصحية فاضطر إلى العودة إلى كاشغر[٧٧] عاصمة دولته، ولكنه مات في الطريق[٧٨]، فانتهز الأمير نوح الثاني الفرصة واستعان بمساعدة كلًّا من الغزنويين(٣٥١- ٥٨٢هـ/ ٩٦٢-١١٨٦م) [٧٩] والسلاجقة (٤٢٩- ٧٠٠هـ/ ١٠٣٧-١٣٠٠م)[٨٠]، وتمكن بعد ذهاب بغراخان وتركه بخارى، من استعادة سلطة السامانيين على جميع المناطق التي سيطر عليها القراخانيون في حوض نهر جيحون وسيحون حتى إسبيجاب المدينة الحدودية للدولة السامانية [٨١]، ولكن القراخانيين أعادوا غزو البلاد السامانية مرة أخرى، وتم عقد الاتفاق بين الطرفين بوساطة السلطان الغزنوي سُبَكتَكين(٣٥١- ٣٨٧هـ) على أن يكون الحد الفاصل بين أملاك السامانيين وأملاك

---

(77) **كاشغر**: بالتقاء الساكنين والشين معجمة والغين أيضًا وراء، وهي مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وغيرها ، وهي في وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون ، هي عاصمة تركستان الشرقية. . ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج٤، ص ٤٣.

(78) ابن الأثير : **الكامل في التاريخ** ، ج٧، ص ٤٦٠؛ نادية عويس حسانين: **التاريخ العسكري في بلاد ماوراء النهر وأفغانستان**، (الإسكندرية، دار التعليم الجامعي، ٢٠١٩)، ص ٦٧؛

Treadwell, ***The Account of the Samanid Dynasty***, p. 146; Davidovich, ***The Karakhanids***, p.122.

(79) بارتولد: **تركستان** ، ص ٤٠١؛

Treadwell, ***The Account of the Samanid Dynasty***, p.146.

(80) ابن الأثير : **الكامل** ، ج٨، ص ٦؛

Molotova and Maximova, ***Qarakhanids and Seljukids***, p. 54.

(81) خواند مير : **روضة الصفا**، ص ١٠٣-١٠٤؛

Molotova and Maximova, ***Qarakhanids and Seljukids***, p. 54

القراخانيين مفازة قطوان[٨٢]، وبهذا ظل جميع حوض نهر سيحون في يد القراخانيين، وبذلك أصبحت إسبيجاب تابعة لحكم القراخانيين. [٨٣]

وفي ظل الصراع بين القراخانيين والسامانيين كان لإسبيجاب دور في التمردات السياسية التي حيكت للإطاحة بالدولة السامانية، ففي سنة (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) أعلن الثورة أبو منصور محمد بن الحسين الإسبيجابي في سمرقند أحد أمراء الأسرة الحاكمة في إسبيجاب وذلك بإيعاز من الوزير الساماني الأسبق عبد الله بن عزير[٨٤] الذي أوعز إليه بإعلان الثورة ضد الأمير أبي الحرث منصور بن نوح الثاني(٣٨٧-٣٨٩هـ/ ٩٩٧- ٩٩٨م) للإطاحة به وبالتالي يسيطرون على الحكم ويحلون محل السامانيين في حكم ماوراء النهر ، وفي سبيل تحقيق ذلك طلب زعيمي الثورة العون من الحاكم القراخاني [٨٥]وهو الإيلك نصر[٨٦] ، الذي وعده بتقديم العون له وزحف نحو سمرقند، ولكنه لم يكن عند حسن ظنهما فعندما وصل إلى سمرقند أمر بالقبض

---

(82) **قطوان:** قرية من قرى سمرقند على خمسة فراسخ منها. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج٤، ص ٣٧٥.

(83) بارتولد: **تركستان** ، ص ٤٠١.

(84) **عبد الله بن عزير:** استوزره الأمير نوح بن منصور الساماني سنة (٣٧٣هـ/ ٩٨٣م)، ولكن وقعت بينه وبين بعض كبار رجال الدولة المشاحنات والحروب ، فعزل ابن عزير ونفي إلى خوارزم ، ولكن عندما توفي الأمير نوح بن منصور وتولى ابنه أبو الحارث منصور بن نوح الإمارة في الدولة السامانية ، عزم عبد الله بن عزير على الاتصال بالإيلك نص ضد السامانيين انتقامًا لما كان من أمر عزله وإبعاده .النرشخي: **تاريخ بخارى**، ص ١٤٢؛ ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص ٣٩٦؛ ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون** ، ج٤، ص ٤٧٨؛

Treadwell, ***The Account of the Samanid Dynasty***, p.146.

(85) ابن خلدون: **تاريخ بن خلدون**، ج٤، ص ٤٧٨؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٤٠٢.

(86) واسمه أبو نصر أحمد بن علي بن موسى بن ستوق بغراخان ، ولقبه شمس الدولة، وحاكم الدولة القراخانية. ابن الاثير : **الكامل في التاريخ** ، ج٧، ص ٥٠٥.

على زعيمي الثورة أبي منصور الإسبيجابي وابن عزير وسجنهما ثم عاد إلى بلاده بعد أن هدأت الأمور في سمرقند.([٨٧])

وبذلك، فقد فشلت هذه الثورة في تحقيق أهدافها، حيث كان يطمع زعماؤها في الإطاحة بالدولة السامانية والإحلال محلهم في ظل السيادة القراخانية، ولكن الإيلك نصر أفسد مخططهما وقبض عليهما وأودعهما السجن.

وفي سنة (٣٨٩هـ/ ٩٩٩م) دخل الإيلك نصر مدينة بخارى استولى عليها، ودالت بذلك دولة السامانيين فيما وراء النهر، وأصبحت بلاد ماوراء النهر تحت حكم القراخانيين المسلمين([٨٨])، وكانت إسبيجاب إحدى المدن الرئيسة المهمة لدى القراخانيين، بل ازدهرت وتوسعت عما كانت عليه في ظل حكم السامانيين[٨٩]، ففي سنة (٤٢٤هـ/ ١٠٣٢) بعد موت يوسف قدر خان (الخان القراخاني) اقتسم ابناه مملكته فكانت بلاد بلاسغون[٩٠] وكاشغر من نصيب ابنه الأكبر سليمان بغراتكين الذي سمي أبو شجاع أرسلان خان ولقبه شرف الدولة(٤٢٤-٤٤٨هـ/ ١٠٣٢-

---

([87]) النرشخي: **تاريخ بخارى**، ص ١٤٦؛ الكرديزي: **زين الأخبار**، ص ٢٣٦؛ ؛ ابن الاثير : **الكامل في التاريخ** ، ج٧، ص ٥٠٥؛ ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج٤، ص ٤٧٨؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٤٠٢.

([88]) النرشخي: **تاريخ بخارى**، ص ١٤٦- ١٤٧؛ الكرديزي: **زين الأخبار**، ص ٢٣٦- ٢٣٧؛ ؛ ابن الاثير : **الكامل** ، ج٧، ص ٥٠٥- ٥٠٦؛ ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج٤، ص ٤٧٨- ٤٧٩؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٤٠٢- ٤٠٣؛

Levi and Sela, ***Islamic Central Asia***, p.48.

([89]) بارتولد: **تركستان** ، ص ٣٣٥؛

Davidovich, ***The Karakhanids***, p.140.

([90]) **بلاسغون:** بلد عظيم في ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر ، ينسب إليه جماعة منهم أبو عبد الله محمد بن موسى البلاسغوني الذي مات في دمشق سنة (٥٠٦هـ/ ١١١٢م). الحموي: **معجم البلدان**، ج١، ص ٤٧٦.

١٠٥٦م)، أما ابنه الثاني محمد يوغان تكين الذي سُمي بغراخان فكانت طراز وإسبيجاب من نصيبه، حيث بدأ حكمه فيهما[٩١]، ولكن أخاه أرسلان خان أعلن عليه الحرب وتوجه إلى بلاده وحاربه ،ولكن بغراخان تمكن من هزيمته وأسره وأودعه في السجن وملك بلاده(٤٤٨– ٤٤٩هـ/ ١٠٥٦– ١٠٥٧م). [٩٢]

ثم ما لبثت إسبيجاب أن أصبحت جزءًا من خانات القراخانيين الشرقية على أساس ثلاث مدن رئيسة: إسبيجاب نفسها ، طراز ، وفرغانه؛ فبسبب الحروب التي وقعت بين أفراد الأسرة القراخانية منذ سنة (٤٠٧هـ/ ١٠١٦م) والتي استمرت حتى سنة (٤٣٣هـ/ ١٠٤٠م)، حيث انقسمت الخانية الموحدة إلى فرعين:

– فرع بخارى ويضم بلاد ما وراء النهر غربي فرغانة حتى خجند [٩٣] للخانات الغربيين. [٩٤]

–وفرع للخانات الشرقيين يضم طراز وإسبيجاب والشاش وشرقى فرغانة حتى كاشغر وصارت بلاساغون هى العاصمة السياسية والعسكرية فى حين صارت كاشغر المركز الدينى والثقافى.[٩٥]

---

(91) Barthold, ***Four Studies***, p.96; Davidovich, ***The Karakhanids***, p.126; Sevim and Bosworth, ***The Seljuqs and the Khwarazm Shahs***, p.147.

(92) بوزورث: **الأسرات الحاكمة** ، ص ١٦٤؛ Barthold ***Four Studies***, pp.96– 97

(93) **خجند:** بضم أوله وفتح ثانيه ونون ثم دال مهملة ، في الإقليم الرابع، وهي بلدة مشهورة بماوراء النهر على شاطيء نهر سيحون ، وهي مدينة نزهه وفي وسطها نهر جار ، والجبل متصل بها وهي متاخمة لفرغانة وهي في غربي نهر الشاش. الحموي: **معجم البلدان**، ج٢، ص ٣٤٧.

(94) بوزورث: **الأسرات** الحاكمة، ص ١٦٣؛ محمود عبد الله جمعه مراد: **إقليم الشاش** ، ص ٦٦.

(95) بوزورث: **الأسرات الحاكمة** ، ص ١٦٣؛ ص محمود عبد الله جمعه مراد: **إقليم الشاش** ، ص ٦٧.

حكم الفرع الأول على بن موسى وسلالته وهو الفرع الإيلكى فى الغرب، فى حين حكم الفرع الشرقى أسرة ابن عمه هارون أو حسن بغراخان (آل حسن) فى الشرق، وذلك منذ القرن الخامس الهجرى/ الحادي عشر الميلادي، وكان التنافس طبيعيًّا بين الفرعين [٩٦]، وقد استمرت الحروب والنزاعات الداخلية قائمة بين أمراء الأسرة القراخانية حتى سنة (٥٣٦هـ/ ١١٤١م)[٩٧] حيث انتهز القراخطائيون (٥١٨-٦١٥هـ/١١٢٤-١٢١٨م) من الترك الوثنيين هذه الفرصة وتمكنوا من محاربة القراخانيين وهزيمتهم في معركة قطوان سنة(٥٣٦هـ/ ١١٤١م) ودخول مدينتهم بلاساغون و فرض سيطرتهم على جميع بلاد ماوراء النهر.[٩٨]

يُلاحظ مما سبق أن القراخانيين كانوا على دراية تامة بالدور السياسي والعسكري الذي تقوم به مدينة إسبيجاب كمدينة ثغرية حدودية؛ ولذلك حرصوا على استمرار قيامها بهذا الدور فتوسعت المدينة في عهدهم وازدهرت عما كانت عليه، وتأكيدًا على أهميتها في ظل الحكم القراخاني كانت إسبيجاب تدخل في التقسيمات الإدراية للخانات القراخانية كواحدة من المدن الرئيسة المهمة المكونة للخانية الشرقية.

---

(96) المرجع السابق ، ص ١٦٤.

(97) بوزورث: **الأسرات الحاكمة** ، ص ١٦٤؛

Barthold, ***Four Studies***, pp.96- 97.

(98) ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج٥، ص ١٢٥؛

Biran, M. ***The Empire Of The Qara Khitai In Eurasian History Between China And The Islamic World***, Cambridge: Cambridge University Press,2005,Pp.43-44; Karev, Y. ***Qarakhanid Wall Paintings in the Citadel of Samarqand: First Report and Preliminary***, Muqarnas, Vol. 22 , Leiden: Brill ,2005, p.46.

٣- إسبيجاب منذ عهد القراخطائيين(الخطا)[٩٩] حتى الغزو المغولي (٥١٨-٦١٧هـ/ ١١٢٤-١٢٢٠م):

بعد سيطرة القراخطائيين (٥١٨- ٦١٥هـ/١١٢٤-١٢١٨م)وهم من الترك الوثيين على بلاد ماوراء النهر تركوا إدارة البلاد بيد القراخانيين المسلمين، ومنحوا السكان الحرية الدينية، وفرضوا عليهم الضرائب التي كان يقوم بجبايتها عمال قراخطائيين، ولكنهم أساءوا بعدذلك المعاملة مع الرعية، مما أفسح المجال لتدخل السلطان محمد خورازمشاه بن تكش بن ايل أرسلان(٥٩٧- ٦١٧هـ/١٢٠٠-١٢٢٠م)، حيث كاتبه ملوك ماوراء النهر من الخانية مثل ملك سمرقند وملك بخارى سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) يشكون له ما يلقونه من الخطا، ويطلبون منه دفع الخطا عنهم

---

(99) **القراخطائيون (الخطا):** كانت قبائل الخطا تسكن في شمال الصين، ثم هاجروا من شمال الصين في النصف الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي واتجهوا غربًا نحو إقليم تركستان ، ودخلوا في خدمة القراخانيين الذين أنزلوهم في مناطق الثغور بينهم وبين الصين لمنع أحد من ملوك الصين أن يتطرق إلى بلادهم ، فكانوا بمثابة جدار وحصن منيع ضد غارت ملوك الصين، وذلك مقابل جرايات واقطاعات تمنحهم لهم الخانية ، حتى وقعت الوحشة بينهم وبين الخان القراخاني وغضب عليهم وبدءوا في التصادم مع القراخانيين للسيطرة على دولتهم، حتى تمكنوا من هزيمته واسقاط حكم الخانية وكونوا دولة عرفت باسم القراخطائية واتخذوا من بلاسغون عاصمة لهم ، وكان حاكمها يلقب بالكورخان أي ملك الملوك ، وكانوا يدينون بالبوذية، وسيطروا على ماوراء النهر ولكنهم أبقوا على الحكام القراخانيين على مدن ماوراء النهر ولكن تحت السيادة القراخطائية. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص ١١٧-١١٩؛ فؤاد عبد المعطي الصياد: **المغول في التاريخ** (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٠م)، ص ٦٥؛ طارق أحمد شمس : **تاريخ التصوف في وسط آسيا**، ص ٩٧- ٩٨؛

Biran, ***The Empire Of The Qara Khitai***,pp.43 ; Levi and Sela, ***Islamic Central Asia***, p.48

على أن يدخلوا في طاعته، وتكون الخطبة والسكة باسمه في بلادهم[١٠٠]، فعبر خورازمشاه نهر جيحون إلى بلاد ماوراء النهر لمواجهة الخطا، ولكنه هزم، ثم توجه مره أخرى سنة (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) فالتقى بالخطا وحاربهم وهزمهم وقتل منهم خلق كثير[١٠١]، وقتل ملوك ماوراء النهر المعروفين بالخانية، وكان على كل بلد منها ملك يحفظ جانبه، فلما استولى خوارزمشاه على جميع النواحي فيما وراء النهر، ولم يبق لها ملك غيره عجز عنها وعن ضبطها فسلط عليها عساكره فنهبوها وأجلوا الناس.[١٠٢]

وتفنيد ذلك أنه في سنة (٦٠٨ هـ/ ١٢١١م) أرسل محمد خوارزمشاه فصيلة من جيشة إلى إسبيجاب لمناوشة القراخطاي ومنعهم من استعادة قواهم بعد هزيمتهم، وتأمين إسبيجاب وحمايتها ومنع التتار بزعامة كشلو خان (كوجلك خان)[١٠٣] (٦٠٨- ٦١٥هـ/ ١٢١١- ١٢١٨م) من دخولها والسيطرة عليها وكانت إسبيجاب

---

(100) أبو الفداء: **المختصر في أخبار البشر**، ج٣ ، المطبعة الحسينية المصرية ، مصر ، دت ، ص ١٠٩؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص ٥٢١- ٥٢٢.

(101) الذهبي: **العبر في خبر من غبر**، ج٣، ١٤٠؛

Barthold, ***Four Studies***, p.30

(102) الحموي: **معجم البلدان** ،ج٥، ص ٤٧ ؛ القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد** ، دار صادر، بيروت، ، دت، ص٥٥٨- ٥٥٩ ؛ بوزورث: **الأسرات الحاكمة** ص ١٦٤؛

Karev, ***Qarakhanid Wall Paintings***, p.46.

(103) كانت هناك طائفة من التتار قد خرجوا من أراضيهم في الصين ونزلوا على حدود تركستان، وجرت لهم حروب مع الخطا، فلما علموا أن خوارزمشاه قد كسر الخطا قصدوهم مع مقدمهم كشلوخان، فكاتب ملك الخطا خوارزمشاه يستنجد به على كشلوخان، فوافق على تقديم الدعم له وفي نفس الوقت كاتب كشلو خان بأنه معه أيضًا، وعندما حان وقت المصاف بين الفريقين نزل خوارزمشاه وجيشه بالقرب منهم، ولم يخالطهم وأوهم كلا الطرفين أنه معهم، فالتقى الخطا مع كشلوخان، فانهزمت الخطا فمال حينئذ خوارزمشاه مع التتار على الخطا ، وبعد أن هزمت الخطا راسل خورازمشاه كشلوخان بأن يقاسمه بلاد الخطا ولكن كشوخان رفض .ابن الأثير : **الكامل في التاريخ**، ج١٠، ص ٢٦٠؛ الذهبي: **العبر في خبر من خبر**، ج٣، ص ١٤٠ -١٤١؛ ابن كثير: **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج١٦ ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الجيزة- مصر ، ١٩٩٧ م)، ص ٧٥٧.

متاخمة لبلاده، حتى لا يتخذ منها قاعدة لمد نفوذه على باقي مدن ماوراء النهر، وكانت قد تواترت الأخبار بأن كشلو خان قد استحوذ على السلطة ببلاد القراخطائيين، بعد أن تمكن من هزيمة القراخطائيين سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م)، وذلك بمساعدة خوارزمشاه على أمل أن يتقاسم معه كشلو خان بلاد الخطا، ولكن كشلو خان رفض ذلك وأعلن الحرب على خوارزمشاه. [١٠٤]

قام خوارزمشاه بتوجيه الغارات ضد كشلو خان ووقعت الاشتباكات بين قوات كشلو خان ومحمد خوارزمشاه، وفي المقابل قام كشلو خان بتوجيه الغارات المكثفة لإخضاع تركستان الشرقية، وذلك في الأعوام المتتالية من (٦٠٨هـ/١٢١١م إلى٦١١هـ/ ١٢١٤م) وتخريبها وقت الحصاد حتى اندلعت مجاعة في المنطقة اضطرت الأهالي إلى الخضوع له، وهنا أدرك محمد خوارزمشاه عجزة وعدم قدرته على تقديم العون لإخوانه في تركستان الشرقية، بل وعجزه عن حماية الأطراف الشمالية لما وراء النهر، وفي آخر الأمر أصدر أوامره إلى سكان إسبيجاب والشاش وفرغانة بالجلاء عن بلادهم إلى بخارى وسمرقند وغيرهما من أرض الإسلام ثم قام بتخريب هذه المنطقة كلها خوفًا من أن يملكها التتار بزعامة كشلوخان ولعجزه عن حمايتها وتأمينها ضد هجمات كشلو خان[١٠٥]، "**فخربت هذه المدن التي لم يكن في**

([104]) الذهبي: **العبر في خبر من غبر** ، ج٣، ص ١٤٠ –١٤١؛ ابن كثير : **البداية والنهاية**، ج١٦، ص ٧٥٨؛؛ ابن خلدون : **تاريخ ابن خلدون**، ج٥، ص ١٢٦؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٥٢٥– ٥٢٨؛
Biran, ***The Empire Of The Qara Khitai***,p.82.

([105]) الذهبي: **العبر في خبر من غبر** ، ج٣، ص ١٤٠ –١٤١؛ ابن كثير : **البداية والنهاية**، ج١٦، ص ٧٥٨؛ ابن خلدون : **تاريخ ابن خلدون**، ج٥، ص ١٢٦؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٥٢٥– ٥٢٨؛
Biran, ***The Empire Of The Qara Khitai***,p.82.

بلاد الله أنزه منها ولا أحسن عمارة" [١٠٦] وهذه كانت نتيجة الصراع بين أقوى سلطان في العالم الإسلامي آنذاك وبين زعيم من زعماء الرعاة.[١٠٧]

ثم أعقب ذلك ورود التتر بزعامة جنكيز خان (٦٠٣- ٦٢٥هـ/١٢٠٦-١٢٢٧م) في سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م) فخربوا الباقي وأهلكوا ما بقي هناك متماسكًا "**فلم يبق من تلك الجنان المندرة والقصور المشرفة غير حيطان مهدومة وأثار أمم معدومة**".[١٠٨] وبعد الغزو المغولي أصبحت آسيا الوسطى وكازاخستان جزءًا من إمبراطورية جنكيزخان، وفي وقت لاحق أصبح جنوب كازاخستان ومن ضمنها مدينة إسبيجاب جزءًا من ممتلكات جغتاي بن جنكيز خان وذريته من بعده.[١٠٩]

وفي خراب إسبيجاب والتأسف على تحول أمرها يذكر ياقوت الحموي بعض الأبيات المعبرة[١١٠]:

رَمَتْ بِهِمُ الأَيَّامُ عَنْ قَوْسِ غَدْرِها ... كَأَنْ لَمْ يَكونوا زينَةَ الدَّهْرِ مَرَّةْ

وَما زالَ جَوْرُ الدَّهْرِ يَغْشى دِيارَهُمْ ... يَكُـرُّ عَلَيْـهِمْ كَـرَّةً ثُمَّ كَـرَّةْ

فَأَجْلاهُمُ عَنْهــا جَميعًا فَأَصْبَحَتْ ... مَنازِلُـهُمْ لِلنَّـاظِرِ الْيَوْمَ عِبْرَةْ

---

(106) ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ج٥، ص ١٢٦.

(107) بارتولد: **تركستان** ، ص٥٢٨.

(108) ياقوت الحموي: **معجم البلدان** ،ج١، ص ١٧٩ ؛ ، القزويني:**آثار البلاد وأخبار العباد**، ص٥٥٨– ٥٥٩

(109) Kadyraliyeva, A. M., Zholdubaeva, A.K., Mukhanbet, **A.** and Isengalieva, A.G. "***Origins Of Multiculturalism In Kazakhstan(The Example Of South Kazakhstan Region)***". European Journal Of Science And Theology, Vol.11, No.4, 2015 , P.216.

(110) **معجم البلدان**، ج١،ص ١٨٠.

ولا نجد ذكر لاسم إسبيجاب في مؤلفات المؤرخين والجغرافيين منذ أن خربها محمد خوارزمشاه والتتر، ولكن يرد ذكرها لأول مرة خلال رحلة الراهب التاوي الصيني تشانج تشون **CH'ANQ CH'UN** سنة (٦١٨هـ / ١٢٢١ م) من شمال الصين إلى بلاد فارس للقاء جنكيزخان باسم سيرام(١١١)، وذلك باستثناء محمود الكاشغري الذي ذكر في كتابه ديوان لغات الترك أن سيرم هي اسبيجاب، وذلك في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (١١٢)؛ إذ يبدو أنه الاسم التركي للمدينة لم يكن يستخدم؛ نظرًا لسيادة اللغة الفارسية كما سبق وأكدنا ذلك.

ويذكر تشانج تشون خلال رحلته إلى بلاد فارس أنه وصل إلى سيرام في رمضان ٦١٨هـ/ نوفمبر من سنة ١٢٢١م، وكان المغول قد أصلحوا أثناء زحفهم الطرق وأقاموا ما يقرب من ثمان وأربعين جسرًا خشبيًّا بالقرب من سيرام(١١٣) التي كان قد سبق أن خربها محمد خوارزمشاه من قبل في صراعه مع القراخطائيين وكشلو خان، ويذكر أيضًا أن حاكم سيرام المسلم قد خرج لاستقبالهم وأحسن وفادتهم واستضافتهم ودلهم على مساكنهم التي سينزلون فيها في سيرام، بسبب الأمطار المتساقطة في شهر نوفمبر من نفس السنة، وخلال وجودهم في المدينة شاهد برج خشبي صغير كما شاهد أهالي سيرام وهم يخرجون في جماعات يهنئ بعضهم البعض بمناسبة العيد. (١١٤)

---

(111) Bretschneider, E. ***Mediaeval Researches from Eastern Asiatic Sources,*** Vol.1. London: Kegan Paul, Trench, Trubner & CO. *LTD*, 1888,P.86.

(112) الكاشغري: **ديوان لغات الترك**، ج١، ص ٧٨.

(113) Bretschneider, ***Mediaeval Researches,*** Vol.1. pp.72– 73; Barthold, ***Four Studies***, p.42.

(114) Bretschneider, ***Mediaeval Researches***, p.74.

وبذلك يبدو من خلال وصف الرحلة أن الأراضي الواقعة شمال نهر سيحون والتي سبق أن خربها محمد خورازمشاه وعلى رأسها مدينة إسبيجاب قد عمرت بالسكان من جديد، كما يلاحظ أنه على الرغم من الغزو المغولي الذي اجتاح المنطقة الشمالية لنهر سيحون إلا إن حكامها ظلوا مسلمين دون الإشارة إلى وجود حكام مغول أو حاميات مغولية، والظاهر أيضًا أن مدينة إسبيجاب قد تغير اسمها بعد الغزو المغولي إلى سيرام وهو الاسم التركي للمدينة.

ثانيًا: الدور الحضاري لمدينة إسبيجاب منذ العصر الساماني حتى الغزو المغولي (٢٦١- ٦١٧هـ/ ٨٧٤- ١٢٢٠م)

١- نظام الحكم والإدارة:

على الرغم من خضوع إسبيجاب للسيادة الإسلامية إلا إنها ظلت إلى حد كبير ولاية مستقلة تحكمها أسرات محلية تركية تتوارث إدارة شئونها في ظل الحكومة السامانية، مثل أسرة قراتكين ومُت[١١٥]، وفي ظل الحكم القراخاني تمكنت هذه الأسرات التركية المحلية من التمسك بمركزها تحت حكم القراخانيين، بل ازدهرت المدينة وتوسعت خلال حكمهم، حيث لم تفقد المدينة أهميتها في ظل الحكم القراخاني عما كانت عليه في ظل الحكم الساماني وإنما ازدادت وتوسعت[١١٦]، حتى كان من استيلاء خوارزمشاه على ماوراء النهر وإسقاط حكم الخانية، مما أدى إلى تدهور

---

(115) بارتولد: **تركستان** ، ص ٣٣٥؛ احسان زنون الناصري: **الحياة العلمية زمن السامانيين**، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، ، ٢٠٠١م، ص ٢٠؛

Davidovich, ***The Karakhanids***, p.120.

(116) بارتولد: **تركستان** ، ص ٣٣٥؛

Davidovich, ***The Karakhanids***, p.140.

أوضاع البلاد وعجزه عن حمايتها من الأخطار الخارجية الممثلة في التتار بزعامة كشلوخان.(١١٧)

ويتضح من ذلك أن حرص الخلفاء المسلمين على إشراك أهل البلاد المفتوحة في إدارة شئون بلادهم، وتأكيد وجوب معاملتهم معاملة عادلة أدى إلى دخول تلك الأمم في الإسلام أفواجا، وانخرط أبناؤهم في شتى مجالات الحياة الفاعلة، فكان منهم الجنود وكبار القادة والحكام العظام.

ومن منطلق أن الخلافة العباسية أعفت إسبيجاب من الخراج مقابل حماية المنطقة من غارات الترك الوثنيين، فلم تكن إسبيجاب تدين تجاه السامانيين سوى بثلاث التزامات فقط، كانت واجبه على حاكم إسبيجاب وهي: الخدمة العسكرية(١١٨) المتمثلة في الدفاع عن المسلمين في ماوراء النهر ضد غارات الترك الوثنيين، وتقديم الهدايا الرمزية التي تمثلت في أربعة دوانق ومكنسة(١١٩)، ونقش اسم الأمير الساماني على العملات الخاصة بهم(١٢٠)، وذلك كنوع من إظهار التبعية والولاء للسامانيين ممثلي الخلافة العباسية في ماوراء النهر وخراسان، ولا شك أن هذا الأمر استمر أيضًا خلال العصر القراخاني، حيث تم سك عملة فضية في إسبيجاب نقش عليها اسم الأمير القراخاني. (١٢١)

---

(117) ياقوت الحموي: **معجم البلدان** ،ج٥، ص ٤٧ ؛ ، القزويني: **أثار البلاد وأخبار العباد**، ص٥٥٨– ٥٥٩ ؛ بوزورث: **الأسرات الحاكمة** ، ص ١٦٤.

(118) Davidovich ***The Karakhanids***, p.120

(119) الاصطخري: **المسالك والممالك** ، ص١٨٦؛ ابن حوقل : **صورة الأرض**، ج٢، ص ٥١٠؛ الحميري: **الروض المعطار** ، ص ٥٦؛ بارتولد: **تركستان**، ص ٣٦٣

(120) Davidovich, ***The Karakhanids***, p.120

(121) Davidovich, **Op. Cit**, p.124.

كما كان حاكم إسبيجاب إلى جانب ذلك يتمتع بنفوذ كبير لدى جيرانه من الترك المقيمين في الجزء الشرقي لنهر سيحون، والذين كانوا يدينون بالطاعة للسامانيين(١٢٢)، فيروى عن ملك التركمان الذي كان يقيم بمدينة أردوا(١٢٣) أنه "**لا يزال يبعث بالهدايا إلى صاحب إسبيجاب**"(١٢٤)، وبذلك، فكانت أراضي التركمان خاضعة لحاكم إسبيجاب، والتي كانت تعد منطقة حدودية حصينة في إقليم إسبيجاب.(١٢٥)

كانت مدينة إسبيجاب تعد من أكبر مدن كازاخستان التي تقع على طريق الحرير العظيم، وكانت تضم جميع الأراضي الممتده صوب المشرق إلى وادي تلاس بما في ذلك الوادي نفسه وحتى الأراضي الممتدة صوب الشمال الغربي إلى مدينة صبران(١٢٦) وراء نهر سيحون(١٢٧)، وفي الفترة من القرنين الرابع وحتى السادس

---

(122) الاصطخري: **المسالك والممالك** ، ص١٨٦؛ ابن حوقل : **صورة الأرض**، ج٢، ص ٥١٠؛ الحميري: **الروض المعطار** ، ص ٥٦؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٣٦٣

(123) **أردوا:** مدينة صغيرة بها ملك التركمان ، عليها حصن ولها خندق ملآن بالماء ودار الملك بالقهندز . المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ٢٧٥.

(124) المصدر السابق ، نفس الصفحة؛

(125) Sevim. A. and Bosworth. G. E. "***The Seljuqs and the Khwarazm Shahs***" in the ***History of Civilizations of Central Asia :The Age of Achievement:A.D. 750 To The End of the Fifteenth Century,Part One,The Historical, Social and Economic Setting***, Vol. IV ,Editors: Asimov M. S. And C. E. Bosworth, UNESCO Publishing, 1998, p.147.

(126) **صبران:** بالفتح ثم السكون وآخره نون ، بليدة فيها قلعة عالية بما وراء نهر سيحون، يجتمع فيها الترك الغزية للصلح والتجارات. . ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج ٣، ص ٣٩١.

(127) بارتولد: **تركستان** ، ص ٢٩٢– ٢٩٤؛

Buryakov et al . ***The Cities and Routes***, p.106.

الهجري/ العاشر وحتى الثاني عشر الميلادي أصبحت إسبيجاب أكبر مدينة تقع في جنوب كازاخستان، فقد اشتهرت اسبيجاب كأكبر مركز إدراي تضم عديد من المدن والقرى تحت حكمها [١٢٨]، حيث اشتملت على مدن كثيرة وقرى منها على سبيل المثال: بذخكث[١٢٩] واسبانيكث[١٣٠] وطراز [١٣١] وصبران وغيرها من المدن الأخرى [١٣٢] التي لا تقل عن أربعين مدينة. [١٣٣]

٢- الحياة الاجتماعية:

أ- عناصر السكان:

يتألف مجتمع إسبيجاب من عدد من العناصر السكانية التي شكلت البنية الاجتماعية له، وهذه العناصر هي:

الترك: دخلت أقوام من الترك بلاد ما وراء النهر واستقرت بها منذ القرن السادس للميلاد قبل دخول الإسلام إليها[١٣٤]؛ ولذلك فقد شكل الترك غالبية سكان أهم مدن ما وراء النهر ومنها

---

(128) Buryakov et al . **Op. Cit**, p.106.

(129) **بدخكث:** بالضم ثم الفتح ، وخاء معجمة ساكنة، وكاف مفتوحة، وثاء مثلثة: من قرى أسفيجاب أو الشاش. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج١، ص ٣٥٧.

(130) **اسبانكيث:** بالضم ثم السكون وباء موحدة وألف ونون مفتوحة أو مكسورة وياء ساكنة وفتح الكاف وثاء مثلثة، مدينة بما وراء النهر من مدن اسبيجاب . الحموي: **معجم البلدان**، ج١، ص ١٧١.

(131) **طراز**: بلد قريب من اسبيجاب من ثغور الترك تقع في آخر الإقليم الخامس . الحموي : **معجم البلدان** ، ج٤، ص ٢٧.

(132) الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج٢، **عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م** ، ص ٧٠٤- ٧٠٥.

(133) Buryakov et al, ***The Cities and Routes***, p.106.

(134) طارق أحمد شمس : **تاريخ التصوف في وسط آسيا**، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٦م، ص ٤٧

إسبيجاب، حيث تواجدوا فيها وأرسوا حياتهم الطبيعية، وعملوا بالتجارة، ولعل النمو الصناعي والتجاري هناك أدى إلى زيادة أعدادهم بصورة كبيرة.(١٣٥)

وفي العصر الساماني هجرت جماعات من الترك الغز أوطانها لسبب غير معلوم ونزلت بموافقة الحكومة السامانية أراضي ما وراء النهر الصالحة للمرعى، لقاء التعهد بحراسة الحدود ضد غارات القبائل التركية الأخرى، فنزلت جماعة من الترك الغز في المنطقة الواقعة إلى الغرب والجنوب الغربي من مدينة إسبيجاب، حيث استقرت في منطقة المراعي الخصبة وما لبثوا أن دخلوا في الإسلام.(١٣٦)

كما كانت إسبيجاب بمثابة الحد الفاصل بين الترك الخرلخية والترك الغز وهم من القبائل التركية في تركستان(١٣٧)، فمن خوارزم إلى ناحية إسبيجاب فهي ثغر للترك الغزية، ومن إسبيجاب إلى أقصى فرغانة فهي ثغر للترك الخرلخية(١٣٨)، وبذلك فكان الغز يشتركون بهذا الجوار مع الخرلخية عند ثغر إسبيجاب، وقد دخل في الإسلام قوم من الترك الغزية والخرلخية، الذين كان لهم بأس ومنعة بين غيرهم من القبائل التركية، وكانت تقع بين الترك الغزية والخرلخية في كثير من الأوقات حروب وغارات وإذا كانت الهدنة كانت بينهم تجارات ومعاملات(١٣٩)؛ لذلك كانوا يجتمعون في مدينة صبران لتوقيع معاهدات الهدنة أو

---

(135) نزار عبد المحسن داغر: **ملامح من الحياة الاجتماعية في ما وراء النهر حتى عهد الدولة السامانية**، العدد ١٣، مركز دراسات الكوفة ، العراق، ٢٠٠٩، ص ١٠٦.

(136) بارتولد: **تركستان** ، ص ٣٩٣.

(137) عبدالله إبراهيم: **عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧م ، ص ٢٢٨

(138) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص ١٦٣؛ الحموي: **معجم البلدان**، ج٥،ص ٤٦، القزويني: **أثار البلاد وأخبار العباد**، ص ٥٥٨.

(139) الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ج٢، ص ٧٠٥.

الصفقات التجارية، أو للدخول في الإسلام[١٤٠]، وبذلك فقد شكلت مدينة إسبيجاب ما يشبه منطقة للعلاقات الحربية والتجارية بين ثلاثة عوالم: الخرلخ والغز ودار الإسلام.[١٤١] وبذلك كان للترك الغلبة والانتشار في إسبيجاب.

الفرس: سكن الفرس بلاد ما وراء النهر منذ القرن السادس الميلادي في عهد كسرى أنوشروان(٥٣١- ٥٧٩م)، قبل الفتح الإسلامي حيث انتقل عدد من الفرس مع عائلاتهم وسكنوا هناك واندمجوا مع السكان من الترك منذ ثم تتابعت هجرات الفرس بعد ذلك[١٤٢]، وبذلك فلا شك أن الفرس قد سكنوا إسبيجاب أيضًا واندمجوا مع سكانها من الترك.

العرب: جاء استيطانهم واستقرارهم في بلاد ما وراء النهر مصاحبًا لعمليات الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر حيث أسكن قتيبة بن مسلم العرب في بلاد ما وراء النهر حتى أسكنهم أرض فرغانة والشاش[١٤٣]، وما دام أنه قد أسكنهم الشاش إذن فلا شك أنهم وصلوا إلى إسبيجاب التي كانت تابعة لإقليم الشاش.[١٤٤]

وفي ضوء ذلك يلاحظ أن سكان إسبيجاب كانوا خليط من الترك والفرس والعرب، ولكن السيادة كانت للعنصر التركي لا سيما وأن حكام إسبيجاب كانوا من أسر تركية محلية كما سبق وذكرنا.

---

(140) المصدر السابق، نفس الصفحة؛ محي الدين محمد قاسم: **التقسيم الإسلامي للمعمورة**، ص ١٣٩-١٤٠.

(141) محي الدين محمد قاسم: **التقسيم الإسلامي للمعمورة**، ص ١٤٠.

(142) نزار عبد المحسن داغر: **ملامح من الحياة الاجتماعية في ماوراء النهر**، ص ١٠٧.

(143) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٤١٦؛ نزار عبد المحسن داغر: **ملامح من الحياة الاجتماعية في ماوراء النهر**، ص ١٠٨.

(144) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**،ج١، ص ١٧٩.

ب– طبقات المجتمع في اسبيجاب:

كان يمثل **الطبقة العليا** في إسبيجاب حاكم إسبيجاب وأفراد الأسرة الحاكمة، ويليه **طبقة الأمراء** من الدهاقين ملاك الأراضي الزراعية، وكان أمراء إسبيجاب من أقوى الأمراء المحليين فيما وراء النهر؛ وذلك نظرًا لاتساع أملاكهم.(١٤٥)

أما الطبقة الوسطى فكان يمثلها طبقة **كبار التجار** التي حظيت بمكانة لاتقل أهمية عن طبقة الدهاقين، إذ جمع هؤلاء ثروات كبيرة عن طريق تجارتهم مع بلدان ومدن العالم الأخرى(١٤٦) وقد تميز هؤلاء ممن يملكون الأموال بأن أغلبهم كانوا ينفقون أموالهم في وجوه الخير المختلفة كمعونة الضعفاء، وعمارة الطرق، والإنفاق على الرباطات وغيرها من وجوه الخير المختلفة.(١٤٧)

أما **طبقة العامة** في إسبيجاب فكانت تمثل شريحة مهمة داخل المجتمع لاسيما وأن أغلبهم من الصناع وأصحاب الحرف والفلاحين بالإضافة إلى فئة من الفقراء المعدمين، وكان هؤلاء يمثلون غالبية السكان بها، والذين لا يقل دورهم أهمية عن دور التجار في رفد وانتعاش الحياة الاقتصادية في إسبيجاب، فصناع الأسلحة كان لهم دور كبير في رفد أسواق ما وراء النهر وأسواق بلدان أخرى، حيث كانت إسبيجاب مركزًا لصناعة السلاح والسيوف(١٤٨)، كما شكل الحرفيون الجزء الرئيس من السكان،

---

(145) بارتولد: **تركستان** ، ص ٣٦٣.

(146) نزار عبد المحسن داغر: **ملامح من الحياة الاجتماعية في ما وراء النهر**، ص ١١٠

(147) الاصطخري: **المسالك والممالك** ، ص ١٦٣؛ ابن حوقل : **صورة الأرض** ، ج٢، ص ٤٦٧؛ الحموي: **معجم البلدان**، ج٥، ص ٤٦؛ ، القزويني: **أثار البلاد وأخبار العباد**، ص ٥٥٨.

(148) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٣٢٥؛ نزار عبد المحسن داغر: **الحياة الاجتماعية في ما رواء النهر**، ص ١١١.

وأهم الحرف اليدوية الحضرية التي اشتهرت بها إسبيجاب حرفة الحدادة والنحاس وصياغة المجوهرات وصناعة الزجاج.(١٤٩)

وبذلك فكان لهؤلاء الحرفيين دور فاعل في مجتمعهم، وسد حاجاته عن طريق توفير بعض الصناعات المهمة والتي يعتمد عليها كثير من الناس بمختلف طبقاتهم وشرائحهم الاجتماعية.

أما **الفلاحون وهم من طبقة العامة،** فلا يقلون أهمية عن أقرانهم من الحرفيين وأصحاب المهن، فقد اعتمد المجتمع في إسبيجاب بدرجة كبيرة على الزراعة؛ بسبب توافر الظروف الملائمة لها من المياه والتربة الخصبة، مما ساعد على وفرة الإنتاج الزراعي، كما مارس الفلاحون تربية الحيوانات بمختلف أنواعها في المراعي الخصبة المتوافرة بها(١٥٠)، أما بالنسبة **للفقراء والمعدمين** الذين لا يجدون ما ينفقون فقد أوقفت عليهم غلة أحد الأسواق في إسبيجاب والذي كان يدر دخلًا شهريًّا يصل إلى سبعة آلاف درهمًا، أوقفت للإنفاق على الضعفاء لتوفير الخبز والإدام لهم.(١٥١)

ويتضح من ذلك أنه على الرغم من تعدد الطبقات في إسبيجاب إلا إنه يبدو أن التفاوت الاجتماعي فيها ليس كبيرًا، خصوصًا على المستوى الاقتصادي والمعاشي، ولا سيما إذ عرفنا أن ما وراء النهر يعد رخيصًا نسبيًّا بأسعاره إذا ما قيس مع المدن والبلدان الأخرى؛ بسبب توافر الإنتاج الزراعي والحيواني والمعدني بدرجة كبيرة، مما يشير بصورة واضحة إلى الاكتفاء الذاتي وارتفاع مستوى المعيشة لدى الأفراد في مجتمعهم.

---

(5) Buryakov et al , ***The Cities and Routes***, p.107.

(150) نزار عبد المحسن داغر: **ملامح من الحياة الاجتماعية في ما وراء النهر**، ص ١٠٧.

(151) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ٢٧٣

٣- الحياة الاقتصادية

أ- الزراعة والإنتاج الحيواني: فقد كانت إسبيجاب مدينة خصبة[١٥٢]، وواحة زراعية ومركزًا زراعيًا كبيرًا، فقد ذكر الاصطخري أنها" **خصبة كثيرة الغلات والمنافع**"[١٥٣] كما كانت تتوافر في ربضها الموارد المائية التي ساعدت على انتعاش الزراعة[١٥٤]، كما كانت المدن التابعة لها أيضًا تعمل في الزراعة، وقام الأهالي بزراعة الخضروات والفاكهة، وعملوا في تربية الماشية والأغنام حيث امتهنوا حرفة الرعي[١٥٥]؛ نظرًا لوجود المراعي الخصبة الممتلئة بالمواشي التي تقع إلى الغرب وإلى الجنوب الغربي من إسبيجاب والتي كان يسكنها الترك الذين اعتنقوا الإسلام وكان عددهم في حدود ألف أسرة.[١٥٦]

ب- الصناعة: شهدت مدينة إسبيجاب منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين تنمية وازدهار للحرف المختلفة إلى حد كبير، وعلى رأسها حرفة صناعة الخزف، حيث كان الخزفيون في إسبيجاب من المهارة والإتقان في الصناعات الخزفية، كما اشتهرت بها صناعة الزجاج والنجارة والحدادة والنحاس وصياغة المجوهرات[١٥٧]، وليس أدل على ازدهار الصناعة ورواجها في إسبيجاب إلا كثرة صادراتها من المنتجات المصنعة محليًّا التي سنتعرض لها في مجمل حديثنا عن التجارة.

---

(152) ابن حوقل: **صورة الأرض**، ج٢، ص ٥١٠؛ الحميري: **الروض المعطار** ، ص ٥٦

(153) الاصطخري: **المسالك والممالك** ، ص ١٨٦.

(154) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(155) Buryakov et al , ***The Cities and Routes***, P.107.

(156) مؤلف مجهول: **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، محقق ومترجم الكتاب عن الفارسية : السيد يوسف الهادي، ، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ، ٢٠٠٢م، ص ١٣٤؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٢٩٢– ٢٩٤.

(157) Buryakov et al , ***The Cities and Routes***,, p.107.

ج– **التجارة:** عُرفت إسبيجاب بازدهار أسواقها التي كانت مشحونة بكثير من السلع التجارية التي تشتد الحاجة إليها، ومما يؤكد ذلك قول الاصطخري "**ولها أسواق مشحونة**"(١٥٨)، ومن أشهرها سوق الأنسجة القطنية والذي كان يُعرف بسوق الكرابيس (١٥٩)، وتُعد إسبيجاب واحدة من أكبر المراكز التجارية على طريق الحرير العظيم(١٦٠)، حيث يتوافد عليها التجار من البلدان المختلفة بغرض التجارة(١٦١)، وهى من أهم المراكز التجارية بالشاش، وبأسواقها تتم عمليات التبادل التجاري الشهيرة، وكانت بها مجموعة كبيرة من الرباطات التي اتخذت مأوى للتجار وبضاعتهم، فقد أقيمت بها رباطات للتجار القادمين من بخارى وسمرقند وغيرها من المدن الكبرى فيما وراء النهر لكل مدينة رباط خاص يقيم فيه تجارها للإقامة بها وحمايتهم وحماية تجاراتهم (١٦٢) ، كما كانت البضائع تنقل من إسبيجاب وغيرها من مدن ما وراء النهر إلى بغداد حاضرة الخلافة الإسلامية آنذاك.(١٦٣)

ولعل أفضل تصوير لنمو الصناعة والتجارة ببلاد ما وراء النهر هو ذلك الذي ينعكس في قائمة المنتجات التي عُرفت بها كل مدينة(١٦٤)، فقد اشتهرت إسبيجاب بتجارة الرقيق من الترك والثياب الأبيض(الملابس القطنية) والأسلحة والسيوف والنحاس والحديد(١٦٥)، حيث كانت تقوم بتصدير هذه السلع إلى الشرق ولا سيما مدينة بغداد.(١٦٦)

---

(158) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص ١٨٦.

(159) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٧٢؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٢٩١

(160) Buryakov et al , ***The Cities and Routes***, p.100.

(161) مؤلف مجهول: **حدود العالم** ، ص ١٣٤

(162) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ٢٧٣؛محمود عبد الله جمعه مراد: **إقليم الشاش** ، ص ٨٩؛
Davidovich, ***The Karakhanids***, p. 120

(163) Buryakov et al , ***The Cities and Routes***, p.100.

(164) بارتولد: **تركستان** ، ص ٣٦٤.

(165) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٣٢٥؛ بارتولد: **تركستان** ، ص ٣٦٦.

(166) Buryakov et al, ***The Cities and Routes***, p.100.

وقد اشتهرت إسبيجاب ليس فقط كأكبر مركز إدراي تضم عديد من المدن والقرى تحت حكمها، ولكن كمحطة لتجارة العبور، فكان بها العديد من الأسواق التجارية و الرباطات، كما تم سك النقود المستخدمة في التجارة الدولية في مدن وسط وشرق آسيا وفي مدينة إسبيجاب نفسها وذلك في القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين. (١٦٧)

كما اشتهرت إسبيجاب في جميع أنحاء الشرق كمركز لتجارة الرقيق، حيث كان يتم بيع الرقيق الذين تم أسرهم من خلال العديد من الغارات والحملات العسكرية والحروب، وكذلك الأسرى من مختلف القبائل البدوية، كما كانت تجارة النسيج من التجارات الرئيسة في مدينة إسبيجاب، والذي كان يتم الحصول عليه في الغالب من قبائل البدو الرحل(١٦٨) التي كانت تأتي في أعداد كبيرة إلى مدن الثغور الإسلامية بغرض المتاجرة، وذلك لحاجتهم إلى منتجات المناطق الزراعية ولعجزهم آنذاك عن الحصول عليها عن طريق الإغارة بسبب سطوة الدولة السامانية.(١٦٩)

وبذلك، فقد ظلت إسبيجاب تنعم بالازدهار حتى بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي عندما أوقف الصراع بين خوارزمشاه وكشلو خان التتري، ثم أعقب ذلك الغزو المغولي عجلة التنمية والتطور والثقافة في إسبيجاب وآسيا الوسطى.

٤ – الحياة الفكرية والعلمية:

في الفترة من القرن الرابع وحتى السابع الهجري/ العاشر وحتى الثالث عشر الميلادي أصبح الدين الإسلامي منتشرًا على نطاق واسع، والأكثر شعبية لدى سكان المدينة، وأنشئت بها

---

(167) **Op. Cit**, p.106.

(168) Ibid, p.107.

(169) بارتولد: **تركستان** ، ص ٣٩٢– ٣٩٣.

المساجد كما تم إدخال مراسم الدفن الإسلامية، وكذلك الخط العربي تدريجيًّا، ومع ذلك فقد كانت الأفكار والعبادات الدينية القديمة لا تزال راسخة في أذهان الناس، حيث كانت إسبيجاب منذ التاريخ المبكر أحد المراكز التي يتم فيها التبشير بالمسيجية والدعوة إلى البوذية، كما كانت تتم ممارسة الطقوس البوذية والشامانية[١٧٠] والمسيحية في العصر الإسلامي المبكر في إسبيجاب[١٧١]، فقد تأثر بعض أهل إسبيجاب بالثقافة الصينية والإيرانية المحيطة بهم، وبالتالي ظهرت عندهم هذه المعتقدات وهي المعتقدات المعروفة في كل من الصين وإيران [١٧٢] ولا شك أن ذلك كان بعيدًا عن المسلمين .

أما بالنسبة للحياة العلمية، فقد شكلت إسبيجاب إحدى الحلقات العلمية المتقدمة في بلاد ما وراء النهر، فقد كانت الرُبُط أهم المراكز العلمية بها وانتشار أكثر من ألف وسبعمائة رباط لها يؤكد على دور هذه المدينة في تنشيط الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر؛ إذ أخذ العلماء يرابطون في هذه الرُبُط ويصنفون، فخرج من إسبيجاب طائفة من أهل العلم من كل فن.

ومن أشهر علماء وفقهاء إسبيجاب: **أبو الحسن علي بن منصور بن عبد الله بن أحمد** المؤدب المقري الإسفيجابي، مات بعد سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) [١٧٣] **وطالب بن القاسم** الفقيه الثغري الإسفيجابي، كان من فقهاء ما وراء النهر[١٧٤] **وأحمد بن منصور أبو نصر الاسبيجابي** القاضي شارح مختصر الطحاوي ومتبحر فى الفقه

---

(170) **الشامانية:** يقوم الشامان بمعالجة الأمراض الناجمة عن الجن وغيرهم من الأرواح الشريرة .

Eglar, zekiye. Paul j. Magnarella., ***A View Of Social Classes In The Eleventh Century Karakhanid State***, Anthropos Institute 66. 1971, P.234.

(171) Buryakov et al, **Op. Cit**, p.106.

(172) طارق أحمد شمس : **تاريخ التصوف في وسط آسيا**، ص ٤٧.

(173) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج١، ص ١٨٠.

(174) المصدر السابق، ج٢، ص ٨١.

ببلاده، دخل سمرقند وأجلسوه للفتوى، وصار الرجوع إليه فى الوقائع فانتظمت له الأمور الدينية، ووجد بعد وفاته صندوق له فيه فتاوي كثيرة كان فقهاء عصره أخطئوا فيها فوقعت عنده فأخفاها فى بيته لئلا يظهر نقصانهم وما تركها فى أيدي المستفتين حتى لا يعملوا بغير الصواب وكتب سؤالاتهم مرة أخرى وأجاب عليها [١٧٥]، ومنهم أيضًا **أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق الإسبيجابي السمرقندي** ولد سنة (٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، المعروف بشيخ الإسلام، لم يكن أحد في زمانه بما وراء النهر يحفظ مذهب أبي حنيفة ويعرفه مثله، كما كان له دوره في نشر العلم بين الناس[١٧٦]، وهو من ثغر إسبيجاب ثم سكن سمرقند، وصار المفتي بها، وتوفي بسمرقند سنة(٥٣٥هـ/١١٤٠م)[١٧٧]. **ومحمد بن أحمد بن يوسف الملقب بهاء الدين أبو المحامد المرغنياني** الاسبيجابي[١٧٨] وهو فقيه حنفي، صاحب مؤلف " زاد الفقهاء"[١٧٩]، و**أحمد بن محمد أبو العباس الخياط الاسبيجابي**، انتقل منها وأقام بالثغر الشامي، ثم انتقل إلى مصر، وأقام بها وكان من أصحاب ذي النون المصري، وكان لا يأكل إلا من كسب يده، وأصله من إسبيجاب.[١٨٠]

---

(175) عبد القادر القرشي: **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، ج١، مير محمد كتب خانه ، كراتشي ، دت، ص ١٢٧.

(176) السمعاني: **المنتخب من معجم شيوخ السمعاني**، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، دار عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٦م، ص ١٢٤٨؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج ٣٦، ص٣٨٥.

(177) السمعاني: **التحبير في المعجم الكبير**، ج١، تحقيق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، ١٩٩٥، ص ٥٧٨؛ ابن الغزي: **ديوان الإسلام** ، ج١، المحقق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٩٠ م، ص ١١٠.

(178) عبد القادر القرشي: **الجواهر المضية** ، ج٢ ، ص ٢٧.

(179) ابن قطلوبغا: **تاج التراجم**، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم ، دمشق، ١٩٩٢م، ص ٢٥٦–٢٥٧؛ حاجي خليفة: **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، ج ٣، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، مكتبة إرسيكا، إستانبول، ٢٠١٠ م، ص ٩٩.

(180) ابن العديم: **بغية الطلب** ، ج٣، ص ١١١٩– ١١٢٠.

كما كانت إسبيجاب أيضًا محط ونُزُل لكثير من العلماء الذين توافدوا عليها وكتب كثير منهم المصنفات بها ومنهم: **أبو أحمد محمد بن علي بن الحسن المروزي** من أهل مرو، سكن سمرقند وانتقل منها إلي إسبيجاب ومات بها بعد سنة (٣٥٠هـ/١١٣٥م)، وهو فقيه حنفي.[١٨١] و**أبو الإصبغ عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر الأندلسي الحافظ الأموي** مولاهم كان من أهل العلم والفضل سمع الحديث ببلاد المشرق والمغرب وارتحل في طلب الحديث من الأندلس في المغرب حتى وصل إلى إسبيجاب التي كتب بها الكثير ثم انصرف منها إلى بخارى، وقد وُلد في قرطبة في أقصى المغرب، وتوفي في بخارى من أرض المشرق سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥م).[١٨٢]

كما شارك العلماء والزهاد في بعض المعارك الجهادية ضد الترك الوثنيين ومنهم: **الفقيه سعيد بن القاسم بن العلاء أبو عمر البرذغي الطرازي** المرابط نزيل مدينة طراز، الذي توفى غازيًا في إسبيجاب[١٨٣]. و**أحمد بن توبة الغازي**[١٨٤] **المطوعي السلمي المروزي** من الزهاد، قيل أنه كان مستجاب الدعوة فتح إسبيجاب في أربعين رجلاً وبها أولادهم يعرفون بأولاد الأربعين يشار إليهم في البلد، وقد سكن **بيكند**[١٨٥] ومات بها. [١٨٦]

---

(181) ابن ماكولا: **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، ج٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ، ١٩٩٠م ، ص ٤١٨؛عبد القادر القرشي: **الجواهر المضية** ، ج١، ص ٣٧١.

(182) السمعاني: **الأنساب**، ج١، ص ٣٦٥– ٣٦٦.

(183) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج ٢٦، ص٢٩٢

(184) **الغازي**: نسبة إلى الغزو والجهاد مع الكفار. السمعاني: **الأنساب**، ج١١، ص ٣٧١.

(185) **بيكند**: بالكسر وفتح الكاف وسكون النون، تقع بين بخارى وجيحون ، بها نحو ألف رباط ، على مرحلة من بخارى ، كثيرة العلماء . ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج١، ص ٥٣٣.

(186) ابن ماكولا: **الإكمال** ،ج٧، ص ١٠٣.

ولا شك أن هؤلاء العلماء الذين ذخرت بهم إسبيجاب كان لهم دور كبير في نشر الدين الإسلامي في كثير من المدن والقرى المحيطة بها، كما أن غالبية هؤلاء العلماء كانوا من اتباع المذهب الحنفي، وبالتالي فلا نستبعد أنه كان المذهب الأكثر شيوعًا بين عامة أهل إسبيجاب لا سيما وأنه كان المذهب الرسمي للدولة السامانية.(١٨٧)

وبذلك تتضح أهمية إسبيجاب في أنها كانت ثغرًا جليلًا ودار جهاد للمسلمين ضد الترك الوثنيين في أقصى بلاد المشرق، نالت في هذا الصدد عناية الأسرات الحاكمة التي تتابعت على حكم بلاد ما وراء النهر منذ العصر الساماني حتى الغزو المغولي، ولم تقتصر أهمية المدينة على الأهمية السياسية ودورها في تأمين حدود الدولة الإسلامية في أقصى المشرق ضد غارات غير المسلمين من الترك الوثنين والصينين البوذيين، وإنما كان لها دور حضاري لا يقل أهمية عن دورها السياسي والذي لا يمكن التغافل عنه، فإنشاء أكثر من ألف وسبعمائة رباط بها ليس تأكيداً على دورها السياسي والعسكري فقط، وإنما تأكيدًا أيضًا على دورها الحضاري في النهوض بالحركة العلمية فيما وراء النهر، حيث إن هذه في وقت السلم كانت مراكز علمية وثقافية مهمة لنشر الدين الإسلامي وكتابة المصنفات في مختلف العلوم، كما أن هذه الرُبُط أيضًا كانت مأوى للتجار القادمين من مختلف بلاد ما وراء النهر لسُكناهم وحماية تجاراتهم، مما ساعد على ازدهار تجارتها وتوافد التجار إليها، كما لعبت اسبيجاب دور الوسيط التجاري بوقوعها على طريق الحرير العظيم، فكانت البضائع والسلع التجارية تخرج منها إلى الغرب حتى تصل إلى مقر الخلافة العباسية في بغداد، بالإضافة إلى دورها في رفد أسواق المشرق الإسلامي بالصناعات المختلفة التي كانت تُصنع بها محليًا أو بأنواع التجارات التي كانت تتهافت عليها أسواق المشرق.

---

(187) يحيى حمزة الوزنة: **مدينة مرو والسلاجقة حتى عصر سنجر**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص ١٣.

الخاتمـــــة:

أخرجت الدراسة عدد من النتائج المهمة والموثقة بمعلومات واسعة استقيتها من ثنايا المصادر التاريخية الأصلية فضلًا عن عدد من المراجع الثانوية والأجنبية، وفي مقدمة هذه النتائج:

أن مدينة إسبيجاب قد لعبت دور المركز الحيوي الذي يضم كثير من المدن فيما لا يقل عن أربعين مدينة، كما كانت إسبيجاب مركزًا استراتيجيًّا مهمًا يتمثل في وقوعها على طريق الحرير العظيم، كما كانت إسبيجاب من أهم المدن الثغرية على نهر سيحون لذلك كان أهلها في حالة رباط دائم لحماية المدينة من هجوم الترك الشرقيين؛ نظرًا لوقوعها على الحدود بين بلاد المسلمين وبلاد الترك الشرقيين الوثنيين، وهذا يفسر كثرة الربط بها والتي تصل إلى ألف وسبعمائة رباط مشحونة بالمقاتلة والمجاهدين من المطوعة.

كانت الخلافة العباسية تدرك جيدًا الأهمية السياسية والعسكرية لمدينة إسبيجاب ودورها في حماية ديار الإسلام، وقد ظهر ذلك جليًّا من خلال إعفاء أهلها من دفع ضريبة الخراج حتى يستخدموا أمواله في الإنفاق على توفير وشراء الموارد اللازمة لاستمرار الجهاد والرباط. كان لأفراد الأسرة الحاكمة في إسبيجاب دور كبير في التمردات والصراعات الداخلية بين أبناء الأسرة السامانية، كما كان منهم القواد المقربون للأمراء السامانيين والذين وصلوا إلى أعلى المناصب في الدولة السامانية.

أدرك القراخانيون مدى أهمية مدينة إسبيجاب ودروها السياسي والعسكري، فكانت أول مدينة سامانية سيطروا عليها، كما إنهم اتخذوا منها قاعدة عسكرية لشن غاراتهم ضد الدولة السامانية من أجل الإطاحة بها.كما كانت المدينة تمثل مركزًا

سياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا، ولكن شهدت المدينة تدهورًا ثقافيًّا وحضاريًّا نتيجة للصراع بين خوارزمشاه وكشلو خان التتري ثم تعرض البلاد للغزو المغولي.

لم تقتصر أهمية إسبيجاب على الأهمية السياسية والعسكرية فقط، وإنما كان لها أهمية ودور حضاري ملموس في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعلمية، كان يحكم إسبيجاب أسرات تركية محلية مسلمة تمتعت إلى حد كبير بالاستقلالية في حكم المدينة مع الاستمرار في اظهار التبعية للخلافة العباسية وممثليهم فيما وراء النهر.

لم يقتصر دور الأربطة في إسبيجاب على الجهاد وحماية بلاد ماوراء النهر من غارت الترك الوثنيين، وإنما كان لها دورها في ازدهار الحركة العلمية في بلاد ماوراء وفي ازدهار التجارة أيضًا.

التوصيات

توصي الدراسة بـ:

- ضرورة تحقيق وحدة الصف الإسلامي لمواجهة التحديات والمشكلات المعاصرة.
- تسليط الأضواء الكافية على تاريخ مدن ما وراء النهر لإماطة اللثام عنها والوقوف على أحوالها في ظل الحكم الإسلامي، حتى يتسنى للقاريء التعرف على مدى ما وصلت إليه حدود الإمبراطورية الإسلامية في أقصى اتساعها في أقصى المشرق الإسلامي.
- توعية شباب المسلمين بالدور العظيم الذي قام به قادة الفتح الإسلامي في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، والذين وصلوا بفتوحاتهم إلى أقصى المشرق، وأخذ القدوة والمثل الأعلى من هؤلاء القادة الذين لا تزال أسماؤهم تلمع في كتب التاريخ التي تزخر ببطولاتهم الخالدة التي لا تُنسى.

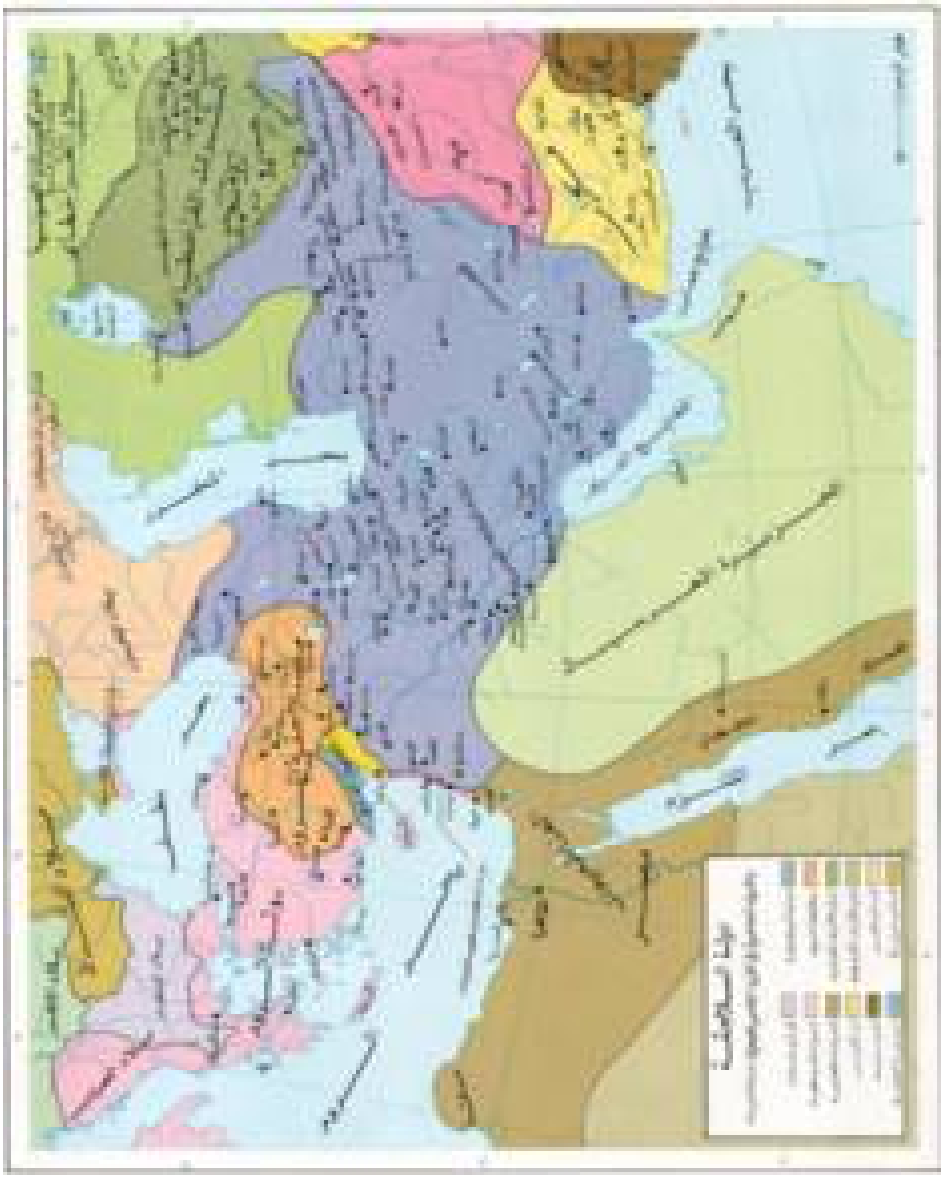

حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام (القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٧)، خريطة رقم ١٠٩، ص ٢١٦.

حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، خريطة رقم ١١٣، ص ٢٢٠.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

١- ابن الأثير(عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري)، (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، ، بيروت١٩٩٧م .

٢- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود)، (ت: ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م): **فتوح البلدان** ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨ م.

٣- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني)، (ت: ١٠٦٧ هـ/ ١٦٥٦م): **سلم الوصول إلى طبقات الفحول** ، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، مكتبة إرسيكا، إستانبول، ٢٠١٠ م.

٤- ابن حوقل (محمد البغدادي الموصلي، أبو القاسم)،(ت: بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م): **صورة الأرض**، دار صادر – أفست ليدن ، بيروت ، ١٩٣٨ م.

٥- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى)، (ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط٢، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة بيروت، ١٩٨٠ م.

٦- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله)، (ت: نحو ٢٨٠هـ/ نحو ٨٩٣ م): **المسالك والممالك** ، دار صادر أفست ليدن ، بيروت، **١٨٨٩ م.**

٧- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)، (ت: ٨٠٨ / ١٤٠٥- ١٤٠٦م): **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل حشادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر العربي، بيروت ، ١٩٨١.

٨- خواندمير(محمد بن خاوند شاه)،(ت: ٩٠٣هـ/١٤٩٧م): **روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء**، راجعة وقدم له:السباعي محمد السباعي، ترجمه عن الفارسية وعلق عليه وقدم: أحمد محمد الشادلي، الدار المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨م.

٩- الإدريسي(محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي)، (ت: ٥٦٠هـ / ١١٦٥ م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب ، بيروت، ١٩٨٨م.

١٠- الدواداري (أبو بكر بن عبد الله بن أيبك)، (مولده ووفاته غير معروف): **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي ، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٩٢ م .

١١- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز)، (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط٢، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي ، بيروت، ، ١٩٩٣م.

١٢- ـــ: **العبر في خبر من خبر**، تحقيق:أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م.

١٣- زين الدين الرازي (أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي)،(ت:٦٦٦هـ/١٢٦٧م): **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، ط٥، بيروت –صيدا، المكتبة العصرية –الدار النموذجية، ١٩٩٩م.

١٤- سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزأوغلي بن عبد الله) ،(ت: ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ م): **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تحقيق وتعليق: فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين ، دار الرسالة العالمية، دمشق ، ٢٠١٣ م .

١٥- السمعاني (عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد)،(ت: ٥٦٢هـ/ ١١٦٧ م): **الأنساب** ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٢ م.

١٦- ـــ: **التحبير في المعجم الكبير**،تحقيق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف ، بغداد، ١٩٩٥م.

١٧- ـــ: **المنتخب من معجم شيوخ السمعاني**،دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب ، الرياض، ١٩٩٦م.

١٨- الاصطخري (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، المعروف بالكرخي)، (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): **المسالك والممالك** ، دار صادر ، بيروت، ٢٠٠٤ م.

١٩- الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي)، (ت: ٣١٠ هـ/ ٩٢٢م): **تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك**، ط٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

٢٠- ابن العجمي (أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم الشافعيّ الوفائي المصري الأزهري، شهاب الدين)، (ت: ١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥ م): **ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب**، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ، اليمن ، ٢٠١١م.

٢١- ابن عبد الحق (صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي)، (ت: ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م): **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** ، دار الجيل ، بيروت، ، ١٩٩١م.

٢٢- ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي)، (ت: ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م): **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار ، دار الفكر، بيروت، ، د.ت.

٢٣- ابن الغزي (شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن)،(ت: ١١٦٧هـ/ ٧٥٣م): **ديوان الإسلام**، المحقق: سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ م.

٢٤- أبو الفداء(الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب) ، (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م): **المختصر في أخبار البشر** ، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، (د.ت).

٢٥- ابن فضل الله العمري(أحمد بن يحيى القرشي العدوي ، شهاب الدين)، (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩ م): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.

٢٦- الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري)، (ت: ١٧٠هـ): **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ت).

٢٧- ابن الفقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني)، (ت: ٣٤٠هـ/ ٩٥١ م): **البلدان**، تحقيق: يوسف الهادي ، عالم الكتب، بيروت ،١٩٩٦ م.

٢٨- الفيروز آبادي (أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي)، (ت: ٨١٧هـ/١٤١٥م):**القاموس المحيط**، ط٨، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ، ٢٠٠٥م.

٢٩- عبد القادر القرشي (أبو محمد محيي الدين عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي الحنفي)، (ت: ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣ م) : **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، مير محمد كتب خانه كراتشي، (د.ت).

٣٠- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود)،(ت: ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣ م): **آثار البلاد وأخبار العباد** ، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٣١- ابن قطلوبغا (أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (ت: ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م): **تاج التراجم**، المحقق: محمد خير رمضان يوسف ، دار القلم، دمشق ،١٩٩٢م.

٣٢- الكاشغري (محمود بن الحسين بن محمد)،(ت: ٤٩٦هـ/١١٠٢م): **ديوان لغات الترك**، دار الخلافة العلية– مطبعة عامرة، الأستانة، ١٩١٤م.

٣٣- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي)، (ت: ٧٤هـ/١٣٧٢م): **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الجيزة،١٩٩٧ م.

٣٤- الكرديزي: (أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود)،(ت:٤٤٣هـ/١٠٥١م): **زين الأخبار**، ترجمة: عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة،، ٢٠٠٦م.

٣٥- ابن ماكولا(سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر)، (ت: ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م): **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

٣٦- مؤلف مجهول (ت: بعد ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م): **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، محقق ومترجم الكتاب عن الفارسية: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٣٧- المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري)،(ت:نحو ٣٨٠ هـ / نحو ٩٩٠ م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٩٩١م.

٣٨- المقريزي (أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين)، (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٧م.

٣٩- النرشخي (أبو بكر محمد بن جعفر(،(ت: ٤٣٨هـ/٩٥٩م): **تاريخ بخارى**، ط٣، تعريب وتحقيق: أمين عبد المجيد بدوي ونصرالله مبشر الطرازي ، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

٤٠- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي)،(ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): **معجم البلدان** ، ط٢ ، دار صادر، بيروت ، ١٩٩٥م.

٤١- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح)، (ت:٢٩٢هـ/ ٩٠٤م): **البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠١م.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

٤٢- إحسان زنون الناصري: **الحياة العلمية زمن السامانيين**، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ٢٠٠١.

٤٣- أحمد عادل كمال : **الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم** ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦.

٤٤- حسن أحمد محمود : **الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٧٢م.

٤٥- حسين مؤنس: **أطلس تاريخ الإسلام** ، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.

٤٦- السيد ادي شير: **الألفاظ الفارسية المعربة** ، ط٢، دار العربي القاهرة، ١٩٨٨م.

٤٧- شوقي ضيف: من المشرق والمغرب بحوث في الأدب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٤٨- طارق أحمد شمس : **تاريخ التصوف في وسط آسيا**، دار الفارابي، بيروت ، ٢٠١٦.

٤٩- طارق عبد السلام لعجال وأحمد زكي إبراهيم إبراهيم: **التصوف بين التوظيف السياسي والثابت التاريخي**. Journal Al-Tamaddun Bil,vol. 7(1), 2012.

٥٠- ظفار قحطان عبد الستار علي : **الربط وأهميتها في التراث العربي الإسلامي في خراسان وما وراء النهر** ، مجلة الجامعة العراقية، ع(٣٤/١).

٥١- عبد الحميد حسين حموده: **الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها العالمي**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠١٢م.

٥٢- عبد الله إبراهيم: **عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧م.

٥٣- عصام الدين عبد الرءوف الفقي: **الدول المستقلة في المشرق الإسلامي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م.

٥٤- علي محمد جمعة: **المكاييل والموازين الشرعية**، القاهرة ، ط٢ ، القدس للإعلان والنشر والتسويق ، ٢٠٠١م.

٥٥- فؤاد عبد المعطي الصياد: **المغول في التاريخ** ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.

٥٦- ڤاسيلي ڤلاديميروڤتش بارتولد: **تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي**، نقله عن الروسية : صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، ، ١٩٨١م.

٥٧- ـــــ: **تاريخ الترك في آسيا**، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.

٥٨- كليفورد.ا. بوزورث: **الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي** ، ترجمة: حسين علي اللبودي، مراجعة: سليمان إبراهيم العسكري، ط٢، مؤسسة الشراع العربي الكويت، ١٩٩٥م.

٥٩- محمد يوسف عدس: **الإسلام والمسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز**، تقديم: وليد فكري فارس، مركز دراسات العالم الإسلامي الجامعة الإسلامية العالمية، كوالالمبور- ماليزيا، ٢٠١٧م.

٦٠- محمود عبد الله جمعه مراد: **إقليم الشاش من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري** ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الزقازيق، الزقازيق ، ٢٠٠٦م.

٦١- محمود محمد خلف : **الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر بين حقائق المؤرخين وأوهام المستشرقين**، دار المعارف، القاهرة ، (د.ت).

٦٢- محي الدين محمد قاسم: **التقسيم الإسلامي للمعمورة دراسة في نشأة وتطور الجماعة الدولية في التنظيم الدولي الحديث**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ، ١٩٩٦م.

٦٣- نادية عويس حسانين: **التاريخ العسكري في بلاد ماوراء النهر وأفغانستان**، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٩م.

٦٤- نزار عبد المحسن داغر: **ملامح من الحياة الاجتماعية في ما وراء النهر حتى عهد الدولة السامانية**، العدد ١٣، مركز دراسات الكوفة ، العراق، ٢٠٠٩م.

٦٥- يحيى حمزة الوزنة: **مدينة مرو والسلاجقة حتى عصر سنجر**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، (د.ت).

ثالثاً: المراجع الأجنبية

66- Bakhtiari, Behrooz Mahmoodi. ***Planning The Persian Language In The Samanid Period,*** Leiden: Brill,2003.

67- Barthold, V. V. ***Four Studies On The History Of Central Asia*** ,Translated From The Russian By V. And t. Minorsky,Vol. I, Leiden:E. J. Brill, 1956.

68- Biran, M . ***Karakhanid Khanate,*** The Encyclopedia of Empire, First Edition. Edited by John M. Mackenzie, John Wiley & Sons, Ltd, 2016.

69- Biran, M. ***The Empire Of The Qara Khitai In Eurasian History Between China And The Islamic World***, Cambridge: Cambridge University Press,2005.

70- Bretschneider, E. ***Mediaeval Researches from Eastern Asiatic Sources,*** Vol.1. London: Kegan Paul, Trench, Trubner & CO. *LTD*, 1888.

71- Buryakov, Y.F., Batpakov, K.M., Tashbaeva Kh., Akubov, Y. ***The Cities and Routes of the Great Silk Road on Central Asia Documents***, Tashkent: Publishig & Printing Concern (Sharq),1999.

72- Davidovich. E. A. "***The Karakhanids***" in the History of Civilizations of Central Asia :The Age of Achievement: A.D. 750 To The End of the Fifteenth Century,Part One,The Historical, Social and Economic Setting, .Vol. Iv,Editors: Asimov M. S. And C. E. Bosworth, UNESCO Publishing, 1998.

73- Eglar, zekiye and Paul j. Magnarella. ***A View Of Social Classes In The Eleventh Century Karakhanid State***, Anthropos Institute 66. 1971.

74- Fedorov, M. ***The Date Of The Transition Of Akhsikat To The Samanid Appanage Ruler Muhammad B. Asad*** , British Institute of Persian Studies,Vol. , Iran: 2008.

75- Kadyraliyeva, A. M. Zholdubaeva, A.K., Mukhanbet, **A** and Isengalieva, A.G. "***Origins Of Multiculturalism In Kazakhstan(The Example Of South Kazakhstan Region)***". European Journal Of Science And Theology, Vol.11, No.4, 2015.

76- Karev, Y. ***Qarakhanid Wall Paintings in the Citadel of Samarqand: First Report and Preliminary***, Muqarnas, Vol. 22 , Leiden: Brill ,2005.

77- Levi ,Scott .C and Sela, Ron . ***Islamic Central Asia : An Anthology Of Historical Sources*** ,Bloomington & Indianapolis :Indiana University Press, 2010.

78- Marlow, L. ***A Samanid Work Of Counsel And Commentary: The Nas1hat Al-Muluk Of Pseudo-Mawardi***, Journal of the British Institute of Persian Studies, Iran :Routledge Taylor and Francis Group, 2007.

79- Michailidis. M. ***Samanid Silver and Trade along the Fur Route***, Medieval Encounters,Vol. *18,* Leiden: Brill *2012.*

80- Molotova, E and Maximova, S. "***Qarakhanids and Seljukids in the History Of Central Asia***", Uygur Araştırmaları Dergisi, vol.9,2017.

81- **Negmatov, N. N. "The Samanid State" in the** History of Civilizations of Central Asia :The Age of Achievement:A.D. 750 To The End of the Fifteenth Century,Part One,The Historical, Social andonomic Setting, .Vol. Iv,Editors: Asimov M. S. And C. E. Bosworth,**UNESCO Publishing, 1998.**

82- Sevim, A and Bosworth, G E. "***The Seljuqs and the Khwarazm Shahs***"in the History of Civilizations of Central Asia :The Age of Achievement:A.D. 750 To The End of the Fifteenth Century,Part One,The Historical, Social and Economic Setting, .Vol. Iv,Editors: Asimov M. S. And C. E. Bosworth,UNESCO Publishing, 1998.

83- Treadwell, L. ***The Account of the Samanid Dynasty in Ibn Ẓāfir al-Azdī's Akhbār al-duwal al-munqaṭiʿa***, Journal Of Persian Studies , Vol. 43, Iran: British Institute of Persian Studies, 2005.

.

أتابكة الشبنكاره في شرق فَارِس

٤٤٨-٧٥٦هـ/١٠٥٦-١٣٥٤م

أ.م.د/ الشيماء سيد كامل محمد(*)

ملخص:

سيطرت أتابكية الشبنكاره على المناطق الواقعة شرق إقليم فَارِس على الحدود بينها وبين كَرْمان، وهي المناطق التي عُرفت في التاريخ باسم: مناطق عناصر الكرد الشبنكاريين، وقد أُطلق على حكامها: ملوك الشبنكاره، أو أمراء إيج؛ وقد تعددت أسماء تلك الدولة فأُطلق عليها: أتابكة الشبنكاره على أساس قيامها في الدولة السلجوقية، وعلى أساس قيامهم بحرفة تربية الخيول والحيوانات، فسموا بالشبنكاره –أي رعاة الحيوانات–، وسميت: بدولة بني فضلويه نسبة إلى فضلويه بن حسنويه رأس العائلة الذي أسس تلك الدولة في ٤٤٨هـ/١٠٥٦م.

وقد قسمت البحث إلى عدة مباحث:

أولًا: نبذة تاريخية عن أصل عناصر الشبنكاره:

١- دور عناصر الشبنكاره في الفتح العَرَبي لفَارِس:

٢- عناصر الشبنكاره في العصر البويهي:

٣- أشهر حكام الشبنكاره:

٤- نظام الحكم في أتابكية الشبنكاره:

٥- عواصم الشبنكاريين:

(*) أستاذ مساعد التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم– جامعة المنيا.

ثانيًا: النفوذ السلجوقي في أتابكية الشبنكاره:

علاقة أمراء الشبنكاره بالسلاجقة في عهد السلطان بركيارق:

علاقة أمراء الشبنكاره بالسلاجقة في عهد السلطان محمود بن محمد:

أما في عهد السلطان أبوشجاع محمد بن ملكشاه

ثالثًا: النفوذ المغولي في الشبنكاره:

علاقة الشبنكاريين بحكام فَارِس:

سقوط أتابكة الشبنكاره في ٧٥٦هـ/١٣٥٥م:

Atabaka Al Shabankara in East Persia

(448- 756 AH/ 1056- 1354 AD)

Introduction:

The Shabankara Atabekian dominated On the eastern part of the Faris region on the border with Kerman, These are areas that have been known in history as: Regions of Kurds of the Shabankarians, Its rulers were called Kings of Shabankara or Ig Princes, That state had different names It called Atabaka Shabankara, Based on its establishment in the Seljuk state, And based on their craft of raising horses and animals, They called Shabankara – Means Shepherds of animals- And renamed: The state of Bani Fadlawih relative to Fadlawih bin Hasnawyeh, head of the family who founded that state In 448 AH / 1056 AD.

The research was divided into several sections:

First: A Brief History of the Origin of Shabankara

1- The role of Shabankara in the Arab conquest of Persia
2- Shabankara in The Boeyhe age
3- The most famous rulers of Shabankara
4- The regime of Shabankara Atabekian
5- Capitals of the Shabankarians

Second: Seljuk influence in the Shabankara Atabekian

1- **The relationship of the Shabankara princes with the Seljuks during the reign of Sultan Berkiarik**
2- **The relationship of the Shabankara princes with the Seljuks during the reign of Sultan Mahmud bin Muhammad**
3- **The relationship of the Shabankara princes with the Seljuks during the reign of Sultan Abu Shuja Muhammad ibn Malikshah.**

Third: Mughal influence in Shabankara

1- **The relationship of the Shabankarians with the Persian rulers**
2- **The fall of the Shabankara Atabekian in 756 AH / 1355 AD**

مقدمـة:

سيطرت أتابكية الشبنكاره على المناطق الواقعة شرق إقليم فَارِس[1] على الحدود بينها وبين كَرْمان[2]، تلك البلاد التي تشمل: إيج[3] ونَيْرِيْز[4] ودَارابْجرْد[5]، وفَرْك، وطارم، وإصطهبانات[6]، وهي المناطق التي عُرفت في التاريخ باسم: مناطق عناصر الكرد الشبنكاريين، وقد أُطلق على حكامها: ملوك الشبنكاره، أو أمراء إيج؛ لنفوذهم على قلعة إيج[7]،

---

(1) فَارِس: تُعد شِيراز قصبة الإقليم، وقد ورث العرَب عن الساسانيين تقسيم فَارِس إلى خمسة أقسام، يقال لكل قسم منها: كُورَة، وظل هذا التقسيم معمولًا به حتى أيام المغول، وضمت سابور وأرجان وإصْطَخْر وأردشير، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت– لُبْنَان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢٨٣.

(2) كَرْمَان: صقع كبير بين فَارِس وسجستان ومكران، قصبتها السيرجان، شرقها مُكْرَان، وغربها حدود فَارِس، وشمالها مفازة خُرَاسَان، وجنوبها بحر فَارِس، ابن سباهي زاده: أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عيد الرواضية، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠١م، ص٥٤٩.

(3) إيج: بلدة كبيرة كثيرة البساتين والخيرات في أقصى بلاد فَارِس، تجلب فواكها إلى جَزِيْرَة كيش، وهي من كور دَارابْجرْد، يطلق عليها أهالي فَارِس: اسم إيك، بها قلعة حصينة، معمورة بالسكان، بنى فيها الأمير نظام الدين حسن الشبنكاري القصور والبيوت (ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت– لُبْنَان، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج١، ص٢٨٧؛ ابن البَلْخي: فارس نامه، تحقيق وترجمة يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، الْقَاهِرَة– مِصْر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٣٠؛ محمود الكتبي: تاريخ آل مظفر، ترجمة ملكة علي التركي، دار الزهراء للنشر، الْقَاهِرَة– مِصْر، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص١٠٦.

(4) مدينة نَيْرِيْز: تقع في الشمال الشرقي من إيج، بها جامع بجانب السوق، وعليها قلعة حصينة، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٣٢٧.

(5) دَارابْجرْد: أبعد كورة في فَارِس إلى الشرق، وهي عاصمة ولاية الشبنكاره التي تألف منها حكومة قائمة بنفسها، هي أتابكية الشبنكاره، عليها سور عامر وعليها خندق، ولها أربعة أبواب، وفي وسطها جبل، كي لسترنج: المرجع السابق، ص٣٢٥–٣٢٦.

(6) إصطهبانات: تقع في غرب دَارابْجرْد، وبها قلعة محكمة، كثيرة الأشجار، والماء (ابن البَلْخي: فارس نامه، ص١٤٨).

(7) عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة چنگيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبد الوهاب علوب، طبعة المجمع الثقافي، أبوظبي– الإمارات العرَبية المتحدة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٣٧٦.

وقد تعددت أسماء تلك الدولة فأُطلق عليها: أتابكة الشبنكاره على أساس قيامها في الدولة السلجوقية، وعلى أساس قيامهم بحرفة تربية الخيول والحيوانات، فسموا بالشبنكاره –أي رعاة الحيوانات–، وسميت: بدولة بني فضلويه نسبة إلى فضلويه بن حسنويه رأس العائلة الذي أسس تلك الدولة في ٤٤٨هـ/١٠٥٦م[8].

أما عن حكامهم فهم: طبقة من الفُرس الإيرانيين القدماء، الذين يصل نسبهم إلى: الملك الفَارِسي أردشير بابكان، والبعض يرجعهم إلى: الملك منوجهر، فأصلهم من حكام فَارِس قبل ظهور الإسلام، واشتغلوا في صحراء دون بتربية الخيول والمواشي[9].

قامت أتابكية الشبنكاره على أكتاف الدولة السلجوقية، تلك الدولة الشهيرة التي أسست مُلكًا قويًّا في فَارِس والعِرَاق، منذ ٤٤٧هـ/١٠٥٦ م، وتولى حكمها سلاطين عظام أقوياء، حتى فترة وفاة السلطان ملكشاه[10] في ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، ومنذ هذا التاريخ بدأت دولة السلاجقة تميل إلى الانهيار، وتدخل في مرحلة الضعف، وتنازع أفراد البيت السلجوقي نفسه على تقلد منصب السلطنة، وظهر

---

(8) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود وسيدة إسماعيل الكاشف، دار الرائد العَرَبي، بيروت– لُبْنَان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٣٥١.

(9) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، ترجمة محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الْقَاهِرَة– مِصْر، ص٥١٤.

(10) السلطان ملكشاه السلجوقي: هو معز الدنيا والدين ملكشاه بن ألب أرسلان، ولد في ٤٤٥هـ/١٠٥٣م، وتولى العرش خلفًا لأبيه، واستورز نظام الملك، خرج عليه عمه عماد الدين قاورد صاحب كَرْمَان، وأخيه تكش صاحب الشَّام، وقد اتخذ ملكشاه من مدينة أَصْفَهَان عاصمة لسلطنته، وكان حاجبه هو: الأمير قماج، ودام حكمه سبعة عشر عامًا، حتى وفاته في ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، ودفن في مدينة مرو بخُرَاسَان، الراوندي: راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي وآخرين، الإدارة العامة للثقافة، ١٩٦٠م، ص١٩٧؛ الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، عني بتصحيحه محمد إقبال، طبعة لاهور، ١٩٣٣م، ص٧١؛ الأقسرائي: مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار، ترجمة عبد الله محمد عبد الله، ضمن رسالة ماجستير مقدمة لقسم اللغة الفَارِسية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٠م، ص١٢٨.

نظام جديد في الحكم السلجوقي هو: نظام الأتابكيات[11]، ويُعد الوزير نظام الملك الطُوْسي[12] أول من تلقب بهذا اللقب في عصر السلاجقة، بعد أن منحه إياه السلطان ملكشاه في ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، فقد كان المُربي والمؤدب له أثناء ولايته العهد[13] لأبيه السلطان ألب أرسلان[14]، ومن ثم فوض

---

(11) نظام الأتابكية: هو نظام استخدمه سلاطين السلاجقة في تربية أمرائهم، وتعليمهم العلوم وفنون القتال؛ وأتابك أو أطابك: كلمة تركية، تتكون من مقطعين: أتا أو أطا بمعنى: الأب، وبك: بمعنى الأمير، أي: الأب المربي أو الأب الأمير، أو الأمير الوالد؛ والأتابك: من الوظائف العسكرية التي كان يُنعت بها أمير الجيوش، ومن في معناه: كالنائب الكافل، أما إذا جاء بعد الاسم فيصبح لقب نسبه يدل على تبعية صاحب الاسم إلى أتابك، مثل: أتابك العسكر؛ وقد أورد القلقشندي كلمة الأتابكي على اسم وظيفة، وسمى الوظيفة نفسها بالأتابكية (صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ج٤، ص١٨؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت– لُبْنَان، ودار الفكر، دِمَشْق– سوريا، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١١؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العَرَبية، دار النهضة العَرَبية، الْقَاهِرَة– مِصْر، ١٩٦٥م، ج١، ص٢٢–٢٣؛

Van Berchem: Corpus Inscriptorum Arabicarum premiere partie, 1, Egypt Mifoo, T, "le caire, 1894, 1903", P. 290).

(12) الوزير نظام الملك الطُوْسي: وزير كل من السلطان ألب أرسلان وملكشاه، قام ببناء عدة مدارس، أطلق عليها: المدارس النظامية، في سائر العِرَاق وخُرَاسَان، أشهرها المدرسة النظامية في بَغْدَاد، الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص٦٨.

(13) خواندمير: دستور الوزراء، ترجمة حربي أمين سليمان، تقديم فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المِصْرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص٢٤٩؛ لقد عهد السلطان ألب أرسلان إلى ابنه ملكشاه بالسلطنة في ٤٥٨هـ/١٠٦٥م، أثناء انتقاله ما بين مرو ورايكان، وأخذ العهد والمواثيق لابنه من الأمراء، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، الطبعة الخامسة، دار الكتاب العَرَبي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٨، ص١٠٣.

(14) السلطان ألب أرسلان: هو عضد الدولة أبو شجاع، ألب أرسلان محمد بن داوود، تولى عرش السلطنة عقب وفاة السلطان طغرلبك في ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، دامت سلطنته اثنتي عشرة سنة، وكان توقيعه: "ينصر الله"، وقد تميز ألب أرسلان بقوة الشخصية والمهابة، غزا بلاد الروم، وانتصر على إمبراطورهم في موقعة ملازكرد، الأَصْفَهَاني: تاريخ دولة آل سلجوق– اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري، الطبعة=

ملكشاه إلى الوزير إدارة أمور الدولة وشؤونها، "مشيرًا إلى أنه رد جميع أمور الدولة كلها كبيرها وصغيرها إليك، فأنت الوالد..." [15]، وأقطعه إقطاعات زائدة على ما كان عليه، من جملتها مدينة طُوْس –مسقط رأس الوزير– وخلع عليه العديد من الألقاب من جملتها لقب أتابك –الأمير الوالد– فظهر من كفاءته، وشجاعته، وحسن سيرته الشيء الكثير.

وبذا صار من المتبع في دولة السلاجقة أن يعين أتابك من قِبَلِ السلطان القائم على العرش لولده الصغير، يصير مربيًّا ووصيًّا ومعلمًا له– وكانت هذه الوظيفة لا تسند إلا إلى أحد العسكريين، ولا تكون إلا إذا كان هناك أميرٌ صغير السن[16]، والدليل على ذلك أن السلطان ملكشاه أسند إلى وزيره علي بن أبي علي القمي المعروف بكمشتكين، تربية ابنه الأمير بركيارق والوصاية عليه، فصار بذلك أتابكًا عليه[17]، والأمثلة على ذلك كثيرة كإسناد السلطان بركيارق[18] إلى إياز [19] تربية وتعليم ابنه الأمير ملكشاه، عندما أراد بركيارق التوجه إلى مدينة بَغْدَاد، فترك ابنه ملكشاه في رعاية الأتابك إياز، إلا إنه مات بعدها في ١٨ جمادى الثانية

=الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت– لُبْنَان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٣٠؛ الراوندي: راحة الصدور وآية السرور، ص١٨٥، ١٨٩؛ الأقسرائي: مسامرة الأخبار، ص١٢٦.

[15] الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص٦٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١١٥.

[16] ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م، ص١١٣.

[17] الأَصْفَهَاني: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٢.

[18] السلطان بركيارق: هو ركن الدين أبو المظفر بركيارق بن ملكشاه، تحارب مع أخيه محمود على العرش، ثم تولى اثنتي عشرة سنة، الأقسرائي: مسامرة الأخبار، ص١٣٠.

[19] الأتابك إياز: كان مصاحبًا للوزير شمس الدين الدركريني، ونال مكانة كبيرة بفضل ذلك، خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٩٥.

٤٩٨هـ/ ٧ مارس ١١٠٥م[20]؛ فصار إياز وصيًّا وأتابكًا عليه. كذلك أسند تربية الأمير أبي القسم محمود بن محمد إلى مربيه بوذايه[21].

ومن هنا نستخلص أن نظام الأتابكية تطور مع مرور الوقت؛ نتيجة لإسناد حكم بعض الأقاليم إلى الأمير الصغير، الذي كان يصاحبه أستاذه ومعلمه إلى تلك النواحي، ومن ثم يصير الأتابك هو: المتولي لجميع شؤون الحكم والإدارة نيابة عن الأمير الصغير، وفي بعض الأحيان كان الأتابك يتزوج من والدة هذا الأمير؛ فتتحول العلاقة بينهما إلى علاقة شبه أبوية[22]، ويستمر الأتابك في التحكم في شؤون الولاية، وتزداد مكانته ومنزلته، وكثيرًا ما أُنشئت أسرة حاكمة على تلك الولاية، تصير وراثة في أولاده من بعده.

ورغم ازدياد نفوذ الأتابكة إلا إن هذا النظام لم يمثل خطورة على دولة السلاجقة العظام؛ لقوة سلاطينهم واستقرار نفوذهم، وقوة جيوشهم، لكن مع ازدياد ضعف السلاجقة، ونزعاتهم الداخلية، استقل كل أتابك بما تحت يديه من ولايات، وأصبحت السيادة فيها سيادة اسمية للسلاجقة، وظهر ما يعرف باسم: دولة الأتابكيات، مثل: أتابكية السلغوريين في فَارِس، الذين حكموا ما بين ٥٤٣-٦٦٣هـ/١١٤٩-١٢٧٥م، وكان عدد حكامهم أحد عشر حاكمًا، استمروا في الحكم قرابة مائة وعشرين سنة، ويرجع نسبهم إلى سلغر أقسنقر[23]، وأتابكية الشبنكاره التي نحن بصدد دراستها.

---

[20] القَزْوِيْني: تاريخ گزيده- الباب الرابع المعروف بالتاريخ المختار، ترجمة محمود محروس قشطة، ضمن رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٦٨م، ص١١٦.

[21] الأقسرائي: مسامرة الأخبار، ص١٣١.

[22] حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف، ج١، ص١٥.

[23] القَزْوِيْني: تاريخ گزيده، ص١١٥-١١٦؛ ويُعرف أبناء سلغر بأتابكة فَارِس، وهم: من قبائل التركمان، خاضعين لسلاطين السلاجقة ثم لسلاطين الخُوَارزمين، فالمغول الإيلخانيين، مع تأدية الخراج لهم، لذا حافظوا على دولتهم، عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٧٥.

أولًا: نبذة تاريخية عن أصل عناصر الشبنكاره[24]:

تباينت الآراء حول نسب الشبنكاريين ما بين انتمائهم للعنصر الكردي أو العنصر الفَارِسي؛ والرأي القائل بانتمائهم للعنصر الفَارِسي يعتمد على ظهورهم في صحراء دون، وحكمهم إقليم فَارِس قبل ظهور الإسلام، ثم ينقسم إلى فريقين، الأول يرجح انتسابهم إلى كسرى أردشير بابكان، والأخير: يرجح انتسابهم إلى كسرى منوجهر.

١ – دور عناصر الشبنكاره في الفتح العَرَبي لفَارِس:

قاومت عناصر الشبنكاره الفتح العَرَبي، في فترة الصدام بين العَرَب والملك الفَارِسي يزدجرد[25]، الذي دأب على محاربة المسلمين الفاتحين، منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ)، الذي قام بدوره بإرسال الحملات العسكرية لمطاردته، واقتفاء أثره وتتبع خطواته هو ومن معه من الجنود الفُرس[26]، وعقب وفاة الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) استقر يزدجرد في إقليم إِصْطَخْر[27]، وتسبب وجوده في تلك المنطقة إلى ارتداد أهل فَارِس عن طاعة العَرَب وعصيانهم[28]؛ لذا بادر الخليفة عثمان بن عفان(ﷺ) بإرسال والي البَصْرَة: أبي عبد الرحمن عبد الله بن عامر بن كريز

---

(24) انظر ملحق رقم (٢) الخاص بأسماء حكام الشبنكاره.

(25) يزدجرد: قيل إن يزدجرد توفي في ٣١هـ/٦٥١م، على يد بعض الثائرين في كَرْمَان، ومن ثم تمكن القائد عبد الله بن عامر من تحقيق النصر على الثائريين في كَرْمَان وفَارِس، وفتحها بالإضافة إلى سِجِسْتان، البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، بيروت– لُبْنَان، د.ت، ص٣٧٤.

(26) الطبري: تاريخ الرسل الملوك، دار الكتب العلمية، بيروت– لُبْنَان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٤، ص١٨٠.

(27) إِصْطَخْر: من أقدم مدن فَارِس وأشهرها، وهي من أعيان حصون فَارِس ومدنها، وبها كان مسكن ملك فَارِس حتى تحول أردشير إلى جُور، وبين إِصْطَخْر وشِيرَاز اثنا عشر فرسخًا، وبقرية من قرى إِصْطَخْر تُعرف بدَارابْجرْد معدن الزئبق، وهي مقر عناصر الشبنكاره بعد تأسس دولتهم، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢١١.

(28) وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف ومكانته بين المصادر الفَارِسية في التاريخ الإسلامي، ترجمة فاطمة نبهان عودة، ضمن رسالة دكتوراه بقسم اللغة الفَارِسية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص٤٦٢.

العبشمي –المعروف بعبد الله بن عامر– قائدًا عامًّا على جيوش فَارِس بدلًا من الصحابي الجليل: أبي موسى الأشعري(ﷺ)[29]؛ لكي يتتبع عبد الله بن عامر تنقلات يزدجر؛ فانتقل الأخير من إِصْطَخْر إلى دَارابْجرْد، وقد رافقه بعض وجوه رؤساء عناصر الشبنكاره[30]، واستقروا في تلك المنطقة، وعملوا على تربية الخيول والرعي، وجمع الحطب، والعمل بالأجرة اليومية، ومن هنا جاءت تسميتهم باسم: الشبنكارة أو الشوانكاره أو الشبانكاره[31].

نجح القائد عبد الله بن عامر في الاستيلاء على إِصْطَخْر، وعقد معاهدة سلام مع الهربد[32] –صهر يزدجرد وحاكم إِصْطَخْر آنذاك– ثم اتجه عبد الله بن عامر إلى فتح منطقة جُور[33]، فأرسل قائده: مجاشع بن مسعود نائبًا عنه؛ حتى يواصل جهوده الحربية في فتح عدة مناطق منها: منطقة بَمّ[34] وجِيْرُفْت[35] في كَرْمان، التي فتحت عُنوة، واستمر

---

[29] أبو موسى الأشعري: له مواقف جليلة في الإسلام وعصر الرسول(ﷺ)، وعينه الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) في ٢٤هـ/٦٤٤م، أميرًا للجيوش لفتح بلاد فَارِس وكَرْمَان وغيرها، فنجح في فتح عدة مناطق حتى مفازة خُرَاسَان، ومن محاسنه أنه كان يُقسم الأموال والغنائم على الجنود، عزل في خلافة عثمان(ﷺ) في ٢٨هـ/ ٦٤٧م، البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٨٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٦٥.

[30] وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٢.

[31] ابن البَلْخي: فارس نامه، ص١٥٠؛ انظر: ملحق رقم (١) الخاص بخريطة بلاد فَارِس.

[32] الهربد: كلمة فَارِسية تعني خادم النار، وعبده النار أو سدنة النار، وهيربد معربها هربذ، وهي تعني: من يجاورون عبده النار والهنود أو أتابعهم أصحاب المقام الرفيع، وحراس معابد النار في الهند وهم: البراهمة، ويقال لهم: خادم معبد مغان، وخدم معبد المجوس، وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، هامش٢، ص٤٦٢.

[33] جُور: مدينة من الإقليم الثالث، عليها سور وأربعة أبواب وخندق، كثيرة البساتين، ومنها إلى شِيرَاز أربعة وعشرون فرسخًا، ابن سباهي زاده: أوضح المسالك، ص٢٨٠.

[34] مدينة بَمّ: مدينة وقلعة بَمّ جليلة بها من أعيان كَرْمَان ولأهلها حذق في الحرف، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٩٥.

[35] مدينة جِيْرُفْت: من أعظم مدن كَرْمَان، كثيرة النخيل، مجمع للتجار الواصلين من خُرَاسَان وسِجِسْتان، ابن سباهي زاده: أوضح المسالك، ص٢٨٣.

في حروبه حتى وصل إلى بلاد القفص، فوجد خلقًا كثيرًا من العجم، فقاتلهم مجاشع وتمكن من الانتصار عليهم[36].

وما يهمنا من تلك الفتوحات في كَرْمان وفَارِس، تحول ولاء الجد الأكبر لعناصر الشبنكاره: إسماعيل، الذي كان –سابقًا– موضع ثقة ومندوبًا للهربد، ثم كثرت خدمات إسماعيل وأتباعه على مر الأيام، وما لبث أن بدأ في تعقب يزدجرد، مثلما يفعل العَرَب الفاتحون؛ لذا سلك القائد عبد الله بن عامر طريق الوفاق مع عناصر الشبنكاره، الذين أخذوا يترددون –أثناء مرحلة ترحالهم المستمر آنذاك– إلى مدينة دَارابْجرْد وتوابعها[37].

وبناء على الصلة بين سدنة النار –الهربد– وبين إسماعيل –رئيس وزعيم عناصر الشبنكاره– ومع مرور الوقت زادت مكانة هذه الفئة في المجتمع، خصوصًا بعد سقوط دولة الأكاسرة نهائيًّا في يد الفاتحين العَرَب، إذْ لجأت تلك العناصر من شتى بلاد فَارِس وتجمعوا في أَصْفَهَان[38]، وعاشوا في خفاء لفترة من الزمن خوفًا من العَرَب.

٢ – عناصر الشبنكاره في العصر البويهي:

برزت عناصر الشبنكارية في أواخر الدولة البويهية؛ إذْ تحولوا في ذلك الوقت إلى قوة عسكرية كمرتزقة، ينضمون إلى صفوف من يدفع لهم أكثر، فقدموا مساعداتهم العسكرية للأمير عز الدولة بُختيار(٣٥٦–٣٥٧هـ/٩٦٦–٩٦٧م)، خصوصًا في حربه ضد معارضيه، كذلك في عهد الأمير البويهي عز الملوك أبي كاليجار مرزبان (٤١٥–٤٤٠هـ/١٠٢٤– ١٠٤٨م)،

---

(36) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٨٥؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج٤، ص١٦٧.

(37) وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٢.

(38) أَصْفَهَان أو أَصْبَهَان: مدينة عظمى مشهورة من أعلام المدن، موصوفة بالعظمة، وهي اسم للإقليم بأسره، وكانت مدينتها جيا، ثم صارت اليهودية، وهي من نواحي الجبل، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٠٦.

انحازت عناصر الشبنكاره إلى هذا الأمير؛ مما مكنهم من الاستيلاء على بعض الأراضي، ومن ثم استقروا في منطقة دَارابْجرْد في ٤٣٠هـ/١٠٣٨م، وهذه الفترة كانت بداية الاستقرار لقبائل الشبنكاره بعد طول الترحال[39].

ومنذ استقرار بعض عناصر الشبنكاره في مدينة دَارابْجرْد[40] ازدادت أعدادهم ونفوذهم وسيطرتهم، خصوصًا بعد ظهور: الفضل علي بن الحسن بن أيوب، الذي يرجع نسبه إلى إسماعيل السالف الذكر، وهو: من فرقة الرامانية الأكراد الشبنكاريين، وأصبح رئيسًا للعشيرة وزعيمًا لقومه، وقد عين سبهسالار للجيش البويهي في وزارة الصاحب بفَارِس[41]، وقد اشتهر بفضلون أو فضلويه، وحسب لغتهم يسمونه: فضلويه حسنويه، أي فضلويه بن حسنويه[42].

ومن هنا صارت عناصر الشبنكارية جنودًا حملة سلاح عند فضلويه، فعمل في حدود ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، على تقوية تلك العناصر، وسعى لامتلاك الإقطاعات في جميع أرجاء فَارِس، وكانت الخطوة التالية له هي السيطرة على الولايات، ومناطق شرق فَارِس وما جاورها، وتعيين عدد من الولاة التابعين له على تلك النواحي، جميعهم من أفراد الشبنكاره، من أمثال: الأمير أبي سعيد محمد بن مما، والأمير وبه مسعود[43].

ثم أعلن فضلويه العصيان على آخر حكام البويهيين في فَارِس واسمه: أبو منصور فلاستون، وقبض عليه وعلى والدته السيدة: خوراسيويه، وسجنه في قلعة على مقربة من

---

(39) حسينقلي ستوده: تاريخ آل مظفر، جلد دوم، تهران، سنة ١٣٤٦هـ. ش، ص٤٨.

(40) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٧٦.

(41) محمد أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي، مراجعة محمد علي عوني، مطبعة السعادة، الْقَاهِرَة– مِصْر، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ص١٣١؛ عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٥١٤.

(42) ابن البَلْخي: فارس نامه، ص١٥٠.

(43) ابن البَلْخي: المصدر السابق والصفحة؛ وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٤.

شِيرَاز[44]، واستولى على بلاده استيلاءً تامًا، ، ثم قتله في ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، وخُنقت والدته في الحمام بأمر من فضلويه؛ وبذلك دان الحكم في شرق فَارِس لأمراء الشبنكاره[45].

يُعد الأمير فضلويه بن حسنويه أول رئيس وحاكم للشبنكاره، الذي نتعرف على تاريخه، والذي كان واليًا قبل سيطرته على مناطق الشبنكاره على إقليم كَنْجَة[46] ونواحيها، وقد كون في تلك الفترة أسرة ديلمية على المذهب الإسماعيلي[47]. صارت مع الوقت تواقة للنفوذ والسلطة، فعمل الشبنكاريون على طرد حاكم مدينة أَصْفَهَان المسمى: تاش الفراش، الذي كان حاكمًا عليها[48] من قِبَلِ السلطان مسعود بن محمود الغزنوي[49].

اتسمت أولى خطوات الأمير فضلويه بن حسنويه في العصر السلجوقي بالاستيلاء على قلعة إيج، تلك القلعة التي تُعد مركز المنطقة، وهي عامرة بالبساتين والحدائق يطلق عليها

---

(44) شِيرَاز: تقع في إقليم فَارِس، وهي قصبة الإقليم، ومن أكبر مدنها مدينة سابور، وأرجان، وإِصْطَخْر، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٨٣–٢٨٤.

(45) ابن البَلْخي: فارس نامه، ص١٥٢؛ حسينقلي ستوده: تاريخ آل مظفر، جلد دوم، ص٤٩؛ محمد أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية، ص١٣١.

(46) كَنْجَة: بلد في مستو من الأرض، ولها بساتين كثيرة، ابن سباهي زاده: أوضح المسالك، ص٥٥٥.

(47) الحسيني: زبدة التواريخ– أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق محمد نور الدين، دار إقرأ للنشر، بيروت– لُبْنَان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٠١.

(48) قيل إن تاش الفراش كان في الأصل مملوكًا للأمير عضد الدولة البويهي، وقد منحه ولاية أَصْفَهَان، وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٤؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٧٦.

(49) السلطان مسعود بن محمود الغزنوي: هو الابن الأكبر لمحمود بن سبكتكين، فضل والده عليه أخيه الأصغر المسمى محمد، فولاه ولاية العهد من بعده، ولكن مسعود سمل عينيه وتولى بدلًا منه العرش، وقد حدثت عدة مواجهات بينه وبين السلاجقة آخرها إنزال الهزيمة به في ٤٣١هـ/١٠٣٩م، في موقعة داندانقان، الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص٥– ٦؛ القَزْوِيْني: تاريخ گزيده، ص٩٤.

حديقة أرم، إذْ كانت قلعتها منقطعة النظير في الربع المسكون، ويبالغ محمود الكبتي[50] في وصفها قائلًا: "... كان سطح تلك القلعة مسكنًا مألوفًا لكافة السكان ..."، وفي ذلك كثير من المبالغة، فكيف يكون سطح القلعة مكانًا وسكنًا لأهل منطقة إيج كافة؟ وربما أراد من وراء ذلك الإشارة لأهمية هذه القلعة في التصدي للعدو، بحيث يلجأ إليها سكان مدينة إيج للاحتماء بها.

٣- أشهر حكام الشبنكاره:

امتد حكم الأسرة الشبنكارية فيما بين ٤٤٨-٧٥٦هـ/١٠٥٦-١٣٥٤م، وكانت نهايتها على يد الأمير مبارز الدين محمد المظفري[51] -حاكم فَارِس وكَرْمان وكُرْدستان- من أسرة آل مظفر، التي حكمت تلك المناطق فيما بين ٧١٣-٧٥٩هـ/١٣١٣-١٣٥٨م، عقب تجرؤ الملك أردشير[52] آخر حكام دولة الشبنكاره على شق عصا الطاعة ضد الأمير مبارز؛ الذي خلعه وقضى على حكم الشبنكاريين[53].

---

(50) تاريخ آل مظفر، ص١٠٦.

(51) محمود الكتبي: تاريخ آل مظفر، ص١٠٦؛ الشبنكاري: مجمع الأنساب، به تصحيح مير هاشم محدث، مؤسسة انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٤٣هـ. ش، ص١٥١، ١٨١؛ مبارز الدين محمد صاحب يَزْد: الذي استولى على سِجِسْتان، وضم شِيراز إلى حكمه بعد القضاء على الدولة الإيلخانية، واتخذها عاصمة لملكه، خواندمير: دستور الوزراء، ص٣١٨؛ برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة خالد أسعد عيسى، مراجعة سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار حسان للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٦٠.

(52) زامباور: معجم الأنساب، ص٣٥١.

(53) عبد الرازق السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، ترجمة أحمد رياض عز العَرَب، ضمن رسالة ماجستير، بقسم اللغات الشرقية، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي سوهاج، ١٣١٧هـ/١٩٩٧م، ص٣٢٠؛ البدليسي: شرفنامه، ترجمة محمد علي عوني، راجعة يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العَرَبية، ١٩٦٢م، ج٢، ص٢٣.

امتدت دولة الشبنكارة فترة طويلة من الزمن، تقدر بحوالي ثلاثة قرون، هذه المدة في القياس التاريخي تُعد مدة طويلة؛ إذْ إن هناك قلة من الكيانات السياسية التي استطاعت الاستمرار في الحكم لفترات مماثلة، ولعل قوة أتابكة الشبنكاره تكمن في سيطرتهم على إقليم الجبال، وفرض أنفسهم على القوى الأخرى في تلك المناطق.

انقسم حكام الشبنكاره إلى قسمين: القسم الأولى: هي التي كانت تابعة للسلاجقة، والتي أطلق عليها اسم: أتابكية الشبنكاره، حكم خلالها عدة حكام يقدر عددهم: بحوالي ستة حكام[54]، أما القسم الأخير: فكانوا في الفترة التي سيطر عليهم فيها مغول خانات قراقورم (Qaraqorum)، ومغول الإيلخانية، وهي الفترة التي أطلق على دولتهم فيها اسم: إمارة الشبنكاره، وبلغ عدد حكامهم: أحد عشر أميرًا[55]، ويشير زامباور[56] إلى أن عدد حكامهم يقدر: باثني عشر حاكمًا فقط، ولا بد أن نشير هنا إلى أن الذي يدقق فيما أورده زامباور في معجمه يجد أن هناك بعض الاضطراب في عدد الحكام وسنين حكمهم، كذلك جعل بداية حكم آخر حكامهم: أردشير يبدأ من ٧١٣هـ/١٣١٣م، دون أن يحدد متى انتهت فترة حكمه، وهذا يُعد خطأً كبيرًا لكون هذا الحاكم لم يستمر فترة طويلة في الحكم؛ إذْ انتهت دولة الشبنكاره وآخر معاقلها: قلعة إيج على يد آل مظفر في ٧٥٦هـ/١٣٥٥م[57]، بينما يشير عباس إقبال[58] إلى أن عدد ملوك الشبنكاره من القسمين يقدر بحوالي: خمسة عشر حاكمًا، ويجعل سنين حكم آخرهم: أردشير فيما بين ٧٤٥-٧٥٦هـ/ ١٣٤١-١٤٥٥م.

---

(54) الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص١٥١- ١٦٦.

(55) الشبنكارى: المصدر السابق، ص١٦٧- ١٨١.

(56) معجم الأنساب والأسرات، ص٣٥١.

(57) محمود الكتبي: تاريخ آل مظفر، ص١١١.

(58) تاريخ المغول، ص٣٩٤.

اتخذ أمراء الشبنكاره عدة ألقاب فخرية، فتلقب يحيى بن حسن في ٤٥٩هـ/١٠٦٦م، بـ"نظام الدين"، وتلقب ابنه محمود باللقب نفسه، بينما تلقب مبارز بلقب "قطب الدين"، وتلقب محمد بن مبارز بلقب "مظفر الدين"[59]، بينما تلقب فضلويه بن مظفر الدين بلقب "نظام الدين"، واتخذ ابنه إبراهيم لقب "نصرت الدين"، أما طيب شاه بن مظفر الدين فتلقب بـ"جلال الدين"، واتخذ إسماعيل شقيق طيب الدين لقب "بهاء الدين"، واتخذ جمشيد بن إسماعيل لقب "تاج الدين"[60]، هذا وقد أطلق على آخر حكامهم أردشير لقب "ملك"، حسبما يقول زامباور[61] "الملك أردشير".

٤ – نظام الحكم في أتابكية الشبنكاره:

قام نظام حكمهم على مبدأ الوراثة بين أبناء الأسرة الحاكمة، ويرجع ذلك إلى إصدار مرسوم بولاية العهد من الحاكم القائم بالسلطة إلى ابنه، بداية من عهد الأمير قطب الدين مبارز الأول (٦١٠–٦٢٤هـ/١٢١٣–١٢٢٦م)، الذي عهد إلى ابنه الأمير مظفر الدين محمد، ومن ثم تولى الحكم طبقًا لوصية أبيه قرابة أربعة وثلاثين عامًا[62]، أما إذا قُتل الأمير القائم بالسلطة دون أن يوصي بمن يخلفه أو يعهد لأحد من أبنائه أو إخوته بولاية العهد، فإن كبار رجال الدولة وأمراءَها يتولون أمر من يخلفه، شريطة أن يكون له خبرة في إدارة الحكم، مثلما حدث بعد مقتل فضلويه بن حسنويه في ٤٥٩هـ/١٠٦٦م، على يد الوزير نظام الملك الطُوْسي. إذْ اعتلى الأمير نظام الدين بن يحيى بن حسن الحكم باتفاق الأمراء دون وصاية سابق له بولاية العهد، وكان قبل ذلك حاكمًا على إحدى مقاطعات فَارِس في عهد الأمير فضلويه[63].

---

[59] عباس إقبال: المرجع السابق والصفحة.

[60] الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص١٧٤، ١٧٦، ١٧٨–١٧٩.

[61] معجم الأنساب والأسرات، ص٣٥١.

[62] محمد جميل الروزبياني: إمارة شوانكاره الكردية في منطقة فَارِس وأَصْبَهَان، مقال مجلة كاروان، العدد٢١، ١٩٨٥م، ص١٤٥.

[63] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١١٠؛ وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٤.

كذلك تكرر الأمر ذاته عقب مقتل الأمير نظام الدين حسن بن مظفر الدين في موقعة كَازَرُوْن[64] أثناء الصراع الدائر بين المغول والأتابك سلجوقشاه السلغوري؛ إذْ كان نظام الدين يسعى للقضاء على الأتابك تنفيذًا لأوامر هولاكو(Hulegu)، وعقب وفاته حكم الأمير نصرت الدين إبراهيم بن غياث الدين بن مظفر الدين محمد بدلًا منه، طبقًا لفرمان من آباقا خان الإيلخاني(Aboka Khan) [65]في ٦٦٢هـ/١٢٦٣م[66].

وقد قيل إن تولية الأمير نصرت الدين خلفًا لأخيه نظام الدين حسن كان بأمر من القائد المغولي المسمى: تكوجنه، الذي حمل الأمر الملكي بالتولية من قِبَلِ هولاكو خان قبل وفاته في ٦٦٢هـ/١٢٦٣م، مع إصدار الأوامر بأن يتزوج الأمير الشبنكاري من أخت الأتابك سلجوقشاه السلغوري السيدة: فاطمة خاتون، رغبة في السلام، ومنعه من المطالبة بثأر أخيه المقتول[67].

ومن أشهر حوادث الخروج عن الحاكم ما حدث من ثورة شيوخ الأتابكية وأمرائها في ٦٥٨هـ/١٢٥٩م، ضد الأمير قطب الدين مبارز الثاني، الذي لم يستمر في الحكم أكثر من أحد عشر شهرًا؛ نتيجة لسوء سلوكه وضعف إدارته وميله لشرب الخمر، وقد قام أقاربه وأخوته بشكوته إلى هولاكو خان إلا إن أمره لم ينصلح؛ لذا أعدموه في مدينة تَبْرِيْز إحدى نواحي كورة دَارابْجرْد[68].

---

[64] كَازَرُوْن: مدينة في فَارِس واسعة التجارة، يُعمل فيها ثياب الكتان، وهي عبارة عن ثلاث قرى متجاورة هي: نورد ودربست وراهشان، وتمور كَازَرُوْن فاخرة لاسيما المعروف منها بجيلان، ويُحمل منها ثياب قطن تسمى الكرباس، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٣٠٢-٣٠٣.

[65] آباقا خان(Aboka Khan): هو ابن هولاكو، تولى خلفًا له في ٦٦٣هـ/١٢٦٥م، وقد وزع أموالًا وجواهر كثيرة على الخواتين والأمراء عند توليه عرش الإيلخانية، ونقل العاصمة من مَرَاغَة إلى تَبْرِيز، الهمذاني: جامع التواريخ، مجلد٢، ج٢، ص٩، ١١؛ فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين– أسرة هولاكو، منشورات الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٣٣.

[66] وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٨.

[67] وصاف الشِيرَازي: المصدر السابق والصفحة؛ معين الدين نطنزي: منتخب التواريخ، ناشر چاپى أساطير، ناشر ديچيتالى، مركز تحقيقات رايانه أي قائمية أصفهان، ص١٢؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٨٥.

[68] الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص١٦٧؛ معين الدين نطنزي: المصدر السابق، ص١١؛ برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص١٥٢.

ولم يكن جميع حكام الشبنكاره بالغين عند اعتلائهم عرش الأتابكية، فبعضهم كان صغير السن، لا يتعدى ثلاث عشرة سنة[69]، فقام بعض المشايخ بتسيير شؤون الدولة، إلى حين وصوله إلى السن التي تؤهله لإدارة البلاد بمفرده، من ذلك الأمير جلال الدين طيب شاه بن محمد، الذي خلف أخاه نصرت الدين إبراهيم بن محمد، وقد استمر هذا الأمير في الحكم قرابة سبعة عشر عامًا، فيما بين (٦٦٤-٦٨١هـ/١٢٦٥-١٢٨٢م)، وقد ازدهرت الأتابكية في عهده، وشهدت العديد من الأعمال المعمارية، وكان معاصرًا لآباقا خان الإيلخاني، وعندما عصى ضد الإيلخانيين، وأظهر ميله إلى عدم الطاعة، أمر أحمد تكودار بقتله[70]، كذلك تدخل الإيلخان أحمد تكودار بإصدار أمرٍ ملكيٍّ بتولية من يخلفه؛ إذْ عين الأمير بهاء الدين إسماعيل بن محمد في ٦٨١هـ/١٢٨٢م، والذي استمر في الحكم قرابة سبع سنوات، حتى أصيب بمرض عضال أفقده قواه العقلية؛ مما أدى إلى عدم مقدرته على تسيير شؤون الدولة، ومات في ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م[71].

كما اختل نظام الوراثة في أتابكية الشبنكاره بتدخل الإيلخانيين، وتعيين أميرين على الحكم بدلًا من أمير واحد، وهما: ناصر الدين محمود بن قطب الدين مبارز، وأخوه هزاراسب الملقب: بـ"سيف الدين"، اللذان كانا أسيرين في بداية حياتهما في معسكر الإيلخانيين، ثم صدر قرار ملكي في ٦٨٨هـ/١٢٨٩م، بإطلاق سراحهما، وتوليتهما الحكم، واستمرا لمدة أربعة أعوام؛ حتى دب الخلاف بينهما، ومن ثم ترك الأمير سيف الدين هزارسب العاصمة إلى منطقة: جوار دانكه في أَصْفَهَان، إلى أن مات مقتولًا في شعبان ٦٩٢هـ/ يوليو١٢٩٣م، ومات أخوه ناصر الدين محمود قبله بثلاثة شهور مسمومًا[72].

---

[69] وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٨؛ معين الدين نطنزي: منتخب التواريخ، ص١٢.

[70] محمد جميل الروزبياني: إمارة شوانكاره، ص١٤٦.

[71] معين الدين نطنزي: منتخب التواريخ، ص١٣.

[72] الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص١٦٨.

ومن ثم تدخل الإيلخانيون مرة أخرى، وقاموا بتولية اثنين آخرين من أمراء الشبنكاره، وهما: نظام الدين حسن وغياث الدين محمود[73]، في بداية عهد غازان خان، وقد أسند إلى الأمير نظام الدين حسن الحكم، ويساعده الآخر في الإدارة[74]، وهكذا صار من المعتاد أن يتولى الحكم أخوان من الأسرة الحاكمة، كذلك تولى ركن الدين حسن وتاج الدين خمشيد بعدهما؛ مما يدل على عدم انفراد أميرٍ شبنكاريٍّ واحدٍ بإدارة شؤون دولته[75].

وبذلك لم يسر مبدأ وراثة العرش على وتيرة واحدة، فكثيرًا ما أسند الأب الحكم مكانه لابنه، ولكن في بعض الأحيان تولى الأخ خلفًا لأخيه، أو عزل القائم على الحكم بفتنة من أقاربه وإخوته، وفي أواخر فترة حكم الشبنكاريين أصبحت الإدارة تؤول إلى أميرين وليس لأمير واحد، مع فرض نفوذ وسلطان الإيلخانيين المغول عليهم.

٥ – عواصم الشبنكاريين:

اتخذ الشبنكاريون عدة عواصم خلال القرون الثلاثة التي حكموا فيها (٤٤٨–٧٥٦هـ/١٠٥٦–١٣٥٥م)، والتي انقسمت –كما سبق قولنا– إلى قسمين.

ومن أولى العواصم التي اتخذها أمراء الشبنكاره مدينة: جشناباد، التي تقع بين شِيرَاز ودَارابْجرْد، وهي العاصمة التي أقام بها أول الأتابكة: فضلويه بن حسنويه[76]، واستمرت عاصمة في عهد خليفته الأمير نظام الدين يحيى (٤٥٩–٤٦٨هـ/ ١٠٦٦–١٠٧٥م)[77].

---

[73] معين الدين نطنزي: منتخب التواريخ، ص١٤.

[74] الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص١٨٠؛ معين الدين نطنزي: المصدر السابق، ص١٥.

[75] معين الدين نطنزي: المصدر السابق، ص٦.

[76] الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص١٥٢.

[77] آري كاكل محمد طاهر: إمارة شوانكاره (٤٤٨–٧٥٦هـ/ ١٥٦–١٣٥٨م) دراسة سياسية وحضارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، العِرَاق، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٣٧.

أما في عهد ثالث حكام الشبنكاره: الأمير نظام الدين محمود (٤٦٨-٤٩٩هـ/ ١٠٧٥- ١١٠٥م)، فقد أقام في بادئ حكمه في العاصمة جشناباد، ثم ما لبث أن نقلها إلى مدينة شِيرَاز، مع استخدام دَارابْجرْد لإدارة شؤون الأتابكية[78].

وفي عهد خامس حكامها: الأمير مظفر الدين محمد بن قطب الدين، أعاد مقر حكمه مرة أخرى إلى مدينة جشناباد، ومن الملاحظ أنه مع ازدياد نفوذ المغول في مناطق الشبنكاره تم نقل العاصمة إلى مدينة: إيج ذات القلعة الحصينة، منذ أواخر عهد مظفر الدين، واستمرت عاصمة طوال عهد: قطب الدين مبارز الثاني، والأمير: نظام الدين حسن بن مظفر الدين (٦٥٩-٦٦٢هـ/١٢٦٠-١٢٦٣م)، كذلك في الفترة الأولى من حكم الأمير نصرت الدين إبراهيم، الذي نقل عاصمته من مدينة إيج إلى مدينة نَيْرِيْز[79].

وفي آخر عهود الشبنكاريين اقتصر ملكهم على قلعة إيج فقط؛ لذا استقر آخر حكامهم المسمى: الملك أردشير في تلك القلعة، حتى قضى الأمير مبارز الدين محمد المظفري عليه، وضم جميع ممتلكاته إلى دولته[80].

وخلاصة القول، فإن حكام أتابكية الشبنكاره قد حافظوا على دولتهم ومكانتها، بل توسعوا في عدة أماكن في: فَارِس، مثل: إغارتهم على كَرْمان في عهد الأمير قطب الدين محمد بن نظام الدين حسن، وسيطرتهم عليها قرابة عام كامل، كذلك اهتم حكام الشبنكاره بتشييد وبناء العديد من المنشآت المعمارية، كالمسجد الكبير في نَيْرِيْز الذي أنشأه الأمير نظام الدين

---

[78] الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص١٥٧.

[79] محمد جميل الروزبياني: إمارة شوانكاره الكردية، ص١٤٥.

[80] محمود الكتبي: تاريخ آل مظفر، ص١٠٧؛ عبد الرازق السمرقندي: مطلع السعدين، ص٤٣٤.

يحيى، فضلًا عن تحصينه بعدة قلاع، منها: قلعة إيج –دار الأمان[81]– الذي عين عليها ابنه حاكمًا[82]، وكذلك قام الأمير مظفر الدين محمد (٦٢٤–٦٥٨هـ/ ١٢٢٦–١٢٥٩م)، ببناء المساجد والخانقاوات والمدارس وأماكن لاستراحة القوافل التجارية؛ لتنشيط حركة التجارة الداخلية والخارجية، وبنى قلعة قوية من الحجارة بالقرب من قلعة دار الأمان في الجبل[83].

ثانيًا: النفوذ السلجوقي في أتابكية الشبنكاره:

ارتبطت دولة الشبنكاره منذ بداية تأسيسها في شرق فَارِس، واتخاذهم دَارِبْجِرْد عاصمة لهم، بعلاقات قوية مع السلاجقة، وذلك منذ أن انبثقت تلك الدولة عن سلطان السلاجقة العظام، فقد اعترف السلطان طغرلبك[84]، بتلك الأتابكية في ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، وفرض نفوذه عليها منذ عهد أول حكامها فضلويه بن حسنويه.

---

[81] قلعة دار الأمان: قلعة منيعة محصنة، يقال إن في أعلاها سبعة عشر ألف منزل، وهي قلعة غنية، في شمالها جبل معروف بسلماني، فيه مناجم وبعض المعادن مثل: الفضة وحجر النور الفضي والذهبي، وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٨.

[82] الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص١٦٨؛ معين الدين نطنزي: منتخب التواريخ، ص٨.

[83] آري كاكل: إمارة شوانكاره، ص٣٩.

[84] السطان طغرلبك: هو أبو طالب طغرل بن محمد بن ميكائيل بن سلجوق، أول سلاطين السلاجقة، الذين نزحوا إلى عاصمة الخلافة العباسية بَغْدَاد، وكان قد تولى الحكم سابقًا في أَصْفَهَان سنة ٤٢٤هـ/١٠٤٤م، ومن حجاب السلطان طغرلبك الحاجب عبد الرحمن ألب زين الأغابي، وكان توقيع السلطان على شكل الدبوس، وهو أول من تلقب بلقب السلطان منحه إياه الخليفة القائم بأمر الله العباسي، وزوجه ابنته سيدة خاتون، على صداق قدره مائة ألف دينار في صفر ٤٥٥هـ/ فبراير١٠٦٣م، بخُرَاسَان، إلا إنه توفي في رمضان من العام نفسه عن عمر يقرب من السبعين عامًا، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٠؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٤٤–٢٤٥؛ الراوندي: راحة الصدور، ص١٥٩–١٦٠؛ الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص٢١–٢٢؛ القَزْوِيْني: تاريخ گزيده، ص٩٦.

تزامن هذا الاعتراف مع محاولة قاورد بن جغري[85] –صاحب سلاجقة كَرْمان وأخ السلطان ألب أرسلان– السيطرة على مناطق الشبنكاره، وقد أشار الحسيني[86] إلى توجه السلطان ألب أرسلان تجاه أَصْفَهَان في ٤٥٩هـ/١٠٦٦م لضبط أمور كَرْمان، بعد أن أظهر ملكها قاورد –اسمه قرا أرسلان[87]– العصيان بتشجيع من وزيره، الذين زين له السيطرة على ما تحت يد فضلويه بن حسنويه الشبنكاري من ممتلكات، فسار السلطان إليه وأنزل الهزيمة بعساكره[88]؛ مما اضطر معه قاورد إلى الفرار إلى مدينة جِيْرُفْت بكَرْمان، مع إرساله المراسل لاستعطاف السلطان حتى عفا عنه، وأعاده إلى ولايته[89]. فما كان من قاورد أن فرض سيطرته على مدينة شِيرَاز، وهدم عدة أماكن في بلاد فَارِس، وجعل معظمها خرابًا[90]؛ مما اضطر فضلويه بن حسنويه الشبنكاري بعد سقوط العديد من مناطق الشبنكاره إلى الفرار من الملك قاورد، باللجوء إلى السلطان ألب أرسلان[91].

---

(85) الملك قاورد: هو ركن الدين عماد الإسلام قاورد المعروف بقره أرسلان، كان شجاعًا عادلًا ذا همة، ولُقب بعماد الدولة، واتخذ من شِيرَاز عاصمة لدولته، حيث حكم معظم ممالك فَارِس وكَرْمَان، وأطلق على دولته سلاجقة كَرْمَان، وقد طالب قاورد بالعرش عقب وفاة السلطان ألب أرسلان، ولكن ملكشاه حاربه وأنزل الهزيمة به، أفضل الدين الكَرْمَاني: بدائع الأزمان في وقائع كَرْمَان، ترجمة ثريا محمد علي، مراجعة بديع محمد جمعه، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ٢٠٠٠م، ص٥٣–٦١.

(86) أخبار الدولة السلجوقية، ص٤١.

(87) أفضل الدين الكَرْمَاني: بدائع الأزمان، ص٥٣.

(88) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص٤١.

(89) أفضل الدين الكَرْمَاني: بدائع الأزمان، ص٥٩–٦٠.

(90) الأَصْفَهَاني: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٣٣.

(91) القَزْوِيْني: تاريخ گزيده، ص١٠٠.

وفي حقيقة الأمر، فإن فضلويه حمل معه العديد من الهدايا القيمة والجواهر الفاخرة، منها: قدح من الفيروزج للسلطان ألب أرسلان، في محاولة لكسب وده وكعلامة على تقديره واحترامه، فما كان من السلطان ألب أرسلان إلا أن تقبل هداياه، وأصدر فرمانًا بتوليته تلك الولاية مع إقطاعه بعض بلاد فَارِس ليحكمها، إلى جانب أرض الشبنكاره[92].

وبالتالي، تعهد فضلويه بتقديم الهدايا الفاخرة وضريبة سنوية تقدر: بسبعة وعشرين مليون درهم سنويًّا إلى ديوان السلاجقة، فصدرت الأوامر للملك قاورد بمغادرة بلاد فضلويه، والعودة إلى مقر حكمه في بَرْدَسِيْر بكَرْمان[93]، ومن ثم بدأت صفحة جديدة بين أمراء الشبنكاره وسلاطين السلاجقة، فعادت العلاقات الودية التي كانت عليه قبل إقدام قاورد على الاعتداء على مناطق الشبنكاره وممتلكاتهم.

وبناء على ما تقدم فقد استقل فضلويه بالحكم، وأخضع سائر زعماء الشبنكاره لنفوذه، واتخذ من مدينة جشناباد عاصمة لدولته[94]، إلا إنه لم يفِ بتعهداته المالية، والتزاماته تجاه ديوان السلاجقة، وسرعان ما نقض عهده للسلطان ألب أرسلان، وأعلن التمرد والخروج عن الطاعة، بعد أن قام بتحصين قلاع الشبنكاره، واستقر في قلعة إيج الحصينة، فلما وصلت أخبار هذا التمرد إلى ألب أرسلان، قام في ٤٦٤هـ/١٠٧١م، بإرسال حملة عسكرية لتأديبه، على رأسها وزيره نظام الملك الطُوْسي[95].

---

(92) ابن البَلْخي: فارس نامه، ص١٥٢؛ زركوب الشِيرَازي: شيراز نامه، دكوشنس ذكر اسماعيل واعظ جوادى، بنياد فرينك ايران ص٥٨؛ وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٤.

(93) وصاف الشِيرَازي: المصدر السابق والصفحة؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٧٦.

(94) عباس إقبال: المرجع السابق والصفحة.

(95) الراوندي: راحة الصدور وآية السرور، ص١٨٨.

ولعل الخطوة التي قام بها فضلويه الشبنكاري، جاءت بناء على ثقته بنفسه؛ بسبب أعماله الجيدة في بلاده، وإعادته الأمن والاستقرار فيها[96]؛ إذْ قام بتحسين الطرق بين جميع مدن الشبنكاره، وإعادة إعمار المناطق المنكوبة التي خربت على يد قاورد؛ مما أظهر دولته بمظهر القوة، خصوصًا بعد استقرار جميع أطرافها بتعيين أمراء من الشبنكاريين على نواحيها، وتنصيب نائبٍ عنه في شِيرَاز، واستقراره في عاصمته الجديدة؛ مما جعله يتطلع إلى الاستقلال عن السلطان ألب أرسلان، ورفض دفع ما التزم به من ضرائب لديوان السلاجقة، فضلًا عن شعوره بأن السلطان منشغلٌ بالعديد من المعارك في عدة جبهات، فماطل في الدفع، واعتقد أنه متحصن بقلعته، وظن أنه سوف ينجو من السلطان ويستقل بممتلكاته[97].

توجه الوزير نظام الملك لقتال الأمير فضلويه بن حسنويه الشبنكاري بجيش من بلاد فَارِس ورغم تحصن فضلويه في قلعته، فقد دعاه الوزير إلى الطاعة، إلا إنه فضل القتال[98]، فلما اشتد القتال بين الطرفين، طلب سكان القلعة من الوزير الأمان فجأة؛ بسبب انخفاض مفاجئ في جميع مياه آبار القلعة في ليلة واحدة؛ مما أجبرهم على طلب الأمان، فالتجأ فضلويه إلى قصره داخل القلعة، فكلف نظام الملك أحد القواد ويسمى الأمير هزاراسب[99] بمهاجمة أهل فضلويه وأقاربه في مسقط رأسه[100]، حتى أجبر فضلويه على الخروج من موضعه، والسير ليدفع عن أهله ما سوف يحل بهم، وبالتالي سنحت الفرصة لطلائع جيش نظام الملك بالقبض

---

[96] وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٤.

[97] الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص٤٢؛ آري كاكل: إمارة شوانكاره، ص٤٨.

[98] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١١٠.

[99] الأمير هزارسب: هو تاج الملوك أبو كاليجار هزارسب بن بكير بن عياض –نائب السلطان طغرلبك وألب أرسلان في ولاية البَصْرَة والأَهْوَاز ونواحيها– كان له شأن عظيمًا في بلاط ألب أرسلان، وتزوج من أخته، وتدرج في عدة وظائف، مات في رمضان ٤٦٤هـ/ يونيو ١٠٧٢م، وهو خارج من أَصْفَهَان قاصدًا خُوْزِسْتَان، الأَصْفَهَاني: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٣٨؛ الحسيني: زبدة التواريخ، ص١٠٢.

[100] الحسيني: المصدر السابق، ص١٠١– ١٠٢.

عليه، بعدما تفرق عنه جنوده، والتجأ إلى الاختفاء في حشائش الأرض[101]، فسقط في أيدي بعض الجنود، وأُسر وحُمل إلى نظام الملك الذي نقله إلى السلطان ألب أرسلان[102]، وقد انفرد الحسيني[103] بالقول بأن فضلويه عُفيَ عنه وأُطلقَ سراحه من قِبَلِ السلطان، بينما هناك رأي آخر[104] يؤكد أن السلطان وضع فضلويه في السجن في قلعة خراسه–خورشاه– في مدينة إِصْطَخْر، وبعد مدة قام قائد القلعة بقتله، بأمر من الوزير نظام الملك، وثمة رواية ثالثة[105] تقول: إن الوزير عندما ألقى القبض عليه قتله وسلخ جلده وحشاه تبنًا؛ وبذلك تعددت روايات نهاية فضلويه، وانتهى حكمه في شرق فَارِس ودَارابْجرْد، وتم تنصيب أحد الأمراء مكانه يطلق عليه اسم: خمارتكين أتابكا من قِبَلِ السلاجقة في ٤٥٦هـ/١٠٦٣م[106].

وبذلك عادت السيطرة الكاملة للسلاجقة العظام على منطقة فَارِس كلها وعلى مناطق الشبنكاره وجبالها في عهد ألب أرسلان، بإسناد الأتابكية للأمير خمارتكين، فضلًا عن وجود أمراء محليين في مناطق الشبنكاره خلفًا لفضلويه، فقد أسند إلى نظام الدين يحيى بن حسين أحد عناصر الشبنكاره مهمة الإشراف على مناطق الشبنكاره، والذي كان حاكمًا على فَارِس بجانب الأمير فضلويه في عهد السلطان ألب أرسلان ومن ثم ورثه في حكم مناطق الشبنكاره[107]. وقد تأرجحت علاقة أتابكية الشبنكاره مع سلاطين السلاجقة بين السلم والحرب، في عهد الأمراء الذين أعقبوا فضلويه.

---

[101] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١١٢.

[102] وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٤.

[103] زبدة التواريخ، ص١٠٢.

[104] وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٤؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٧٦؛ آري كاكل: إمارة شوانكاره، ص٤٩؛ محمد أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات، ص١٣٢.

[105] ابن البَلْخي: فارس نامه، ص١٥٢.

[106] عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٧٦.

[107] زامباور: معجم الأنساب، ص٣٥١؛ آري كاكل: إمارة شوانكاره، ص٣٧.

علاقة أمراء الشبنكاره بالسلاجقة في عهد السلطان بركيارق[108]:

في فترة حكم السلطان بركيارق كانت عناصر الشبنكاره مبعث قلاقل وفتن في إقليم فَارِس، خصوصًا في الفترة التي أعقبت وفاة ملكشاه، واشتد فيها الصراع بين ولديه بركيارق من جهة، ومحمود وأمه تركان خاتون[109] من جهة أخرى على عرش السلطنة السلجوقية، ففي حين انحاز الأمير "أنز" –أحد أمراء ملكشاه– مؤيدًا لمحمود وأمه في أَصْفَهَان، نجد اتحاد أمراء الشبنكاره إلى جانب الملك إيرانشاه بن قاورد[110] –حاكم سلاجقة كَرْمان– الذي تولى ولاية فَارِس طبقًا لسياسة التقارب بين أمراء ورؤساء فَارِس ولا سيما أمراء الشبنكاره، فجمعهم إيرانشاه ووزع عليهم الجزء الشرقي من إقليم فَارِس، ثم عين كل واحد منهم على منطقة من المناطق الفَارِسية[111]، ومن ثم تمكنوا في ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م، من إنزال الهزيمة بالأمير أنز المسيطر على فَارِس، إلا إن وفاة محمود بن ملكشاه عجلت بسيطرة بركيارق على شؤون فَارِس، ومن ثم أوكل إلى الأمير أنز حكم أتابكية فَارِس كلها والإشراف عليها، فجنحت قبائل الشبنكاره إلى المسالمة[112].

---

(108) بركيارق: خامس سلاطين السلاجقة، ولقبه ركن الدين بركيارق يمين أمير المؤمنين، تولى الحكم ما بين ٤٨٦–٤٩٨هـ/١٠٩٣–١١٠٤م، كانت سلطنته بعد وفاة أخيه محمد بن ملكشاه، وأمه تركان خاتون، القَزْوِيْني: تاريخ گزيده، ص١١٠؛ الأقسرائي: مسامرة الأخبار، ص١٣٠.

(109) تركان خاتون: من ملوك القراخانية، ابنة الملك طمغاج خان، تُلقب بخاتون الجلالية نسبة إلى لقب زوجها جلال الدين ملكشاه، الرواندي: راحة الصدور، ص٢٠٧.

(110) إيرانشاه بن قاودر: هو الذي استقر في حكم كَرْمَان بعد وفاة أبيه تورانشاه، وكان ميالًا لشرب الخمر، ومن ضمن من تقرب منه شخصيًّا يطلق عليه كاكا بليمان، الذي يتصف بالخبث وسوء السيرة، مما ساعد إيرانشاه على ارتكاب الفواحش والموبقات، أفضل الدين الكَرْمَاني: بدائع الأزمان، ص٧٠.

(111) آري كاكل: إمارة شوانكاره، ص٥٠.

(112) محمد أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات، ص١٣٢.

علاقة أمراء الشبنكاره بالسلاجقة في عهد السلطان محمود بن محمد:

يؤخذ من مجريات الحوادث بين سلاطين السلاجقة وأمراء الشبنكاره أن عناصر الشبنكاره جنحت إلى السلم في أواخر عهد السلطان محمد، ولكن تجدد الصراع من جديد في عهد السلطان محمود بن محمد[113]؛ نتيجة لسوء تصرف وزيره ناصر بن علي الدركزيني[114]، تلك القلاقل والفتن التي عرضت تلك المناطق لألوان شتى من الويلات، بل ودمرتها تدميرًا؛ إذْ عمت البلاد الإضطرابات، لا سيما خلال حرب كَرْمان[115]، تلك الحرب التي تزعمها سلاجقة كَرْمان وعلى رأسهم إيرانشاه، ففي ٤٩٢هـ/١٠٩٨م قرر والي فَارِس أن ينتقم من هزيمته السابقة في ٤٧٧هـ/١٠٧٣م، والتي انتصر فيها أمراء الشبنكاره وحليفهم ملك سلاجقة كَرْمان، إلا إن الهزيمة حلت به مجددًا، وانتصروا على الأمير أنز من جديد، وبالتالي أُجبر أنز على التراجع إلى أَصْفَهَان مرة أخرى، حيث أمره السلطان بالمقام هناك، ثم ولاه إمارة العِرَاق بعد ذلك[116].

---

(113) السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه: لُقب بمغيث الدين والدنيا، وكان عمره عند توليته السلطنة سبعة وعشرين عامًا، وتسلطن أربع عشرة سنة، وتوقيعه اعتصمت بالله، ومن وزراءه ربيب الدولة أبو منصور، وقوام الدين أبو القاسم، والوزير نوشروان بن خالد، الأَصْفَهَاني: تاريخ دولة آل سلجوق، ص١١٤؛ الراوندي: راحة الصدور، ص٢٩٩.

(114) الوزير ناصر الدين بن علي الدركزيني: كان مشهورًا بالظلم والتهور، وكان على علم بالشعر والإنشاء، وفي بداية حياته عمل نائبًا لأحد حجاب السلطان محمد، وارتفعت مكانته في عهد السلطان محمود؛ فتولى الوزارة بعد عزل الوزير نصير الدين، وقد كان الدركزيني جريئًا جدًّا في الإقدام على قتل الأكابر والعظماء، فكان يقوم بقتلهم على أقل خطأ يحدث، خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٨٧.

(115) محمد أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات، ص١٣٢-١٣٣.

(116) الحسيني: زبدة التواريخ، ص١٦٠؛ الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص١٥٨.

أما في عهد السلطان أبوشجاع محمد بن ملكشاه[117]:

ففي ٥٠٨هـ/١١١٤م أُوكل إلى الأتابك جلال الدين جاولي أتابكية فَارِس، وكلف بالقضاء على التمرد والمتمردين في تلك المناطق، كما أسند السلطان إليه تربية وتعليم ابنه جغري –الذي لم يبلغ من العمر أكثر من عامين– فقام الأتابك جاولي على تعليم الأمير الصغير كلمة: "بكير" بمعنى خذوه أو أقبضوا عليه، ومن ثم، كان الحراس إذا ذكر الأمير هذه الكلمة يقومون بالقبض على الشخص القادم، وترحيله إلى مكان معين، ويقتل وينهب ماله[118]، ومن هؤلاء الذين وقع عليهم تلك الفعلة الأمير بلدجي –من كبار مماليك السلطان ملكشاه– وكان حاكمًا على منطقة كليل وسرماه في إقليم فَارِس؛ لذا ثار وزيره: جهرمي عندما وصل إلى مسامعه مقتل سيده، كذلك غضب الأمير حسن بن مبارز الشبنكاري المعروف بخسرو[119]، الذي حكم مناطق الشبنكاره فيما بين ٤٩٩– ٥٦٣هـ/١١٠٣–١١٧١م، وهو الرابع من حكامهم والمعاصر لحكم السلطان أبي شجاع محمد السلجوقي، والذي رفض الخضوع إلى ديوان الأمير جغري الصغير وخدمته؛ حتى لا يقع فيما وقع فيه غيره من مصير، مشيرًا إلى طاعته الكاملة للأتابك جاولي والسلطان أبي شجاع والأمير، وأنه على أتم استعداد لحمل أموال الضرائب المفروضة على بلاده، دون المثول بين يدي الأمير[120].

---

(117) أبو شجاع محمد: هو ولد السلطان ملكشاه وأخو السلطان سنجر من أم واحدة، وقد أقطعه بركيارق ولاية كَنْجَة وأعمالها، وامتد مُلكه ثلاث عشرة سنة، ومن وزرائه الوزير سعد الملك الآبي، الحسيني: المصدر السابق، هامش ص١٦١؛ الراوندي: راحة الصدور، ص٢٣٤.

(118) محمد جميل الروزبياني: إمارة شوانكاره الكردية، ص١٤١.

(119) الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص١٥٦.

(120) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، دار صادر، بيروت– لُبْنَان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٥١٦؛ آري كاكل: إمارة شوانكاره، ص٥١.

وبناء على ما تقدم، فقد بدأ العصيان والتمرد في منطقة إِصْطَخْر التي تحت نفوذ وزير بلدجي المدعو جهرمي، ومن أمير الشبنكاره حسن بن مبارز؛ لذا وضع الأتابك جلال الدين جاولي خطة للإيقاع بهما، وهي أن أعلن بين أعوانه والمقربين إليه أنه ليس له مكان يستقر فيه في فَارِس كلها، وأن عليه تركها والعودة إلى السلطان، وبذلك خطط جاولي للإيقاع بأمير الشبنكاره الذي اطمأن إلى خروج جاولي من فَارِس، ثم أتم جاولي خطته بأن عاد وحاصره في عقر داره، وبذلك نجحت خطته، وانتصر على أمير الشبنكاره[121]. واستولى على قلعته وأمواله؛ مما اضطر الأمير حسن بن مبارز إلى الفرار إلى قلعة إيج الحصينة، فلم يستطع جاولي اقتحامها لحصانتها وقوة مناعتها، وكثرة ذخائرها، فوافق على التصالح بينهما؛ حتى لا يطيل محاصرة القلعة، وعاد جاولي إلى شِيرَاز عاصمته، بعد أن أنزل الخراب والدمار بعدة مناطق للشبنكاره، وسلب أموال الأهالي، كذلك توجه جلال الدين جاولي إلى إِصْطَخْر التي احتمى بها الوزير جهرمي وفعل بها الشيء نفسه[122].

لم يركن الأتابك جاولي إلى الصلح الذي تم بينه وبين الأمير الشبنكاري، بل عاد في ٥١٠هـ/١١١٦م إلى تكرار الهجوم على مناطق الشبنكاره، ومنها: منطقة "سقاو"، واصطدم مع أمرائها من أمثال: أبي سعيد محمد بن مما، وأولاد الأمير نظام الدين يحيى بن حسنويه، لدرجة أن الأمير نظام الدين محمود بن نظام الدين يحيى تمكن من إسقاطه أثناء الاشتباكات، فأسلم الروح[123]، وقد أضاف وصاف الشِيرَازي[124] على ذلك بأن جاولي هذا حارب نظام الدين محمود –أمير الشبنكاره– في أرض: "ماهلويه سروستان"، وتعقبه حتى وصلا إلى موضع: "شهدايشكانات"، ولكن الغلبة كانت للأمير الشبنكاري؛ لذا اضطر جاولي إلى الرجوع إلى فَارِس، لكنه لم يصلها؛ إذْ توفي في الطريق.

---

(121) ابن الأثير: المصدر السابق والجزء، ص٥١٧؛ محمد جميل الروزبياني: إمارة شوانكاره، ص١٤١–١٤٢.

(122) ابن الأثير: نفسه والجزء، ص٥١٨–٥١٩.

(123) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٧٦–٣٧٧.

(124) تاريخ وصاف، ص٤٦٥.

وخلاصة القول؛ إن نفوذ السلاجقة وسلاطينهم على حكام الشبنكاره تمثل في فرض تبعيتهم للمناطق التي في أيدي الشبنكاريين، ومهاجمة أراضيهم في حالة العصيان لسلاطين السلاجقة أو الأتابكة المعينين من قِبَلِهم على منطقة فَارِس، مع التزام حكام الشبنكاره بدفع أموال الضرائب المفروضة على أراضيهم للسلاجقة.

ثانيًا: النفوذ المغولي في الشبنكاره:

اجتاح المغول تحت زعامة چنگيز خان[125] العالم الإسلامي، وهاجموا بلاد خُوَارزم وما وراءَ النَّهْر سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، وسيطروا على العديد من أقاليمه، وقد انضوت عناصر الشبنكاره تحت نفوذهم رغبة منهم في الاحتماء بهم؛ لذا بادروا بتقديم فروض الطاعة لهم[126].

وفي ٦٢٤هـ/١٢٢٦م، آلت السلطة في الشبنكاره إلى الأمير مظفر الدين محمد بن مبارز بن حسونه بن هزاراسب بن مهويه، الذي كان رجلًا فاضلًا مكرمًا للفضلاء، واجتهد في أمور الدين، وتوزيع الرواتب والصدقات، وبسط مملكته حتى حدود ميناء هُرْمُز، ولكن هناك عدة مناطق تابعة للشبنكاريين وهي: رونيز وخير وقرى ميشكانات ولاروسانك كان رجالها يغيرون على حدود فَارِس، ويفسدون في الأرض الزراعية؛ مما تسبب في إرهاق القوة العسكرية للشبنكاره[127]؛ لذا أسرع صاحب الشبنكاره إلى الانضمام إلى تبعية المغول العظام في قراقورم

---

(125) چنگيز خان: هو تيموجين بن بيسو كاى بهادر، وأمه السيدة دالوان فوجين، زحف على ممتلكات الدولة الخُوَارزمية؛ فكون إمبراطورية عظيمة قسمها على أولاده الأربع؛ ولم يعهد چنگيز خان إلى ابنه الأكبر جوجي بالحكم، بل عهد إلى ابنه الثاني اوكتاي؛ لوجود خلاف بين جوجي وجغتاي، وقيل إنه وضع السم له، الجوزجاني: طبقات ناصري، ترجمة ملكة علي التركي، المركز القومي للترجمة، الْقَاهِرَة– مِصْر، ٢٠١٢م، ج٢، ص١٨١؛ القَزْوِيْني: تاريخ گزيده، ترجمة فتحية حلمي أمين الدالي، ص١٦١.

(126) الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص١٦٤.

(127) وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٦– ٤٦٧؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٨٠

في عهد اوكتاي قاآن (Ogadei)[128] بن چنگيز خان؛ لإنقاذ إقليم شرق فَارِس من غزو المغول، الذين هدموا مدينة أَصْفَهَان في ٦٣٣هـ/١٢٣٥م، وقد تعهد الأمير مظفر الدين الشبنكاري[129]، ومعه الأتابك أبو بكر بن سعد أتابك السلغوريين، بدفع الجزية المفروضة على بلادهم، وبذلك انضموا إلى تبعية المغول، هذا التدبير أنقذ منطقة جنوب إيران من تخريب جند المغول، وأنقذ فَارِس التي كانت آنذاك من أغنى ولايات إيران بسبب التجارة الخارجية؛ ونتيجة لإرسال الضرائب المفروضة على فَارِس لقراقورم، تهيأ المناخ السليم لراحة جنود المغول خارج البلاد، ومنع أي قوى معادية من الاقتراب منهم؛ لذا عرفت بلاد فَارِس ومناطق الشبنكاره الأمن والاستقرار والعمران، وصارت مركزًا للشعراء وأهل العلم، ممن فروا أمام طوفان المغول[130].

وفي حدود ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، جهز الإمبراطور منكو قاآن(Mongke)[131] –من الخانات العظام في قراقورم– الجيوش المغولية للتوسع والغزو، فأرسل أخاه قوبيلاى(Qubilai) لفتح بلاد الخطا والصّيْن[132]، وأرسل أخاه الثاني هولاگو خان[133] لفتح قلاع الإسماعيلية في

---

[128] اوكتاي قاآن(Ogadei): بمعنى العروج إلى الأعلى في اللغة المغولية، وهو الذي أوصى به چنگيز خان أن يتولى الحكم خلفًا له، على الرغم من أنه لم يكن أكبر أبنائه، الجويني: تاريخ جهانگشاى المعروف بتاريخ فاتح العالم، ترجمة محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص٣٦٣.

[129] زامباور: معجم الأنساب والأسرات، ص٣٥١.

[130] عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٨١.

[131] منكو قاآن(Mongke): تولى حكم المغول خلفًا لكيوك قاآن بن اوكتاي قاآن بن چنگيز خان، اتصف بأنه خير خلف لچنگيز خان بدهائه وشهامته وذكائه وصرامته وشهرته، وحُسن رأيه، رُفع إلى العرش بمجلس القوريلتاي(Kuriltai) وموافقة جميع الأمراء، الجويني: تاريخ جهانگشاى، ج١، ص١٩٧، ٢٢٦.

[132] برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص٤٤.

[133] هولاگو خان: هو الابن الرابع لتولوى بن چنگيز خان، وأمه هي سيورقوقيتي بيكي، كان له نساء وسراري كثيرات، ومن أشهرهن: السيدة دوقوز خاتون، ذات الشخصية القوية، كانت تدين بالمسيحية على الرغم من أن هولاگو كان بوذيًا ولم يعتنق المسيحية، واستقر في بلاطه عدد كبير من البوذيين، وكان لهولاگو=

قلعة أَلَموُت ولإسقاط الخلافة العباسية، وقد حقق الأخوان الانتصارات الكبيرة في هذا المجال؛ لذا استقر هولاگو في مدينة مَرَاغَة واتخذها عاصمة لدولته الوليدة[134]، التي أطلق عليها اسم الدولة الإيلخانية –أي الدولة الخاضعة أو التابعة لخانات المغول في قراقورم.

وقد بدأت الاحتكاكات بين حكام الشبنكاره ودولة الإيلخانيين منذ ٦٥٨هـ/١٢٥٩م عندما أرسل هولاگو القائد تكوجنه، ويسمى عباس إقبال[135] التاجو –وهو أمير تومان[136] من قبيلة جلائر[137] – وكلفه بالاستيلاء على قلعة إيج قلب مناطق الشبنكاره، ونهب كل ما يجده هناك؛ لذا نزل تكوجنه في صفر ٦٥٨هـ/ يناير ١٢٦٠م، بجنوده الذين يقدر عددهم بحوالي سبعة عشر ألف مغولي أسفل تلك القلعة وحاصرها، فما كان من أميرها مظفر الدين الشبنكاري إلا التصدي له، وذلك لثقته الكبيرة في استحكامات قلعته ووفرة الذخيرة بها، وكثرة مقاتليها، ولكن ما لبث أن أصابه سهم في عينه فسقط من فوق حصانه وتوفي؛ مما اضطر أتباعه إلى طلب الأمان وتسليم القلعة للقائد المغولي تكوجنه، وبذلك فقدت الشبنكارية استقلالها؛ إذْ أعلنوا الطاعة

= أربعة عشر ولدًا وسبع بنات، الهمذاني: جامع التواريخ– تاريخ أبناء هولاگو من آباقا خان إلى گيخاتو خان، ترجمة محمد صادق نشأت ومحمود موسى هنداوي وفؤاد الصياد، وزارة الثقافة والإرشاد، المجلد الثاني، الجزء الأول، ص٢١٩–٢٢٠؛ الجوزجاني: طبقات ناصري، ج٢، ص٢٠٤؛ برتولد شبولر: المرجع السابق، ص٥٨.

(134) الهمذاني: المصدر السابق والمجلد، ج٢، ص٣٤٠.

(135) تاريخ المغول، ص٣٨٥.

(136) أمير تومان: أي أمير على عشرة آلاف جندي.

(137) قبيلة آل جلائر: تعرف باسم الإيلكانية، نسبة إلى جدهم أيلكان نويان، وينسب إليها الشيخ حسن بن أيلكان المعروف بحسن برزك، الذي أسس الدولة الجلائرية في العِرَاق وأَذْرَبِيْجَان، والتي امتدت من سنة ٧٤٠–٨٣٥هـ/١٣٣٩–١٤٣٢م، وتعاقب على حكمها تسعة حكام، واتخذوا من بَغْدَاد عاصمة لملكهم، خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٨٨؛ خواندمير: حبيب السير في أخبار أفراد البشر، جزء سوم، جلد دوم، از انتشارات كتابخانه خيام چاپخانه حيدرى، ١٣٣٣هـ. ش، ص١١٩؛ زامباور: معجم الأنساب، ص٣٧٧.

والتبعية للقائد تكوجنه، وبالتالي لهولاگو خان. ورغم ذلك فقد عمل القائد المغولي على تخريب قلعة إيج، وقلعة إسفيد الواقعة في جنوب قلعة دار الأمان[138].

أصدر القائد تكوجنه أمرًا بتولية قطب الدين مبارز بن مظفر الدين الشبنكاري مكان أبيه المتوفى، الذي ظل في الإمارة والحكم قرابة أحد عشر شهرًا، ثم تآمر عليه إخوته وأقاربه وقتلوه في ذي الحجة ٦٥٩هـ/ نوفمبر ١٢٦١م؛ نتيجة لسوء أخلاقه وضعف إدارته؛ لذا خلفه في الحكم أخوه نظام الدين حسونه بن غياث الدين محمد بن مظفر الدين، الذي أعلن الطاعة والولاء لهولاگو خان، واستمر نظام الدين في الحكم حتى ٦٦٢هـ/١٢٦٣م، عندما دخل في معركة مع سلجوقشاه السلغوري[139] سميت بمعركة كَازَرُوْن، وقتل فيها، وكانت هذه الحرب تنفيذًا لأوامر هولاگو للحكام التابعين لنفوذه في فَارِس، سواء أمراء الشبنكاره أم أتابك أَصْفَهَان وأمير يَزْد[140] وكَرْمان علاء الدين أتابك، إذْ كان قد أمرهم جميعًا بالتجمع عسكريًّا ضد سلجوقشاه؛ للقضاء عليه تحت قيادة القائد المغولي: ساداتي نويان[141].

---

[138] وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٧؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٨١.

[139] الأتابك سلجوقشاه: هو الأخ الأكبر للأتابك محمد شاه بن سلغور أتابك السلغوريين، تولى الحكم فيما بين ٦٦١-٦٦٢هـ/١٢٦٢-١٢٦٣م، وكان محبوسًا في قلعة إِصْطَخْر بأمر من الأتابك أبو بكر، فأطلقته السيدة تركان خاتون، بعد أن ثارت على زوجها الأتابك أبو بكر، ومن ثم رفعته للأتابكية السلغورية، وتزوجته، ولكنه انغمس في حياة اللهو والشراب؛ فعزمت تركان خاتون على قتله، إلا إنه نجح في قتلها أولًا، وتعقب الحكام المغول المعينين من قِبَلِ هولاگو في شِيرَاز، وقتل أحدهم، وأضرم النار في دِيَارهم، كذلك تقدم الأتابك علاء الدين أتابك يَزْد وكَرْمَان بمظلمة للقضاء؛ من قتل أخته تركان خاتون إلى هولاگو، لذا أرسل هولاگو جيشًا لمحاربته، ضم أمير الشبنكاره، وأتابك يَزْد وكَرْمَان، وأتابك أَصْفَهَان، عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٨٥.

[140] يَزْد: مدينة بين نَيْسَابُور وشِيرَاز، تُعد من أعمال فَارِس، ثم من كورة إِصْطَخْر، يقال لقصبتها: كَنَّه، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤٣٥.

[141] آري كاكل: إمارة شوانكاره، ص٤١، ٥٤.

ومن ثم أصدر هولاكو خان أمرًا ملكيًّا بنقل الحكم في الشبنكاره إلى أخي نظام الملك واسمه: نصرت الدين إبراهيم شاه، مع أوامره بأن يتزوج من ابنة سلجوقشاه، حتى يتم الوفاق والسلام بينهما، ومنعه من المطالبة بثأر أخيه المقتول[142]، هذا بالإضافة إلى إصدار هولاكو خان أمرًا آخر بقتل سلجوقشاه والقضاء عليه خارج قلعة البيضاء، والذي بدوره لجأ إلى أحد المساجد في كَازَرُوْن فحاصره المغول، وقد تجاسر الأتابك علاء الدين حاكم يَزْد، وتقدم لإلقاء القبض عليه، إلا إنه سقط صريعًا في إثر ضربة سهم من أحد أمراء الأتابك سلجوقشاه، الذي انتهى أمره بالأسر على يد المغول، وقتله، وبذلك شهدت معركة كَازَرُوْن مصرع ثلاثة من حكام جنوب إيران، وهم: الأمير نظام الدين حسن أمير شبنكاره، وعلاء الدين أتابك يَزْد، وسلجوقشاه أتابك السلغوريين[143]، وبذلك تمكن المغول على يد هولاكو من تغيير حكام تلك المناطق، وتحولت تبعية أتابكية فَارِس بما تشتمل عليه من: كَرْمان وشِيرَاز ويَزْد وغيرها من الأتابكيات، من مغول الخانات العظام في قراقورم إلى مغول الإيلخانية في مَرَاغَة في عهد هولاكو خان، والذي نقل ابنه آباقا خان عاصمته إلى مدينة تِبْرِيز، التي تؤلف منطقة صالحة للرعي[144]، وأصبحت ولاية فَارِس كلها رسميًّا خاضعة إلى ديوان الإيلخانيين، وصارت تحت الحكم المباشر لهم، أما بالنسبة للشبنكارية فقد أُصدرت الأوامر من آباقا خان بعزل نصرت الدين إبراهيم الشبنكاري في ٦٦٤هـ/١٢٦٥م؛ بسبب انقياده إلى معتقدات وهرطقات، قام بها قاضي القضاة: شرف الدين أمير سيد إبراهيم، الذي ادعى أنه المهدي، وتبعه الأمير نصرت الدين في آرائه، مما ترتب عليه عزله وقتله مسمومًا[145]؛ لذا صدر الأمر الملكي من آباقا خان بتولية الأمير جلال الدين طيب شاه خلفًا لأخيه، وكان عمره لم يتعدَّ ثلاثة عشر

---

(142) وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٨.

(143) القَزْوِيْني: تاريخ گزيده، ص٢٢٨؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٨٥.

(144) برتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص٥٧.

(145) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٨٦.

عامًا؛ لذا أوكل إلى مجموعة من مشايخ الشبنكاره –بالإشراف على قراراته وإدارة البلاد، حتى يبلغ سن الرجال[146]– وقد استمر جلال الدين طيب شاه حتى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م، ولكنه في نهاية عهده لم ينصاع إلى أوامر المغول وقراراتهم، فأصدر الإيلخان أحمد تكودار[147] –الذي خلف آباقا خان في العرش– أمرًا ملكيًّا بقتل جلال الدين طيب شاه، وتولية الأمير بهاء الدين إسماعيل الشبنكاري مكانه[148].

كذلك تدخل الإيلخانيون في الحد من حرية الأمراء الشبنكاريين، مثلما حدث عندما صدرت الأوامر في ٦٨٨هـ/١٢٨٩م، بالقبض على الأميرين ناصر الدين محمد وأخيه سيف الدين هزاراسب ونقلهما إلى معسكر الإيلخانيين على يد الأمير كيخاتو –قبل رفعه إلى العرش– بحجة الحد من قطاع الطرق واللصوص، الذين كانوا منتشرين في مناطق الشبنكاره؛ لتهيئة المناخ لإعادة إعمار مناطق الشبنكاره[149].

وقد تصادم الإيلخانيون مع حكام الشبنكاره؛ نتيجة لاختيار الأمراء: غياث الدين أميرًا للشبنكاره، وقد قيل إن هناك اثنين من الأمراء هما اللذان خلفا الأمير بهاء الدين إسماعيل على العرش، وهما: الأمير نظام الدين حسن، وغياث الدين محمود، ولكن حكام الإيلخانية في عهد

---

(146) محمد جميل الروزبياني: إمارة شوانكاره الكردية، ص١٤٦.

(147) أحمد تكودار: هو أخو آباقا خان، وابن هولاكو خان، تولى عرش الإيلخانية طبقًا لقانون الياسا الچنگيزية؛ لأنه كان أرشد الأمراء، وكان على ديانة المسيحية، وأسلم وتسمى أحمد، لذا بدأ الصراع بينه وبين الأمير أرغون، حتى قُتل في ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص٢٤٧؛ عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٤٤٩– ٤٥٠.

(148) وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٨.

(149) آري كاكل: إمارة شوانكاره، ص٤٣.

كيخاتو[150]، رفضوا هذا الأمر، وأرسل الإيلخان قوة عسكرية تحت زعامة الأمير سوربوقا تقدر بحوالي مائتي فارس للسيطرة على الموقف، والقبض على الأمراء الشبنكاريين العصاة، وحملهم إلى المعسكر المغولي[151]، وقد استمروا في منفاهم حتى وفاة كيخاتو، وتولية غازان خان الحكم[152].

وفي عهد غازان خان أعاد أمراء الشبنكاره من المعسكر الإيلخاني، وأسند للأمير غياث الدين، ومعه أخوه نظام الدين مساعدًا في الحكم، هذا الأخير الذي تفوق على غياث الدين، وكون جيشًا قويًّا من عناصر الشبنكاره[153]، كذلك أسند الإشراف على الشبنكاره لقائد كبير من المغول هو: القائد سونج نويان[154].

---

(150) كيخاتو: هو ابن آباقا، وأمه السيدة نوقدان خاتون، ولد في ٦٣٨هـ/١٢٤٠م، وجلس على عرش الإيلخانية في رجب ٦٩٠هـ/ يوليو ١٢٩١م، وتوفي جمادي الأولى ٦٩٤هـ/ مارس ١٢٩٥م، ومن نسائه عائشة خاتون بنت ايلكان نويان، ودوندي خاتون من الجلائريين، انجب ثلاثة أولاد وأربع بنات، ولما ظهر العجز في خزانة الدولة أصدر عملة ورقية هي: الجاو، تقوم مقام العملة الذهبية، الهمذاني: جامع التواريخ، مجلد٢، ج٢، ص١٧٠-١٧١؛ البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص١٣؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٢٠٥.

(151) آري كاكل: إمارة شوانكاره، ص٤٤.

(152) غازان خان: هو ابن أرغون خان بن آباقا، وأمه السيدة قولتاق خاتون، تزوج من عدة نساء يربو عددهن عن سبع سيدات، غير المحظيات، واعتنق الإسلام بنصيحة أتابكه نوروز، الذي اتهمه بعد ذلك بممالاة سلطان المماليك في مِصْر: الناصر محمد بن قلاوون، وقتله، وأسند وزارته إلى الخواجة جمال الدين الدستكردي، وقد حارب غازان المماليك في الشَّام ومِصْر، ولكنه هُزم في ثلاث حملات، ومات متأثرًا بذلك، الهمذاني: تاريخ غازان خان، دراسة وترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، الْقَاهِرَة- مِصْر، ١٤٤٠هـ/٢٠٠٠م، ص٨٦، ٤١٦؛ البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص١٦؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٢٤٧؛ Sykes: History of Persia, Vol II, (London, 1998), P.234

(153) الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص١٧٧.

(154) القَزْوِيْني: تاريخ گزيده، ترجمة فتحية حلمي الدالي، ص١٢٢.

ونتيجة لتقوية جيش الشبنكاره، وتحصين قلاعهم؛ فقد استعان غازان خان بهم لصد الغارات على المناطق التي أعلنت عصيانها وتمردها ضد الإيلخانيين، والتي عرفت بحرب كَرْمان، إذْ هاجم الأمير نظام الدين كَرْمان في عهد حاكمها مظفر الدين حجاج بن محمد شاه –من الأسرة القراخطائية– وتمت محاصرة كَرْمان مدة عام ونصف، شهدت المدينة فيها قحطًا شديدًا، حتى أعاد السلطان محمد شاه الكَرْماني مرة أخرى من معسكر الإيلخان إلى كَرْمان[155]، وبذلك انتهت هذه الحرب.

استمرت أوضاع الشبنكاره السياسية تحت نفوذ وتبعية الإيلخانيين طوال عهد أولجاتيو[156]، وعهد أبي سعيد بهادر شاه[157]، حتى تولى الأمير نصرت الدين الشبنكاره في ٧٢٥–٧٣٥هـ/١٣٢٤–١٣٣٤م، بموافقة السلطان أبي سعيد، هذا الأمير الشبنكاري الذي وحد صفوفهم وقوى جيشه، وعقب ذلك تولى الأمير ركن الدين إسماعيل (٧٣٥–٧٤٢هـ/١٣٣٤–١٣٤١م)، في عهد أرباغون المغولي[158]، وكانت تلك المرحلة بداية الضعف للدولتين الإيلخانية والشبنكارية على حد سواء، ثم أفل نجم الشبنكارية في عهد آخر حكامها: الملك

---

(155) القَزْوِيْني: المصدر السابق والصفحة.

(156) أولجايتو: ابن أرغون خان، الذي هرب في بداية حياته، خوفًا من أخيه غازان إلى نواحي شِيرَاز، واختلط هناك مع الخربندكيه والمكارين –الحمارين والبغاليين– لذا سُمي خدابنده، بنى عاصمة جديدة للإيلخانيين سماها: السلطانية، التي بدأها والده أرغون وكان اسمها: الأرغونية، وأمه السيدة: أوروك خاتون، توفي أولجايتو في رمضان ٧١٦هـ/ ديسمبر ١٣١٦م، الهمذاني: جامع التواريخ، مجلد٢، ج٢، ص١٦٦؛ القَزْوِيْني: المصدر السابق، ص٢٩؛ البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢٨.

(157) أبو سعيد بهادرشاه: هو آخر حكام الأيلخانية العظام، استعان في دولته بالأمير جوبان في منصب أمير الأمراء، وفي الوزارة بالأمير علي بادشاه، بعد قتل رشيد الدين الهمذاني، خواندمير: حبيب السير، ج١، جلد سوم، ص٢٠؛ Howorth: History of Mongols, Vol.3, (London, 1975), P.588

(158) أرباغون: هو أحد أحفاد أريق بوكا (Arik Buka)، الذي رُفع على العرش في قراقورم، ودار صراع بينه وبين قوبيلاى قا آن فاتح الصّيْن والخطا، رُفع أرباغون خلفًا لأبي سعيد، الذي لم يترك أولادًا، لذا قام الوزير غياث الدين بعد مشاوره الأمراء برفعه على العرش، ولم يستمر طويلًا، فقتل في ٧٣٦هـ/١٣٣٥م، عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٤٩٦–٤٩٧.

أردشير، والذي لم يبق من ممتلكاته إلا مدينة إيج؛ إذْ سقطت في يد الدولة المظفرية على يد الأمير مبارز بن محمد[159].

علاقة الشبنكاريين بحكام فَارِس:

ارتبطت الشبنكاره بعلاقات خارجية مع عدد من القوى المحيطة بها، منها: أتابكة السلغوريين، وبنو أنجو، وحكام كَرْمان، ولعل أبرز تلك العلاقات ما كانت بين أمراء الشبنكاره وأتابكة السلغوريين، والتي بدأت منذ عهد نظام الدين يحيى الشبنكاري، الذي حكم مناطق الشبنكاره فيما بين ٤٥٩-٤٦٨هـ/١٠٦٦-١٠٧٥م، وهو من خلف فضلويه بن حسنويه، واستطاع أن يسيطر على مدينة نَيْرِيْز، وأراد توسيع ممتلكاته على حساب جيرانه من السلغوريين[160]، ولكن انتهى الصراع بينهما بالصلح، خصوصًا بعد تصدي الأتابك سنقر بن مودود له، والذي أظهر شجاعة فائقة في حربه[161].

وفي عهد قطب الدين مبارز الأول الشبنكاري، المعاصر لزنكي بن مودود السلغوري[162]، تجدد الصراع، وتمكن الأمير الشبنكاري من الاستيلاء على نَيْرِيْز ثانيًا، ولم يتمكن الأتابك زنكي من التصدي له؛ لذا لجأ إلى السلطان السلجوقي أرسلان بن طغرل، طالبًا دعمه بقوة لمواجهة قطب الدين مبارز، ولكن قوة الشبنكاره لم تمكن السلغوريين من الانتصار عليهم[163].

---

(159) محمود الكتبي: تاريخ آل مظفر، ص١٠٧؛ عبد الرزاق السمرقندي: مطلع السعدين، ص٤٣٤.

(160) الأتابكة: شعبتان، الأولى: في الشَّام وديَار بكر، وعددهم تسعة، حكموا ١٧٧عام، أما الشعبة الثانية: ففي بلاد فَارِس، وتُعرف بالسلغوريين، وعددهم: أحد عشر شخصًا، ومدة حكمهم فيما بين ٥٤٣-٦٦٣هـ/١١٤٩-١٢٧٥م، أي ١٢٠عامًا، ويرجع أصل السلغوريون إلى: نسل سلغر من نسل طاق خان بن انتموزخان، وقد إلتحق بالسلاجقة، وعُين حاجبًا، القَزْوِيْني: تاريخ گزيده، ص٢١٥-٢١٦؛ انظر: ملحق رقم (٣) الخاص بأتابكة السلغوريين.

(161) حسينقلي ستوده: تاريخ آل مظفر، جلد دوم، ص٢٨-٢٩.

(162) زنكي بن مودود: هو من أتابكة السلغوريين، تولى فيما بين ٥٥٦-٥٧٠هـ/ ١١٦١-١١٧٥م، وعمل في خدمة السلطان أرسلان بن طغرل، وحكم أربعة عشرة عام، القَزْوِيْني: تاريخ گزيده، ص٢٢٢.

(163) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٧٧.

ونتيجة لقوة الجيش الشبنكاري، واهتمام الأمير قطب الدين مبارز به، وبإمداده بالأسلحة، وتنظيمه تنظيمًا جيدًا، فقد أنزل الهزيمة بسعد بن زنكي الذي خلف أباه على الأتابكية في ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م[164]، ليس هذا فحسب بل سير الشبنكاري جيشه تجاه كَرْمان، وذلك بناء على طلب أهلها الذين استنجدوا به؛ فاستجاب لندائهم، وسير جيشه إلى كَرْمان، حتى استخلصها من حاكمها، ثم عاد هو إلى عاصمته، وأوكل إدارتها إلى أخيه: نظام الدين محمود، وسيف الدين محمد[165]؛ وبذلك لم يستطع أتابكة السلغوريين الانتصار عليه بالرغم من استعانتهم بالسلاجقة، الذين حصل منهم على مرسوم ملكي بأتابكية فَارِس وحكمها[166].

لم يدم حكم الأمير قطب الدين مبارز الشبنكاري على كَرْمان طويلًا؛ بسبب ميل أخيه نظام الدين محمود إلى اللهو وظلم الرعية والعمال، ومن ثم ثاروا عليه في ٦٠٠هـ/١٢٠٣م؛ لذا استغل الغز هذا الموقف وهاجموا الأميرين، وقد حاول الأميران الاستنجاد بأخيهما قطب الدين مبارز، وطلب العون منه[167]؛ إلا إنه كان منهمكًا في الصراع مع الأتابك سعد السلغوري، ولم يتمكن من نجدتهما؛ لذا تكتل الغز وأهالي كَرْمان، واعتقلوا نظام الدين محمود، ولكنهم لم يتجرءوا على قتله خوفًا من بطش أخيه الأمير مبارز، بل حبسوه في بئر، وولوا مكانه على كَرْمان ابن الملك دينار الملقب: عجمشاه[168]، الذي كان مؤيدًا ومحميًّا من قِبَلِ خُوَارزمشاه علاء الدين محمد، والذي اتفق مع الغز، وزحف معهم إلى بلاد كَرْمان، وما أن تمكن منها حتى بعث الأمير نظام الدين المقبوض عليه إلى الأتابك سعد بن زنكي، ظنًّا منه أن هذا العمل

---

(164) حسينقلي ستوده: تاريخ آل مظفر، جلد دوم، ص٢٩.

(165) محمد جميل الروزبياني: إمارة شوانكاره الكردية، ص١٤٢– ١٤٤.

(166) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٧٧.

(167) معين الدين نطنزي: منتخب التواريخ، ص٧.

(168) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٧٨.

سوف يقربه إليه، ولكن الأمير سعد خيب ظنه، وأرسل إليه جيشًا بقيادة عز الدين فضلون؛ لكي يستحوذ على كَرْمان، وهكذا سيطر السلغوريون عليها[169].

ولكن لم يمر كثيرًا من الوقت حتى انتهز الأمير قطب الدين مبارز الشبنكاري خروج الأتابك سعد الدين بن زنكي السلغوري إلى أَصْفَهَان، وشن حملة على كَرْمان لفرض سيطرته عليها من جديد، ولمحاولة فك أسر أخيه الثاني، إلا إن تلك الحملة باءت بالفشل، ولم تحقق أهدافها، بل عاد الأمير الشبنكاري إلى بلاده صفر الدين[170].

وفي ٦٢٤هـ/١٢٢٦م، توفي الأمير قطب الدين مبارز، الذي حكم طويلًا، وحقق مكاسب كبيرة للشبنكاريين منها: تحرير قلعة نَيْرِيْز، وفتح ثغر هُرْمُز على ساحل الخليج، والسيطرة على التجارة هناك، وكان محبًّا للأدب والشعراء[171]، وفي عهده كانت عناصر الشبنكاره كثيرة الاعتداء على منطقة: فَساَ، وسائر قلاع فَارِس الحدودية، التي كانت تحت حكم السلغوريين، فكانوا يقتلعون نخيل الأهالي ومزارعهم؛ مما سبب ذلك نزاعًا بين البلدين[172].

وفي تلك الفترة هاجم المغول بقيادة القائد تكوجنه بلاد فَارِس، ووقعت مناطق الشبنكاره تحت سيطرتهم، وقتل الأمير مظفر الدين محمد، وسيطروا على قلعة إيج، وأقاموا بدلًا منه ابنه الأمير قطب الدين مبارز الثاني[173]، الذي قتل بيد إخوته وأقربائه في ٦٥٩هـ/١٢٦٠م، أي

---

(169) محمد أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية، ص١٣٤.

(170) الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص١٥٦؛ القَزْوِيْني: تاريخ گزيده، ص٢٢٤؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٧٨.

(171) الشبنكاري: المصدر السابق، ص١٥٧؛ معين الدين نطنزي: منتخب التواريخ، ص٧، آري كاكل: إمارة شوانكاره، ص٣٩.

(172) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٨١.

(173) برتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص١٥٢.

بعد حكم أحد عشر شهرًا[174]، وقد سبقت الإشارة إلى استفادة المغول في عهد هولاكو خان من قوة الشبنكاريين في عهد نظام الدين حسن؛ للقضاء على تمرد الأتابك سلجوقشاه السلغوري؛ إذْ انتهت المعركة بينهم بقتل ثلاثة من حكام جنوب إيران في موقعة كَازْرُوْن، في ٦٦٢هـ/١٢٦٣م، وبذلك ضعفت قوة أتابك السلغوريين في فَارِس[175].

سقوط أتابكة الشبنكاره في ٧٥٦هـ/١٣٥٥م:

اعتمد عناصر الشبنكاره على قوة جيشهم، ومناعة حصونهم وقلاعهم، التي سيطروا عليها في مناطق نفوذهم، مثل: قلعة إيج، التي بقيت في حوزتهم حتى سقوط دولتهم في أيدي آل مظفر[176]، ولم تكن تلك أولى المحاولات التي قام بها آل مظفر لإسقاط الشبنكاره، بل سبقتها محاولتان من الأمير شرف الدين مظفر، الأولى: في ٧٠٧هـ/١٣٠٧م – أي بعد منحه

---

(174) آري كاكل: إمارة شوانكاره، ص٤٠.

(175) وصاف الشِيرَازي: تاريخ وصاف، ص٤٦٨؛ كان مقتل الأتابك سلجوقشاه مقدمة للقضاء على قوة السلغوريين، وذلك لعدم وجود أولاد له يرثون الحكم، فلم يبق إلا ابنتان من نسل الأتابك سعد بن أبي بكر، وهما: أبش خاتون وأختها، وقد رفع أهل شِيرَاز أبش خاتون أتابكًا، وصدق المغول على ذلك، ولم يمض أكثر من عام حتى ضمت فَارِس رسميًّا إلى الديوان الإيلخاني، وتزوجت من الأمير منكوتيمور بن هولاكو، عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٨٥-٣٨٦.

(176) أسرة آل مظفر: ترجع جذورها التاريخية إلى جدهم الأكبر غياث الدين حاجي الخُرَاسَاني، وينسبهم البعض إلى العنصر العَرَبي، انضم أولاده الثلاث إلى حملة هولاكو خان على بَغْدَاد، وارتفع شأن الابن الثالث المسمى: شرف الدين مظفر، وأُسند إليه درء خطر قطاع الطرق في مدينة "مَيْبُذُ"، ثم أسند إليه أرغون خان الإيلخاني مهمة تحصيل الضرائب المقررة على ولاية يَزْد، وفي عهد غازان أنعم عليه بإمارة الألف على طائفة الأوغائية والطبل والعلم والبايزه –على عادة المغول– ومن ثم أسند إليه أول ولاية للمظفرين في مدينة يَزْد بمرسوم ملكي في ٧٠٧هـ/١٣٠٧م، القَزْوِيْني: تاريخ گزيده، ص١٨٧؛ الكتبي: تاريخ آل مظفر، ص٢٨-٢٩؛ عبد الرزاق السمرقندي: مطلع السعدين، ص٣١٨؛ البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص١٨؛ حسينقلي ستوده: تاريخ آل مظفر، ج١، ص١١٨؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٥٤.

ولاية يَزْد من قِبَلِ أولجايتو خان، إذْ هاجم مدينة شِيرَاز، التي كانت تحت سيطرة الشبنكاريين في ذلك الوقت، وتصدت له القبائل الكردية من كرمسير شبنكاره، في عهد الأمير نظام الدين حسن، والأمير غياث الدين محمود الشبنكاري، اللذين توليا الحكم، بناء على مرسوم ملكي من غازان خان، وقد استمر الأمير نظام الدين حسن في الحكم حتى ٧٢٥هـ/١٣٢٥م[177]، وقد هاجم المظفرون تلك المناطق نتيجة لإعلان العصيان من قِبَلِ الشبنكاره على حكام الإيلخانية، وقد نجح شرف الدين المظفر في الاستيلاء على بعض المواقع، ثم عاد إلى يَزْد[178].

أما المحاولة الثانية: فكانت في ٧١٣هـ/١٣١٣م، وهي التي تعرض فيها للإصابة بمرض عضال، وبالتالي ترك مواجهة عناصر الشبنكاره، وعاد إلى ولايته يَزْد، إلا إنه في أيام النقاهة من المرض دس له بعض أعدائه مادة سقمونيا –سم– في حساء اللحم، فتناوله، وتوفي متأثرًا بذلك، ودفن في مدينة مَيْبُذُ[179] في المدرسة التي أقامها هناك[180]، كما توفيت زوجه وأم ولده مبارز الدين محمد، ودفنت في كَرْمان في المدرسة المعروفة باسم مدرسة: جمال عمري[181]؛ وبذلك انتقل الحكم في آل مظفر إلى ابنه الأمير مبارز الدين محمد، الذي حكم فترة طويلة ما بين ٧١٣–٧٥٩هـ/١٣١٣–١٣٥٨م أي قرابة ثمان وأربعين عامًا، توسع في أثنائها في مناطق فَارِس والعِرَاق، وسيطر على العديد من المناطق[182].

---

(177) الشبنكاري: مجمع الأنساب، ص١٧٧–١٧٨.

(178) عبد الرزاق السمرقندي: مطلع السعدين، ص٣٢٠؛ البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢٣.

(179) مَيْبُذُ: بلدة من نواحي أَصْفَهَان، وقيل إنها من نواحي يَزْد، أو من كورة إِصْطَخْر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٠–٢٤١.

(180) عبد الرزاق السمرقندي: مطلع السعدين، ص٣٢٠؛ عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٥١٤.

(181) الكتبي: تاريخ آل مظفر، ص٤١؛ حسينقلي ستوده: تاريخ آل مظفر، ج١، ص٢٢٠.

(182) خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٢١؛ زامباور: معجم الأنساب، ص٣٧٩.

والواقع، فإن الأمير مبارز الدين محمد منذ توليه الحكم، كان تواقًا إلى التوسع والقضاء على الإمارات الموجودة في فَارِس، ففي ٧٤١هـ/١٣٤٠م، زحف تجاه كَرْمان، وقضى على حاكمها الأمير ناصر الدين سلغرشاه[183]، كذلك استولى على قلعة بَمّ، حيث انهار حصن المدينة تحت ضربات المظفرين[184].

اتجهت أنظار الأمير مبارز الدين محمد المظفري وتطلعاته إلى السيطرة على ممتلكات الشبنكاره المحصورة في ذلك الوقت في قلعة إيج، وهي: قلعة لا نظير لها، بها مسجد جامع وماء جارٍ وطاحونة، وأسواق[185]، وذلك في عهد آخر حكام الشبنكاره الملك أردشير، الذي يطلق عليه المؤرخ الشبنكاري[186]: "اسم الملك المعظم تاج الدنيا والدين جمشيد بن إسماعيل".

وكان الملك أردشير قد تجاسر على عصيان مبارز الدين المظفري في ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م؛ لذا سير إليه جيشًا تحت قيادة ابنه قطب الدين شاه محمود[187] مع اعتقاد أردشير أن

---

(183) الأمير ناصر الدين محمد بن سلغر بن سعد الدين: تولى الحكم بعد وفاة ابن عمه الأتابك محمد بن سعد، وفر من مواجهة مبارز الدين إلى خُرَاسَان، القَزْوِيْني: تاريخ گزيده، ص٢٢٧؛ عبد الرزاق السمرقندي: مطلع السعدين، ص٣٣٠.

(184) عبد الرزاق السمرقندي: المصدر السابق، ص٣٥٥؛ عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٥٢٩.

(185) الكتبي: تاريخ آل مظفر، ص١٠٦.

(186) مجمع الأنساب، ص١٨٠-١٨١.

(187) الأمير قطب الدين شاه محمود: هو الابن الثاني لمبارز الدين محمد من زوجته خان قتلغ مخدوم شاه ابنة آخر حكام القراخطائية في كَرْمان، التي أنجبت له عدة أمراء، وقد دارت بين شاه محمود وأخيه شاه شجاع منافسات في إطار الاستقرار في السلطة، قسمت الدولة المظفرية بين الأخوين، واتصف شاه محمود بالشجاعة والبسالة والتدين ومكارم الأخلاق، الكتبي: تاريخ آل مظفر، ص١٤٠-١٤٢؛ البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٣٢؛ عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٥٣٥.

حصانة جباله، وقوة رجاله، ومناعة قلعته سوف تنجيه من هذا الجيش[188]، إلا إن قطب الدين تمكن من فتح القلعة، وأنزل الهزيمة بالشبنكارية، وفر الملك أردشير من طريق خلف القلعة إلى ناحية الصحراء، وتشتت شمل عناصر الشبنكاره، وانتهى أمرهم من التاريخ، ومن ثم عاد قطب الدين شاه محمود إلى مدينة شِيرَاز عاصمة المظفرين[189].

ولقد أورد آري كاكل[190] عدة أسباب أدت إلى ضعف الشبنكاريين، بعضها داخلي مثل: ضعف شخصيات الحكام، وسوء إدارتهم، مثل: الأمير قطب الدين مبارز الثاني؛ مما سهل على القوى الخارجية التدخل في الدولة، فضلًا عن وجود بعض الخلافات الداخلية بين الشبنكاريين أنفسهم مثل: الصراع الذي نشب بين عشيرة الإسماعيلية وعشيرة الرامانية[191]، وبعض الأسباب الخارجية: التي انصبت في تعدد مراكز القوى والنفوذ في المنطقة الفَارِسية إلى جانب إمارة الشبنكاره، مثل: أتابكة السلغوريين، وأتابكة كَرْمان، وأسرة آل مظفر، هذه القوى كانت في صراع مستمر على التوسع في فَارِس، بالإضافة إلى أطماع المغول الإيلخانيين في الإقليم، ومحاولتهم فرض سيطرتهم الدائمة والمباشرة على فَارِس.

---

[188] عبد الرزاق السمرقندي: مطلع السعدين، ص٤٣٤.

[189] الكتبي: تاريخ آل مظفر، ص١٠٧.

[190] إمارة شوانكاره، ص٥٩–٦٠.

[191] ابن البَلْخي: فارس نامه، ص١٥٣.

الملاحـــق

ملحق رقم ١

أسماء حكام الشبانكاره

م	أسماء حكام الشبانكاره	حكمهم
١	فضلويه بن حسنويه	حوالي ٤٤٨هـ/١٠٥٦م
٢	نظام الدين محمود بن فلان بن حسنويه	
٣	هزارسب (مبارز الدين) بن محمود	
٤	حسنويه بن هزارسب	حوالي٥٠٥هـ/١١١١م
٥	مظفر الدين بن حسنويه	
٦	قطب الدين بن مظفر الدين	٦٥٨هـ/١٢٥٩م
٧	نظام الدين فضلويه بن فلان بن مظفر الدين	٦٥٩هـ/١٢٦٠م
٨	نصرت الدين إبراهيم بن مظفر الدين	٦٦٢هـ/١٢٦٣ م
٩	جلال الدين طيب شاه بن فلان بن فلان بن مظفر الدين	٦٦٤هـ/١٢٦٥م
١٠	بهاء الدين بن فلان بن فلان بن مظفر الدين	٦٨١هـ/١٢٨٢م
١١	غياث الدين بن طيب الدين شاه مع أخيه نظام الدين (سلطة اسمية)	٦٨٨هـ/١٢٨٩م
١٢	الملك أردشير (غير معروف النسب) لم يحكم إلا فترة وجيزة خلفه مبارز الدين محمد المظفرى	٧١٣هـ/١٣١٣م[١٩٢]

(192) زامباور: معجم الأسرات الحاكمة، ص٣٥١– ٣٥٢.

ملحق رقم ٢:

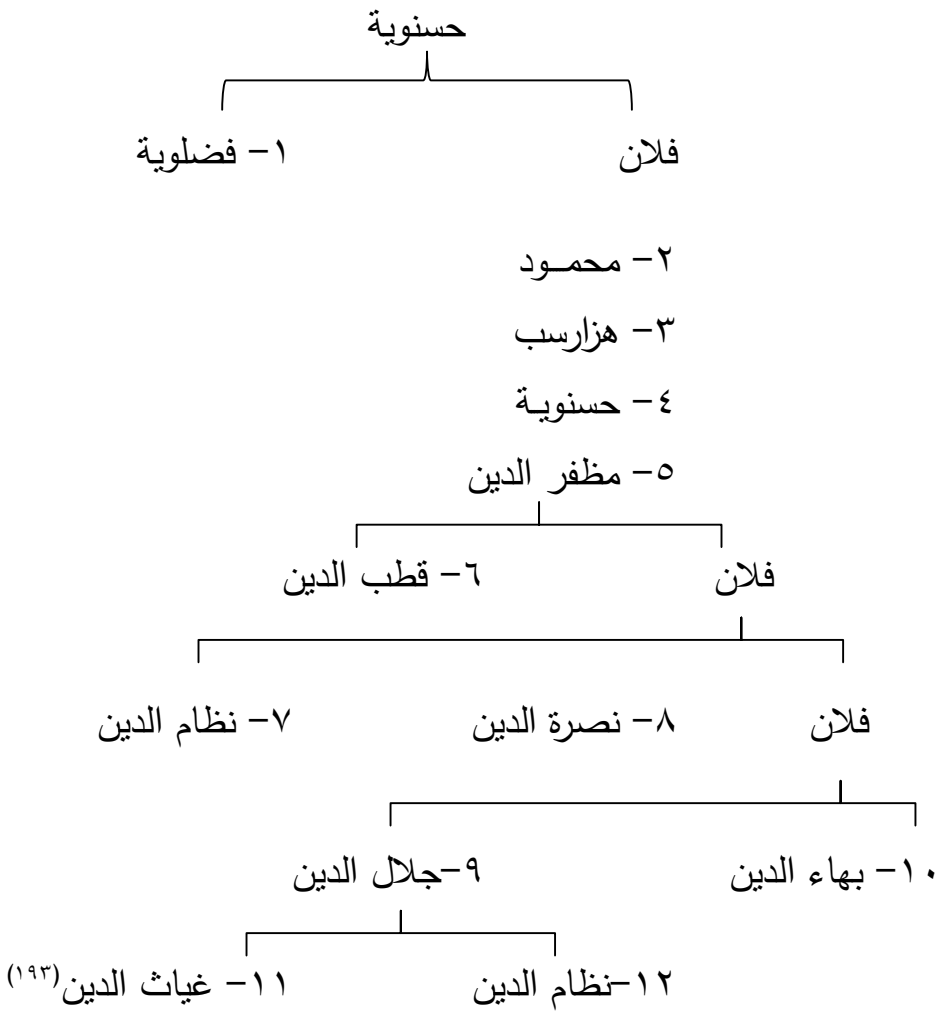

(193) زامباور: معجم الأسرات الحاكمة، ص٣٥٢.

ملحق رقم ٣

أسماء أتابكة السلغوريين بفَارِس

م	أسماء أتابكة السلغوريين	فترة الحكم
١	الأتابك سنغر بن مودود	٥٤٣– ٥٥٨هـ/١١٤٨– ١١٦٣م
٢	الأتابك زنكي بن مودود	٥٥٨– ٥٧١هـ/١١٦٣– ١١٧٥م
٣	الأتابك تكلة بن زنكي	٥٧١– ٥٩٠هـ/١١٧٥– ١١٩٣م
٤	الأتابك طغرل بن سنغر بن مودود	٥٩٠– ٥٩٩هـ/١١٩٣– ١٢٠٢م
٥	الأتابك سعد بن زنكي	٥٩٩– ٦٢٣هـ/١٢٠٢م– ١٢٢٦م
٦	الأتابك أبو بكر بن سعد	٦٢٣– ٦٥٨هـ/١٢٢٦– ١٢٥٩م
٧	الأتابك سعد بن أبى بكر	٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م (١٢يومًا)
٨	الأتابك محمد بن سعد	٦٥٨– ٦٦٠هـ/١٢٥٩– ١٢٦١م
٩	الأتابك محمد شاه بن سلغور بن سعد	٦٦٠– ٦٦١هـ/١٢٦١– ١٢٦٢م
١٠	الأتابك سلجوقشاه بن سلغور	٦٦١– ٦٦٢هـ/١٢٦٢– ١٢٦٣م
١١	الأتابك أبشر بنت سعد بن أبى بكر	٦٦٢– ٦٦٣هـ/١٢٦٣– ١٢٦٤م[١٩٤].

(194) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٩٣.

أسماء المصادر المراجع

أولًا: المصادر العَرَبية:

١- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):
"الكامل فى التاريخ"، ج٨، الطبعة الخامسة، دار الكتاب العَرَبى، بيروت- لُبْنَان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١٠، دار صادر، بيروت- لُبْنَان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):
"فتوح البلدان"، تحقيق رضوان محمد رضوان، بيروت- لُبْنَان، د.ت.

٣- ابن سباهي زاده، محمد بن علي البروسوي (ت٩٩٧هـ/١٥٨٩م):
"أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك"، تحقيق المهدي عيد الرواضية، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٤- ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل (ت٨٧٣هـ/١٤٦٥م):
"زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك"، تصحيح بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م.

٥- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/١٩٢٢م):
"تاريخ الرسل والملوك"، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٤.

٦- القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت٨٢١هـ/١٤١٨م):
"صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، طبعة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ج٤.

٧- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م):
"معجم البلدان"، دار صادر، بيروت- لُبْنَان، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج١، ج٥.

ثانيًا: المصادر الفَارِسية:

٨- الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد(ت٥٩٧هـ/١٠١٧م):

"تاريخ دولة آل سلجوق"، اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت– لُبْنَان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٩- أفضل الدين الكَرْمَانى: أفضل الدين أبو حامد بن حامد

"بدائع الأزمان فى وقائع كَرْمَان"، ترجمة ثريا محمد علي، مراجعة بديع محمد جمعة، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،٢٠٠٠م.

١٠- الأقسرائي: محمود بن محمد الشهير بالكريم الأقسرائي

"مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار"، ترجمة عبد الله محمد عبد الله، ضمن رسالة ماجستير، قسم اللغة الفَارِسية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، إشراف شيرين عبد النعيم حسنين،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١١- البدليسي، شرف خان (ت بعد ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م):

"شرفنامه"، ترجمة محمد علي عوني، راجعه يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العَرَبية، ١٩٦٢م، ج٢.

١٢- ابن البَلْخي (كان مستوفي بَلْخ للسلطان أبو شجاع محمد بن ملكشاه السلجوقى):

"فارس نامه"، تحقيق وترجمة يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، الْقَاهِرَة- مِصْر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٣- الجوزجاني، أبو عمرو منهاج السراج عثمان (ت ٦٩٨هـ/١٢٩٩م):

"طبقات ناصرى"، ترجمة ملكة علي التركي، المركز القومى الترجمة، الْقَاهِرَة- مِصْر، ٢٠١٢م، ج٢.

١٤- الجويني، عطا ملك بن علاء الدين (ت ٦٨٨هـ/١٢٨٩م):

"تاريخ فاتح العالم- المعروف بتاريخ جهانگشاى"، ترجمة محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١.

١٥- الحسيني، صدر الدين أبو الحسن علي بن أبو الفوارس ناصر بن علي (ت٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م):

"أخبار الدولة السلجوقية"، عني بتصحيحه محمد إقبال، طبعة لاهور، ١٩٣٣م.

١٦- ـــــــ: "زبدة التواريخ- أخبار الأمراء والملوك السلجوقية"، تحقيق محمد نور الدين دار إقرأ للنشر، بيروت- لُبْنَان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٧- خواندمير، غياث الدين بن تمام الدين (ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م):

"حبيب السير في أخبار أفراد البشر، جزء سوم، جلد دوم، از انتشارات كتابخانه خيام چاپخانه حيدرى، ١٣٣٣هـ. ش.

١٨- ـــــــ: "دستور الوزراء"، ترجمة حربي أمين سليمان، تقديم فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المِصْرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

١٩- الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (ت ٥٩٩هـ/١٠١٩م):

"راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية"، ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم الشواربي وعبد النعيم حسنين وفؤاد عبد المعطي الصياد، الإدارة العامة للثقافة، الْقَاهِرَة- مِصْر، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

٢٠- زركوب الشِيرَازي، أبو العباس معين الدين أحمد بن شهاب الدين أبو الخير (ت٧٩١هـ/ ١٣٨٨م):

"شِيرَاز نامه"، دكوشنس ذكر اسماعيل واعظ جوادى، بنياد فرينكك ايران.

٢١- الشبنكاري أى، محمد بن علي بن محمد (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م):

"مجمع الأنساب"، به تصحيح مير هاشم محدث، مؤسسة انتشارات امير كير، تهران، ١٣٤٣هـ. ش.

٢٢- عبد الرزاق السمرقندي، كمال الدين جلال الدين إسحاق (ت ٨٨٧هـ/١٤٨٢م):

"مطلع السعدين ومجمع البحرين"، ترجمة أحمد رياض عز العَرَب، ضمن رسالة ماجستير بقسم اللغات الشرقية، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي سوهاج، إشراف شعبان طرطور، ١٣١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٣- القَزْوِيْني، حمد الله مستوفي (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م):

"تاريخ گزيده"، ترجمة محمود محروس قشطة، الباب الرابع المعروف بالتاريخ المختار، ضمن رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٦٨م، وترجمة الفصول ٩، ١٠، ١١، ١٢ من الباب الرابع، فتحية حلمي أمين الدالي، ضمن رسالة ماجستير، قسم اللغة الفَارِسية، كلية الدراسات الإنسانية، إشراف عفاف السيد زيدان، الْقَاهِرَة- مِصْر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢٤- محمود الكتبي (ت ٧٩٥هـ/١٣٩٢م):

"تاريخ آل مظفر"، ترجمة ملكة علي التركي، دار الزهراء للنشر، الْقَاهِرَة- مِصْر، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٥- معيني، معين الدين نطنزي (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م):

"منتخب التواريخ"، ناشر چاپى اساطير، ناشر ديچيتالى، مركز تحقيقات رايانه اى قائميه اصفهان.

٢٦- الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ/١٣١٨م):

"تاريخ غازان"، دراسة وترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، الْقَاهِرَة- مِصْر، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

٢٧- ـــــــ: "جامع التواريخ- تاريخ أبناء هولاگو من آباقا خان إلى گيخاتو خان"، ترجمة محمد صادق نشأت ومحمود موسى هنداوي وفؤاد الصياد، وزارة الثقافة والإرشاد، المجلد الثاني، ج١، ج٢.

٢٨- وصاف الشِيرَازي، عبد الله بن فضل الله (ت ق ٨هـ/١٤م):

"تاريخ وصاف ومكانته بين المصادر الفَارِسية في التاريخ الإسلامي"، ترجمة فاطمة نبهان عودة، ضمن رسالة دكتوراه بقسم اللغة الفَارِسية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، إشراف فؤاد عبد المعطي الصياد، وشيرين عبد النعيم حسنين، ١٤١٣هـ/١٩٩١م .

ثالثًا: المراجع العَرَبية:

٢٩- حسن الباشا: "الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العَرَبية"، دار النهضة العَرَبية، الْقَاهِرَة- مِصْر، ١٩٦٥م، ج١.

٣٠- فؤاد عبد المعطي الصياد: "الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين- أسرة هولاگو"، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣١- محمد أحمد دهمان: "معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي"، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت- لُبْنَان، ودار الفكر، دِمَشْق- سوريا، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٣٢- محمد أمين زكي: "تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي"، تعليق ومراجعة محمد علي عوني، مطبعة السعادة، الْقَاهِرَة- مِصْر، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

رابعًا: المراجع الفَارِسية:

٣٣- حسينقلي ستوده: "تاريخ آل مظفر"، جلد اول، جلد دوم، تهران، ١٣٤٦هـ، ش.

٣٤- عباس إقبال: "تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥هـ/٨٢٠م- ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)، ترجمة محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الْقَاهِرَة- مِصْر.

٣٥- _____: "تاريخ المغول منذ حملة چنگيز خان حتى قيام الدولة التيمورية"، ترجمة عبد الوهاب علوب، طبعة المجمع الثقافي، أبوظبي- الإمارات العَرَبية المتحدة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

خامسًا: المراجع المعربة:

٣٦- برتولد شبولر: "العالم الإسلامي في العصر المغولي"، ترجمة خالد أسعد عيسى، مراجعة سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار حسان للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣٧- زامباور: "معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي"، أخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود وسيدة الكاشف، دار الرائد العَرَبي، بيروت- لُبْنَان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٣٨- كي لسترنج: "بلدان الخلافة الشرقية"، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت- لُبْنَان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

سادسًا: الرسائل والدوريات العلمية:

٣٩- آري كاكل محمد طاهر: إمارة شوانكاره الإسلامية (٤٤٨-٧٥٦هـ/ ١٥٦-١٣٥٨م) دراسة سياسية وحضارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، إشراف ميسون هاشم مجيد، العِرَاق، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٤٠- محمد جميل الروزبياني: إمارة شوانكاره الكردية في منطقة فَارِس وأَصْفَهَان، مقال بمجلة كاردان، العدد٢١، ١٩٨٥م.

سابعًا: المراجع الأجنبية :

41- Howorth: History of Mongols, vol 3, (london, 1975).

42- Sykes: History of Persia, Vol II, (London, 1998).

43- Van Berchem: Corpus Inscriptorum Arabicarum Premiere partie, 1, Egypt Mifoo, T, (le caire, 1894, 1903).

العلاقات الإنجليزية – الفلمنكية
(إدوارد الثالث وجاك فان أرتفيلد)

د. هشام على الحسيني
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب – جامعة حلوان

ملخص:

كان الصراع بين إنجلترا وفرنسا يمثل جزءًا حيويًا في تاريخ العصور الوسطى، وكانت المنافسة التجارية بينهما أحد اهم اسباب هذه الحرب، ولذلك حرصت إنجلترا على كسب حلفاء ضد فرنسا. وظهرت في تلك الفترة شخصية قوية كان لها دور مؤثر وحيوي في العلاقات الانجليزية – الفرنسية، وهي شخصية جاك فان ارتفيلد.

وفي تلك الفترة تضاربت الاراء داخل الفلاندر ما بين الولاء لفرنسا أو الولاء لإنجلترا. ولقد كان من الطبيعي أن تضع التجارة النشطة في الصوف والمنتجات الصوفية بين الفلاندر وإنجلترا الملك الانجليزي ادوارد الثالث في الصورة. وظهر في تلك الفترة ارتفيلد الذي حاول جعل مدنية جنت هي القائدة المدن الفلاندر، وجعلها مركز تجاري كبير ضد الهيمنة الاقطاعية.

نجح ارتفيلد في تلك الفترة في عقد تحالف مع الملك الانجليزي ادوارد الثالث، وحصل ادوارد على المساعدة العسكرية من الفلاندر ضد فرنسا، ونجاحه في معارك كادسند، وسلوي، وحصار تورناي، كما حاول ارتفيلد في تلك الفترة السيطرة على قادة الفلاندر، غير أنه استخدم القوة والعنف في هذا الاخضاع، فتعرض للثورة وتوجيه الاتهامات بالفساد، خاصة بعد ان تخلي عنه ادوارد الثالث، وتم قتله على ايدي النساجين والعمال ١٣٤٥.

English – Flemish Relations

Edward III and Jack Van Arteveld

The conflict between England and France was a vital part of medieval history, and trade competition between was one of the main causes of this war, so England was keen to win allies against France.

During that period, a strong figure who played a vital role in the Anglo–French relations, Jaques Van Arteveld . In that period, opinions within Flandre diverged between loyalty to France or loyalty to England.

The trade was focused on wool and woolen products between Flandre and England(Edward III), as Arteveld tried to make GHENT the leader of the Flandre, and make it a trading center against feudal domination.

On the other side ,Arteveld succeeded to make alliance with the English King Edward III, Edward received military assistance from Flanders against France, as he succeeded in Cadsand, sluys and siege of Tournai, in this period, Arteveld tried to control the leaders of Flandre, whereas , he used violence ,but he failed, there was a revolution against him , After being abandoned by Edward III and killed by weavers and workers in 1345.

كان الصراع بين إنجلترا وفرنسا يمثل جزءًا حيويًّا في تاريخ العصور الوسطى، وكانت المنافسة التجارية بينهما أحد أهم أسباب هذه الصراع، بعد أن تعذر التوفيق بين مصالح فرنسا السياسية، ومصالح إنجلترا الاقتصادية، وبخاصة في الفلاندر[١] Flandre، ولذلك حرصت إنجلترا بكل ما أوتيت من قوة سياسية، ومهارة دبلوماسية، ونشاط عسكري، على كسب حلفاء ضد فرنسا. وظهرت في تلك الفترة شخصية قوية كان لها دور مؤثر وحيوي في العلاقات الإنجليزية – الفرنسية، وهي شخصية جاك فان أرتفيلد[٢] Jaques Van Arteveld (١٢٩٠–١٣٤٥).

وفي هذا البحث أحاول إلقاء الضوء على العلاقات الإنجليزية – الفلمنكية في تلك الفترة وكيف كان لارتفيلد دور مؤثر على الساحة السياسية داخل الفلاندر وخارجها، وكيف برز كحليف لإنجلترا، مما كان له أكبر الأثر على الفلاندر من جهة، وعلى العلاقات الإنجليزية– الفرنسية من جهة أخرى.

كانت المدينة هي الوحدة الطبيعية للمجتمع في الفلاندر، وكانت طبقة السكان غنية عن طريق تجارتها الخارجية، وبلغت هذه المدن من القوة ما جعلها تستطيع التفاوض مع سادتها مفاوضة الند للند، ومدن مثل جنت[٣]Ghent لم تكن متصلة بالمملكة الفرنسية، فقد كانت تحت إشراف اسقف جنت، ولذلك فضل السكان الحكم الذاتي[٤]. وفي آخر الأمر عندما ووجهت هذه المدن بدعوى الحكم المطلق لأسرة كابيه Capet، حيث كانت الفلاندر تابعة لفرنسا إقطاعيًّا[٥]، لم تتورع هذه المدن عن الالتجاء إلى السلاح والحروب، خاصة وأن أميرها كان يطمع في السيادة الكاملة عليها، وأدى ذلك إلى دخوله في صراع دائم مع ملك فرنسا سيده الإقطاعي الأعلى من أجل الاحتفاظ بكيان إمارته السياسي[٦].

ولقد واجهت أقليم الفلاندر مشكلة ازدحام السكان، تلك المشكلة التي لم تجد لها حلاً سوى في الهجرة المستمرة للسكان، والتجفيف المنظم لأراضي المستنقعات، واكتشاف صناعة النسيج، وفتح أسواق خارجية، وأدى ذلك إلى تحسن أحوال المعيشة والحالة الاقتصادية، وعاش السكان الإقليم في رغد من العيش، وتدفق العمال من الريف إلى المدن الفلمنكية للعمل بصناعة النسيج المربحة(٧).

ومع بدايات القرن الثاني عشر فصاعدًا كانت مدن الفلاندر تساوم كونتات الفلاندر لشراء حرياتها، وكانت بروج[٨] Bruges وأيبر Ypres وليل Lille وجنت Ghent هي الوحدة التي حققت أكبر قدر من النجاح من بين مدن الفلاندر المزدهرة[٩]، وتمتعت منذ نهاية القرن الثاني عشر بقسط كبير من الحكم الذاتي، ولكنها وجدت أن ملك فرنسا يهدد حرياتها، ولمواجهة هذا الخطر أقلعت مدن الفلاندر في بحر السياسة العاصف[١٠].

بدأ ملوك فرنسا في أوائل القرن الثاني عشر إدعاءات من شأنها زيادة مساحة الأراضي الحدودية إلى حد كبير. وكان لويس السابع Louis VII (١١٣٧–١١٨٠) قد أدرك الأهمية الاستراتيجية للإقليم بالنسبة للدفاع عن فرنسا؛ ذلك لأن موقعه على امتداد الحدود الشمالية الغربية لفرنسا في مواجهة إنجلترا أضفى عليه أهمية غير عادية[١١]، فقد كان يمثل خط الدفاع الأول للبحرية الإنجليزية. وكانت هناك تجارة نشطة متزايدة بين إنجلترا والفلاندر تقوم على انتقال الصوف الإنجليزي الخام إليه مقابل المصنوعات الصوفية الفلمنكية[١٢]، ولذلك حرصت فرنسا على الاستفادة من العلاقات مع الفلاندر من خلال تجارة الحبوب، كما خطب لويس السابع لأبنه فيليب أوغسطس Philippe Augustus (١١٨٠–١٢٢٣) ورثيه الإقليم المتاخم لذلك الإقليم من جهة الجنوب والذي يقع في المنطقة التي عرفت باسم أرتوا Artois، وبذلك وضع فيليب أوغسطس يده على إقليم أرتوا في تلك الفترة الحرجة[١٣].

وكان أول ظهور للفلاندر كقوة حربية في ساحة موقعة بوفين[١٤] Bauvines ١٢١٤م، تلك المعركة التي كلفت كونت الفلاندر فيراند Ferrand of Portugal (١٢١٢–١٢٣٣) حريته، كما كلفت الفلاندر زهرة جنودها، وصارت مدن الفلاندر تحت سيطرة فيليب أوغسطس[١٥]. ولم تكن السيطرة الفرنسية على الفلاندر في عهد فيليب أوغسطس فقط، بل كانت أيضاً في عهد لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦–١٢٧٠)، وأكبر دليل على ذلك مشاركة جنود من الفلاندر في حملة لويس على مصر[١٦] (١٢٤٨–١٢٥٠).

ومما زاد الأمر خطورة بالنسبة للفلاندر ظهور كثير من المدن التجارية في هذا الإقليم مثل جنت وبروج، وهي مدن حققت أكبر قدر من النجاح من بين عدد كبير من المدن في تلك الفترة، وتمتعت أيضاً بقدر كبير من الحكم الذاتي كما ذكرت من قبل، حيث كان لكل مدينة امتيازات خاصة، وتكونت فيها جميعا طبقة غنية وقوية وطموحة ارتبطت مصالحها بالانجليز أكثر من ارتباطها بالفرنسيين(١٧). وبما أن الصناعة في كل مدن الفلاندر تقريبا كانت تعتمد على الصوف الخام المستورد من إنجلترا، فقد كانت مدن الفلاندر حريصة على الحفاظ على استقلالها، وحذره من امتداد الهيمنة الفرنسية عليها، إذ قد تفقدها تلك الهيمنة امتيازاتها الموروثة من جهة وتعليق اتصالاتها التجارية مع إنجلترا من جهة أخرى(١٨).

وحدث ما كانت تخشاه مدن الفلاندر، فقد حاول فيليب الرابع Philippe IV (١٢٨٥–١٣١٤) على وجه التحديد إقامة سيطرة مباشرة على مدن الفلاندر، ونجح بالفعل في فرض سيطرته على بعض المدن، ولكنه تعرض لمقاومة جاي دي دامبير Guy De Dampierre (١٢٤٨–١٣٠٥) كونت الفلاندر، فمنع فيليب الرابع زواج فيليبا دي فلاندر Philippa De Flander من إدوارد (الثاني فيما بعد) Edward II (١٣٠٧–١٣٢٧)، مما جعل جاي أكثر عداء للملك الفرنسي(١٩)، وعقد تحالفاً مع الملك الإنجليزي إدوارد الأول Edward I (١٢٧٢–١٣٠٧)، ولكن وصل إدوارد الأول متأخراً، ولم يكن لديه الأموال والقوات الكافية، بالإضافة إلى أنه ترك مملكته وهي على شفا الحرب الأهلية، واضطر إلى العودة إلى إنجلترا بعد أن عقد هدنة مع فيليب الرابع أكتوبر ١٢٩٧م(٢٠).

وفي عام ١٣٠٠ خضع جاي دي دامبير لفيليب الرابع بعد أن تخلى عنه حلفاؤه، ووضع في السجن، وأديرت الفلاندر بواسطة جاك دي شاتيلون Jaques De Chatillon عم الملكة زوجة فيليب الرابع(٢١)، وقام الملك الفرنسي بزيارة إلى أراضي الفلاندر، واستقبله السكان استقبالا حسنا(٢٢)، وفي خلال سنة وعلى الرغم من قضاء المديرين الفرنسيين على الاضطرابات،

حدثت مذبحة للفرنسيين في عام ١٣٠٢ عرفت باسم Matins of Bruges مقارنة بصلوات المساء الصقلية[٢٣] Sicilian Vespers، وعرفت أيضًا بمعركة المهماز الذهبي[٢٤] Battle of Golden Spurs، فقد ثار غرب الفلاندر، وأرسل الجيش الفرنسي للتصدى لهذه الثورة، إلا إن فرسانه تعرضوا لهزيمة نكراء في كورتراي Courtray (على الضفة الشمالية المواجهة لنهر لي Leie) وتعرضوا للاذلال والخزى بدرجة كبيرة[٢٥].

وظن أهل الفلاندر أن تهديد فرنسا لاستقلال الفلاندر قد انتهى إلى غير رجعة، ولكن ظنهم تبدد؛ لأن الملك الفرنسي ظل متشدداً حتى سنة ١٣٠٣م، حتى وافق على السلام النهائي عشية الهزيمة في كورتراي، وافرج عن جاي دي دامبير في محاولة لتهدئة الثورة، ولكن فشلت محاولته، فقد استمر التمرد في الفلاندر، وحقق الفلمنكيون نصراً في معركة أرك Arques ولكنه لم يكن حاسما، ولذلك قام الفرنسيون بحملة برا وبحراً واستطاعوا تحقيق نصر جزئي في Mons– en– Pevele (جنوب ليل) في عام ١٣٠٤[٢٦]، وفي نفس الوقت دعم فيليب الرابع ادعاءات جاي دي افسنس Guy D'Avesnes كونت هينوت Hainaut (بين فرنسا وألمانيا) ضد كونت الفلاندر[٢٧].

وفي ظل هذه الظروف قنع الفلمنكيون هذه المرة بالتفاوض تحت قيادة الكونت الجديد روبرت دي بيثون Robert De Bethune (١٣٠٥–١٣٢٢) بعد وفاة جاي دي دامبير، فيما عرف باسم معاهدة Athis في عام ١٣٠٥[٢٨]، ولكن بنود هذه المعاهدة لم تكن مرضية للفلمنكيين، فقد تركت الفلاندر شبه مستقلة، ورفض الفلمنكيون التصديق على المعاهدة، وظلوا هكذا حتى عام ١٣٠٩، عندما أجريت مفاوضات أخرى وبعض التعديلات عليها عندئذ وافقوا عليها، فيما عرف باسم معاهدة بونتواز Pontoise١٣١٢[٢٩].

وفي عام ١٣١٢ هدد فيليب الرابع كونت الفلاندر روبرت بمصادرة أراضيه، ولكن حاول روبرت إرضاء فيليب بشتى الطرق، ولكن حدثت اضطرابات مرة أخرى في عام ١٣١٤، وأرسل الفرنسيون جيشا إلى الفلاندر، ولكنه لم ينجز شيئاً، وظلت مشكلة الفلاندر مستمرة في عهد أبناء فيليب الرابع[٣٠].

وفي تلك الفترة تضاربت الأراء داخل الفلاندر ما بين الولاء لفرنسا أو الولاء لإنجلترا، خاصة وأن ولاء كونتات الفلاندر كان لبلادهم أحيانا، أو لواجباتهم الإقطاعية أحياناً أخرى، فيما عدا بعض الرجال أمثال فيليب دي ألساك Philippe D' Alsace الذي اجتهد وحاول عمل إدارة مركزية على مستوى البارونات المحليين، خاصة وأن بعض المدن أحست أنها قدمت أكثر من مدن أخرى مثل بروج، فحدث تصدع لهذا التحالف الفلمنكي بعد معركة كورتراي[٣١]، حيث فقد الفلمنكيون روح عام ١٣٠٢، ولذلك في عام ١٣٢٨م حقق الملك الفرنسي فيليب السادس Philippe VI (١٣٢٨-١٣٥٠) نصرا ساحقًا على الفلمنكيين في كاسيل[٣٢] Cassel، وهي المعركة التي محت ذكرى الهزيمة في كورتراي، وقضت على كثير من مظاهر الحكم الذاتي لذلك الإقليم، ومكن النصر ملك فرنسا من أملاء إرادته في الشئون العامة الفلمنكية عن طريق كونت الفلاندر لويس دي نيفير Louis De Nevers (١٣٢٢-١٣٤٦)، الذي كان عليه أن يعتمد على التأييد الفرنسي لكي يحتفظ بمركزه. وتدخل الموظفون على نحو منتظم في الشئون البلدية للمدن الفلمنكية، وفرضوا بالقوة استعمال العملة الفرنسية[٣٣].

وقد حظى كونت الفلاندر في تلك الفترة ببعض التأييد في نطاق أقليمه، وعلى سبيل المثال اعتمد التجار على النفوذ الملكي الفرنسي في الهيمنة على الاستثمار الصناعي للإقليم برغم استياء الحرفيين والتجار في المجتمعات الأصغر، وحرص هؤلاء التجار الصغار على تقوية الروابط مع إنجلترا، نظرًا لأنهم يحصلون منها على معظم الصوف الخام الذي تصنعه أنوالهم وكان الإنجليز أيضًا من المشترين لمنتجاتهم الصوفية بكميات ضخمة[٣٤].

ولقد كان من الطبيعي أن تضع التجارة النشطة في الصوف والمنتجات الصوفية بين الفلاندر وإنجلترا الملك الإنجليزي إدوارد الثالث[٣٥] Edward III(١٣٢٧-١٣٧٧) في الصورة؛ إذ رحبت إنجلترا بإقامة علاقات ودية مع بلد يقع في الجانب الشمالي لفرنسا[٣٦]، والأكثر أهمية من ذلك فإن ملك إنجلترا بدأ يعتمد على ضرائب الصادرات من الصوف كجزء كبير من الموارد المالية[٣٧]،

لذلك عارض أي محاولة قام بها ملك فرنسا بهدف وضع الأقليم تحت حكمه المباشر؛ إذ في هذه الحالة يكون فيليب السادس قادرًا على تعطيل التجارة وفقا لرغباته[٣٨]. ونظرا لأن كونت الأقليم لويس دي نيفير، والتجار الأكثر ثراء ربطوا مصالحهم مع ملك فرنسا[٣٩]، على الرغم من محاولات إدوارد الثالث للتحالف معهم[٤٠]، لذلك قدم إدوارد الثالث التشجيع الودي للحرفيين بزعامة كمب John Kemp وصغار التجار، وذلك بعد أن أصدر خطابات حماية للحرفيين. بمعنى أن ملك إنجلترا منح حرية العيش والعمل والبيع والشراء، وقبل الكثيرون هذا العرض. وفي عام ١٣٣٦ فتحت إنجلترا أبوابها لكل عامل أجنبي في صنع الملابس لكي يستقر في إنجلترا. وبالفعل أتى الكثير واستقروا في لندن London ويورك York ووينشستر Winchester وبريستول Bristol وأماكن أخرى[٤١].

وفي عام ١٣٣٦ وقعت حادثة كان لها تأثير كبير على الساحة السياسية آنذاك، فقد قام الكونت لويس دي نيفير بالقبض على جميع التجار الإنجليز المقيمين ببلاده أو العابرين عليها في أعمال التجارة، وزج بهم في السجون بناء على تعليمات صدرت إليه من سيده فيليب السادس ملك فرنسا، بتهمة تحريض أهل الفلاندر على الثورة ضد السيادة الفرنسية، وتغذيتهم بالآراء الثورية[٤٢]. وردت إنجلترا على ذلك الاعتداء ردًّا حاسمًا كان كفيلا بهدم صناعة الفلاندر رأساً على عقب، حيث إنه في نفس العام، وفي قرار يهدف إلى حث الفلمنكيين على قطع علاقاتهم بفيليب السادس وعدم التعامل معه، فرض إدوارد الثالث حظراً على شحنات الصوف الإنجليزي إلى الفلاندر، ومنع الأسواق الإنجليزية من استيراد الأقمشة الفلمنكية رغبة منه في شل الحركة التجارية، ثم أرسل الصوف إلى برابانت Brabant حيث مدن انتورب Antwerp (الميناء الرئيسي في برابانت) وبروسيل Brusseles ومالين Malines، وكانت هذه المدن لها رغبة في إقامة صداقة مع إدوارد الثالث مقابل الحصول على الصوف الإنجليزي الذي يمكنها من صناعة المنسوجات الخاصة بها[٤٣].

بالإضافة إلى ذلك لجأ إدوارد الثالث إلى استخدام الأموال في ولايات الأراضي المنخفضة لكي تنحاز إلى جانبه في هذا الصراع، حيث وزعها رجال إدوارد الثالث بسخاء على عواصمهم في فالنسيين Valencienne (إحدى مدن هينوت)، وجيلدرلاند، وهينوت Hainault، وبيرج Berg، وجولير Juliers، وكليف Cleves، ومارك Mark ، وبراندنبرج Brandenberg، وكلها انضمت إلى الحلف المعادي للفرنسيين وذلك في مايو ١٣٣٧[٤٤]. أما عن حنا John دوق برابانت وليمبورج Limburg، فقد ثبت أنه ليس من السهل إقناعه، وإن كان قد تمت استمالته بعد تقاضيه مبلغا ضخماً، ولذلك وعد بنقل سوق الصوف إلى انتورب عاصمة دوقيته[٤٥].

ومن الجدير بالذكر أن الرجل الذي أثبت أنه مفيد بالنسبة لإدوارد الثالث في مفاوضاته مع هؤلاء الحلفاء هو روبرت دي ارتوا Robert D'Artois صهر فيليب السادس. وكان فيليب قد نفاه سنة ١٣٣٢ بسبب أساليبه الملتوية في حكم ارتوا. وكان أن سمح إدوارد الثالث لروبرت باللجوء إلى إنجلترا، ولقبه بكونت ريتشموند Richmond سنة ١٣٣٣، وحث روبرت إدوارد الثالث على استمالة أصدقاء أكثر في الأراضي المنخفضة عن طريق الإغراء بالمال لمحاربة فيليب، ولذلك حاول البابا بندكت الثاني عشر Benedict XII (١٣٣٤-١٣٤٢) منع الحرب بين إدوارد وفيليب، ونصح إدوارد بطرد روبرت لمصلحة السلام، خاصة بعد أن أعلن فيليب أنه سيهاجم أي بلد تقبل لجوء روبرت على أراضيها، فاستشف إدوارد هذا على أنه إعلان حرب، فأخذ يستعد لها، وأشار عليه روبرت أن يعلن نفسه ملكاً على فرنسا[٤٦].

وعلى الرغم من أن انضمام كثير من الحلفاء لادوارد الثالث كلفه الكثير من المال، إلا إن فرص النجاح بدأت تقترب منه بقوة عندما نجح في ضم الإمبراطور الألماني لويس الرابع (البافاري) Louis IV of Bavaria (١٣١٤-١٣٤٧)، والذي كان متزوجاً من شقيقة ملك إنجلترا، كما أن حقيقة كونه مؤمنا بتعاليم تخالف تعاليم الكنيسة في روما، ومنشقاً ومحروماً كنسياً من البابا بندكت الثاني عشر، لم يمنع إدوارد الثالث من السعي من أجل تكوين صداقة معه على عكس فيليب

السادس[٤٧]. ولعب الذهب الإنجليزي دوره في تمهيد الطريق. وفي فرانكفورت Frankfort توصل الوفد السياسي الإنجليزي إلى اتفاق تعهد فيه لويس الرابع بتقديم الفي رجل مسلح في صفوف إدوارد الثالث مقابل حصول لويس الرابع على ثلاثمائة ألف فلورين (عمله ذهبية منسوبة إلى فلورنسا). وبعد ذلك بحوالي عام، ووعلى وجه التحديد في الخامس والعشرين من يوليو ١٣٣٨ شغل إدوارد الثالث منصب نائب القائد الأعلى للجيش الإمبراطوري الألماني[٤٨] Vicar of The Empire.

وعلى الرغم مما حققه إدوارد الثالث من نجاح، إلا إن هذه الوظيفة تطلبت إقامة سلسلة من الاحتفالات أدت إلى تكاليف باهظة، وكان على أمراء الأراضي المنخفضة أن يقسموا فيها يمين الولاء الأبدى. وبعد تلك الاحتفالات وجد إدوارد نفسه في أشد الحاجة للموارد المالية، ولذلك اضطر إلى رهن التاج الرائع الذي كان قد أمر أن يتزين به عند اعتلائه العرش كملك على إنجلترا وفرنسا[٤٩].

وكان هذا التحالف مع لويس الرابع – وهو الأمر الذي فشل فيه فيليب السادس في الحقيقية – من أهم إنجازات إدوارد الثالث أو الثعلب (على حد قول البعض) من الناحية السياسية، وبناء على هذا التحالف الإنجليزي – الألماني سيطر إدوارد الثالث على اتباع لويس الرابع في الأراضي المنخفضة، خاصة بعد أن أرسل لويس الرابع تهديدًا لمدينة ايبر بضرورة إطاعة أوامر نائبه إدوارد، وبضرورة التبعية له ضد فيليب السادس. ولا شك أن ما فعله لويس الرابع أضفى شرعية على سيطرة إدوارد الثالث على المدن الفلمنكية؛ إذ كانت مدينة إيبر تابعة لكونت الفلاندر. وبالرغم من أن هذا التحالف ظل قائما حتى سنة ١٣٣٩م، فقد انتهى نهاية فاشلة تماما؛ إذ لم يحصل إدوارد الثالث على مساعدة فعالة من ألمانيا، خاصة وأن اللوردات لم يكن لديهم اهتماما حقيقي بإدوارد الثالث، ولكنهم كانوا يهتمون أكثر بهداياه وأمواله[٥٠].

على أن مصير إدوارد الثالث اعتمد على ما حدث في إقليم الفلاندر، فقد أدى توقف الأموال عن العمل في جنت وبروج وإيبر والمدن الأخرى في الفلاندر؛ بسبب نقص الصوف الإنجليزي بعد قرار الحظر إلى البطالة التي اشعلت الثورة. واستفحل الاستياء ضد ملك فرنسا،

وضد الكونت لويس دي نيفير كونت الفلاندر، وضد التجار الأثرياء الذين أشاع رجال إدوارد الثالث أنهم يتحملون مسئولية تدهور الأحوال الاقتصادية وأحوال العمال. واتفق هنا مع من لقب إدوارد بالثعلب، فقد حرك الأحداث سريعا بما يؤدي إلى الثورة، ثم يظهر هو في صورة المنقذ.

وخلال هذه الفترة، وبعد أن أعلنت مدينة جنت أنها لا تدين بالولاء لفرنسا، وإن كانت تدين بقليل من الولاء لكونت الفلاندر، وبأنها مستقلة ولها سياستها الخارجية الخاصة بها(٥١)، ظهر على مسرح الأحداث السياسية في كونتيه الفلاندر، وعلى وجه التحديد في جنت رجل صنعته الأحداث أو هو صنع الأحداث على حد قول البعض، وهو القائد والزعيم جاك فان ارتفيلد Jaques Van Arteveld، التاجر الثري الذي انتخبه المواطنون قاطبة قائدا وسيداً على مدينة جنت، واعتبره أهل جنت المنقذ، وبعثه الرب إليهم لكي ينقذهم في خضم هذه الظروف الصعبة. وجعل ارتفيلد نفسه المتحدث الرسمي عن كل الطبقات بهذه المدينة الصناعية الكبيرة، وانضمت المدن الأخرى إلى الحركة المعادية للفرنسيين(٥٢)، حتى وقف الجزء الأكبر من الفلاندر متحديا الكونت لويس دي نيفير، ولذلك في فبراير ١٣٣٩ هرب الكونت من البلاد بعد محاولة فاشلة لإجبار جنت وبروج على الخضوع، ولكي يتجنب المزيد من الاذلال والخزى(٥٣). وعندئذ أعلن إقليم الفلاندر استقلاله تحت رياسة وزعامة أرتفيلد، الذي عرض خطته المستقبلية لعقد تحالف وسلام بين مدن الفلاندر مع برابانت وهولاند Holland وهينوت(٥٤). واعتبره أصحاب الحرف أنه أتى من السماء لكي ينقذهم(٥٥).

توقع إدوارد الثالث عقب تلك الأحداث أن ينضم إقليم الفلاندر إلى حلفه دون تأخير، فقد وجد إدوارد ضالته في الفلاندر كحليف تجاري، بيد إن ارتفيلد اعترض على ذلك؛ إذ طالب ارتفيلد باستئناف شحنات الصوف الإنجليزي، وهو الشيء الوحيد الذي كان كفيلا بأصلاح الموقف في الفلاندر، فقد أدرك ارتفيلد أنها اللحظة المناسبة لتكون جنت هي القائدة للفلاندر، وكان هدفه الأول إبعاد الصناعة في مدينته عن الأخطار، وجعلها مركز تجاري كبير ضد الهيمنة الإقطاعية(٥٦).

كان ارتفيلد في تلك الفترة يدرك تماماً أنه لابد من اتخاذ موقف حاسم بشأن الصوف الإنجليزي الذي يذهب إلى إقليم برابانت، والذي أدى إلى إقامة صناعة منسوجات منافسة هناك. وبعد إجراء مفاوضات مستفيضة مع سفراء ادوارد الثالث(٥٧)، حصل إدوارد على وعد بالتحالف من ارتفيلد بعد أن وافق إدوارد على رفع الحظر عن صادرات الصوف، وإرسال الصوف من مدينة انتورب إلى بروج، ووعدهم بتجارة حرة للملابس الفلمنكية بالأسواق الإنجليزية، وتحقيق أرباح كبيرة، وأن يدفع للشعب الفلمنكي مائة وأربعين ألف جنيه استرليني للأغراض الدفاعية، وأن يزوده بالسفن والأسلحة في حالة وقوع هجوم فرنسي، وتعهد الفلمنكيون في مقابل ذلك بتقديم المساعدة العسكرية، والاعتراف بأحقية إدوارد الثالث في التاج الفرنسي(٥٨).

عقب تلك الأحداث حصل إدوارد الثالث على كل الاستعدادات والمعونات من الفلاندر، وكان الملك الفرنسي فيليب السادس يعلم ذلك جيداً ويدرك تماماً أنه لن يستطيع الحصول على مساعدة أرتفيلد، خاصة بعد أن حاول كونت الفلاندر منع بروج من الانضمام إلى أرتفيلد، ولكن كان ارتفيلد مسيطراً تماما على شعبه، ولم يكن أحد يستطيع مخالفة أوامره(٥٩).

وفي تلك الفترة ازدادت أنشطة القراصنة المفوضة من قبل الحكومة الفرنسية لمهاجمة السفن الإنجليزية في بحر الشمال وأدرك إدوارد الثالث أنه لابد وأن يؤمن هذا البحر أمام قوافل السفن الإنجليزية، خاصة وأن سفراءه من اللوردات كانوا في هينوت، وكانوا يعلمون بوجود حامية فلمنكية في جزيرة كادساند Cadsand (Kadzand) بقيادة سير هالوين Ducre De Halewyn وسير رود John De Rhodes، وكان الفرنسيون قد أغلقوا ممر كادساند أمام الإنجليز، وكان اللوردات يعلمون أنهم إذا اتخذوا طريق الممر سوف تقابلهم مشاكل عديدة، ولن يكونوا في أمان رغم وجودهم في حماية أرتفيلد، لذلك ذهب اللوردات إلى دوردرشت Dordrecht في هولاند، ومن هناك أبحروا إلى إنجلترا حتى يتجنبوا عبور ممر كادساند الذي ينتظرهم فيه الجيش الفرنسي هناك(٦٠).

نجح اللوردات في العودة إلى إنجلترا مرة أخرى سراً بقدر استطاعتهم، وذهبوا إلى الملك الإنجليزي، والذي كان سعيداً بحضورهم، وعندما سمع إدوارد بالمعسكر المقام في جزيرة كادساند، قام بإرسال ايرل ديربي Derby ولتر ماني Walter Many وكثير من الفرسان، منهم خمسمائة رجل بحرابهم، وألفان من رماة السهام، وأبحروا من لندن حتى وصلوا إلى الفلاندر بالقرب من كادساند(٦١). وعندما رأى الأنجليز الجزيرة أمامهم استعدوا، وكان المد والجزر في صالحهم والرياح كذلك، وجعلوا رماة السهام أمامهم وأبحروا في اتجاه الجزيرة، أما الفرنسيون في معسكر كادساند فقد استعدوا جيداً، وأعدوا الخنادق اللازمة، وكان على رأس القوات الفلمنكية جاي دي فلاندر Guy De Flandre، وهو فارس قوي طلب من كل رفاقه بناء على توجيهات أرتفيلد القيام بواجبهم على أكمل وجه، وكان هناك أيضاً السير تريف Giles le Trief والسير سيمون Simon والسير بروجدام John De Brugdam والسير انجلمنستر Ingelmunster ، والعديد من حملة الرماح.

بدأت القوات الإنجليزية– الفلمنكية الهجوم، وكان رماة السهام في المقدمة، فتقهقرت القوات الفرنسية إلى الخلف، وكان القتال عنيفا، وقاتل الفلمنكيون بضراوة بجانب الإنجليز، واستولت القوات الانجليزية– الفلمنكية على الممر، وعلى الرغم من إصابة عدد كبير من الفلمنكين(٦٢)، أثبت رجال ارتفيلد، أنهم مقاتلون من الطراز الأول وكانت المعركة، على حد قول بعض المؤرخين قاسية ومؤلمة، وتم سلب كادساند، ونهبها، وقتل عدد كبير من الفرسان، وأسر قائد الجيش الفلمنكي جاي ومعه العديد من الفرسان، ولكن النصر تحقق، وبعد المعركة أرسل أرتفيلد إلى الملك إدوارد الثالث يهنئه على انتصاره، ويشير عليه بأن يعود إلى الفلاندر مرة أخرى، ويخبره بأن شعب الفلاندر يرغبون في رؤيته(٦٣).

أمر الملك إدوارد الثالث بتجهيز مؤن كثيرة للرحيل، وأبحر ومعه عدد كبير من الأيرلات والدوقات والبارونات، والكثير من الفرسان لكي يشاهدوا منزلته العظيمة، وأرسل إلى حلفائه في الأراضي المنخفضة قائلاً "بأنه سوف يسعد بلقائهم والحديث معهم"، ولقد جاء الجميع بالفعل إلى مدينة أنتورب،

فأحسن استقبالهم وأكرمهم[٦٤]، ثم اتجه إلى مدينة جنت وبصبحته عائلته وحاشيته، وأقاموا في دير سان بافو St. Bavo. وأثناء الاحتفالات في سوق الجمعة برعاية وإعداد وترحيب أرتفيلد وممثلين عن جنت وبروج وإيبر، أعلن إدوارد الثالث بتأييد من أرتفيلد، وبدعم وولاء رعاياه الجدد، أنه ليس فقط ملك إنجلترا بل ملك فرنسا أيضا[٦٥]، وألقى بياناً بذلك أوضح فيه أحقيته بتوليه للعرش الفرنسي، وكان ذلك على وجه التحديد في ٢٦ يناير ١٣٤٠[٦٦]. وعلى الرغم من اعتراض البابا بندكت الثاني عشر على هذا القرار، حيث كان يرى أن إدوارد الثالث أعلن نفسه ملكا على أرض لا يملكها، وأنه يتخبط في اتخاذ قراراته[٦٧]، إلا إن اعتراضاته ذهبت أدراج الرياح مثلما حدث من قبل عندما اعترض على التحالف الإنجليزي– الألماني. ولا شك في أن قيام إدوارد الثالث بتحويل الفلاندر من التبعية لفرنسا إلى التبعية لإنجلترا كان أمرًا رائعًا أدى إلى شعور أرتفيلد ورعيته في جنت بالانتصار[٦٨].

ظل إدوارد الثالث في جنت حتى ٢٠ فبراير ١٣٤٠ حتى رحل إلى سلوى Sluys ثم إلى إنجلترا. أما زوجته الملكة فيليبا Philippa (المحبة لشعبها)، فقد ظلت في جنت حتى شهر مارس، حيث أنجبت حنا في جنت John of Gaunt، وكانت تحظى برعاية أرتفيلد واللوردات وزوجات اللوردات ونساء جنت[٦٩]. غير أن إدوارد الثالث أنفق كثيراً أثناء وجود زوجته في جنت، وكانت مشاكله المالية حادة وملحة على حد قول البعض، فقد تعرض لأزمة مالية كبيرة لدرجة أنه تسلم في فبراير ١٣٤٠ إنذاراً من أصحاب الديون من الهولنديين في مدينة جنت بأنهم سوف يدخلون إنجلترا ليجمعوا الأموال مالم يرسل إليهم زوجته وأطفاله كرهائن، بالإضافة إلى أنه استدان مبالغ مالية كبيرة بفوائد مرتفعة من البيوت المالية الأخرى في إيطاليا مثل بيوت باردي Bardi وبيروزي Peruzzi. وبذلك فشل إدوارد الثالث في أن يفرض نفسه على العرش الفرنسي[٧٠].

بعد نجاح إدوارد الثالث في التحالف مع الفلاندر ضد فرنسا، وجد أنه لابد وأن يؤمن طريق الاتصال بين الإنجليز وحلفائهم من المدن الفلمنكية، خاصة بعد ازدياد عمليات القرصنة الفرنسية ضد السفن الإنجليزية في بحر المانش، ولذلك في صيف ١٣٤٠م استطاع الأسطول

الإنجليزي بمساعدة القراصنة في الفلاندر وعلى رأسهم كراب John Crabbe تحقيق نصر موزر على الأسطول الفرنسي في معركة سلوى Sluys[٧١]، وصار الإنجليز سادة بحر المانش، وبعد النصر في سلوى، أقام الملك الإنجليزي احتفالاً بمناسبة الانتصار في المعركة، والذي حضره عدد كبير من الإيرلات واللوردات الفلمنكيين وفرسانهم.

وقد حاول الإنجليز استثمار هذا النصر؛ إذ تم إرسال روبرت ارتوا لمهاجمة مدينة سان أومير St. Omer[٧٢]، في الوقت الذي ضرب فيه إدوارد حصاراً حول توروناي Tournai، بمساعدة ارتفيلد والفلمنكيين، بيد إن هذه المحاولة باءت بالفشل ولم تسقط المدينتين[٧٣]. وفي ذلك الوقت اقترح إدوارد القيام بعمل عسكري لحسم الصراع، غير أن أرتفيلد أبدى تدخلاً مزعجا في المناقشات وحاول فرض رأيه، مما أدى إلى حدوث خلافا بين جنود الفلاندر وجنود الإنجليز، كما تذمر الجنود نتيجة لتأخر رواتبهم، وانخفضت شحنات الصوف عن معدلاتها. وخلاصة القول أن حلفاء إدوارد عبروا عن أنهم قد سئموا القتال، ولذلك لم يجد إدوارد أمامه سوى عقد هدنة على أساس عدم المساس بالحدود الإقليمية، وإعلان حرية التجارة، وكانت الهدنة في كنيسة إسبليشن Esplechin، ولمدة عام واحد، وعلى ذلك انسحب إدوارد إلى جنت أواخر نوفمبر ١٣٤٠[٧٤].

وبالتالي جاءت نتائج هذه الحرب بين إنجلترا وفرنسا بتحالف مع الفلمنكيين، ولكن أحلاف إدوارد كلفته نفقات باهظة كما ذكرت من قبل، ولم تحقق له سوى القليل من الفائدة[٧٥]. وربما كان إدوارد الثالث يهدف إلى إحباط مخططات فرنسا في دوقيه جاسكونى Gascony[٧٦]، وذلك بتحويل الحرب إلى الأجزاء الشمالية من فرنسا[٧٧]. بالإضافة إلى ذلك نجح الفرنسيون في إخراج الإمبراطور الألماني لويس الرابع من التحالف مع إنجلترا يناير ١٣٤١ بعد أن الغى لويس تعيين إدوارد نائباً للإمبراطورية، وكان هذا المنصب هو المصدر الوحيد لسلطته على الأمراء هناك[٧٨]. كما أصدر (البابا قرار حرمان) كنسي ضد سكان مدن الفلاندر، باعتبارهم متمردين على كونت الفلاندر[٧٩]، وزاد أعداء أرتفيلد نتيجة لتكبره ووقاحته على حد قول بعض المؤرخين[٨٠].

ويبدو مما سبق أنه كما لعب الذهب الإنجليزي دوره فيما سبق في كسب الحلفاء ضد فرنسا، نجح أيضًا المال الفرنسي في فقدان إنجلترا لبعض حلفائها، مما كان له أكبر الأثر في هذا التحول السيئ في مصير إدوارد، على الأقل في تلك المرحلة.

أما عن ارتفيلد، فقد حاول في الفترة الأخيرة وبالتحديد في عام ١٣٤٢م السيطرة على قادة الفلاندر وبخاصة اثنين من القادة وهما فان هس William van Husse، وفان هوفين Peter van Hovene، وصار لارتفيلد كثيرمن الأعداء خاصة بعد أن ظهر قادة جدد أكثر نفوذاً من الآخرين مثل فان كودينهوف Petr Van Coudenhove. وبدأت البادرة الأولى للثورة في بروج التي لم يعد لارتفيلد شعبية فيها، وحيث كان اتباعه يطلق عليهم Jacobins في عام ١٣٤٢م، وانتقلت الثورة إلى باقي مدن الفلاندر، فقد وجدت المدن الفلمنكية أنها وقعت فريسة لكونت خائن حرمها ثمرة انتصارها الذي استحقته، وأخذت تزيد نار استيائها اشتعالا خاصة بعد قيام ارتفيلد باعدام كل من يتحدث عنه بالسوء أو بازدراء مثلما فعل مع هانك بلزناير Hank Plesenayre، وكل من يعترض على الضرائب المفروضة على صناعة المنسوجات. ثم كبحه لجماح تمرد في ديسمبر ١٣٤٢ وقتل لامين Peter Lammins أحد النبلاء الذين اتهموا بالمؤامرة. وفي تلك الأثناء زاد اعداء ارتفيلد وعلى رأسهم فان ستينبك Van Steenbeke نقيب النساجين، والأخوان بارلوت John & Solomon Barluut، ولكن استطاع أرتفيلد أن تكون له الكلمة العليا في جنت بعد أن قام بنفي نقيب النساجين وأتباعه وصادر ممتلكاتهم(٨١).

وفي الثاني من مايو ١٣٤٥ أوما عرف بالإثنين الأسود التقى النساجون (القصارون) مع الزعيم ارتفيلد في سوق الجمعة، وحدثت اشتباكات مميتة بعد أن أجبرهم على مشاركة باقي النقابات في السلطة بينما أرادوها لأنفسهم فقط. وعندئذ كان من الضروري لأرتفيلد تحقيق نجاح مؤثر لحشد أكبر عدد من الأتباع، ولذلك حاول ارتفيلد أن يظهر بمظهر الصديق الحميم لإدوارد الثالث وعرض عليه أن يجعله وريث الحكم في الفلاندر، ويمنح ابنه الأمير الأسود The Black Prince (أمير ويلز

(Prince of Wales) (١٣٣٠-١٣٧٦) الإرث بعده مباشرة، ويجعل الفلاندر دوقيته، ولذلك أتى إدوارد الثالث إلى سلوى يوليه ١٣٤٥ ومعه العديد من اللوردات والفرسان، وأحضر معه ابنه بعد وعد ارتفيلد، واستقروا في ميناء سلوى، وحدث اجتماع كبير ومشاورات بين إدوارد وارتفيلد من جهة ومستشاري مدن الفلاندر من جهة أخرى. ورفض ممثلي مدن الفلاندر التخلص من لويس كونت الفلاندر لحساب ابن الملك الإنجليزي، وظل ارتفيلد وقتاً قصيراً مع إدوارد، ومازال يعده بإحضارهم إليه موافقون، بينما إدوارد رفض حتى النزول من السفينة، ولم ينفذ وعوده لأرتفيلد، فلم يعد هناك جنود أو إعانات مالية، وخاب أمل جنت في قائدها(٨٢).

وما إن عاد ارتفيلد إلى جنت اجتمع الصغير والكبير في سوق المدينة، وتذكروا وعود ارتفيلد لإدوارد الثالث، وبدأ الجميع يعلنون عن غضبهم تجاه ارتفيلد؛ لأنهم لن يتخلصوا من كونت الفلاندر من أجل رجل غريب عنهم، وترك الجميع السوق وهو حانقون، وفي تلك الفترة أصيبت الحركة التجارية بالشلل التام، وطمع حكام بروج وإيبر في أن تكون الزعامة لهم، وأدى ذلك إلى أعمال الشغب والسلب والنهب لثروات الأقاليم، مما أدى إلى تدهور الحالة الاقتصادية للفلاندر(٨٣).

وأثناء عودة ارتفيلد إلى منزله منفردا ليلا عرف العامة بقدومه، واجتمعوا في الشارع الذي يمر به، وعندما رأوه أعلنوا تذمرهم، وهتفوا ضده، واتهموه بالخيانة لصالح إنجلترا، فخشى على نفسه وأغلق أبواب منزله بمجرد دخوله، ولكن صغار النساجين والعمال هاجموا منزله، فحاول الهرب دون جدوى فذبحوه بدون رحمة(٨٤)، وهكذا كانت نهاية الرجل الأول في الفلاندر(٨٥).

أما عن إدوارد الثالث فرحل عن سلوى مهددًا الفلاندر وشعبها بعد مقتل صديقه، وبأنه سوف ينتقم، وحاول كبار رجال الفلاندر الاعتذار من إدوارد بعد هذه الأحداث، وبأنهم نادمون على مقتل هذا الرجل الذي بدأ حكمه بحكمة وعقل. وضاعت على إدوارد الثالث فرصة إرث الفلاندر(٨٦). غير أن اعتماد مدن الفلاندر المتخصصة في صناعة الملابس على إنجلترا لم يتأثر بمقتل حاكمهم بأي حال من الأحوال. كما عقد إدوارد العزم على المحافظة على اتصالاته بأهل

الفلاندر لاستخدامهم ضد الفرنسيين[٨٧]؛ لأنه كما ذكرت من قبل ربما كان إدوارد الثالث يأمل في أن مثل هذا التحالف الإنجليزي– الفلمنكي قد يجبر القوات الفرنسية على التحول عن جاسكوني، فقد جعل إدوارد من الفلاندر وسيلة ضغط إنجليزي على فرنسا[٨٨].

ويتضح لنا من الأحداث السابقة أن حياة ارتفيلد لا تظهر لنا فقط بروز شخصية طاغية محلي قوى في وقت الأزمات، ومواطنين قاموا ضده بثورة بعد أن كانوا يوقرونه ويحترمونه، ولكن أيضًا كيف كانت الفلاندر تمثل أهمية خاصة وحاسمة لكل من فرنسا وإنجلترا في صراعهما من أجل الحصول على الفلاندر كحليف قوي في ذلك الصراع بين القوتين، وأن الفلاندر من الممكن أن تغير موازين القوى لصالح المملكة التي سوف تتحالف معها. فكلٌّ من إدوارد الثالث وفيليب السادس نظرا إلى الفلاندر على أنها جائزة لثروتها الكبيرة. وعلى الرغم من أن ارتفيلد استطاع ولو لفترة بسيطة رسم خيوط السياسة في غرب أوربا بعد أن فضل رخاء اقتصادي في ظل تحالف حر مع إدوارد الثالث على خراب اقتصادي في ظل تبعية اقطاعية لفيليب السادس، إلا إنه لم يحقق النجاح المطلوب بعد أن تخلى عنه إدوارد، واستخدم العنف والقتل ضد المناوئين له من النبلاء، فقامت ضده ثورة قضت على احتكار السلطة وبدت كمثال يحتذى به في الثورات الإنجليزية والفرنسية بعد ذلك.

(الهوامش)

١) يقع إقليم الفلاندر Flandre على الحدود الشمالية الغربية لفرنسا ويواجه بحر الشمال Mer De Nord وهو من أهم الأقاليم الصناعية في أوروبا وفاخر ذلك الإقليم بالمدن المزدهرة مثل بروج Bruges وجنت Ghent. وترجع السيطرة على هذا الإقليم إلى عام ٥٠٠م عندما استطاع الفرنجة بزعامة كلوفس Clovis (٤٨١-٥١١) السيطرة على الإقليم، ثم في القرن الثامن صار الإقليم منطقة حدودية للدفاع ضد الفايكنج Vikings، إلى أن صار يتبع فرنسا إقطاعيًا فيما بعد.

- Jordan. W.C: Flandre, Middle Ages, An Encyclopedia, Vol. 2, U.S.A, 1996, pp. 98, 99., Hanawalt. B. A: The Middle Ages, Oxford & New York, 1998, P. 133., Streissguth. T: The Greenhaven Encyclopedia of The Middle Ages, U.S. A, 2003, P. 120.

٢) ولد جاك فان أرتفيلد Jaques Van Arteveld في مدينة جنت Ghent من عائلة صاحبة نفوذ، وهو صانع لشراب العسل المخمر، تزوج مرتين إحدهما من كاتلين دي كوستر Kateline De Costerوهي من عائلة ثرية. وظهر ارتفيلد في وقت كان فيه خلال ونزاع بين كونت الفلاندر والفلمنكيين، ودخل في طاعته الجميع في الفلاندر. وكان يصاحبه دائما أربعون فارسًا أو أكثر أثناء سيره في جنت، وكان من بينهم أربعة يعرفون أسراره وما يدور في رأسه، ولا يستطيع أحد مخالفته وإذا قابل شخصًا يكرهه وأشار نحوه قاموا بذبحه أينما كان، لذلك كان الكل حريص على جعله يبتسم. وعند عودته للمنزل يتركه الفرسان حتى يتناول الغذاء ثم يعودون إليه ويحصلون منه على أجر أربعة من العملات الفلمنكية يوميًا، وكان له في كل مدينة جند وخدم ينفذون أوامره ويخبرونه بأخبار أعدائه. وكان أرتفيلد يستولى على الأراضي عنوة حتى أراضي الذين يخدمونه من الفرسان، وأيضا أراضي مواطني المدن ويستولي على نصفها لاستخدامه الشخصي ويترك النصف لزوجاتهم وأطفالهم، وكان ينفق على نفسه بدون حساب، ولم يستطع أحد معارضته، بدأ أرتفيلد المشاركة في الحياة السياسية في عام ١٣٣٨م، ولم يظهر قبل ذلك إلا في عام ١٣٢٥م عندما ساند كونت الفلاندر ضد بعض المتمردين.

- Froissart: The Chronicle of Froissart, TR. By. John Bourchier, London, 1930, PP. 29,30., Pettit. J: History of Great Britain, London, 1794, P. 357., Nicolas. D: Artevelde, Medieval France An Encyclopedia, New York & London, 1995, P. 137., Hutton.S: Women And Economic Activities In Later Medieval Ghent., U.S.A., 2011, P. 23.

٣) من أشهر المدن تجاريا في العصور الوسطى، وكانت مركز صناعي كبير منذ القرن العاشر، وتقع حيث يصب نهر Schelde ونهر Lys مما جعلها مركزًا تجاريًا كبيرًا يعمل أكثر من نصف سكانه بصناعة الملابس.

- Patricia Carson; The Fair Face of Flanders, Ghent, 1969, pp. 72,73., Augasto Vasina: Medieval Eurpan Hisotriography In Western Europe (1100-1500), Leiden, Boston, 2003, P. 348.

4) Cachard. N: Documents Concernant L'Histoire De La Belgrque, Qui Sont Conserves Dans Les Archives De L'Ancienne Champre Des Comptes De Flandre A Lille, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. V., Paris, 1843-1844, P. 408., Halphen. L: France In The Eleventh Century, In. Cambridge Medieval History, Vol. 111, New York, 1922, P. 121.

5) Buckely. A. B; History of England, London, 1916, P. 89., Fraioli. D. A: Joan of Arc And The Hundred Years war, London, 2005, P. 15., Burns. W: Abrief History of Great Britain, U.S.A, 2010, P. 79.,

ديفز.هـ.و: أوربا في العصور الوسطى، ت. عبد الحميد حمدي، منشأة المعارف، ١٩٥٨، ص ٢٢٨.

6) Buckely. A. B: Ibid, P. 89.

7) Lucas. H: Medieval Economic Relation Between Flanders And Greenland, In. Speculum, Vo.12, No. 2, Apr. 1937, P. 167., James. P. Masschaele: Economic Take off And The Rise of Markets, In. Carol Lansing & Edward. D. English: Acompanion To The Medieval world, U.S.A., P. 98., Spufford. P: Trade In Fourteenth Century Europe, In. Cambridge medieval History (1300-1415) Vol. VI, Cambridge, 2006, P. 165,FF., Stabel. P: Guilds In Late Medieval Flanders: Myths And Realities of Life In. Journal of Medieval Hisotry, Vol. 30, 2004, P. 190, Ruch. A. Johnston: All Things Medieval, An Encyclopedia of Medieval World, California, Colorado, Oxford, 2011, P. 231.,

ورن هلستر: أوربا في العصور الوسطى، ت. محمد فتحي الشاعر، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٨، ص ١٦٣.

٨) تقع بروج Bruges على خليج ضيق بجانب بحر الشمال المقابل لإنجلترا مما يسر لها استيراد الصوف الإنجليزي لينسج على الأنوال الفلمنكية، وكانت في القرن الرابع عشر والخامس عشر من أهم المراكز الاقتصادية في أوربا وثالث أكبر مدينة في شمال الألب بعد باريس وجنت، وكانت المدينة بعيدة إلى حد ما عن الساحل بعداً جعل ثغرها آمن للسفن، ولهذا اجتذبت إليها أساطيل من جنوه والبندقية وألمانيا وفرنسا وقشتالة وقطالونيا.

- Galvin. M: Credit And Parochial Charity In Fifteenth Century (Bruges), In. Journal of Medieval Hisotry, Vol. 28, 2002, P. 136., Jourdan. W.C: Bruges, The Middle Ages, An Encyclopedia, Vol 1., New York, 1996, P. 111.

9) M. De Saint – Genois: Invantaire Analytique Des Chartes Des Comtes De Flandre, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Troisieme, Paris, 1846, P 261., Cachard. N: Op. Cit, Tome. V, P. 408., Marci Sortor: The Leperleet Affair: The Struggle For Market Position in Late - Medieval Flanders, In. Speculum, Vol. 73, No. 4, Oct. 1988, P. 1069. Jaques Le Goff: Medieval Cvilization (400-1500), TR. By. Julia Barrow, Oxford & Cambridge, 1988-1989, P. 107., Farmer. S: Biffes, Tiretaines And Aumoniers: The Role of Pairs In The International Textile Markets of the Thirteenth And Fourteenth Centuries, In. Robin Netherton: Medieval Clothing & Textiles, Vol. 2, Great Britain, 2006, P. 73., Adoumie. V: Histoire Geographie, Paris, 2007, P. 112.

10) Patricia Carson: Op. Cit, P. 66.,

ديفز .هـ. و: المرجع السابق، ص ٢٢٩.

11) M. Pardessus: De la Juridiction Exercee par la Cour Feodale Du Roi Sur Les Grands Vassaux De La Couronne pendent, Les Onzieme Et Treizieme Siecles, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome Quatrieme, Paris, 1847-1848, P. 286., Leroux. A: Recherches Critique Sur Les Relations Politiques De La France Avec L'llemagne De 1292 A 1378, Paris, 1882, P. 175. FF., Marten. M. A& Carter. M. A: The Middle Ages, Vol.2, Oxford, 1926, P. 160., Moore. J: Count Baldwin IX of Flanders, Philip Augstus And The Papal power, In Speculum, Vol. 37, No. 1, Jan, 1962, P. 79., Marci Sortor: Op. Cit, P. 1069, Lucas. H: Op. Cit, P. 167.

١٢)كانت إنجلترا تصدر أفضل الأصواف إلى الفلاندر حيث يتم تصنيعها، وحققت تجارة الصوف ازدهارًا كبيرًا للإنجليز، وفي الفلاندر كان يتم غزل الصوف بالمغازل اليدوية، وبمجرد غزلها يتم إرسالها إلى النساجين الذين كانوا يعملون في المنازل في ورش المدن، وعادة ما يجلس النساجون جنباً إلى جنب أمام نول كبير ويقومون بعملية نسج الأقمشة من الجوخ أو الكتان أو القطن، وبعد ذلك يتم إرسال نسيج الصوف إلى القصارين الذين يقومون بنقعه وإزالة ما به من شوائب باستخدام المياه بعد ذلك تذهب الأقمشة الخام إلى الصباغين لتثبيت الألوان وإكسابها لمعاناً، لذا كان حجر الشب مطلوباً، وأخيراً كان يتم إرسال الأقمشة للسوق بحراً أو على شكل بالات ضخمة، وكان للفلاندر شهرة كبيرة في صناعة الأقمشة.

- Robert. S. Lopez: The commercial of The Middle Ages (950-1350), Cambridge, 1976, pp. 131, 132., Christine. M. Newman: Economy And Society In North Eastern Market Towns In The Later Middle Ages, In. Christian. D. Liddy: North East England in the Later Middle Ages, United Kingdom, P. 135., Ertman. T: Birth of The Leviathan, Building States And Regimes In Medieval And Early Modern Europe, Cambridge, 1997, P. 171., Britnell. R: Trade And Industry, In. Rigby. S. H: A Companion To Britain In The Later Middle ages, United Kingdom, 2003, P. 51., Gorden. C: Dictionary of Medieval Terms And Phrases, Cambridge, 2004, P. 301., Denys Hay: Europe In Fourteenth And Fifteenth Centuries, London & New York, 1989, P. 135., Corcdon. C& Ann Williams: Dictionary of Medieval Terms And Phrases, Great Britain, 2004, P. 244., Laurentiu Radavan: At Europes Borders (Medieval Towns In The Romanian Principalities), Vol. 7, TR. By. Valentin Cirdes, Boston, 2010, P. 433.,

موريس بيشوب: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ت. على السيد على، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٤، ص ٢٠٠.

13) Wanters (Alph): Libertes Communales Essai Sur Leur Origine Et Leur premiers Developments En Belgique, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Vol. XXXIX, Paris, 1878, P. 560., Gilbert of Mons: Chronicle of Hainault, TR. By. Laura Napran, Great Britain, 2005, P. 75, FF., Leroux. A: Op. Cit, P. 175. FF., Lodge. R: The Close of The Middle Ages, 1272-1294, London, 1924, PP. 69-70, Moore. J: Op. Cit, P. 79., Fraioli, D. A: Op. Cit, P. 15.

١٤) استطاعت فرنسا في عهد فيليب أوغسطس تقليص النفوذ الإنجليزي في أوربا نتيجة معركة بوفين الفاصلة ١٢١٤م، حيث فقد التاج الإنجليزي كل الأقاليم التابعة له مثل أنجو Anjou وتورين Touraine ومين Maine وبويتو Poitou، فيما عدا أكويتين (أقطانيا) Aquitaine، فقام الملك الإنجليزي حنا John I(١١٩٩–١٢١٦) بالتحالف مع أوتو الرابع Otto IV (١١٩٧–١٢١٢) إمبراطور ألمانيا، وفيراند كونت الفلاندر، واتفقوا على مهاجمة أكويتين، غير أن فيليب أوغسطس حقق انتصارًا حاسمًا عند بوفين بالقرب من ليل ١٢١٤م بعد أن استمرت المعركة حوالي ثلاث ساعات. وأسفرت المعركة عن عزل أوتو وتولية فردريك الثاني Frederick II (١٢١٢–١٢٥٠) عرش ألمانيا، وأخضعت كونت فيراند وحلفائه لطاعة ملوك فرنسا.

- Anonymous: Anonymi Rhenani, In R.H.C. Hist. Occ, Tome. Cinquieme, Second partie, p. 522., Barraclough. G: The origins of Modern Germany, Oxford, 1947, P. 215., Moore. J: Ibid, P. 79., Fraloli. D.A: Ibid, P. 15.

15) Av Pevple Francois: La Legende Des Flamens, Chronique Abregee, paris, 1558, P. 26, FF., Edgard Boutaric: les Premiere Etats Generaux (1302-1314), In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Premiere, 1860, P. 24., Gilbert of Mons: Op. Cit, P. 75, FF., Barraclough. G: Ibid, P. 214., Ertman. T: Op. Cit, P. 65., Patricia Carson: Op. Cit, PP. 54, 55.

16) Chronicles of The Crusades, Being Contemporary Narratives of The Crusade of Richard Coeur De Lion, By. Richard of Devizes And Geoffrey De Visauf, And of The Crusade of St. Louis, By. Lord John De Joinville, London, 1848, P. 379., Jean Du Vignay: Chroniqne De Primate, In. R.H. G.F, T. XXIII, Paris, 1894, P. 61.

17) Robinson. J. H: An Introduction To The History of Western Europe, London, 1962, P. 283., Jessica Dijkman: Shaping Medieval Markets, Leiden, Bosten, 2011, P. 79., Stable. P. Op. Cit, P. 190., Spufford. P: Op. Cit, P. 156,FF.

18) Walsingham. T: The Chronica Maiora of Thomas Walsingham, TR. By. David Breest, Great Britain, 2005, P. 1., Pirenne. H : Medieval Cities, Their Orgins And The Revival of Trade, Princeton 1946, pp. 153-155., Mavis Mate: The Impact of war on The Economy of Canterbury Cathedral Priory (1294-1340), In Speculum, Vol 57, No. 4, Oct. 1982, P. 373, FF., Jotischky. A: The Penjuin Historical Atlas of The Medieval World, London, 2005, P. 78., Derry. T.K & Others: Great Britain (Its History From Earliest Times To The Present Day, 1962, P. 111.

19) Stevenson. J: Selection of papers Illustrative of The History of Sir William Wallace, Durham, 1841, P. XVII., Pierre de Langtoft: The chronicle of pierre De Langtoft, Vol. 11, London, 1866, P. 278., Verbruggen. J. F: The Art of War In Western Europe During The Middle Ages TR. By. Summer Willard & MRS. R.W. Southern, Great Britain, 1997, P. 344., Hallam. E: Capetian France (987-1328), London And Newyork, P. 280., Lynn. L: Medieval Europe And Its Development And Civilization, London, Bombay, Sydney, pp. 475, 476., Johnston. M. A: England Edward I And Edward II, In Cambridge Medieval History, Vol. VII, Cambridge, 1968, P. 403., Thorval. J. & Others: Les Grandes Etapes De la Civilization Francais, Paris, 1976, p. 22.

20) Hardy. T. D: Syllabus of Documents Relating To England And Other kingdoms, Vol. 1, London, 1869, pp. 124,125., Hughes. P: History of The Church, Part. 3, P. 46., Black. J.G: Edward I And Gascony In 1300, In. The English Historical Review, Vol. 17, No. 67 July, 1902, P. 519., Lucas. H: Diplomatic Relation of Edward I And Albert of Austria, In. Speculum, Vol. 9, No. 2, Apr. 1934, pp. 126, 127., Queller. D: Thirteen. Century Diplomatic Envoys Nuncii and Procuratores, In. Speculum, Vol. 35, No. 2, Apr. 1960, P. 1990., Haverkamp. A. And Vollrath. H. : England and Germany, London & Oxford, 199., Bachrach. D: The orgnisation of Military Religion In The Armies of King Edward I of England (1272-1307), In. Journal of Medieval History, Vol. 29, 2003, P. 275., Bryce Leon: What were The Expenses of The King Edward I And Edward III when Absent from Their Realm, In. Journal of Medieval History, Vol. 29, 2003, P. 338., Marla Marisson. M: The Role of Ritual And Acermonial In The Reign of Edward I, Texas, 2012, pp. 30, 31., Prestwich. M: Edward I Armies, In Journal of Medieval History, 17 October, 2013, P. 235., Sylvester. D: Piracy In Medieval England's Cinque ports, In. Niallchristie and Maya Yazigi: Bloody Realities (Warfare In The Middle Ages, Leiden, Boston, 2006, P. 172.

21) Av Pevple Francois: Op. Cit, PP. 30-32., Pierre De Langtoft: Op. Cit, P. 338., Lavisse. E: Histoire De France (Saint Louis, Philippe Le Bel, Les Derniers Capetien Directs (1226-1328), Par. Ch. V. Longlois, T. III, Deuxieme Partie, Paris, 1911, P. 303., Lucas. H: Diplomatic, P. 127., Patricia Carson, OP. Cit, P. 66., Fraioli. D. A: Op. Cit, P. 16.

٢٢) فقد كان هناك داخل الفلاندر من يؤيدون فيليب الرابع ويعرفون باسم Leliarts؛ لأنهم كانوا يتخذون زهرة الزئبق Fleur- De- Lis شعارا لهم كشارة على السلطة والشرف، وهناك مؤيدو الكونت ويعرفون باسم (Klauwearts) أي مخلب الأسد.

- Fraioli, D. A: Ibid, P. 16.

٢٣) تعرف الثورة التي قامت ضد شارل دانجو Charles D' Anjou الأخ الأصغر للملك الفرنسي لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦–١٢٧٠) في يوم الإثنين ٢٩ مارس ١٢٨٢م في مدينة بالرمو Palermo، وانتقلت منها إلى باقي أنحاء الجزيرة باسم صلاة المساء الصقلية Sicilian Vespers. ففي ذلك اليوم اتفقت جموع المواطنين الصقليين من بالرمو والقرى المجاورة بالقرب من كنيسة الروح المقدسة Santo Spirito التي تبعد حوالي نصف ميل فقط شمال شرق الأسوار القديمة لمدينة بالرمو. وبينما الجميع ينتظرون موعد صلاة المساء ظهرت فجأة مجموعة من الموظفين الفرنسيين المدججين بالسلاح وكانوا في حالة سكر بين فاستقبلهم الأهالي بفتور وكراهية. وكان من بينهم ضابط يرعى دوريه Drouet أخذ في مضايقة سيدة متزوجة شابة من أهالي صقلية بتصرفات وكلمات غير لائقة، فاستل زوجها سكينا وقتله، فاندفع الفرنسيون يهاجمون الأهالي، ولكنهم وجدوا أنفسهم محاصرين من الصقليين الذين أجهزوا عليهم، وانطلقت صيحات الغضب تنادي بـ "الموت للفرنسيين، وقتل عدد كبير من الفرنسيين، وسيطر الثوار على بالرمو، وخرجت الرسل من بالرمو، إلى جميع مدن وقرى صقلية لتحرضهم على الثورة.

- أسمت غنتم: شارل دانجو وسياسته في الصقليتين (دراسات في تاريخ أوربا في العصور الوسطى)، ١٩٩٨، ص ٦١–٦٨.

٢٤) سميت كذلك؛ لأنه أكثر من خمسمائة زوج "مهماز ذهبي" والتي كانت تدل على الشجاعة والفروسية، أخذت من النبلاء الفرنسيين المهزومين وعلقت على حائط كنيسة نوتردام Notre Dame في كورتراي.

- Fraioli. D. A: Ibid, P. 16.

٢٥) ثار غرب الفلاندر، وأرسل الجيش الفرنسي للتصدي لهذه الثورة، إلا إن فرسانه تعرضوا لهزيمة كبيرة على أيدي سكان الأقليم من المشاة في كورتراي؛ لأن قائدهم روبرت دي أرتو Robert D' Artois لم يحسن=

=إدارة العمليات الهجومية؛ إذ التقى الجيشان في منطقة مليئة بالمستنقعات، وكان جيش الفلاندر يتألف من حوالي عشرين ألف مقاتل أغلبهم من المشاة، بقيادة كونينك Peter De Coninck والقائد الشعبي المحبوب جوليك William Julich، وعقد الجميع عليه الأمل في التخلص من الفرنسيين. وكان الجيش من بروج وإيبر وجنت، الفلاحين والنجارين والنساجين والصباغين وبائعي الخمور والمئات من الحرفيين والتجار ومعهم الرماح والأسلحة من كل المدن والقرى في الفلاندر، وكانت الأغلبية من بروج، بالإضافة إلى عدد قليل من المرتزقة وقليل من الفرسان، ومن الطبيعي أن هؤلاء لا يقارنون بعدد الجيش الفرنسي الذي بلغ أربعين ألف مقاتل نصفهم من الفرسان، وعلى رأسهم روبرت دي أرتوا وكونستابل فرنسا دي نسل Raoul De Nesle ولويس كونت كليرمونت Louis Count Clermant وابن عم الملك، والعديد من اللوردات على رأسهم حنا دي أفسنس John D'Avesnes والعديد من الفرسان، وقام هؤلاء بالتدمير والحرق بمجرد وصولهم حدود الفلاندر وكان الفلمنكيون قد حفروا خندقاً عميقاً فوقه كم كبير من الحشائش وانتشروا على مقربة منه، وبدأ الرماة الفرنسيون يقذفون بالرماح والسهام فتراجع العدو، وعلى الفور تدخل روبرت أرتوا على رأس فرسانه، ولكنه بدلا من أن ينقض على الجناحين تاركاً للرماة مهمة تغطية الخيالة اندفع نحو القلب قبل أن يستطلع حالة الأرض، وسقطت الطلائع في الخندق، وأبيد الجميع جنوب بلدة كورتراي، وفقد الفرنسيون عددًا كبيرًا من الفرسان على رأسهم روبرت أرتوا، وبيير فلوت Pierre Floute (مستشار فيليب الرابع).

- Michelet. J: Histoire De France, Tome. IV, Paris, 1861, P. 9., Ex. Anonyme Regum Franciea, Chronico In. R.H. G. F, T.XXII, Paris, 1878, P. 17., Eugene Welvert: Philippe Le Bel Et La Maison De Luxmbourg, In, Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Vol. XLV, Paris, 1884, P. 182., Oman. C: The Art of war In The Middle Ages, Oxford & London, 1885, P. 50. FF, Andre Duchesne: Chronique Des Comtes D'Eu (1130-1390), In. R.H.G.F, T. XXIII, Paris, 1894, P. 447., Bradbury. J: The Medieval Archer, Great Britain, 1985, P. 85., Anne Curry: Medieval Warfare England And Her Netherlands Continental Nightbours, Eleventh To The Fourteenth Conturies, In. Journal of Medieval History, Vol. 24, 1998, P. 100., Clifford. J. Rogers: The Age of Hundred Years war, In. Keen. M: Medieval Warfare, Oxford, 1999, P. 138., Bloch. M: La Societe Feodale La Formation Des Licne De Dependance Les Classes Et Le. Government De Homes, Paris, 1988, P. 451., Tyerman. C.J: Philip VI And=

=Recoverge of The Holy Land, In. The Historical Reivew, Vol. 100, No. 394, Jan. 1985, P. 34., Kelly De Vries & Robert. D. Smith: Medieval Weapons, santa Barbara, Denever, Oxford, 2007, P. 144., Evans. R.J. W & Guy. P. Marchal: The uses of The Middle Ages In Modern European State, New York, 2011, P. 118.

٢٦)بعد معركة كورتزاي استمرت الحرب بين المتمردين من الفلاندر في مارس ١٣٠٣ بقيادة جوليك Julich الذي حشد الجيش في كاسيل Cassel في الثالث من إبريل عند نقطة في الحدود بالقرب من أرك Arques(ليست بعيدة عن سان أومير St. Omer)، وانقسم الجيش الفلمنكي إلى خمسة أقسام الأول من إيير Ypres يرتدون اللون الأحمر ، وقسمان تحت قيادة جوليك ويضمان قوات من كاسيل وفيرن Furnes، ثم قسمان من سان وينوك بيرجين S.Winoks Bergen، وحقق الفلمنكيون النصر بعد أن فقدوا الكثير من الجنود، ولكنه لم يكن نصرًا حاسماً. ولذلك جهز فيليب الرابع جيشًا لغزو الفلاندر في الثالث عشر من أغسطس ١٣٠٤ وعسكر في Mons. -En- Pevele في الثامن عشر من أغسطس تقدم الجيش الفلمنكي نحو الجيش الفرنسي جنوب مدينة Mons. -En- Pevele بقيادة جوليك وحنا دي نامور John De Namur وروبرت دي ينفير Rober De Nevirs، وحقق الفرنسيون نصر جزئي في المعركة، ثم حققوا نصرًا بحريًا على القوات الفلمنكية في Zierikzee في زيلاند Zeeland شمال الفلاندر سنة ١٣٠٤ بقيادة القائد الفرنسي ريمبير جريمالدى Raimier Grimaldi.

- Nicholson. H: Medieval Warfare (1300-1500), China, 2004, P. 35., Tony, Jaques: Dictionary of Battles And Sieges, 2 Vols, London, 2007, P. 677., Sayers. W: Naval Tactias of The Battle of Zierikzee. In The Light of Mediterranean Praxis, In. Clifford. J. Rogers: The Journal Medieval Military History, Vol. IV, Great Britain, 2005, P. 74., Lavisse. E: Op. Cit, T. 111, Deuxieme Partie, P. 305., Kelly De Vries: Op. Cit, P. 168., Verbruggen. J. F: Op. Cit, pp. 194-198.

27) Gilbert of Mons: Op. Cit, P. 75FF., Strayer. J: Viscounts And Viguiers under Philip. The Fair, In. Speculum, Vol. 38, No. 2, Apr. 1963, P. 242., Anne Curry: Op. Cit, P. 96.

28) Prevenier. W: The Low Countries (1290-1415), In. New Camberidge Medieval History, Vol. VI, Cambridge, 2006, P. 574, Lucas. H: Diplomatic, P. 128.

29) M. Champollion- Figeac: Letters De Rois, Reines Et Autres presonnages Des Cours De France Et D' Angleterri Depuis Louis VII Jusque A Henry IV, Tome. 11. Paris, 1847, P. 15., Tout. T.F: The History of England From The Accession of Henry III To The Death of Edward III (1216-1377), Newyork & Bombay, 1905, P. 343., Prevenier. W: Ibid, P. 574.

٣٠) كان لفيليب الرابع ثلاثة أبناء هم لويس دي نافار (لويس العاشر) Louis X وفيليب دي بويتو Philippe De Poitou (فيليب الخامس Philippe V) وشارل دي لامارش Charles De Lamarche (شارل الرابع Charles IV)، وقد استمرت مشكلة الفلاندر في عهد أبناء فيليب الرابع، فعلى سبيل المثال كان لويس العاشر يحظر على رعاياه أن يعقدوا صلات تجارية مع الفلمنكيين، مما كان له أثر سيئ على نشاط أسواق شامبني Champagne، وأدى أختفاؤهم إلى اختفاء الإيطاليين الذي يأتون لعقد صفقات تجارية معهم.

- Favier. J: Dictionnaire De La France, 1993, P. 131.,

هايد.ف: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ت. أحمد رضا محمد رضا، جـ ٤، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٤، ص ٢٣٠.

31) Taylor. C: French Assemblies And Subsidy, In. Speculum, Vol. 43, No. 2, Apr. 1968, P. 219., Jan Dumolyn & Jelle Haemers: Pattern of Rebellion In Medieval Flanders, In Journal Medieval History, Vol. 31, 2005, P. 385., Patricia Carson: Op. Cit, P. 75.

٣٢) قام فيليب السادس بمحاصرة مدينة كاسيل لمحاربة الفلمنكيين الذين ثاروا ضد الكونت لويس دي نيفير حاكمهم الموالي لفرنسا وبخاصة في بروج وايبر، وكان الفلمنكيون حوالي ستة عشر ألفاً بقيادة كولين دانكين Colin Dannequin، ولم يكن الفلمنكيون على قدر كبير من الصبر بحيث ينتظرون هجوم العدو في كاسيل مثلما حدث في كورتراي ، فكانوا أكثر ثقلاً وأقل حركة، فهزموا هزيمة نكراء وذبحوا وأسر الكثير ومنهم وليم ديدكين عمدة مدينة بروج الذي أخذ إلى باريس حيث تم إعدامه، خاصة وأنه ثار من قبل ضد كونت الفلاندر، وقام هو وعدد من رجال بروج البارزين بزيارة إنجلترا، وأعلنوا أنهم سيقدمون الدعم لملك إنجلترا إدوارد الثالث Edward III (١٣٢٧–١٣٧٧) في إدعائه كملك على فرنسا إذا هو ساندهم ضد لويس كونت الفلاندر، ولذا كان رد فعل فيليب السادس هو التحالف مع كونت الفلاندر، فاضطر إدوارد الثالث لتقديم ولائه الإقطاعي لملك فرنسا في عام ١٣٢٩ في كاتدرائية إميان Amiens.

- Froissart: Op. Cit, PP. 29, 30., Seward. D: The Hundred Years Wars (1337-1453), New York, 1982, P. 26., Tout. T.F:OP. Cit, P. 327, Tony Jaques: Op. Cit, P. 208.

33) Leon Lacabane. M: Recherches Sur Les Auteurs Des Grandes Chroniques De France, Dites De Saint Denys, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome Deurieme, Paris, 1810, P. 65., AV. Pevple. Francois: Op. Cit, P. 43., Anne Curry: Op. Cit, P. 96., Kelly. De Vries: Op. Cit, P. 168., Lodge. R: Op. Ci. pp. 69-70.

34) Jones. M: The Last Capetian And Early Valois Kings (1314-1364), In. New Cambridge Medieval History, Vol. VI, Combridge, 2006, P. 397., Mavis Mate: Op. Cit, P. 373, FF., Patricia Carson: Op. Cit, P. 78.

٣٥) ابن الملك الإنجليزي إدورد الثاني Edward II (١٣٠٧–١٣٢٧) من ايزابيل Isabelle ابنة الملك الفرنسي فيليب الرابع Philippe IV (١٢٨٥–١٣١٤)، ولد نوفمبر ١٣١٣م، واعتلى العرش في يناير ١٣٢٧، تزوج من فيليبا: أف هينوت Philippa of Hainault ابنة وليم كونت هينوت في يناير ١٣٢٨، وأنجب منها أكبر أبنائه أدوارد أف ودستوك Edward of Woodstock ومن أبنائه ليونيل أف لارينس Leonel of Larence، وحنا: أف جنت John of Gaunt الذي ولد في الفلاندر، وادموند اف لانجلي Edmond of Langley، وتوماس أف ودستوك Thomas of Wood Stock، وكان لإدورد الثالث دور كبير ومؤثر على الساحة السياسية في تلك الفترة، إلى أن توفي في يونية ١٣٧٧م.

- John Levis: The History of The life And Suffering of Reverend And Learned John Wicliffe, London, 1720, P. 235., Hartmilan. D. D: Hisotry of Latin Christianity, London, Vol. 111, London, 1872, P. 151., Masselion. J: EX Altera Chronici. Rotomagensis, In. R. H. G.F, T. XXIII, Paris, 1894, pp. 351, 352., Vita Edwardi Secondi, TR. By. Wendy. R. Childs, Oxford, 2005, P. XIX., Annales Lodonienses And Annales pavilini: Chronicles of Regins of Edward I And Edward II, Vol. 1, In. Stubbs. W. Historical Introduction To The Rolls series, Ed. By. Arthur Hassal. M. A., London, Newyork & Bombay, 1902, P. 503., Edgard Bouatric: Op. Cit, P. 24., Janos. M. Bak: Conoations Medieval And Early=

=Monarchic Ritual, California, 1990, P. 210, Bradbury. J: The Routledge Companion To Medieval Warfare, London & Newyork, P. 32., Emmerson. R.K: Key Figures In Medieval Europe, An Encyclopedia, New York And London, 2006, P. 191.

36) Austin.O.G.G: Asource Book of Medieval History, New York, Cincinnati, Chicago, 1907, P. 419., Dana. C. Munro & Raymond. J. Sontag: The Middle Ages (395-1500). London And New York, 1921, P. 416., Corcdon. C & Ann. Williams: Op. Cit, P. 244., Marten & Carter: Op. Cit, Vol. 2, P. 160.

37) Tierney. B: Sources of Medieval History, Vol. 1, U.S.A, 1999, P. 278.

38) Lucas. H: Edward III And The Poet John Boendale Chronicler, In. Speculum, Vol. 12, No. 3, Jul. 1937, P. 338., Pounds. N: The Medieval City, London, 2005, P. 182., Keen. M: The Chivalry And The Aristocracy, In. New Cambridge Medieval History, Vol. VI, Cambridge, 2006, P. 210., Dana. C. Munro & Raymond. J. Sontag: Op.Cit, P. 416.

39) Lavisse. E. Op.Cit., T. III, Deuxieme Partie, P. 366.

40) Keen. M: England In The Later Middle Ages, London & New York, 2003, P. 91.

41) Charlotte. M. Waters: Economic History of England (1060-1879), London, 1925, pp. 121, 122., Thompson. J.W: History of The Middle Ages (300-1500), Vol. 2, London, 1922, P. 362., Mavis Mate: Op. Cit, pp. 373, FF.

42) Austin. OGG: Op. Cit, P. 421, Seward. D: Op. Cit, pp. 31,32., Marten & Carter: Op. Cit, P. 160., Fraioli. D.A: Op. Cit, P. 17.

43) Stephenson. C: Medieval History, U.S.A., 1987, P. 487., Holmes. G: The Later Middle Ages (1272-1485), New York 1966, P. 119., Julie Sarpy: The Black Death Caused England To Lose The Hundred Years war, California, 2012, P. 13., Mavis Mate: Op. Cit, P. 373FF., Seward. D: Ibid, P. 32., Prevenier. W: Op.=

=Cit, P. 572., Tout. T.F: Op. Cit, P. 332., Kelly De Vries. Op. Cit, P. 144., Fraioli. D.A: Op. Cit, P. 18., Patricia Carson. Op. Cit, P. 78.

44) Lereux. A Op. cit, pp. 96, 97., Coville. A: Histoire De France (1328-1422), Tome Quatrieme Vol. 1, Paris, 1923, P. 37, Clayton. J. Drees: The Late Medieval Age of Crisis And Renewal (1300-1500), Abiographical Dictionary, U.S.A, 2001, P. 138., Kelly De Vries: Calculating profits And Losses During Hundred Years war, In. Lawrin Armstroad, Ivana Elbi, and Martin Elbi: Money, Markets, And Trade In Late Medieval Europe, Leiden, Boston, 2007, P. 189., Tout. T.F: Ibid, P. 334, Holmes. G: Op.Cit, P. 119.

45) Green. J.R: History of The English people, Vol. 2, London, 1895, P. 219., Vickers. K.H: England In The Middle Ages, London, 1913, P. 161., Lan. D. Colvin: The German In England (1066-1598), London, 1915, pp. 57,58., Seward. D: Op. Cit, P. 31.

46) Jones. W: Ecclesiastical History, Vol. 111; London, 1838, P. 478., AV Pevple Francois: Op. Cit, P. 44., Aust in. OG.G: Op. Cit, P 423, FF., Tyerman. C.J: Op. Cit., P. 127, Fryde. E.B: Studies In Medieval Trade And Finance, London, 1983, P. 11., Bryce Lyon: Op. Cit, P. 339., Anne Curry: Op. Cit, P.88.

47) Riddle. J. E: Ecclesiastical Chronology of Annales of The Christian Church; London, 1840, P. 286., Green Wood. T: Apolitical Hisotry of Latine Patriarchate, Vol. XIV, London 1872, PP. 441, 442., Philip Schaff: Hisotry of Christian Church (Middle Ages), Vol. Vl, 1882, P. 50., Tatcher. O: Asource Book of Medieval History, New York, 1905, PP. 281-282, Otis. C.Mitchell: Two Greman Crowns (Monarchy And Empire) In Medieval Germany, U.S.A, 1985, PP. 43, 44., Ormrod. M: England, Edward 11 And Edward III, In. New Cambridge Medieval History, Vol. VI, Cambridge, 2006, P. 279

٤٨) أبحر إدوارد الثالث في سفينته (كريستوفر Christopher) إلى أنتورب في السادس عشر من يوليو، وعقد بها عدة اجتماعات مع حلفائه، ثم اتجه إلى كولون Cologne حيث ذهب إلى أعلى الراين Rhine في=

=كوبلن Coblenz وقابل لويس الرابع (البافاري) حيث عقد تحالفا معه ضد فيليب السادس، فقام لويس بإعطائه عصا من الذهب كرمز على أنه أصبح نائب الإمبراطور الألماني، وفي اليوم التالي تم الاحتفال في كنيسة كاستور Castor ، وأعلن لويس الرابع أنه سوف يساعده ضد فيليب ملك فرنسا لمدة سبع سنوات، ووافقه وأيده البارونات على ذلك، ثم عاد إدوارد الثالث إلى برابانت وكان لقاء إدوارد الثالث مع لويس الرابع ضربه قوية للبابا ولدبلوماسيته.

- Townsend. G: The Acts of John Foxe, Vol.2, London, 1837, P. 687, Pettit, J: Op. Cit, Vol. 2, P. 356., Leroux A. : Op. Cit, P. 201., Hassall. M.A: Germany In The Later Middle Ages (1200-1500), New York, 1908, P. 111., George. R. Keiser: Edward III and The Alleterative Morte Arthur, In. Speculum, Vol. 48., No. I Jan. 1973, U.S.A. 2009 P. 144, Herde.P. From Adolf of Nassau To Lewis of Bavaria (1292-1347), In. New Cambridge Medieval History, Vol. VI, Cambridge 2006 P. 544. Lan. D. Colvin: Op. Cit, pp. 57, 58., Holmes. G: Op. Cit, p. 119, Tout T.F: Op. Cit, P. 334, Seward. D: Op. Cit P. 35.

49) Pettit. J: Ibid, P. 356., Sayles. G: The English Company of 1343 And Amerchants oath, In speculum, Vol. 6, No. 2., Apr. 1931, P. 177, FF., Bryce Lyon: Op. Cit, P. 339., Holmes. G: Ibid, P. 220.

50) Leroux. A: Op. Cit, P. 201., Mckisack. M: The Fourteenth Century (1307-1399), Oxford, 1959, P. 123., Tout. T.F: Op. Cit, P. 336., Seward. D: Op. Cit, P. 35.

51) Green. J.R: Op. Cit, Vol. 2, P. 227., Mckisack. M: Op. Cit, PP. 127,128, Patricia Carson: Op. Cit, P. 79.

52) Hayes. J. H.: History of Europe To 1648, Vol. 1, New York, 1959, P. 343., Kenneth. O.M: The Oxford History of Britain, New York, 1983, P. 200., Patricia Carson: James Van Artevelde, In. Speculum, Vol. 57., October, 1982, P. 27., Prevenier. W: Op. Cit, P. 572., Stephenson. C: Op. Cit, P. 487., Seward. D: Op. Cit, P. 32., Holmes. G: Op. Cit, P. 220.

53) Tout. T.F: Op.Cit, P. 343., Prevenier. W: Ibid, P. 572., Seward D: Ibid, P. 32.

54) Mackay. A & Dictchburn. D: Atlas of Medieval Europe, London And New York, 1997, P. 159., Edward. D. English: Encyclopedia of The Medieval World, U.S.A, 2005, P. 67.

55) Tout. T.F: Op. Cit, P. 342.

56) Kelly De Vries: Medieval Weapons, P. 144., Patricia Carson: The Fair Face, P. 79., Tout. T.F: Ibid, P. 242., Fraioli. D.A: Op. Cit, pp. 94, 95.

٥٧)تطوع عدد من الإيرلات الإنجليز في الذهاب إلى الفلاندر ووصلوا إلى مدينة فالنسيين، وكانوا يعتقدون أن الملك الإنجليزي سيكون سعيداً إذا ما اقنعوا جاك فان ارتفيلد أن يكون بجانبهم، ثم أخذوا يتشاورون في هذا الموضوع، وقال أحدهم " أن هذا العمل لن يتم ويستمر فعلاً دون الرغبة الحقيقية من جاك أرتفيلد، لذلك رحلوا عن مدينة فالنسين ووصلوا إلى الفلاندر، وقسموا أنفسهم إلى مجموعات: الأولى ذهبت إلى بروج، والثانية إلى إيبر، والثالثة إلى جنت، ووصلوا موانئ هذه المدن، وقام السفراء بتوزيع الكثير من الهدايا حتى يبدو أن الذهب والفضة كانت تتساقط من أيديهم، وقدموا الكثير من الوعود والعروض لهم عند مناقشة هذا الموضوع. تقابل بعض السفراء مع الأسقف وبعض خواصه، وقاموا بعمل الكثير من أجل إتمام هذا التحالف، وحصلوا على موافقة أرتفيلد، وموافقة فارس محبوب وله شعبية في مدينة جنت وهوكورترسين Courtrsien وكان قائداً للفرسان، ومعروف عنه بأنه فارس أغضب الملك الفرنسي عليه، لذلك أرسل أمرا إلى كونت الفلاندر بأن يقبض على هذا الفارس، وعندما وصل إلى فرنسا أمر الملك الفرنسي بقطع رأسه، بعد أن تأكد للفرنسيين مساعدة الفلاندر للإنجليز. وعلى ذلك عقد ارتفيلد مع اللوردات سفراء إدوارد إتفاق أقروا فيه امتيازات المدن الجديدة وامتيازات اللوردات في الفلاندر، وهذه الامتيازات كانت بالنيابة عن ملك إنجلترا، واتفقوا فيما بينهم على أن ملك إنجلترا له الحق في دخول الفلاندر. عاد اللوردات إلى فالنسيين، وكثيرا ما كانوا يرسلون الرسائل إلى ملك إنجلترا ليطلعوه على تقدمهم في المباحثات، وعادة ما كان يرسل لهم الذهب والفضة لنفقاتهم.

- Froissart: Op.Cit, pp. 40-42, Keen. M: England, PP. 96, 97., Bryce Lyon: Op. Cit, P. 340., Hayes. J.H: Op. Cit, P. 343.

58) Jean Yanoski: Chroniques Memoires Et Autres Document pour servir A L' Histoire De France Depuis Le Commencement Du Troisieme Siecle Jusqu' ALa Morte De Louis XIV Mise En order, Et Accompagnee De Prefaces Notices, Explications Et Dissertations Historique, In. Bibliotheque De L'Ecole Des=

=Chartes, Tome. Troisieme, Paris, 1857, P. 177., Austis. OGG: Op. Cit, P. 422., Green Wood. T: Op. Cit, Vol. XIV, P. 443., Banville. J : Histoire De France, Paris, 1924, P. 52., Mc Farlane K.B. : England In The Fifteenth Century, Great Britain, 1981, P. 140 FF., Fryde. M.M: The Towns of Northern Europe (Flemish Towns), In The Cambridge Economic History of Europe, Vol. III, Cambridge, 1965, P. 539., Hackett. J: Medieval Europe (814-1360), U.S.A, 2002, P. 223., Whetham. D: Just Wars And Moral Victories, Leiden, Boston, 2009, P. 237.

59) Froissart: Op. Cit, P. 42., Austin. OGG: Op. Cit, P. 422., Hardy. D: Op. Cit, P. 306., Jan Dumolyn & Jelle Haemers. Op. Cit, P. 386.

60) Froissart: Ibid, P. 42., Gardiner. St: English History B. C 55 To AD 1886, London, 1892, P. 84.

61) Froissart: Ibid, P. 42., Tout. T.F: Op. Cit, PP. 345, 346.

62) Froissart: Ibid, P. 43, John France: Mercanaries and Paidmen, Leiden, Boston, 2008, P. 50., Tout. T.F: Ibid, pp. 345, 346.

63) Froissart: Ibid, PP. 43, 44.

64) Gillingham. J & Griffiths. A: Medieval Britain, Oxford, 2000, P. 89., Kaeuper. W: Chivalry Violence In Medieval Europe, Oxford, 1999, P. 176.

٦٥) بعد وفاة الملك الفرنسي فيليب الرابع حكم أبنائه الثلاثة كما ذكرت من قبل، وكان الثالث هو شارل الرابع Charles IV (١٣٢٢-١٣٢٨)، وبعد وفاة شارل الرابع، تطلعت إيزابيل Isabelle ابنة فيليب وشقيقة شارل إلى عرش فرنسا بعد أن توفي شارل دون وريث، وعندما تولى فيليب السادس فالوا Valois العرش لم يهتم أحد باحتجاجات إيزابيل وابنها إدوارد الثالث الذي كان في السادسة عشر من عمره آنذاك. ومن الملاحظ أن الفلمنكيين كانوا يؤيدون إيزابيل في احتجاجاتها ضد فرنسا.

- M.E. De Erevitte: Des Grandes Campagnies Au Quatorzieme Siecle. In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. V, Paris, 1843, 1844, P. 233., Anne. D. Hedeman: The Royal Image Illustrations of Grandes Chronique De France (1274-1422), Oxford, Berkeley, Los Angles, 1990, P. 51., Lucas. H: Edward III And The Poet, P. 368., Griffithus. R: The Island of England In The=

=Fifteenth Century, Perceptions of the peoples of British Isles, In Journal of Midieval History, Vol. 29., 2003, P. 183, Barell. A. D: Medieval Scotland, Cambridge, 2003, P. 128, Beem. C: Royal Minorities of Medieval And Early Modern England, U.S.A, 2008, P. 71, FF.

٦٦)ذكر إدوارد الثالث في هذا البيان " لما كانت مملكة فرنسا قد آلت إلينا بالوراثة بالحق والعدل دون أدنى ريب.. وفقاً للتدبير الإلهي المقدس، وعن طريق وفاة شارل الرابع، صاحب الذكرى الطيبة، وملك فرنسا الراحل.. أما الملك فيليب فالوا فقد فرض نفسه بالقوة على المملكة المذكورة آنفاً في الوقت الذي كنا فيه في سن الصبي، وتولى السلطنة الملكية متحديًا الإرادة الإلهية والعدالة، وحتى لا يبدو أننا تقاعسنا في المطالبة بحقنا، أو نبدو غير راغبين في وضع مشيئتنا وفقاً للمشيئة الإلهية، لذلك كان علينا أن نطالب بحقنا في المملكة المذكورة، آنفاً في صيغة قانونية، واثقين من تأييد مملكة السماء لنا، ومن ثم أخذنا على عاتقنا تولى السلطة في فرنسا وفقاً لما يمليه الواجب علينا.

- John De Patourel: Edward And The King of France, 1959, P. 176., Julie Sarpy: Op. Cit, P. 14.

67) Ramsay. J: The Reigns of Edward II, Edward III, And Richard II, In. The English Historical Review, Vol. 30, No. 117, Jan, 1915, P. 132.

68) Townsend. G: Op. Cit, Vol. 2, P. 681., Hardy. D: Op. Cit, P. 313., Gravett. C: Medieval Knight, Oxford, 2002, P. 13., Seward. D: Op. Cit, P. 33, John De Patourel : Op. Cit, PP. 179, 180., Mckisack. M: Op. Cit, P. 128.

69) Austin. OGG: Op. Cit, P. 425., Michael. A. Michael: A Manuscript Wedding Gift From Philippa of Hainault To Edward III, The Burligton Magazine, Vol. 127, No. 990, Sep, 1985, P. 586., Cartier. N: Lost Chronicle, In. Speculum, Vol. 36, No. 3, Jul, 1961, P. 431., ormrod.M: The Personal Religion of Edward III, In. Speculum, Vol. 64, No. 4, Oct, 1989, P. 850, Allmand. C: War, Government And Power In Late Medieval France, Great Britain, 2000, P. 75., Sofia Menache: Chronicles And Historiography, In Journal of Medieval History, Vol. 32, 2006, P. 341.

70) Gardiner. St: Op. Cit, P. 84., Craig. L. Lambert: Edward III of Medieval History, In Journal of Medieval History, 17 October, 2013, P. 247., Fryde. E.B: OP.Cit, P. 11., Denys Hay: Op. Cit, P. 135., Holmes. G: Op. Cit, P. 220., Sayles. G: Op. Cit, P. 177, FF.

٧١) في صيف ١٣٤٠، بذل أرتفيلد جهودًا كبيرة مع مدن بروج وجنت لإرسال جيش ضخم ليكون في خدمة الملك إدوارد الثالث، وقدر جيش بروج بحوالي (٨٢٨٠) جندي، وأرسلت جنت حوالي (٥١٥٥) جندي. كان الأسطول الفرنسي قد رسا عند مصب نهر زوين Zwin والذي تقع مدينة سلوى عند مصبه. وكان هذا الأسطول تحت قيادة كيريه Quieret، وبيوشيه Behuchet ومجموعة من السفن الكبيرة تحت قيادة باربفير Barbevaire من جنوة. وكانت مهمة هذا الأسطول حماية السواحل ضد أي غزو، وتأمين الطريق إلى الفلاندر وعندما أدرك باربفير الخطر المحدق بالسفن الفرنسية من جراء وجودها متراصة في مساحة ضيقة ومحدودة، قام باربفير بترك السفن الفرنسية وعاد إلى جنوة. أما السفن الإنجليزية، فكانت منظمة، بحيث تكون السفن الكبيرة في المقدمة وهي مزودة بالسهام، وبين كل سفينتين جعل إدوارد الثالث سفينة واحدة بها فرسان مقاتلين. وبعد أن صارت الرياح والمد والجزر في صالح الإنجليز، وبعد أن صارت الشمس في وجه أعدائهم، هاجم الإنجليزي بقيادة روبرت أف مورلي Robert of Morley وحققوا نصراً كبيرًا على الفرنسيين بمساعدة جنود وقراصنة الفلاندر.

- Frosisart: Op. Cit, PP. 60-63., Hardy, D: Op. Cit, Vol. 1, P. 316, Austin OGG: Op. Cit, P. 424, FF., Kepler. J. S: The Effects of Battle of Sluys upon The Adminstration of English Naval Impressment (1340-1343), In Speculum, Vol. 48, No. 1, Jan, 1973, P. 70, FF., Hooper. N. & Benneth. M: Cambridge Illustrated Atlas Warfare (The Middle Ages 768-1487), Cambridge, 1996, P. 116., Clifford. J. Rogers: The Practice of War. In. Edward. D. English & Carol Lansing: Acompanion To The Medieval World, P. 436., Birdsall. V: Endish History, New York, 1957, P. 78., Jean. J. Lepage: Medieval Armies And Weapons In Western Europe, U.S.A, 2005, P. 224., Verbruggen. J. F: Op. Cit, P. 167., Banville. J: Op. Cit, P. 52., Julie Sarpy: Op. Cit., P. 15., Hackett. J: Op. Cit, P. 223.

٧٢) تقع في إقليم كاليه Calais شمال فرنسا ، وتم أنشاؤها في العصر الميروفنجي.

- Rosemary A: Saint Omer, Medieval France, An Encyclopedia, New York & London, 1995, P. 845.

73) Froissart: Op. Cit, PP. 68, 69, Baldwin. J: The Kings Council From Edward I To Edward III, In. The English Historical Review, Vol. 23, No. 89, Jan, 1908, P. 7., Roy. M. Haines. The Church And Politics In Fourteenth- Century, England (1275-1345), London & Newyork, 1978, P. 192., Bothwell. J. S: Edward III And The English Peerage, Great Britain, 2004, P. 21., Coville. A: Op. Cit, Tome. Quatrieme, Vol. I, P. 47, Clifford. J: The Practice, P. 436., Hooper. N And Benneth. M: Op. Cit, P. 110., Julie sarpy. Op. Cit, P. 17., Verbruggen. J. F: Op. Cit, P. 167., Seward. D.: P. 47.

74) T. Dunbar Ingram. L.L. D: England & Rome From The Norman Conquest To The Revolutions of 1688, London, 1892, P. 91., Townsend. G: Op. Cit, Vol. 2, P. 686., Ramsay. J. H: Genisis of Lancaster or, The Three Reigns of Edward II, Edward III And Richard II (1307-1399), Vol. I, Oxford, 1913, P. 285., Vickers. K. H: Op. Cit, P. 170., Mckisack. M: Op. Cit, PP. 129,130., Holmes. G: Op. Cit, P. 220., Tout. T.F: Op. Cit, P. 348.

75) Maryanne Kowaleski: Warfare, Shipping, And Crown Patronage, In. Lawrin Armstroad, Ivana Elbi & Martin Elbi: Money, Markets, And Trade In Late Medieval Europe, Leiden, Boston, 2007, P. 253., Kelly De Vries: Calculating, P. 189., Keen. M: England, P. 91, FF.

٧٦) أدى زواج إليانور دي اكويتين Eleanor D' Aquitaine من الملك الإنجليزي هنري الثاني Henry II (١١٥٤-١١٨٩) إلى جعل الجانب الغربي من المملكة الفرنسية بما فيه جاسكوني بأكمله في قبضة هنري الثاني، مما أسفر عن وضع مضطرب تطلب إعواماً طويلة من الحروب الطاحنة ، خاصة وأن ملوك إنجلترا وضعوا نظاما إدارايًّا محكمًا في جاسكوني يعمل على زيادة ارتباطها بحكام إنجلترا.

- Scott. W: Scotland, Vol. I, Philadelphia, 1830, P. 149.,

زينب عبد المجيد: إليانور دوقة اكوتين (١١٢٢-١٢٠٤)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٩، ص ١٠١.

77) Moeller. W: History of The Christian Church In The Middle Ages, London, 1893, P. 491., Robin Fram: Ireland, In. New Cambridge Medieval History, Vol. VI, Cambridge, 2006, P. 381., Ormrode. M: England, P. 282., Gravett. C: Op. Cit, P. 13., Craig. L. Lambert T: Op.Cit., P. 247., Mckisack M: Op. Cit, P. 130., Sayles. G: OP. Cit, P. 177, FF.

78) Clifford Rogers: The Age of Hundred years war, P. 149.

79) John Aberth: Crime And Justice under Edward III: the Case of Thomas De Lisle, In. The English Historical Review, Vol. 107, No. 423, Apr. 1992, P. 285., Philip Schaff: Op. Cit, Vol. VI, P. 56.

80) Tout. T. F: Op. Cit, P. 348.

81) Nicolas. D: The Artevelde's of Ghent, Leiden, New York, Koln, 1988, PP. 42-44., Patricia Carson: The Fair Face, P. 81.

82) Froissart: Op. Cit, P. 88., Nicholas. D: Artvelde, P. 137., Nicholas. D: The Artevelde's of Ghent, pp. 42-44., Coville. A: Op. Cit, Tome Quatrieme, Vol. 1, P. 55., Hutton. S: Op. Cit, P. 23., Kepler. J. S: Op. Cit, P. 7, FF., Lodge. R: Op.cit, P. 74., Tout. T.F; Op. Cit, P. 348.

83) Froissart. Ibid, P. 88., Thompson. J. W: Op. Cit, Vol. 2, P. 363., Patricia Carson: The Fair face, P. 81., Nicholas. D: Artevelde, P. 137., Nicholas. D. The Arteveldes of Ghent, PP. 42-44.

٨٤) عندما جاء ارتفيلد إلى جنت جاء ليلاً، وعرف العامة بقدومه واجتمعوا في الشارع الذي يمر به، وعندما رأوه بدءوا يعلنون عن تذمرهم ويهتفون ضده، ويذكرونه بأنه تولى القيادة لعدة أعوام في المدينة دون أن يمنحها له الكونت وبأنه أرسل كل ما هو غالي ونفيس إلى إنجلترا سرًا مما جعل العامة في جنت على جمر من نار، وكلما تحرك أرتفيلد وجد هتافات ضده، وكانوا كلما رأوه يدخلون منازلهم ولا يعتبرون له، ولذلك خشى على نفسه، وكان يغلق بوابات ونوافذ منزله بمجرد دخوله، وكانت الشوارع مليئة بصغار النساجين والعمال، فقاموا بمهاجمة منزله من كل الجهات، وعندئذ خرج لهم من النافذة ونعتهم بالأناس الطيبين، وطلب منهم عدم الهتاف ضده، ووعدهم بتحسن الأحوال، فردوا في صوت واحد بأنهم يمتلكون كنوز وثروات الفلاندر التي أرسلها إلى الخارج، دون أي سبب، فرد عليهم بأنه لم يأخذ شيئا، وطلب منهم العودة إلى منازلهم والعودة في اليوم التالي ليحقق لهم مطالبهم صباحًا، ولكنهم رفضوا قائلين "**بأنهم يعرفون الحقيقة، وبأنه أرسل كنوز ونفائس الفلاندر إلى إنجلترا دون علمهم ولذلك يجب أن يموت**". طلب ارتفيلد منهم فرصة للدفاع عن نفسه، وبأنهم سوف يقتلونه دون أي سبب، وذكرهم بالأيام الماضية وبفضله عليهم وما فعله من أجل الفلاندر، وأنهم من المفروض أن يمنحوه مكافأة من أجل ما قام به من أجل الفلاندر في الماضي، وبأنه أنعش التجارة وحكمهم بسلام، وأعطاهم كل ما يتمنوه أثناء فترة حكمه، ولكنهم لم يعيروه أي اهتمام؛ فأغلق النافذة وحاول الهروب من الباب الخلفي لمنزله الملاصق للكنيسة المجاورة، ولكن منزله تهدم ودخله حوالي أربعمائة شخص أخذوه وذبحوه بدون رحمة.

- Froissart: Ibid, PP. 82-, 89.

85) Patricia Carson: James Van Artevelde, P. 270., Fraioli. D. A: Op. Cit, P. 95., Prevenier W: Op. Cit, P. 575., Edward. D. English: Op. Cit., P. 67., Nicholds. D: Artevelde, P. 137.

86) Froissart: Op. Cit, P. 89.

87) The Chronicles of Enguerrand De Mons Trelet, TR. By. Thomas ESQ., London, 1810, P. 8., Mckisack.M: Op. Cit, P. 132.

88) Charles. L.H: Coulson: Castles In Medieval Society, Oxford, 2003., P. 264., Patricia. Carson: OP. Cit, The Fair Face, P. 81., Mckisack. M: Ibid, P. 132.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1) Andre Duchesne: Chronique Des Comtes D'Eu (1130-1390), In. R.H. G.F. T. XXIII, Paris, 1894.
2) Annales Lodonienses And Annales Pavilini Chronicles of Reigns of Edward I And Edward II Vol. 1, In. Stubbs. W. Historical Introduction To The Rolls Series Ed. By. Arthur Hassal. M.A, London, New York & Bobmay, 1902.
3) Anne. D. Hedeman: The Royal Image Illustrations of Grandes Chronique De France (1274-1422), Oxford, Berkeley, Los Angles, 1990.
4) Anonymous: Anonymi Rhenani, IN R.H.C. Hist Occ, Tome. Cinquieme, Second Parti, 1895.
5) Austin. OGG: Asource Book of Medieval History, New York, Cincinnati, Chicago, 1907.
6) AV. Peveple Francois: La Legende Des Flamens, Chronique A Bregee, Paris, 1558.
7) Cartier. N: Lost Chronicle, In: Speculum, Vol. 36, No. 3, Jul, 1961.
8) Cashard. N: Documents Concernate L' Histoire De La Belgrque, Qui Sont Conserves Dans. Les Archives De L' Ancienne Champre Des Comptes Das Flandre A Lille, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. V, Paris, 1843, 1844.
9) Chronicles of The Crusades, Being Contemporary Narratives of The Crusade of Richard of Coeur De Lion, By, Richard of Divizes And Geoffrey De Visauf, And of The Crusade of Saint Louis, By. Lord John De Joinville, London, 1848.
10) Edgard Bouatric: Les Premiere Etats Generaux (1302-1314), In Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Premiere, 1860.
11) Eugene Welvert: Philippe Le Bel Et La Maison De Luxmbourg, In. Bibliotheque De L' Ecole Des Chartes, Vol. XLV, Paris, 1884.
12) Ex. Anonyme Regum Franciae Chronico, In. R.H. G.F, T.XXII, Paris, 1878.
13) Froissart: The Chronicle of Froissart, TR.By. John Bourchier, London, 1930.
14) Gardiner. St: English History B.C. 55, To AD. 1886, London, 1892.

15) Gilbert of Mons: Chronicle of Hainault, TR. By. Laura Narpon, Great Britain, 2005.
16) Green. J. R: History of The English people, Vol. 2, London 1895.
17) Green Wood. T.: Apolitical History of Latine Patriarchate, Vol. XIV, London, 1872.
18) Hardy. T.D: Sylabus of Documents Relating To England And Other kingdoms, Vol. 1, London, 1869.
19) Hartmilan. D.D: History of Latin Christianity, Vol. III, London, 1872.
20) Hughes. P: History of The Church, Part 3.
21) Jean Du Vignay: Chronique De Primate, In. R.H. G.F., T.XXIII, Paris, 1894.
22) Jean Yanoski: Chroniques Memoires Et Autres Documents pour Servir AL' Histoire De France Depuis Le Commencement Du Troisieme Siecle Jusqu' Ala Morte De Louis XIV Mise En ordre, Et Accompagnee De Prefaces Notices, Explications Et Dissertation Historique, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Troisieme, Paris, 1857.
23) John Levis: The History of The Life And Suffering of Reverend and Learned John Wicliffe, London, 1720.
24) Jones. W: Ecclesiastical History, Vol. III, London, 1838.
25) Leon Lacabane. M: Recherches Sur Les Auteurs Des Grandes Chroniques De France, Dites De Saint Denys, In Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Deuxieme, paris, 1810.
26) Leroux. A: Recherches Critique Sur Les Relations politriques De La France Avec L'II emagne De (1292-1378), Paris, 1882.
27) Lucas. H: Edward III And The Poet John Boendale Chronicle, In. Speculum, Vol. 12., No. 3, Jul. 1937.
28) Masselino. J: Ex Altera Chronico Rotomagensis, In. R.H. G.F, T.XXIII, Paris, 1894.

29) M. Champollion- Figeac: Letters De Reines Autres Porsonnages Des Cours De France Et D'Angleterii Depuis Louis VII Jusque A Henry IV, Tome. II, Paris, 1847.
30) M. De Saint- Genois: Invantaire Analytique Des Chartes Des Comtes De Flandre, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. Troisieme, Paris, 1846.
31) M.E.De Erevitte: Des Grandes Campagnies Au Quatorzieme Siecle, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Tome. V, Paris, 1843.
32) Michelet. J: Histoire De France, Tome. IV, Paris, 1861.
33) Moeller. W: History of The Christian Church In The Middle Ages, London, 1893.
34) M. Pardessus: De La Juridiction Exerces Par La Cour Feodale Du Roi Sur Les Grands Vassaux De La Couronne Pendent Les Onzieme Et Treizieme Siecles, In. Bibliotheque DeL' Ecole Des Chartes, Tome. Quatrieme, Paris, 1847.
35) Oman. C: The Art of war In The Middle Ages, Oxford & London, 1885.
36) Pettit. J: Hisotry of Great Britain, London, 1794.
37) Philip Schaff: History of Christian Church (Middle Ages), Vol. VI, 1882.
38) Pierre De Langtoft: The Chronicle of Pierre De Langtoft, Vol. 11, London, 1866.
39) Riddle. J. E: Ecclesiastical Chronology of Annales of The Christian Church, London, 1840.
40) Scott. W: Scotland, Vol. 1, Philadelphia, 1830.
41) Stevenson. J: Selection of Papers Illustrative of The History of Sir. William Wallace, Durham, 1841.
42) Tacher. O: Asource Book of Medieval History, New York, 1905.
43) T. Dunbar Ingram. L.L. D: England & Rome from the Norman Conquest to The Revolutions of 1688, London, 1892.
44) The Chronicle of Enguerrand De Mons Trelet, TR.By. Thomas ESQ; London, 1810.
45) Tierney. B: Sources of Medieval History, Vol. 1, U.S.A, 1999.
46) Townsend G: The Acts of John Foxe, Vol. 2, London, 1837.
47) Vita Edwardi Secondi, TR. By. Wendy. R. Childs, Oxford, 2005.

48) Walsingham. T: The Chronica Maiora of Thomas Walsingham, TR. By. David Breest, Great Britain, 2005.
49) Wanters (Alph): Libertes Communales Essai sur Leur origine Et leur Premiers Developments En Belgique, In. Bibliotheque De L'Ecole Des Chartes, Vol. XXXIX, Paris, 1878.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

1- ADoumie.V: Histoire Geographie, Paris, 2007.
2- Allmand. C: War, Government And power In Later Medieval France, Great Britain, 2000.
3- Anne Curry: Medieval Warfare, England And Her Netherlands Continental Nightbours, Eleventh To The Fourteenth- Centuries, In. Journal of Medieval History, Vol. 24, 1998.
4- Augasto Vasina: Medieval European Historiography In western Europe (1100-1500), Leiden, Boston, 2003.
5- Bachrach. D: The Organization of Military Religion in The Armies of King Edward I of England (1272-1307), In Journal of Medieval History, Vol. 29, 2003.
6- Baldwin. J: The Kings Council From Edward I To Edward III, In The English Historical Review, Vd. 23, No. 89, Jan, 1908.
7- Banville. J: Histoire De France, Paris, 1924.
8- Barraclough. G: The origins of Modern Germany, Oxford, 1947.
9- Beem. C: Royal Minorities of Matieval And Early Modern England, U.S.A, 2008.
10- Birdsall. V: English History, New York, 1957.
11- Black. J. G: Edward I And Gascony In 1300, In. English Historical Review, Vol. 17, July, 1902.
12- Bloch. M: La Societe Feodale, La Formation Des Licne De Dependance Les Classes Et Le Government De Homes, Paris, 1988.
13- Bothwell. J. S: Edward III And The English peerage, Great Britain, 2004.
14- Bradbury. J: The Medieval Archer, Great Britain, 1985.

15- The Routledge Companion To Medieval Warfare, London & New York.
16- Britnell. R: Trade and Industry, In. Rigby S.H: Acompanion to Britain In The Later Middle Ages, United Kingdom, 2003.
17- Bryce Lyon: What were The Expenses of The king Edward I And Edward III When Absent From Their Realm, In. Journal of Medieval History, Vol 29, 2003.
18- Buckely. A.B: History of England, London, 1916.
19- Burns. W: A Brief History of Great Britain, U.S.A, 2010.
20- Charles. L. H. Coulson: Castles in Medieval Society, oxford, 2003.
21- Charlott. M. Water: Economic History of England (1060-1870), London, 1925.
22- Christine. M. Newman: Economy And Society In North Eastern Market Towns In The Later Middle Age, In. Christian. D. Liddy: North- East England In The Later Middle Ages, United Kingdom.
23- Clayton. J. Drees: The Late Medieval Age of Crisis And Renewal (300-1500), A Biographical Dictionary, U.S.A, 2001.
24- Clifford. J. Rogers: The Age of Hundred Years war, In. Keen. M: Medieval warfare, Oxford, 1999.
25- ----------The practice of ware, In. Edward. D. English & Carol Lansing: A companion to the Medieval world.
26- Corcdon. C & Ann Williams: Dictionary of Medieval Terms And Phrases, Great Britain, 2004.
27- Coville. A: Histoire De France (1328-1422), Tome Quatrieme, Vol. 1, Paris, 1923.
28- Craig. L. Lambert: Edward III of Medieval History, In. Journal of Medieval History, 17 October, 2013.
29- Dana. C. Munro & Roymond. J. Santag: The Middle Ages (395-1500), London And New York, 1921.
30- Denys Hay: Europe In Fourteenth And Fifteenth Centuries, London & New York, 1989.

31- Derry. T.K: And Others: Great Britain, Its History From Earliest Times To The present Day, 1962.
32- Eartman. T. Birth of The Leviathan Building States And Regimes In Medieval And Early Modern Europe, Cambridge, 1997.
33- Edward. D. English: Encyclopedia of Medieval world, U.S.A, 2005.
34- Emmerson. R.K: Key Figures In Medieval Europe, And Ency Clopedia, New York And London, 2006.
35- Evans. R.J. W & Guy. P. Marchal: The Uses of The middle Ages In Modern European state, New York, 2011.
36- Farmers. S: Biffes, Tiretaines And Aumoniers: The Role of Pairs In The International Textile Markets of Thirteenth And Fourteenth Centuries In Robin Netherton: Medieval Cloth & Textiles, Vol. 2, Great Britain, 2006.
37- Favier. J: Dictionnaire De La France, 1993.
38- Fraili. D.A: Joan of Arc And The Hundred years war, London, 2005.
39- Fraioli. E.B: Studies in Medieval Trade And Finance, London, 1983.
40- Fryde. M.M: The Towns of Northern Europe (Flemish Towns), In. The Cambridge Economic History of Europe, Vol. 111, Cambridge, 1965.
41- Galvin. M: Credit And Parochial Charity In Fifteenth Century (Bruges) International of Medieval History, Vol. 28, 2002.
42- George. R. Keiser: Edward III And The Alleterative Morte Arthur, In Speculum, Vol. 48, No. 1, Jan, 1973.
43- Gillingham. J. & Griffiths.A: Medieval Britain, Oxford, 2000.
44- Gorden. C: Dictionary of Medieval Terms And phrases, Cambridge, 2004.
45- Gravett. C: Medieval Knight, Oxford, 2002.
46- Griffithus. S.R: The Island of England In The Fifteenth Century perceptions of The people of British Isles, In. Journal of Medieval History, Cambridge, 2003.
47- Hackett. J: Medieval Europe (814-1360), U.S.A, 2002.
48- Hallam. E: Capetian France (987-1328), London & New York.

49- Halphen. L: France In The Eleventh Century, In Cambridge Medieval History, Vol. 111, New York, 1932.
50- Hanawalt. B.A: The Middle Ages, Oxford & New York, 1998.
51- Hassal. M. A: Germany In The Later Middle Ages (1200-1500), New York, 1908.
52- Haverkamp. A & Vollrath. H: England And Germany, London & Oxford, 1996.
53- Hayes. J. H: History of Europe To 1648, Vol. L, New York, 1959.
54- Herde. P: From Adolf of Nassau To Lewis of Bavaria (1292-1347), In New Cambridge Medieval History, Vol. VI, Cambridge, 2006.
55- Holmes. G: The Later Middle Ages (1272-1485), New York, 1966.
56- Hooper. N & Beneth. M: Cambridge Illustrated Atlas warfare (The Middle ages) 768-1487, Cambridge, 1996.
57- Hutton. S: Women And Economic Activities in Later Medieval Ghent, U.S.A, 2011.
58- James. P. Masschaele: Economic Take off And The Rise of Markets, In. Carol. Lansing & Edward. D. English: Acompaion To The Medieval world, U.S.A.
59- Jan Dumolyn & Jelle Haemers: pattern of Rebellion In. Medieval Flanders, In. Journal of Medieval Hisotry, Vol. 31, 2005.
60- Jaques Le Goff: Medieval Cvilization (1400-1500), TR. By. Julia Barrow, Oxford & Cambridge, 1988-1989.
61- Jean. J. Lepage: Medieval Armies And Weapons In western Europe, U.S.A, 2005.
62- Jessica Dijkman: Shaping Medieval markets, Leiden, Boston, 2011.
63- John Aberth: Crime And Justice under Edward III: The Close of Thomas De Lisle In. The English Historical Review, Vol. 107, No. 423, Apr. 1992.
64- John De Patourel: Edward And The King of France, 1959.
65- John France: Mercenaries And Paidmen, Ledien, Boston, 2008.
66- Johnsten. M. A: England (Edward I And Edward II), In. Cambridge Medieval History, Vol. VII, Cambridge, 1968.

67- Jonas. M. Bak: Conoation Medieval And Early Monarchic Ritual, California, 1990.
68- Jones. M: The Last Capetian And Early Valois Kings (1314-1364), IN, New Cambridge, Medieval History, Vol. VI, Cambridge, 2006.
69- Jordan: W.C: Bruges, The Middle Ages, An Encyclopedia, Vol. 1, New York, 1996.
70- ----------Flandre, Middle Ages, An Encyclopedia, Vol. 2, U.S.A, 1966.
71- Jotischky. A: The Penjuin Historical Atlas of The Medieval World, London, 2005.
72- Julie Sarpy: The Black Death Perhaps Caused England To Lose The Hundred Years war, California, 2012.
73- Kaeuper. W: Chivalry Violence In Medieval Europe, Oxford, 1999.
74- Keen. M: England in The Later Middle Ages, London & New York, 2003.
75- ----------The Chivalry And Aristocracy In New Cambridge Medieval History, Vol. VI, Cambridge, 2006.
76- Kelly De Vries: Calculating Profits And Loses During Hundred Years war, In. Lawrin Armstroad, Ivana Elbi & Martin Elbi: Money, Markets And Trade In Late Medieval Europe, Leiden, Boston, 2007.
77- Kelly De Vries & Robert. D. Smith: Medieval Weapons, Santa Barbara, Denever, Oxford, 2007.
78- Kenneth. O.M: The Oxford History of Britain, New York, 1983.
79- Kepler. J. S: The Effects of Battle of Sluys upon The Adminstration of English Naval Impressment (1340-1343), In. Speculum, Vol. 48, No. 1, Jan, 1973.
80- Lan. D. Colvin: The German In England (1066-1598), London, 1915.
81- Laurentiu Radavan: At Europes Border (Medieval Towns) In. Romanian Principalities, Vo. 7, TR By. Valentin Cirdes, Boston, 2010.
82- Lavisse. E: Histoire De France (Saint Louis, Philippe Le Bel, Les Dernieres Capetien Directs (1226-1328), Par. Ch. V.Langlois, T.III, Deuxieme Partie, Paris, 1911.

83- Lodge. R: The Close of The Middle Age, 1272-1294, London, 1924.
84- Lucas. H: Diplomatic Relation of Edward I And Albert of Austria, In. Speculum, Vol. 9, No. 2, Apr, 1934.
85- ----------Medieval Economic Relation Between Flanders And Greenland, In. Speculum, Vol. 12, No. 2, Apr, 1937.
86- Lynn.L: Medieval Europe And Its Development And Civilization London, Bombay, Sydney.
87- Makay. A & Dictchbura. D: Atlas of Medieval Europe, London & New York, 1997.
88- Marci Sortor: The Leperleet Affair: The Struggle For Market Position In Late Medieval Flanders, In. Speculum, Vol. 73, No. 4, Oct, 1988.
89- Marla Marrison. M: The Role of Ritual And Acermonial In The Reign of Edward I Texas, 2012.
90- Marten & Carter: The Middle Ages, Vol. 2, Oxford, 1926.
91- Maryanne Kowaleski: Warfare shpping And Crown Patronage, In Lawrin Armstroad, Ivana Elbi & Martin Elbi: Money, Markets, And Trade In Late Medieval Europe, In. New Cambridge Medieval History, Vol. VI, Cambridge, 2006.
92- Mavis Mate: The Impact of war on The Economy of Canterbury Cathedral Priory (1294-1340), In. Speculum, Vol. 57, No. 4, Oct, 1982.
93- Mcfarlane. K.B: England in The Fifteenth Century, Great Britain, 1981.
94- Michael A. Michael: Amanuscript Wedding Gift From Philippe of Hainault To Edward III, The Burligton Magazine, Vol. 127, No. 990, Sep. 1985.
95- Moore.J: Count Baldwin IX of Flanders, Philip Augustus and The Papal Power, In Speculum, Vol. 37, No. 1, Jan, 1962.
96- Nicholson. H: Medieval Warfare (300-1500), China, 2004.
97- Nicolas. D: Artevelde, Medieval france, An Encyclopedia, New York And London, 1995.
98- ----------The Artevelde's of Ghent, Leiden, New York, Koln, 1988.

99- Ormrod. M: England, Edward II And Edward III, In New Cambridge Medieval History, Vol. VI, Cambridge, 2006.

100- ----------The Personal Religion of Edward III, In Speculum, Vol. 64, No. 4, at, 1989.

101- Otis. C.Mitchell: Two German Crowns (Monarchy And Empire) In Medieval Germany, U.S.A, 1985.

102- Patricia Carson: James Van Artevelde, In. Speculum, Vol, 57, October, 1982.

103- ----------The Fair Face of Flanders, Ghent, 1969.

104- Pirenne. H: Medieval Cities, Their Origins And The Revival of Trade, Princeton, 1946.

105- Pounds. N: The Medieval City, London, 2005.

106- Prestwich. M: Edward I Armies In Journal of Medieval History, 17 October, 2013.

107- Prevenier. W: The low Countries (1290-1415), In. New Cambridge Medieval History, Vol. VI, Cambridge, 2006.

108- Queller. D: Thirteen- Century Diplomatic Envoys Nuncii and Procurates, In. Speculum, Vol. 35, No. 2, Apr, 1960.

109- Ramsay. J: Genisis of Lancaster or, The Three Reigns of Edward II, Edward III, And Richard 11, (1302-1399), Vol. 1, Oxford, 1913.

110- ----------The Reigns of Edward II, Edward III, And Richard II, In The English Historical Review, Vol. 30, No. 117, Jan. 1915.

111- Robert. S. Lopez: The Commercial of The Middle ages (950-1350) Cambridge, 1976.

112- Robin Fram: Ireland, In New Cambridge Medieval History, Vol. VI, Cambridge, 2006.

113- Robinson. J. H; An Introduction to The History of Western Europe, London, 1962.

114- Rosemary. A: Saint Omer, Medieval France, An Encyclopedia, New York, London, 1995.

115- Roy. M. Haines: The Church And Politics In Fourteenth Century, England (1275-1345), London & New York, 1978.

116- Ruch. A.Johnston: All Things Medieval, An Encyclopedia of Medieval World, California, Colorado, Oxford, 2011.

117- Sayers. W: Naval Tactics of The Battle of ZieriKzee In The light of Mediterranean Praxis, In. Clifford. J: Rogers: The Journal Medieval Military History, Vol. IV, Great Britain, 2005.

118- Sayles. G: English Company of 1343 And A Merchant Oath, In. Speculum, Vol. 6, No. 2, Apr. 1931.

119- Seward. D: The Hundred years war (1337-1453), New York, 1982.

120- Sofia Menache: Chronicles And Historiography In. Journal of Medieval History, Vol. 32, 2006.

121- Spufford. P: Trade In Fourteenth- Century Europe, IN. Cambridge Medieval History, Vol. Vl, Cambridge, 2006.

122- Stabel, P: Guilds In Late Medieval Flanders Myths And Realities of life in An Export- Oriented Environment, In. Journal of Medieval History, Vol. 30, 2004.

123- Stephenson. C: Medieval History, U.S.A , 1987.

124- Strayer. J: Viscounts And Viguiers under Philip The Fair, In. Speculum, Vol. 38, No. 2, Apr, 1963.

125- Streissguth. T: The Green haven Encyclopedia of The Middle Ags, U.S.A., 2003.

126- Sylvester. D. Piracy In Medieval England, Cinque Parts, In. Niallchristie And Maya Yazgi: Bloody Realities, Warfare In The Middle Ages, Leiden, Boston, 2006.

127- Taylor. R.C: French Assemblies And Subsidy, In. Speculum, Vol. 43, No. 2, Apr. 1968.

128- Thompson. J. W: History of The Middle ages (300-1500), Vol. 2, London, 1922.
129- Thorval. J & Others: Les Grandes Etapes De La Civilization Francais, Paris, 1976.
130- Tony- Jaques: Dictionary of Battles And Sieges, 2 Vols, London, 2007.
131- Tout. T.F: The Hisotry of England From The Accession of Henry III To The Death of Edward III (1216-1377), New York & Bombay, 1905.
132- Tyerman. C.J. Philip VI And Recoverge of The Holy land, In The English Historical Review, Vol. 100, No. 394, Jan, 1985.
133- Verbruggen. J. F: The Art of war In Western Europe During The Middle Ages, TR. By. Summer Willard & MRS. R.W. Southern, Great Britain, 1997.
134- Vickers. K.H: England In The Middle Ages, London, 1913.
135- Whetham. D: Just wars And Moral Victories, Leiden, Boston, 2009.

ثالثاً: دوائر المعارف:

1) All Things Medieval, An Encyclopedia of Medieval World, Califormia, Colorado, Oxford, 2011.
2) Encyclopedia of Medieval World, U.S.A., 2005.
3) English Historical Review, Vols. 17, 30, 100, 107.
4) Journal of Medieval History Vols. 24, 29, 30, 31, 32.
5) Journal of Medieval Military, Vol. IV, Great Britain, 2005.
6) Key Figures In Medieval Europe, An Encyclopedia, New York & London, 2006.
7) Medieval France, An Encyclopedia, London & New York, 1995.
8) Middle Ages, An Encyclopedia, Vol. 2, U.S.A, 1966.
9) Speculum, Vols. 6, 9, 12, 36, 37, 38,43, 48, 64, 73.
10) The Greenhaven Encyclopedia of The Middle Ages, U.S.A, 2003.
11) The Burligton Magazine, Vol. 127, 1985.

رابعاً: المراجع العربية والمعربة:

١) أسمت غنيم: شارل دانجو وسياسته في الصقليتين (دراسات في تاريخ أوربا في العصور الوسطى) ، ١٩٩٨.

٢) ديفز هـ.و: أوربا في العصور الوسطى، ت. عبد الحميد حمدي، منشأة المعارف ١٩٥٨.

٣) زينب عبد المجيد : إليانور دوقة اكوتين (١١٢٢-١٢٠٤)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٩.

٤) موريس بيشوب: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤.

٥) هايد. ف: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ت. أحمد رضا محمد رضا، جـ ٤، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٤.

٦) ورن هلستر: أوربا في العصور الوسطى، ت. محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو، ١٩٨٨

بنو المزلّق: أسرة من أعيان دمشق خلال القرن التاسع الهجري

د. إبراهيم محمد حامد سليمان
أستاذ مساعد بكلية دار العلوم–جامعة المنيا
أستاذ مشارك – جامعة أم القرى

ملخص:

تبوأت طبقة التجار مكانة مميزة داخل المجتمعين المصري والشامي في العصر المملوكي. والواقع أن هذا الأمر إنما يعود بالدرجة الأولى إلى الأهمية الكبيرة التي كان يمثلها أفراد تلك الطبقة بالنسبة للسلطة الحاكمة؛ فهم كانوا بمثابة المصدر الرئيس الذي يدر الأموال داخل خزائن هؤلاء السلاطين، وقد ظهرت أهمية تلك الطائفة بصفة خاصة في وقت الأزمات السياسية والاقتصادية داخل الدولة.

ورغم التغيرات التي حدثت خلال حكم سلاطين دولة المماليك البرجية، والتي أدت إلى اختفاء نجم "تجار الكارم"، بصفة خاصة في عهد السلطان الأشرف برسباي، الذي اتخذ العديد من الاجراءات التي مكنته من احتكار تجارة التوابلوغيرها من السلع الأخرى، إلا أن فئة جديدة من التجار ظهرت تحت مسمى "وكلاء السلطان في تجارة التوابل"، وقد حملوا لقب "الخواجكية".

وتعد أسرة "بني المزلق" واحدة من أهم الأسر التجارية التي ظهرت في بلاد الشام، التي كانت تتاجر لحساب السلطة المملوكية. وقد نجح أفراد هذه الأسرة في إقامة شبكة تجارية متشعبة، لم تقتصر على منطقة الشرق الأوسط وبلاد الهند فحسب، وإنما نجحوا في الدخول في علاقات تجارية مميزة مع تجار الغرب الأوربي– وفي مقدمتهم البنادقة– القادمين بسفنهم التجارية إلى السواحل الشامية. هذا الدور التجاري المهم الذي لعبته هذه الأسرة مكنها من تبوأ مكانة كبيرة داخل المجتمع الدمشقي، كما سمح لهم بإقامة علاقات مميزة مع السلاطين المماليك، وبفضل تلك العلاقات نجحوا في شغل عدد من الوظائف المهمة في الدولة؛ مثل نظر الجيش ونظر الجوالي وكتابة السر وقضاء الشافعية.

Banu Muzalliq: an elite family in Damascus during the 9th century AH

The class of merchants occupied a very important place in Mamluk society. In fact, the sultans believed that these merchants were the main source of revenue for the state, especially during times of turbulence and hardship. That's why these sultans favored the rise of merchants and moved closer to them. In addition, the class of great merchants, who were considered among the elite, had a great wealth, thanks to their lucrative trade, which increased their influence and prestige in society, so that they were often on the same rank with the Mamluk princes.

In this context, this study attempts to shed light on one of the most important commercial families that appeared in Damascus in the 9th century AH, known as the "Banu Muzalliq family", by introducing the founder and members of this family. Then, we talk about the important commercial role played by the members of this family, as principal traders of the Mamluk sultans. We reveal, at the same time, the nature of the relations linking Banu Muzalliq with the western merchants present in Damascus during this period. The last part of this study focuses on the fruits that Banu Muzalliq had succeeded in collecting, thanks to the many services they had provided to the Mamluk authorities; they managed to hold many jobs in the Mamluk state, either religious, civil or even military.

تميز المجتمع في العصر المملوكي بكونه مجتمعًا طبقيًّا، بمعنى أنه تألف من عدة طبقات متميزة بعضها عن بعض في خصائصها وصفاتها ومظاهرها، فضلا عن نظرة الدولة لها، ومقدار ما تتمتع به من حقوق أو تلتزم به من واجبات، وهو الأمر الذي انعكس بوضوح على كافة مظاهر الحياة آنذاك. ورغم اختلاف المؤرخين والباحثين في تقسيمات تلك الطبقات وعددها، إلا إن الشيء المتفق عليه هو أن طبقة المماليك العسكرية الحاكمة كانت تأتي- بطبيعة الحال- في المقدمة؛ فقد كانوا هم أصحاب السيادة والنفوذ، ولهم كل الحقوق والامتيازات، كما أنهم- بحكم كونهم غرباء عن هذه البلاد وأهلها- ظلوا يشكلون طبقة منعزلة عن السكان المحليين، الذين- بحسب رؤيتهم- هم أقل منهم درجة، ولا ينبغي أن يشاركوا في أمور الحكم.

وفي المقابل، كان يقبع في مؤخرة السلم الطبقي جمهور من صغار العمال والفلاحين والباعة والسوقة والسَقّائين، وهم من يمكن تسميتهم بالعوام، الذين اكتظت بهم المدن المصرية والشامية في العصر المملوكي. وبصفة عامة، فإن هؤلاء العوام كانوا يعيشون في ضيق وعُسْر، مقارنة بالمماليك، وغيرهم من الطبقات الأخرى المُنَعَّمة. وما بين هاتين الطبقتين المتمايزتين كان تأتي طائفة أخرى من السكان المحليين، نجحت في أن تتبوأ منزلة ومكانة كبيرة لدى السلطات المملوكية في كثير من الأحيان، كما أنها -من ناحية أخرى- وجدت التقدير والاحترام من قبل العامة. هذه الفئة كانت تتشكل من كبار رجال العلم والدين (أهل العمامة)، وكبار التجار[1].

---

[1] سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربي-القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١٥ وما بعدها؛ سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية-القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٣٢٠-٣٢١.

أما فيما يخص طبقة كبار التجار – وهو ما يهمنا في هذا البحث – فقد احتلوا مكانة مميزة لدى سلاطين المماليك، الذين شعروا بأن هؤلاء التجار هم المصدر الأساسي الذي يمد الدولة بالمال، لاسيما في ساعات الحرج والشدة، فعمدوا إلى تقريب التجار منهم، واصطفوا منهم ندماء وجلساء؛ وبذلك تمتعت تلك الطبقة باحترام كبير، ومكانة بارزة في مختلف المدن المملوكية، حتى أنه إذا ما أريد مدح شخص كان يقال أنه "من بيت تجارة ووجاهة". وكانت طبقة كبار التجار – الذين يدخلون تحت مسمى الأعيان[٢] – تمتلك ثروات كبيرة بفضل تجارتهم المربحة؛ وهو الأمر الذي أدى إلى زيادة نفوذهم وهيبتهم داخل المجتمع، بحيث إنهم غالبا ما كانوا يتساوون في المكانة والمنزلة مع الأمراء. ومن المزايا التي منحت لهم آنذاك السماح لهم بحضور الاحتفالات الرسمية، بالإضافة إلى مشاركاتهم في أمور وقضايا الدولة المهمة، هذا فضلا عن تقلدهم لعدد من الوظائف الإدارية، التي لم تكن متاحة لغيرهم من المدنيين [٣].

انطلاقا مما سبق، فإن هذا البحث يأتي كمحاولة لالقاء الضوء على واحدة من أهم الأسر التجارية التي ظهرت في مدينة دمشق خلال القرن التاسع الهجري، والتي عرفت بأسرة "بني المزلق"، وذلك من خلال التعريف بنسب هذه الأسرة ومؤسسها وأهم أفرادها، ثم – في محور آخر – الحديث عن الدور التجاري المهم الذي لعبه أفراد هذه الأسرة، بوصفهم الوكلاء التجاريين الرئيسين لسلاطين المماليك، بالإضافة لذكر طبيعة العلاقات التي ربطت بينهم وبين التجار الغربيين الموجودين بدمشق في تلك الفترة، وذلك اعتمادا على ما ورد من وثائق وخطابات في الأرشيف

---

2 يذكر القلقشندي في أحد المراسيم الصادرة من السلطات المملوكية لكبير التجار شمس الدين محمد بن المزلق أن من الألقاب التي نعت بها ابن المزلق: "عين الأعيان، كبير الخواجكية، سفير الدولة، مؤتمن الملوك والسلاطين". انظر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، مطبعة دار الكتب المصرية–القاهرة، ١٩٢٢م، ١٣/٤٠.

3 سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ٤١–٤٢؛ ايرا لابدوس، مدن إسلامية في عهد المماليك، (نقله إلى العربية) على ماضي، الأهلية للنشر والتوزيع–بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٣٩، ١٩٨.

البندقي. ثم يأتي المحور الأخير متحدثا عن الثمرة التي نجح بنو المزلق في قطفها من وراء الخدمات الكثيرة التي قدموها للسلطة المملوكية؛ فقد نجحوا في تقلد عدد من الوظائف المهمة داخل الدولة، مثل نظر الجيش، ونظر الجوالي، وكتابة السر، وإمارة جدة، وقضاء الشافعية.

١. **نسب الأسرة وأفرادها**:

شمس الدين محمد بن علي بن أبي بكر بن محمد المعروف بابن المزلق: هو كبير التجار الدمشقيين، وإليه تنسب هذه الأسرة. ولد بمدينة حلب، ثم انتقل مع أسرته للإقامة بدمشق، وهي المدينة التي شهدت نشأته، ومنها بدأت تذيع شهرته [٤]. ويرجح النعيمي أن مولده كان عام ٧٥٤هـ/١٣٥٣م، وأن أباه كان يعمل لبانا، "أدركه جماعة وهو يباشر ملبنته عند جامع يلبغا". ولما أصبح شابًّا اشتغل ابن المزلق بالتجارة، وهي التي حقق من ورائها أرباحًا طائلة، حتى أنه أصبح من أكبر أغنياء المدينة [٥].

وقد عرف شمس الدين بصلاحه وأخلاقه الطيبة ومآثره الكثيرة ببلاد الشام؛ فقد قام ببناء عدة خانات[٦] في الطريق ما بين بلاد الشام ومصر، بالقنيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون التجار، وقد بلغت قيمة ما أنفقه على عمارة تلك الخانات ما يزيد على مائة ألف دينار، "وكل هذه الخانات فيها الماء، وجاءت في غاية الحسن، ولم يسبقه أحد من الملوك والخلفاء بمثل ذلك" [٧]. وقد تكفل شمس الدين كذلك بتوفير الطعام للمسافرين ولدوابهم داخل تلك الخانات، التي

---

4 السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل-بيروت، ١٩٩٢م، ٨/١٧٣-١٧٤.

5 النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، (أعد فهارسه) إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٩٠م، ٢/٢٢٣.

6 الخان: لفظ فارسي، دخل إلى العربية في العصر الإسلامي، وهو يعني المنزل الكبير، أو الفندق الذي ينزل فيه التجار، ويعرضون فيه بضائعهم. انظر: مصطفى الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٥٧.

7 النعيمي، المصدر السابق، ٢/٢٢٤.

كانت تشتمل على مسجد، وعدد من المحلات، وإسطبل، هذا بالإضافة إلى حجرات لإقامة المسافرين[٨]. كما أن ابن المزلق قام بإصلاح كثير من الطرقات، وأوصى قبيل وفاته بأن يخصص ثلث ماله كوقف على عمارة الخانات، وأن يوزع جزء منه على الفقراء بمكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق وبيت المقدس [٩].

ومكانة شمس الدين ومنزلته الكبيرة يمكن تلمسها من خلال الكلمات التي يصفه بها النعيمي قائلا: "وكان رحمه الله تعالى رجلا من رجال الدهر، حسن الكلام، له جرأة وإقدام، وجرى له أمور ومخاصمات مع جماعات من الحكام، واسمه مشهور في الممالك كلها، يكاتب ملوك الأطراف ويقضون حوائجه ويهاديهم، وكلمته نافذة عندهم، وكذلك العربان كانوا يراعونه ويحفظون متاجره" [١٠]. كما وصفه ابن اياس بأنه "كان فيه الخير والمعروف"[١١]. وقد توفي شمس الدين في شهر جمادى الأولى سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م، وكان قد تجاوز الثمانين من عمره، وصلي عليه بالجامع الأموي،

---

[8] K. Cytryn-Silverman, The Road Inns (Khans) in Bilad al-Sham, Oxford, 2010, p. 144, 149.

[9] السخاوي، المصدر السابق، ١٧٤/٨؛ السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، الجزء الأول، (تحقيق) نجوى مصطفى كامل، لبيبة إبراهيم مصطفى، (مراجعة) سعيد عاشور، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية-القاهرة، ٢٠٠٢م، ٢٤٣/١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المجلد التاسع، (تحقيق) محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير-بيروت، ١٩٩٣م، ٣٨٣/٩.

[10] النعيمي، المصدر السابق، ٢٢٤/٢.

[11] ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، (تحقيق) محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، ١٩٨٣-١٩٨٤، ٢٤٣/٢.

ودفن بتربته خارج باب الجابية[١٢]. ونظرًا لمكانته وصلاحه، فقد شهد جنازته كثير من الدمشقيين، وكان يتقدمهم نائب المدينة وأعيانها [١٣].

سراج الدين عمر بن محمد: ولد عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م بمدينة دمشق، ونشأ بها "في رفاهية ونعمة"، وقد أتم حفظ القرآن الكريم في صغره. سلك طريق أبيه في الاشتغال بالتجارة، وحقق فيها شهرة كبيرة، حتى أن السخاوي يذكر أنه كان يلقب "بالجناب العالي الخواجكي[١٤]، ملجأ الفقراء والمساكين" [١٥]. كما أن ابن حجر العسقلاني يصفه بأنه "كبير التجار بدمشق" [١٦]. له كثير من أعمال البر والخير؛ من ذلك قيامه بإعادة عمارة أحد العيون داخل مكة في شهر رمضان عام ٨٣٥هـ/١٤٣٢م، وقد أنفق كثيرا من الأموال في هذا الأمر. والواقع أن هذه العين

---

[12] يعد باب الجابية من الأبواب الأصلية القديمة لمدينة دمشق، ويرجع بناؤه إلى العهد الروماني. ويقع هذا الباب من الناحية الغربية لسور المدينة، ويرجح المؤرخون العرب أن تسمية باب الجابية نسبة إلى قرية الجابية، "لأن الخارج إليها يخرج منه لكونه مما يليها". وكان هذا الباب يشتمل على ثلاثة أبواب: الأوسط منها كبير، ومن جانبيه بابان صغيران. كما كانت هناك العديد من الأسواق الممتدة من باب الجابية إلى الباب الشرقي. أنظر: قتيبة الشهابي، أبواب دمشق وأحداثها التاريخية، منشورات وزارة الثقافة–دمشق، ١٩٩٦، ص ٥٢، ١١٤.

[13] السخاوي، الضوء اللامع، ١٧٤/٨؛ السخاوي، التبر المسبوك، ٢٤٣/١.

[14] يذكر القلقشندي أن كلمة "الخواجا" هي من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم، وهو لفظ فارسي ومعناه السيد، و"الخواجكي" بزيادة كاف نسبة إليه للمبالغة، وكانت الكاف في لغتهم تدخل مع ياء النسب. انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ١٣/٦. كما أن لابدوس يشير إلى أن "الخواجا" هو لقب تشريف، يطلق عادة على التجار الذين هم في الخدمة الرسمية، وأنه خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي أصبح لقب "الخواجا" مألوفا أكثر فأكثر في مصر وبلاد الشام، "ودل انتشاره على استيعاب الدولة للعناصر المهمة في طبقة التجار الارستقراطية". انظر: لابدوس، المرجع السابق، ص ٢٠٥، ٢١٤.

[15] السخاوي، الضوء اللامع، ١٢٠/٦.

[16] ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، (تحقيق) حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي–القاهرة، ١٩٧٢م، ٤٧١/٣.

كانت تمثل أهمية كبيرة لأهل مكة في ذلك الوقت؛ وذلك نظرًا لقلة المياه وندرتها داخل البلد الحرام، وهو الأمر الذي أدى إلى ارتفاع أسعارها في الأسواق [١٧]. كما أن عين المياه بالمدينة المنورة لما خربت، وسأل السلطان الظاهر ططر [١٨] في إصلاحها، تصدق سراج الدين بمبلغ خمسمائة دينار لعمارتها [١٩]. وكانت وفاته بمدينة دمشق عام ٨٤١هـ/١٤٣٨م، بسبب الطاعون الذى فشى بالمدينة [٢٠].

شهاب الدين أحمد بن محمد: نشأ بمدينة دمشق، وعندما كبر اشتغل بالتجارة كباقي أفراد أسرته، وأصبح من أعيان التجار بها [٢١]. بيد أن ابن شاهين يذكر أن شهاب الدين "لم يداخل الدولة كأخيه" بدر الدين، ولم يكن لديه رغبة في تولى المناصب [٢٢]. وكان شهاب الدين من أهل الصلاح كوالده شمس الدين؛ له كثير من أعمال البر والصدقات، كما أنه أوقف العديد من المنشآت، منها المطبخ الموجود

---

17 المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، (تحقيق) محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٩٩٧م، ٢٣٥/٧؛ ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ٤٧١/٣.

18 هو سيف الدين أبو سعيد الملك الظاهر ططر، أصله من مماليك الظاهر برقوق، اشتراه بمصر واعتقه واستخدمه. ولما آلت أمور اللطنة إلى الناصر فرج توجه ططر إلى حلب، "ولحق بأهل الشغب والعصيان"، ثم وصل في عهد المؤيد شيخ إلى مقدم ألف فأمير مجلس، ولما مات الملك المؤيد وتولى ابنه المظفر أحمد الحكم أصبح ططر هو المسئول الفعلي عن إدارة امور السلطنة، وتزوج أم المظفر، ثم خلع السلطان الصغير وأعلن نفسه سلطانا على البلاد، وذلك عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م. لكنه ما لبث أن توفي في العام نفسه، ويقال أن أم المظفر قد دست له السم لخلعه ابنها. انظر: الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين–بيروت، ٢٠٠٢م، ٢٦/٣.

19 السخاوي، المصدر السابق، ١٢٠/٦.

20 المصدر نفسه والصفحة نفسها.

21 المصدر نفسه، ١٤٧/٢.

22 ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل في ذيل الدول، (تحقيق) عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية–بيروت، ٢٠٠٢م، ٣٤٠/٦.

بباب البريد[٢٣]، وقد عرف بورعه وعبادته، وصحب عددًا من المشايخ ورجال العلم[٢٤]، واتصف بالسكينة والوقار. وكانت وفاة شهاب الدين في شهر المحرم عام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، وصلي عليه بجامع دمشق، ثم دفن بتربة والده خارج باب الجابية، "وكانت جنازته حافلة، وكثر الثناء عليه" [٢٥].

بدر الدين حسن بن محمد: ولد بمدينة دمشق، ونشأ بها في رعاية أبيه، وكان كثير الأسفار والترحال بسبب التجارة، كما أنه جاور بمكة مرارا [٢٦]. وقد قدم بدر الدين إلى الديار المصرية مرات عديدة؛ وربما كان سبب ذلك هو قربه من السلطة بالقاهرة،

---

[23] باب البريد هو المدخل الغربي لمعبد جوبيتر الدمشقي الواقع بين سوق الحميدية والمسكية. وقد ظل بناء باب البريد الأصلي لهذا المعبد قائما حتى العهد الأيوبي، حينما قام الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد– بحسب بعض الروايات– بنقل حجارته وعمده إلى قلعة دمشق لإعادة بنائها. أما بخصوص الاشتقاق اللغوي للتسمية فإن لفظ "بريدا" بالسريانية يفيد معنى: الرسل والرسائل وخيل البريد، بيد أن الأقرب للصواب فيما يبدو هو أن هذا الاسم مأخوذ من السريانية "بريتا"، وتعني الساحة والعرضة والشارع. أنظر: قتيبة الشهابي، المرجع السابق، ص ٢٣٩، ٢٤٢.

[24] الواقع أنه كانت هناك روابط وثيقة ما بين طبقتي التجار والعلماء في ذلك الوقت، بل إن الأمور كانت مختلطة أحيانا ما بين هاتين الفئتين؛ فالعديد من العلماء قد اتخذوا في بعض الأحيان من التجارة عملا لهم يتكسبون منه، بينما كان العديد من التجارة عبارة عن طلاب علم أو حتى مدرسين وشيوخ أحيانا. وقد أشار لابدوس أنه من خلال دراسة عينة مكونة من ستمائة تاجر في العصر المملوكي، وجد منهم مائتان وخمسة وعشرون عالما، "ليسوا متفقين في التعاليم الدينية فحسب، بل منهم المدرسون الممارسون، والمشايخ، وأعضاء في مدارس الشريعة، وأئمة في المصلين، وواعظون". انظر: لابدوس: المرجع السابق، ص ١٨٤.

[25] السخاوي، المصدر السابق، ١٤٧/٢؛ البصروي، تاريخ البصروي (صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك من سنة ٨٧١هـ لغاية ٩٠٤هـ)، (تحقيق) أكرم العلبي، دار المأمون للتراث–دمشق، ١٩٨٨م، ص ٣٣.

[26] ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، (حققه ووضع حواشيه) نبيل محمد عبد العزيز، مركز تحقيق التراث–القاهرة، ١٩٨٨، ١٢٠/٥؛ السخاوي، المصدر السابق، ١٢٦/٣.

التي عهدت إليه بالعديد من الوظائف الإدارية [٢٧]. ونظرا للمكانة الكبيرة التي كان يتبوأها البدر فقد وصفه السخاوي بأنه كان "رئيسًا وجيهًا" [٢٨]. كما أن ابن شاهين الظاهري يصفه بأنه كان "وجيهًا رئيسًا، أدوبًا حشمًا" [٢٩].

كانت وفاة بدر الدين بدمشق في ذي القعدة من عام ٨٧٨هـ/١٤٧٤م، ودفن بتربة أسرته[٣٠]. وكان له ابنان، هما إبراهيم ومحمد، بيد أن المصادر لا تمدنا بمعلومات كافية عن حياة إبراهيم، باستثناء الحديث عن تقلده لاحدى الوظائف الإدارية لبعض الوقت، كما أن وفاته كانت عام ٨٧٩هـ/١٤٧٥م، أي عقب موت أبيه مباشرة [٣١].

شمس الدين محمد بن بدر الدين حسن: كان مولده بمدينة القدس عام ٨٤٢هـ/٣٨-١٤٣٩م[٣٢]. وقد أصبح شمس الدين بعد ذلك من أعيان وكبراء مدينة دمشق، وكان لديه كثير من الأموال والممتلكات، كما كانت له مزرعة كبيرة، زارها المؤرخ ابن طوق عدة مرات، حيث تناول هناك العديد من أنواع الأطعمة والفواكه[٣٣]. بيد أنه من خلال رواية البصروي يتضح لنا أن شمس الدين لم يكن على نفس القدر والمكانة من البر والخير التي كان عليها والده وأفراد أسرته؛ إذ يذكر عنه هذا المؤرخ

---

27 السخاوي، المصدر السابق، ١٢٦/٣.
28 المصدر نفسه، ١٢٦/٣.
29 ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ٩٤/٧.
30 السخاوي، المصدر السابق، ١٢٦/٣.
31 المصدر نفسه، ٤١/١.
32 نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، (وضع حواشيه) خليل المنصور، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٩٧م، ٣٧/١.
33 ابن طوق، التعليق (مذكرات كتبت بدمشق في أواخر العهد المملوكي ٨٨٥هـ-٩٠٨هـ)، (تحقيق) جعفر المهاجر، مطبوعات المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، ٢٠٠٠م، ٣٥٨/١، ٤٧١.

أنه مع سعة ماله وكثرة ممتلكاته، إلا إنه كان يسيء معاملة أهله ويقتر على أولاده، ولم يعرف عنه حرصه على إخراج زكاة ماله أو التصدق على الفقراء، وإنما كان مشغولا بأموره الدنيوية، "ليس لديه فراغ للكلام مع أحد، لا غيبة ولا غيرها، ولا يتكلم أحد عنه إلا الكلام الضروري" [٣٤].

ويبدو أن الأموال الضخمة التي كان يمتلكها شمس الدين قد جعلته مطمعا للسراق، خاصة مع انعدام الأمن داخل دمشق أواخر العصر المملوكي؛ فيذكر ابن طولون أنه في شوال من عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م قام السراق بمهاجمة دار ابن المزلق، ورغم أنه لم يكن موجودًا بمنزله إلا إن هؤلاء السراق قاموا بالاعتداء على بوابه، وأخذوا صندوقا "فيه أشياء كثيرة وجليلة" [٣٥]. وقد توفي شمس الدين "مقتولا شهيدًا" بمدينة دمشق في التاسع عشر من شهر رجب عام ٩٠٢هـ/١٤٩٧م، ودفن بتربتهم[٣٦]. أما عن سبب وفاته، فيقال إن جواريه قد تواطئوا عليه، واتفقوا مع ثلاثة من مماليك

---

[34] البصروي، المصدر السابق، ص ٢٠٧.

[35] ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، (وضع حواشيه) خليل المنصور، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٩٨م، ص ٢٦.

على أية حال، لم يقتصر أمر السرقة على شمس الدين فحسب، وإنما– بحسب روايات ابن طولون– حالة انعدام الأمن التي سادت المدينة آنذاك جعلت الأغنياء– وبصفة خاصة طبقة كبار التجار– هدفًا لهجمات واعتداءات السراق؛ فعلى سبيل المثال، يذكر لنا هذا المؤرخ أنه في شهر رجب من عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م نزل السراق على سوق التجار الموجود بمنطقة تحت القلعة، وذلك بالرغم من وجود والي المدينة، الذي جرح فرسه. (مفاكهة الخلان، ص ٤٤). كما أنه في شهر صفر من عام ٨٩٠هـ/١٤٨٥م هجم الحرامية على التاجر شمس الدين بن القونصي، وقاموا بذبحه بعدما استولا على أمواله. (المصدر نفسه، ص ٥٧). وفي شهر رجب من عام ٨٩٥هـ/١٤٩٠م هاجم السراق مرة أخرى سوق التجار، وأخذوا أموال التجار تحت تهديد السلاح. (المصدر نفسه، ص ١١٠).

[36] نجم الدين الغزي، المصدر السابق، ١/٣٧.

الحاجب الكبير[٣٧] تمربغا، الذين قاموا بالدخول عليه وقتله، ونهبوا كثيرًا من الأموال، التي اختلف الناس في تقديرها من كثرتها [٣٨].

٢. الشهرة التجارية لبني المزلق:

مع بداية عصر سلاطين المماليك البرجية[٣٩] ظهر لقب ومصطلح تجاري جديد وهو "الخواجكية"، الذي حل محل لقب "الكارمية"[٤٠]، وقد أطلق اللقب الجديد على

---

[37] الحاجب الكبير، ويسمى كذلك حاجب الحجاب، وكان يعبر عنه في ديوان الإنشاء "بأمير حاجب". وعادة من يتولى هذا المنصب الكبير والمهم أن يكون من مقدمي الألوف. والحاجب يقع في الرتبة الثانية من حيث المنزلة والأهمية بعد النائب؛ فإذا ما خرج النائب من دمشق في مهم أو تجريده كان هو نائب الغيبة عنه، وإذا ما أصدرت الأوامر السلطانية من القاهرة بعزل النائب والقبض عليه، كان كذلك الحاجب الكبير هو المسئول عن ذلك الأمر، كما أنه كان يدير أمور النيابة إلى أن يصل النائب الجديد. أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ١٨٥/٤.

[38] ابن طولون، المصدر السابق، ص ١٤١-١٤٢؛ البصروي، المصدر السابق، ص ٢٠٧؛ ابن إياس، المصدر السابق، ٣٥٩/٣.

[39] ينتمي المماليك البرجية (٧٨٤- ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢- ١٥١٧م) إلى العنصر الجركسي الذي كان يعيش في بلاد الكُرْج، وهي المنطقةُ الواقعة شمال أرمينية بين البحر الأسود وبحر الخزر، وتُعرف اليوم بجمهورية جورجيا في منطقة القوقاز. وقد كان عدد الرقيق الجراكسة كثيراً في الأسواقِ خلال النصف الثاني من القرنِ السابع الهجري؛ ويعود هذا الأمر إلى كثرة السَّبي منهم؛ بسبب تعرضهم لهجمات مغول فارس والقبجاق، مما أدى إلى انخفاض أسعارهم، إلى جانب ما يتصفون به من جمال الشكل والقوة والشجاعة. تلك الصفات والمميزات جعلت السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م) يعمد إلى الاستكثار منهم، والاعتماد عليهم، متخلياً عن العناصر التركية والتترية والتركمانية، وهي الأجناس التي كان ينتمي إليها مماليك عصره. وقد قام السلطان قلاوون بإسكان هؤلاء المماليك في أبراجِ القلعة، ولذا عرفوا بالبرجية تمييزًا لهم عن المماليك الأتراك الذين أُسكنوا في قلعة الروضة وعرفوا بالبحرية. أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية-القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٢٥٩-٢٦٠؛ السيد الباز العريني، المماليك، دار النهضة العربية-بيروت، ١٩٦٧، ص ٦٣-٦٤.

[40] ذكرت كلمة الكارم في بعض الوثائق بمعنى التجار، واستخدمت ايضا بمعنى السلع والبضائع التي يتجر فيها اولئك التجار الذين نسبوا إليها فعرفوا بالكارمية. فالكارمية؛ إذ هم فئة التجار الذين كانت بيدهم تجارة البهار الواردة الى مصر من الهند والشرق الأقصى عن طريق ثغور اليمن دون غيرها من الدول. ثم اطلقت=

طبقة التجار الكبار الذين دخلوا في علاقات وطيدة مع السلطة الحاكمة، وكانوا يزودون هذه السلطة بما تحتاجه من أموال، خاصة وأنه مع بدايات التحول إلى العصر الجركسي قد شهدت البلاد نوعًا من الصراعات والحروب الداخلية ما بين الأمراء، وهو الأمر الذي جعل السلطات المملوكية في حاجة ملحة للحصول على الأموال [٤١]. والشيء الجدير بالملاحظة هو أن هؤلاء الخواجكية لم يعودوا يشكلون طبقة لها مصالحها الخاصة المستقلة عن الدولة وسياستها، والتي تستطيع أن تقيم لها شبكة تجارية في مناطق وبلدان خارجية، كما كان الحال مع الكارمية، وإنما ارتبط الخواجكية بالنظام المملوكي، أو بمعنى آخر أصبحوا وكلاء لهؤلاء السلاطين، كما

=الكلمة على جميع من مارس التجارة الشرقية عمومًا والتوابل خصوصًا في مصر. والواقع، أنه ليس هناك اتفاق أو رأي جازم في تفسير اسم "الكارم"، وإنما هناك العديد من الآراء والافتراضات التي دارت حول هذا الأمر؛ فهناك من يرجح قول القلقشندي أنه مأخوذ عن "الكانم" وهي منطقة من السودان الغربي تقع في وسط افريقيا، وحرف إلى كارم، وأطلق على تجار البهار المقيمين في مصر ونسبوا إليه. وهناك من يفترض أن اسم الكارم مأخوذ من كلمة "كواريما" الأمهرية وتعني الهيل أو الحبهان، ومن الجائز أيضاً أن ترد التسمية إلى العنبر وهو الكارم. وهناك فريق آخر يذهب للقول إن كلمة الكارم تتكون من مقطعين: كار بمعنى حرفة أو تجارة ويم بمعنى البحر، ويكون معناها: حرفة التجارة في البحر. وهناك تفسير آخر لمقطعي الكلمة يذهب إلى أن كار بمعنى سفينة أو مركب، وهي كلمة مصرية الأصل وردت في الكتابة المصرية منذ عصر الدولة الحديثة، ويم بمعنى نهر النيل كما ورد في القرآن الكريم، ويكون الكارم اسمًا مصريًّا محليًّا تعرف به المراكب النيلية، لكنه اتسع ليشمل السفن القادمة في البحر الأحمر. ومن المحتمل كذلك ان يكون الكارمية قد نسبوا إلى تاجر اسمه "كريم"، أو أنهم اشتهروا بصفة الكرم فنسبوا إليها. أنظر: عطية القوصي، "أضواء جديدة على تجارة الكارم"، مقال بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني والعشرون، مطبعة الجبلاوي– القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٧، ٢٥–٢٦؛ محمد عبد الغني الأشقر، تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٢١–٢٧.

41 لابدوس، المرجع السابق، ص ٢١١–٢١٢.

أنهم– بخلاف الكارمية– لم يقتصر نشاطهم على تجارة الشرق، وإنما انخرطوا كذلك في علاقات تجارية مع التجار الأوربيين القادمين إلى المدن المصرية والسورية [٤٢].

وعند الحديث عن اختفاء طبقة تجار الكارم من أراضي الدولة المملوكية ينبغي علينا الإشارة إلى الصعوبات الكثيرة التي بدءوا يواجهونها بصفة خاصة منذ عهد السلطان الأشرف برسباي[٤٣]، الذي كانت لديه رغبة أكيدة في احتكار تجارة التوابل. وقد كانت البداية مع تحديد السلطان نفسه للأسعار التي تباع بها التوابل للتجار الغربيين، ثم في مرحلة تالية أخذ يطبق على تجار الكارم "سياسة ونظام الطرح"، وذلك بإلزامهم بشراء كميات من التوابل بأسعار محددة، وذلك من أجل زيادة الأرباح والفوائد التي تحصلها الدولة، ثم كانت المرحلة الأخيرة في عامي ٨٣٢هـ/١٤٢٨م و٨٣٣هـ/١٤٣٠م، عندما أصدر السلطان أوامره بمنع تعامل تجار الكارم مع التجار الأوربيين، وأن هؤلاء الغربيين لا يتعاملون إلا مع السلطات الحكومية للحصول على

---

[42] F. Apellaniz, Pouvoir et finance en Méditerrqnée pré–moderne : les deuxième etat mamelouk et le commerce des épices (1382–1517), Consejo superior de investigaciones cientificas, Barcelona, 2009, p. 104 ;

لابدوس، المرجع السابق، ص ٢١٢.

[43] هو السلطان برسباي الدقماقي الظاهري الذي يعود إلى أصول جركسية. كان من مماليك الأمير دقماق المحمدي وأهداه إلى الظاهر برقوق، فاعتقه واستخدمه في الجيش. وأخذ برسباي يترقى حتى تولى نيابة طرابلس الشام في عهد السلطان المؤيد شيخ. اعتقل بقلعة المرقب مدة طويلة ثم أطلق، ثم اعتقل بقلعة دمشق وعفا عنه السلطان ططر وقربه منه وجعله دوادارًا كبيرًا له بمصر. ولما توفي الظاهر ططر وبويع لابنه الصالح محمد تولى برسباي تدبير أمور الملك عدة أسابيع، ثم خلع الصالح وأعلن نفسه سلطانا وتلقب بالملك الأشرف وذلك سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، فأطاعه الأمراء وهدأت أمور الدولة في عهده. وقد قام برسباي بإنشاء العديد من المدارس والمؤسسات الاجتماعية. وعلي الصعيد الخارجي قام بغزو جزيرة قبرص وأخضعها لسلطانه بعد أن قام بأسر ملكها. أنظر: الزركلي، المرجع السابق، ٤٨/٢.

ما يحتاجونه من توابل وبهار[٤٤]. ولا شك أن تلك الإجراءات التي اتخذها برسباي قد أدت إلى تدهور أحوال تجار الكارمية، الذين لم يجدوا في أنفسهم القدرة على الدخول في منافسة مع السلطات المملوكية، فاضطر عدد منهم إلى ترك الأراضي المصرية، والاتجاه إلى بلاد اليمن أو السواحل الهندية لممارسة التجارة، أما الجزء الآخر فواصل عملياته التجارية في الأراضي المملوكية، لكن بعدما ارتضى أن يكون وكيلا للسلطان في تلك التجارة [٤٥].

ويعد بنو المزلق من أهم الأسر التي كانت تتاجر لحساب السلطة المملوكية؛ فشمس الدين محمد وابنه شهاب الدين أحمد لم يستطيعا الخروج على أوامر السلطان برسباي بممارسة التجارة لحسابهما الخاص في التوابل، وأصبحا من الوكلاء التجاريين

---

44 المقريزي، المصدر السابق، ١٤٦/٧، ١٨٥، ٢٠٥؛ ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ٤٢٣/٣، ٤٣٩؛

W. Fischel, “The Spice Trade in Mamluk Egypt”, in Journal of the Economic and Social History of the Orient, 1:2, 1958, p. 172-173; E. Ashtor, “Le monopole de Barsbay d’après des sources vénitiennes”, in Anuario de Estudios Medievales, No. 9, 1979, p. 558.

في هذا السياق يذكر المقريزي أنه في شهر جمادى الأولى من عام ٨٣٣هـ/١٤٣٠م حضر تجار الكارم من الأسكندرية إلى القاهرة بأوامر السلطان برسباي، "فأوقفوا بين يدي السلطان، وألزموا جميعهم أن لا يبيع واحد منهم شيئا من أصناف البضائع التي تجلب من الهند كالفلفل ونحوه لأحد من التجار الفرنج، وهددوا على ذلك". أنظر: السلوك، ٢٠٥/٧. كما أن ابن حجر يذكر في أحداث عام ٨٣٣هـ/٢٩-١٤٣٠م- الذي تفشى فيه الطاعون- أن العلماء والقضاة قد ذكروا للسلطان برسباي أن المظالم التي انتشرت في البلاد هي من أسباب وقوع هذا البلاء؛ وكان مما ذكره القاضي الشافعي أنه "قد تجدد في هذه السنة ثلاث مظالم: (أولها) التشديد على التجار الكارمية في بيع البهار للسلطان، وإلا منعوا من التجارة فيه ...". انظر: إنباء الغمر، ٤٣٩/٣.

45 E. Ashtor, “The Venetian Supremacy in Levantine Trade : Monopoly or pre-Colonialisme?” in Studies on the Levantine Trade in the Middle Ages, ed. Variorum Reprints, London, 1978, p. 28; Ahmad Darrag, L’Egypte sous le régne de Barsbay, Institut français de Damas, 1961, p. 236.

لهذا السلطان داخل مدينة دمشق. وواقع الأمر أن الوثائق والعقود التجارية لمدينة البندقية– والتي تعود إلى عامي ٣٩–٨٤٠هـ/١٤٣٦م و٤٣–٨٤٤هـ/١٤٤٠م– تشير صراحة إلى ابن المزلق بوصفه "تاجر السلطان"، الذي كان له الحق– وحده دون غيره– في بيع التوابل للتجار الإيطاليين داخل دمشق [٤٦]. كما أن النعيمي يصف شمس الدين بن المزلق بأنه "رأس الخواجكية، تاجر الخاص الشريف" [٤٧].

مهما يكن من أمر، فإن الشهرة والمكانة الكبيرة التي نالتها أسرة بني المزلق، بالإضافة إلى الثروات الطائلة التي كانوا يمتلكونها، إنما تعود بالدرجة الأولى إلى مهنة التجارة التي كانوا يمارسونها، وبصفة خاصة من خلال التجارة مع بلاد الهند [٤٨]. فشمس الدين محمد– الذي "دخل في البحر" منذ وقت مبكر– ارتحل للعديد من البلدان في طلب التجارة، كما أنه استطاع في احدى تلك الرحلات– بحسب ما يرويه عن نفسه– أن يحقق مكسبًا وأرباحًا طائلة، وصلت قيمتها لمائة ألف دينار وثمانمائة ألف درهم، وبفضل تلك الصفقات التجارية "انفتحت الدنيا عليه"، وأصبح من الأثرياء [٤٩]. كما أن ابن تغري بردي أثناء حديثه عن ترجمة بدر الدين حسن بن المزلق يذكر أنه قد سلك طريق والده شمس الدين في الاشتغال بالتجارة، وأنه قد ارتحل للعديد من البلدان على رأس قوافله التجارية [٥٠]. ويشير السخاوي كذلك إلى أن البدر قد عمل

---

[46] E. Ashtor, Op. cit., p. 28.

[47] النعيمي، المصدر السابق، ٢/٢٢٣.

[48] E. Ashtor, Levant Trade in the Middle Ages, Princeton University Press, New Jersey, 1983, p. 281; M. Balard, “European and Mediterranean Trade Networks”, in The Cambridhe World History, Vol. V (Expanding Webs of exchange and conflict, 500–1500), edited by: Benjamin Kedar, Cambridge University Press, 2015, p. 264.

[49] النعيمي، المصدر السابق، ٢/٢٢٣–٢٢٤.

[50] ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٥/١٢٠.

بالتجارة، "وجال الأقطار بسببها" [٥١]. وابن طولون– المؤرخ الدمشقي– أثناء حديثه عن التاجر برهان الدين إبراهيم بن مبارك شاه الأسعردي، يذكر أن هذا الأخير والخواجا شمس الدين بن المزلق كانا من أكابر التجار بدمشق، "ولهم المتاجر السائرة في البلدان" [٥٢].

ومن خلال رواية الفاسي يمكننا التأكيد كذلك على أن النشاط التجاري لبني المزلق لم يكن مقتصرًا على بلاد الشام فحسب، بل أصبح لهم تواجد ملموس داخل مكة؛ فقد كان لهم العديد من الوكلاء الذين يتاجرون لحسابهم داخل المدينة المقدسة، والذين كانوا كثيرا ما يتنقلون ببضائعهم ما بين بلاد الشام وبلاد الحجاز [٥٣]. ولعل الثراء الذي كان عليه بدر الدين بن المزلق، والأرباح الطائلة التي كان يحققها من وراء تجارته، هي التي جعلته مطمعًا لحاكم مكة، الذي كان يسعى للحصول على أموال منه ومن كبار التجار، الذين كانوا يصلون ببضائعهم إلى ميناء جدة ومدينة مكة؛ من ذلك ما قام به الأمير حسن بن عجلان بن رميثه الملقب ببدر الدين "أمير مكة ونائب السلطنة بالأقطار الحجازية"، الذي أصدر أوامره في شهر المحرم من عام ٨١٨هـ/١٤١٥م بالقبض على الخواجا بدر الدين، وقام بالتضييق عليه، ولم يتركه قبل أن يتحصل منه على مبلغ كبير من المال "يساوي ثلاثة وثلاثين ألف افرنتيا" [٥٤].

---

51 السخاوي، المصدر السابق، ١٢٦/٣.

52 ابن طولون، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، القسم الأول، (تحقيق) محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية–دمشق، (د.ت)، ص ١٢٨.

53 الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، الجزء الرابع، (تحقيق) فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة–بيروت، ١٩٨٦م، ١٢٠/٤.

54 الفاسي، المصدر السابق، ١٢٠/٤.

الإفرنتي: يذكر المقريزي أن الإفرنتي عملة "من ضروب الفرنج"، وأنها تسمى كذلك "الذهب المشخص... وعليه شعار كفرهم الذي لا تجيزه الشريعة المحمدية"، كما أنه أشار إلى أن=

والواقع، إن النشاط التجاري الملحوظ لأفراد تلك الأسرة في العديد من بلدان الشرق جاء مؤيدًا كذلك برواية الغربيين؛ فأحد الرحالة والتجار الأوربيين- يدعى *Cyriaque d'Ancone*- يذكر أن الجيل الثاني من هذه الأسرة (أي أبناء شمس الدين) استمروا في زيارة مدن الساحل الهندي، وممارسة التجارة في تلك المناطق. هذا فضلا عن أن هذا التاجر الأوربي كان يعتزم السفر إلى بلاد الهند صحبة اثنين من أبناء شمس الدين، "اللذين كانا يتجهزان للخروج بتجارتهم باتجاه الساحل الهندي" [٥٥]. كما يذكر أشتور أن شمس الدين محمد بن المزلق قد قام بالسفر مرات عديدة إلى بلاد الهند، وغيرها من بلدان الشرق الأقصى، "وقد حقق من وراء تلك التجارة أرباحا هائلة" [٥٦].

مهما يكن من أمر، فإنه عند الحديث عن الدور التجاري المهم الذي لعبه أفراد أسرة بني المزلق بوصفهم وكلاء للسلاطين الماليك في تجارتهم، ينبغي التأكيد على أن هذا الأمر لم يمنع بني المزلق من عقد صفقات تجارية لحسابهم الخاص؛ فالبيع والشراء لحساب السلطان برسباي- على سبيل المثال- كان يقتصر على تجارة التوابل، بينما يستطيع الوكيل أن يتاجر لحسابه في أي سلعة أخرى؛ فشمس الدين محمد بن المزلق إلى جانب اشتغاله بتجارة التوابل عمل كذلك في العديد من السلع التجارية الأخرى [٥٧]. وفي إحدى الوثائق الجنوية التي تعود إلى عام ٨٣٣-٨٣٤هـ/١٤٣٠م، هناك إشارة إلى قيام تاجرين جنويين بعقد عدد من الصفقات التجارية داخل دمشق مع شهاب الدين أحمد بن المزلق، الذي باع لهما عددا من الأحجار

=الأفرنتي قد شهد انتشارًا واسعًا في معظم بلدان الشرق كمصر وبلاد الشام والحجاز واليمن، خاصة منذ عام ٨٠٠هـ، "حتى صار النقد الرابح". انظر: المقريزي، المصدر السابق، ١٢٩/٧.

55 Jean Colin, Cyriaque d'Ancone : le voyageur, le marchand, l'humaniste, Paris, 1891, p. 212-213.

56 E. Ashtor, The Venetian Supremacy, p. 28.

57 E. Ashtor, Op. cit., p. 29; E. Ashtor, Levant Trade, p. 281-282.

الكريمة [٥٨]. كما أن الوثائق البندقية تشير إلى أن المرجان والزعفران كانت من المنتجات التي قام شهاب الدين بجلبها إلى مدينة دمشق من إقليم قطالونيا. بل يمكننا القول إنه حتى في تجارة التوابل ذاتها، فإن وكلاء السلطان كانوا يستطيعون أن يتاجروا فيها لحسابهم الخاص ولكن بنسبة معينة؛ ففي إحدى الوثائق البندقية التي تعود إلى نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي هناك إشارة إلى أن التجار البنادقة كانوا يقومون سنويًّا بشراء مائتي وعشرة أكياس من الفلفل: مائتان منها كانت تخص السلطان المملوكي، والعشر المتبقية كانت لحساب الوكيل الذي يتاجر باسم السلطان [٥٩].

ومن خلال الأرشيف البندقي يتبين بوضوح أن عائلة بني المزلق ارتبطت بعلاقات تجارية وثيقة مع التجار الأوربيين الذين كانوا يصلون إلى مدينة دمشق؛ فتشير إحدى تلك الوثائق إلى أن السلطان المؤيد شيخ[٦٠] كان قد قام في عام ١٢-٨١٣هـ/١٤١٠م ببناء خان داخل مدينة دمشق، وقد كان هذا الخان بمثابة فندق[٦١] لإقامة الجاليات

---

58 E. Ashtor, Levant Trade, p. 282; E. Ashtor, The Venetian Supremacy, p. 28; M. Balard, Op. cit., p. 264.

59 E. Ashtor, Le monopole de Barsbay, p. 561.

60 هو شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري، أصله من مماليك الظاهر برقوق، اشتراه من محمود شاه الأزدي وأعتقه واستخدمه في بعض أعماله. جعل مقدم ألف في عهد السلطان الناصر فرج، ثم نائبا لطرابلس ونائبا في الشام. أسره تيمورلنك في حلب، ثم سجنه الناصر فرج وأطلقه، فاتجه إلى بلاد الشام واشترك في حركة العصيان ضد السلطان إلى أن قتل الملك الناصر وولي السلطنة الخليفة العباس بن محمد سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، فجعله أتابكا للعسكر ومدبرا للملكة، وعاد معه إلى مصر. ثم ما لبث شيخ أن قام بخلع الخليفة وأعلن نفسه سلطانا في نفس العام، وتلقب بالملك المؤيد. وقد استمر حكمه لمدة ثماني سنوات وخمسة أشهر. انظر: الزركلي، المرجع السابق، ٣/١٨٢.

61 الفندق fondique هي كلمة مأخوذة من اللغة اللاتينية pandokeion، وقد دخلت إلى اللغة الإيطالية في العصور الوسطى تحت مسمى fondacho. أنظر:=

والتجار الأوبيين، كما أن بني المزلق قد قاموا بعقد العديد من الصفقات التجارية مع هؤلاء التجار الغربيين داخل هذا الخان [٦٢]. وفي وثيقة أخرى قام بكتابتها أحد تجار البنادقة المقيمين بمدينة دمشق عام ١٥-٨١٦هـ/١٤١٣م، هناك إشارة إلى أحد التجار الكبار ويدعى أحمد بن المزلق، وتؤكد تلك الوثيقة كذلك أن ابن المزلق قد قام بعقد عدد من الصفقات التجارية مع البنادقة، ويأتي القرنفل في مقدمة البضائع التي قام ببيعها لهم، وفي المقابل قام شهاب الدين بشراء كميات كبيرة من المنسوجات والأقمشة من هؤلاء البنادقة [٦٣]. كما أن هناك إشارات داخل هذه السجلات والوثائق تؤكد على أن أبناء بدر الدين حسن كانوا يقومون أحيانًا بإقراض التجار الغربيين الأموال التي كانوا يحتاجونها لإتمام عملياتهم التجارية داخل مدينة دمشق، وهو الأمر الذي يؤكد على أن الجيل الثالث من أسرة بني المزلق استمروا في لعب دور مهم في النشاط التجاري داخل المدينة، واستمرت علاقاتهم بالسلطة المملوكية والجاليات الغربية، وإن كان هذا النشاط- بطبيعة الحال- لا يمكن مقارنته بالجيلين الأولين [٦٤].

من ناحية أخرى، فإن الوثائق البندقية تشير كذلك إلى أن عقود البيع والشراء داخل مدينة دمشق لم تكن تتم في مكان بعينه، وإنما كانت تكتب في المكان نفسه الذي تتم فيه العملية؛

=E. Piloti, L'Égypte au commencement du XVe siècle d'après le traité d'Emmanuel Piloti de Crète, Le Caire, 1932, p. 77.

62 F. Appellaniz, Op. cit., p. 80.

63 E. Ashtor, The Venetian Supremacy, p. 28; E. Ashtor, Levant Trade, p. 282.

حقيقة الأمر أن معظم الوثائق البندقية التي تشير إلى النشاط التجاري لهذه الأسرة لا تحمل في الغالب سوى لقب هذه العائلة وهو "ابن المزلق"، من هنا فإن الباحث لا يستطيع الجزم إن كان المقصود هو شمس الدين محمد الأب أم ابنه شهاب الدين أحمد. انظر:

E. Ashtor, Levante Trade, p. 282.

64 F. Apellaniz, Op. cit., p. 139-140.

فإلى جانب الأسواق والقيساريات[٦٥]، التي غالبا ما كانت تشهد عملية البيع، كان كذلك الكتاب يتواجدون أحيانا في المنازل الخاصة بكبار التجار، ومنها بيت شمس الدين محمد بن المزلق [٦٦]. وتصف إحدى الوثائق القيسارية التي كان يمتلكها ابن المزلق بالفخامة والجمال، كما أن بابها كان مزينا بساعة رائعة، وفي المجمل كانت تعد هذه القيسارية واحدة من البنايات الرائعة التي أسسها أفراد هذه الأسرة في الطريق ما بين مصر وسوريا [٦٧]. وآخر ذكر لخان ابن المزلق في السجلات البندقية إنما يعود إلى عام ٨٩٦هـ/١٤٩١م؛ ففي وثيقة لأحد تجار البنادقة– ويدعى *Pietro Spiera* – ترجع إلى هذا التاريخ، يذكر هذا التاجر – الذي كان له اهتمام كبير بتجارة الماس والمجوهرات داخل دمشق– أنه قد قام بوضع بعض البضائع في خان ابن المزلق، وهي بضائع تشتمل على الأحجار الكريمة واللؤلؤ القادم من سواحل المحيط الهندي [٦٨].

والواقع أنه في بعض الأحيان كانت تنشأ منازعات بين بني المزلق وبين التجار البنادقة نتيجة الاختلاف في عمليات البيع والشراء، كما حدث مع شهاب الدين أحمد الذي وشى به البنادقة، وحرضوا السلطان المملوكي ضده؛ فتشير إحدى الوثائق البندقية إلى أنه ما بين عامي ٨٢٤هـ/١٤٢١ و٨٢٥هـ/١٤٢٢م قامت حكومة البندقية بإرسال سفارة إلى البلاط المملوكي بالقاهرة، وكان من بين موضوعات تلك الرسالة الشكوى من ابن المزلق، الذي تجاوز في حق

---

[65] القيسارية عبارة عن خان كبير يشغله التجار والمسافرون، وقد يشتمل على سوق مسقوفة، وقد شهدت انتشارًا واسعًا في العصر المملوكي. انظر: مصطفى الخطيب، معجم المصطلحات، ص ٣٥٧.

[66] F. Apellaniz, “The Funduqs of Damascus seen by Frankish Notaries and Merchants”, in Viatjar a l’Edat Mitjana, Travel in the Middle Ages, organized by Musée de Cluny, Paris, 2014, p. 267, 269.

[67] F. Apellaniz, Op. cit., p. 269.

[68] F. Apellaniz, Op. cit., p. 270.

التجار البنادقة بدمشق، وأوقع بهم المظالم [٦٩]. كما أن الشكوى تتضمن كذلك قيام شهاب الدين بتحذير التجار داخل دمشق من الدخول في صفقات تجارية مع البنادقة، وهو الأمر الذي ألحق ضررًا وخسائر كبيرة بتجار هذه المدينة الإيطالية. وفي محاولة منهم لإيغار صدر السلطان على ابن المزلق، أخبر السفراء البنادقة السلطان برسباي أن مثل هذه الأفعال ليست من حق أي أحد من المسئولين أو التجار، وإنما هي حق أصيل للسلطان المملوكي فحسب [٧٠].

بيد أن الشيء الملاحظ هو أنه رغم ما يمثله التجار البنادقة للسلطة المملوكية من أهمية من الناحية التجارية، إلا إن مكانة ومنزلة ابن المزلق جعلت هذه السلطة تقف إلى جانبه، ولا تسمع لمثل تلك الوشايات؛ فالوثائق التي دونت في وقت لاحق تشير إلى استمرار شهاب الدين في عقد الصفقات التجارية بدمشق كوكيل للسلطان برسباي؛ فعلى سبيل المثال تثبت هذه الوثائق قيام ابن المزلق ببيع الفلفل والزنجبيل للتجار الأوربين في الفترة من عام ٣٧-٨٣٨هـ/١٤٣٤م وحتى عام ٤٣-٨٤٤هـ/١٤٤٠م [٧١].

ويبدو أن حالة العداء ما بين ابن المزلق والبنادقة قد استمرت لسنوات لاحقة، وأن حكومة البندقية اضطرت لاتخاذ قرار بتعليق رحلاتها التجارية إلى الأسكندرية وبيروت في عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، والسبب في ذلك- كما ورد في إحدى وثائق الأرشيف البندقي- يعود إلى قيام وكيل السلطان المملوكي بدمشق- والذي كان آنذاك شهاب

---

[69] E. Ashtor, The Venetian Supremacy, p. 28; E. Ashtor, Levant Trade, p. 282; F. Apellaniz, Pouvoir et finance, p. 115.

[70] E. Ashtor, The Venetian Supremacy, p. 28; E. Ashtor, Levant Trade, p. 282.

[71] N. Jorga, Notes et Extraits pour servir à l'histoire des croisades au XVe siècle, Paris, 1902, p. 37.

الدين ابن المزلق– بإجبار التجار البنادقة على شراء الكيس (الحمل) *sporte*[٧٢] من التوابل بسعر مائة وثلاث دوكات[٧٣]، فلما اعترض هؤلاء التجار على تلك الأسعار المجحفة بحقهم، واحتجوا بعدم امتلاكهم للمال، تم إلقاء القبض عليهم، وسجنوا في قلعة دمشق [٧٤]. بل إن ابن المزلق– كما تذكر وثيقة بندقية أخرى تعود إلى عام ٨٤٦هـ/١٤٤٣م– الذي أراد أن يرد الصفعة للبنادقة، طالب القنصل البندقي بدمشق *Marin Zune* بضرورة تسديد الديون المستحقة على ثلاثة من تجار بلاده، ويدعون *François, Paul, Gabriel Barbadigo*، مهددا إياه بأنه في حالة رفضه أو مماطلته فإن السلطات المملوكية ستقوم بسجن ومصادرة أموال وبضائع كل البنادقة داخل المدينة. فما كان من الحكومة البندقية إلا أن طلبت من قنصلها إخبار ابن المزلق بموت أحد هؤلاء التجار، ومغادرة الثاني إلى جزيرة رودس، ومن ثمّ فليس من حقه المطالبة بديونهما، كما أن السلطات البندقية حذرت ابن المزلق من محاولة تهديد مصالح تجارها، أو التعدي على الامتيازات التي حصلوا عليها من السلطات

---

[72] غالبا ما كان يشار إلى كميات الفلفل التي كانت تباع في الأسواق المملوكية للتجار الغربيين باسم sportas، وهي تساوي ٢٢٥ كجم. أنظر:

E. Ashtor, "Profit from Trade with the Levant in the fifteenth Century", in Bulletin of the School of Oriental and Africain Studies, University of London, Vol. 38, No. 2, 1975, p. 255.

[73] الدوكات هي العملة الذهبية الشهيرة لمدينة البندقية الايطالية في العصور الوسطى، وقد كانت هي العملة الأوربية الوحيدة المعترف والمتعامل بها داخل أراضي الدولة المملوكية. وقد بلغت تلك العملة شهرة كبيرة في ذلك الوقت حتى أنها وجدت لها سوقا رائجا في معظم بلدان الشرق. انظر:

E. Piloti, Op., cit, p. 49.

[74] N. Jorga, Op. cit., p. 37.

المملوكية. وعزم البنادقة كذلك على إرسال سفارة لبلاط السلطان الظاهر جقمق[٧٥] بالقاهرة للاعتراض والشكوى من أفعال ابن المزلق [٧٦].

من ناحية أخرى فإنه في عام ٨٤٩هـ/١٤٤٥م قامت الحكومة البندقية من جديد بمكاتبة السلطان جقمق، تشكو له ظلم وسوء معاملة وكلاء السلطان بدمشق لرعاياها، الذين كانوا مجبرين على شراء مائة وعشرة أكياس من الفلفل بأسعار جائرة، وبعد مرور شهر واحد فقط ألزموا كذلك بشراء ثلاثمائة كيس من الفلفل بذات الأسعار المرتفعة. ولما قام تجار تلك المدينة بالاعتراض على هذه الأسعار، مشككين أن تكون تلك الأوامر قد صدرت من السلطان المملوكي بالقاهرة، تعرضوا للحبس ومصادرة بضائعهم، وهو الأمر الذي اضطرهم إلى الموافقة على الشراء بتلك الأسعار، متكبدين خسائر بلغت أحد عشر ألف دوكات [٧٧].

---

[75] هو سيف الدين أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري، جركسي الأصل. اشتراه علي بن اينال اليوسفي (العلائي) وقدمه إلى الملك الظاهر برقوق فاعتقه واستخدمه. حبس في أيام الملك الناصر فرج، ثم أطلق وتولى العديد من المناصب في عهد السلطانين المؤيد شيخ والظاهر ططر. وقد وصل في أيام السلطان الأشرف برسباي إلى تولي "أتابك العساكر"، ولما مات هذا الأخير وتولى ابنه العزيز يوسف الحكم، استمر جقمق أتابكا ومدبرا للملكة. فلما ثار وخرج بعض المماليك على العزيز وقاموا بخلعه عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، ولوا جقمق أمور السلطنة، وظل في الحكم حتى وافته المنية بالقاهرة عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. انظر: الزركلي، المرجع السابق، ١٣٢/٢.

[76] N. Jorga, Op. cit., p. 120 ; E. Ashtor, Levant Trade, p. 282.

[77] N. Jorga, Op. cit., p. 194-195.

واقع الأمر أن الوثائق البندقية في تلك الأحداث لم تشر صراحة إلى اسم ابن المزلق إلا مرة واحدة، وفي بقية الأحداث كانت تذكر "عمال ووكلاء السلطان" أو المسئولين بدمشق، بيد أنه لما كان بنو المزلق هم الوكيل الأساسي والأشهر للسلطان المملوكي في تجارته بدمشق، لذلك فإنه يمكننا التأكيد على أن تلك الإشارات إنما كان يقصد بها بلا شك أفراد هذه الأسرة التجارية.

مهما يكن من أمر، فإنه بالنظر إلى موقف السلطات المملوكية من ابن المزلق– أثناء مشاحناته مع التجار الغربيين– ومقارنته بحادثة مشابهة وقعت مع أحد وكلاء السلطان المملوكي الأشرف قايتباي[٧٨] مع نهاية القرن التاسع الهجري، يمكننا ملاحظة المكانة الكبيرة التي تبوأها أفراد تلك الأسرة في ذلك الوقت؛ إذ إنه في شهر جمادى الأولى من عام ٨٩٥هـ/١٤٩٠م، قام ناظر الجيش بدمشق[٧٩] محب الدين سلامة بن يوسف الأسلمي– والذي كان كذلك وكيل السلطان في بيع البهار والتوابل– بالتعرض للتجار الغربيين، وضرب أحدهم بالقلعة. فاشتكى هؤلاء التجار للسلطان بالقاهرة من سوء معاملة محب الدين، وأخذه عشرة آلاف دينار منهم بدون وجه حق، وطلبوا منه أن يقوم بعزله من وظيفته، ويعين آخر مكانه يسمى تمربغا الترجمان، وذلك نظير منحه تلك الأموال التي تحصل عليه الناظر، بالإضافة إلى إعطائه مبلغا مماثلا، فما كان من السلطان قايتباي إلا إن استجاب لطلبهم، وقام بعزل الأسلمي من وظيفة نظارة الجيش ووكالة التوابل، وعين بدلا منه تمربغا [٨٠].

---

78 هو السلطان أبو النصر سيف الدين قايتباي المحمودي، كان من المماليك، اشتراه الأشرف برسباي وهو صغير، ثم انتقلت ملكيته إلى الظاهر جقمق، فاعتقه واستخدمه في جيشه. وأخذ قايتباي يتدرج في الوظائف حتى تولى "أتابك العساكر" في عهد الظاهر تمربغا عام ٨٧٢هـ/١٤٦٨م، فلما ثار المماليك على تمربغا وقاموا بخلعه في نفس هذا العام بايعوا قايتباي بالسلطنة. وقد كانت وفاته عام ٩٠١هـ/١٤٩٦م. انظر: الزركلي، المرجع السابق، ١٨٨/٥.

79 ناظر الجيش بدمشق كانت مهمته التحدث في الإقطاعات؛ إما في كتابة مربعات تكتب بما يعينه النائب من الإقطاعات المتوفرة عن أصحابها بالموت، ثم يرسلها النائب إلى السلطان المملوكي بالقاهرة للتصديق عليها، وإما في إثبات المناشير السلطانية القادمة إليه من القاهرة بديوانه، حفظا لحسبانات المقطعين. وكان بديوان ناظر الجيش عدة مباشرين من صاحب ديوان وكتاب وشهود. وفي المجمل تعد وظيفة نظر الجيش من المناصب الجليلة، لذلك فإن التعيين في هذا المنصب كان يصدر من السلطان نفسه وليس من نائب دمشق. انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ١٩٠/٤، ٦/١٢.

80 ابن طولون، مفاكهة الخلان، ص ١٠١.

٣. الوجاهة الاجتماعية وتقلد الوظائف:

نجح بنو المزلق في أن يؤسسوا لأنفسهم أسرة ذات نفوذ قوي، وهذا الأمر يعود في حقيقة الأمر إلى ما تمتع به أفراد هذه الأسرة من ذكاء ودهاء؛ فقد استفادوا كثيرا من وراء وقوفهم إلى جانب سلاطين دولة الجراكسة الناشئة في أوقات الشدة، ولم يتأخروا في إمدادهم بما يحتاجون إليه من أموال، كما أنهم لعبوا دورا مهمًّا في تمكين المماليك من فرض نفوذهم التجاري على السواحل والموانيء العربية للبحر الأحمر [٨١]. والواقع أن العلاقة القوية بين هذه الأسرة– وأمثالها من طبقة كبار وأعيان التجار– وبين السلطة المملوكية إنما تعود في أصلها إلى المصالح المتبادلة ما بين الطرفين؛ فقد عمد بنو المزلق إلى التعاون مع السلطة بغية المحافظة على منزلتهم الاجتماعية المرموقة داخل المجتمع من ناحية، ولحماية مصالحهم التجارية من ناحية أخرى. أما النظام المملوكي، فقد كان في حاجة ماسة لخدمات هؤلاء التجار، الذين كانوا بمثابة المحرك والوقود للحياة الاقتصادية داخل البلاد، وبفضل تجارتهم كان السلاطين يجنون كثيرًا من الأرباح، هذا فضلا عن الأموال الكثيرة التي كانوا يتحصلون عليها من هؤلاء التجار في وقت الأزمات [٨٢].

---

[81] F. Apellaniz, Pouvoir et finance, p. 81.

[82] لابدوس، المرجع السابق، ص ٢٣٦.

والواقع أن السلطات المملوكية كانت تقدر وتثمن الدور المهم الذي كان يلعبه بنو المزلق في النهضة التجارية التي شهدتها السلطنة آنذاك، ولعل هذا الأمر هو الذي دفع السلطان الناصر فرج بأن يكافيء شمس الدين بن المزلق، وذلك باعفائه من دفع الضرائب على تجارته التي يقوم بتصديرها أو استيرادها، والتي يقدر ثمنها بمائتي ألف درهم، "ولا يطالب عن ذلك بحق من الحقوق ولا بمقرر من المقررات، مسامحة باقية مستمرة، دائما أبدا مستقرة، لا ينتقض حكمها، ولا يغير رسمها، لخدمته الدول على اختلافها، ولمبالغته في التقرب بما يرضي الخواطر الكريمة، وينفع الناس بما يحضره من أنواع المتاجر وأصنافها، ولاستحقاقه لهذا الإنعام، ولاختصاصه به دون الخاص والعام". انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ١٣/٤٠.

وقد بدأت أسرة بني المزلق تقدم خدماتها للسلطة المملوكية منذ عهد السلطان الملك المؤيد شيخ؛ بل إن تلك العلاقة تعود إلى ما قبل اعتلاء هذا الأخير للسلطة، عندما كان أميرًا داخل مدينة دمشق، وربما في ضوء هذا الأمر يمكننا تفهم العلاقة الوثيقة التي ربطت بين تلك الأسرة وبين المؤيد شيخ بعد تبوأه لمنصب السلطنة بمصر[٨٣]. وعلى ذلك فقد أصبح بنو المزلق هم الأسرة الأكثر شهرة داخل دمشق طوال عهد السلطان المؤيد شيخ، وحتى بعد موت هذا السلطان فإن العلاقات الوثيقة ما بين هذه الأسرة وبين السلطات المملوكية لم تشهدا تغيرًا ملحوظا. وقد انتجت هذه العلاقة المميزة الثمرة المرجوة منها طوال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، فبفضلها نال أفراد هذه الأسرة العديد من الوظائف المرموقة، وأصبحوا بحق من بين النخبة والصفوة داخل الدولة المملوكية [٨٤].

ورغم أن المصادر التاريخية لم تذكر لنا ما يفيد أن مؤسس الأسرة شمس الدين بن المزلق قد تولى منصبًا مهمًّا داخل الدولة، إلا إن مكانته الكبيرة داخل المجتمع الدمشقي لم تكن محل شك، بل جاءت أقوال المؤرخين لتؤكد هذا الأمر؛ فالقلقشندي يشير إلى الألقاب الفخمة التي نعت بها شمس الدين بن المزلق في المرسوم الذي صدر له من نائب السلطنة بدمشق[٨٥] في عهد السلطان الناصر فرج[٨٦]، وهي ألقاب

---

[83] المقريزي، المصدر السابق، ٢٠٦/٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (قدم له وعلق عليه) محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٩٢م، ٢٢٠/١٥.

[84] F. Apellaniz, Op. cit., p. 81.

[85] كانت نيابة دمشق في العصر المملوكي تعد من أجل نيابات المملكة الشامية وأرفعها قدرا، ونائبها يضاهي النائب الكافل بالديار المصرية في الرتبة والألقاب والمكاتبة، وهو قائم بدمشق مقام السلطان في أكثر الأمور المتعلقة بنيابته. ولعل مما يدل على المكانة الكبيرة التي كان يتبوأها هذا النائب آنذاك ما يذكره القلقشندي من أن كبار الأمراء ببلاد الشام كانت اقطاعاتهم=

كان يخاطب بها الأمراء وكبار رجال الدولة، ومن تلك الألقاب التي ذكرت له: "الجناب العالي، الصدري، الكبيري، المحترمي، المؤتمني، الأوحدي، الأكملي، الرئيسي، العارفي، المقربي... شرف الأكابر في العالمين، أوحد الأمناء المقربين، صدر الرؤساء، رأس الصدور، عين الأعيان، كبير الخواجكية، سفير الدولة، مؤتمن الملوك والسلاطين" [٨٧]. كما أن المقريزي يذكر أنه لما أراد نائب دمشق الأمير شيخ المحمودي– قبل أن يتولى منصب السلطنة– القيام بجمع الأموال من تجار وقضاة دمشق في شهر ربيع الآخر عام ٨١١هـ/١٤٠٨م– وذلك أثناء الصراع الذي دار بينه وبين الأمير نوروز– عهد إلى شمس الدين– بما له من مكانة وبوصفه كبير التجار– القيام بجمع الأموال المطلوبة من التجار، والتي بلغت قيمتها خمسة آلاف دينار [٨٨].

كما أن شمس الدين وأمثاله من كبار التجار والأعيان كان لهم دور ملموس في الأحداث السياسية التي كانت تمر بها الدولة في ذلك الوقت؛ إذ إنه عندما خرج نائب

=تعادل ثلثي ما يخصص لكبار الأمراء بمصر، باستثناء نائب دمشق الذي كان إقطاعه يعادل اقطاعات الأمراء بمصر، نظرًا لمكانته وقربه من السلطان. انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ٤/١٨٣-١٨٤.

[86] هو السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق من ملوك الجراكسة بمصر والشام، بويع فرج سلطانا بالقاهرة عقب وفاة أبيه عام ٨٠١هـ/١٣٩٩م. وقد كان صغير السن فقام بتدبير أمور المملكة لمدة قصيرة الأتابكي أيتمش البجاسي. إلا إن نائب الشام امتنع عن المبايعة للناصر فرج، وانضم إليه نواب حلب وحماه وصفد وطرابلس وغزة؛ فخرج الناصر بالجيوش لقتالهم عام ٨٠٢هـ/١٤٠٠م، ودارت معركة بالرملة بفلسطين وتمكن الناصر من تحقيق الانتصار، ودخل دمشق وأعلن الأمان. وفي عهده عانت بلاد الشام من غزوة تيمورلنك عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م؛ حيث أحرقت ونهبت العديد من المدن، وقتل كثير من الأهالي. أنظر: الزركلي، المرجع السابق، ٥/١٤٠.

[87] القلقشندي، المصدر السابق، ١٣/٤٠.

[88] المقريزي، المصدر السابق، ٦/٢٠٦.

دمشق قاني باي عن طاعة السلطان المؤيد شيخ وأعلن العصيان، اجتمع أعيان مدينة دمشق كابن المزلق، والقاضي نجم الدين بن حجي، والقاضي شهاب الدين بن الكشك، وابن منجك وغيرهم، وأخذوا يتشاورون فيما سيفعلونه للتصدي لهذا العصيان، والإجراءات التي يمكن أن يتخذوها مخافة أن يقبض عليهم جاني بك، ثم ينهي ابن تغري بردي حديثه عن تلك الواقعة بقوله: "فإن كل واحد ممن كان اجتمع في ذلك المجلس يمكن أن يدبر مملكة سلطان، وينفذ أموره على أحسن وجه" [٨٩]. كما أن هذه الحادثة تكشف بوضوح التقارب والعلاقة الوثيقة التي ربطت ابن المزلق بالسلطان المؤيد شيخ، وما نتج عن ذلك من ارتفاع قيمة وقدر هذه الأسرة داخل الدولة بصفة خاصة في عهد هذا السلطان.

بيد أن الثروة الكبيرة التي كان يمتلكها شمس الدين، بالإضافة إلى مواقفه السياسية، كانت أحيانا تجعله عرضة وهدفا لأطماع السلطة؛ من ذلك قيام السلطان جقمق– في شهر المحرم عام ٨٤٣هـ/١٤٣٩م– بإصدار الأوامر بسجن شمس الدين في قلعة دمشق، وأن فك أسره كان مرهونا بحمل ثلاثين ألف دينار للخزانة [٩٠]، بالإضافة إلى عشرة آلاف دينار للديوان الخاص [٩١]. ولم يطلق سراحه إلا بعد أن قام أبناؤه بحمل خمسة آلاف دينار للخزانة وألف دينار للخاص [٩٢].

---

[89] ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٢٠/١٥.

[90] كانت توجد بدمشق خزانة سلطانية تخرج منها الانعامات والخلع للأمراء وأصحاب الوظائف في بلاد الشام. ونظر الخزانة بدمشق كان يعبر عنها بالخزانة العالية، ومتوليها يكون متحدثا في أمر التشاريف والخلع، وهي وظيفة جليلة، "يوليها النائب بتوقيع كريم". انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ١٨٣/٤، ١٩١.

[91] ديوان أو نظر الخاص بدمشق هي وظيفة موضوعها التحدث فيما يتعلق بالمستأجرتات السلطانية وغيرها من الأغوار، وربما أضيف نظرها للوزير. وبصفة عامة، تعد نظر الخاص وظيفة محدثة، وأول من أنشأها هو=

من ناحية أخرى، فإن الابن شهاب الدين أحمد رغم أنه لم ينخرط في مجال السياسة، ولم تكن لديه رغبة في تولى المناصب– كما أشير إلى ذلك مسبقا– إلا إن مكانته ومنزلته كانت كبيرة داخل دمشق؛ والواقع أن شرف بيت شهاب الدين وبقية أفراد أسرته من بني المزلق، وقيمتهم الكبيرة داخل المجتمع الدمشقي، يظهر لنا جليا من خلال حديث ابن طوق عن زواج سارة ابنة الشهاب أحمد على شيخ الإسلام تقي الدين بن قاضي عجلون في شهر رجب عام ٩٠٣هـ/١٤٩٨م؛ فالشيء الملاحظ على عقود الزواج التي ذكرها هذا المؤرخ في مؤلفه أن قيمة الصداق تكون مرتفعة عندما تكون الزوجة منتسبة إلى عائلة شريفة ومن الأعيان كطبقتي كبار التجار والقضاة، وأنه بالرغم من أن قيمة هذا الصداق لم تكن تتجاوز المائة أشرفية ذهبا[٩٣] في معظم الحالات التي أوردها ابن طوق– والتي بلغ عددها مائة وخمسين عقدا– إلا إن صداق ابنة الشهاب كان مائتي أشرفية ذهبا؛ منها مائة وخمسون عاجلة، وتأخر لها من الصداق خمسون أشرفيا [٩٤].

=السلطان الناصر محمد بن قلاوون، حين أبطل الوزارة. ولناظر الخاص أتباع من كتاب ديوان الخاص كمستوفي الخاص، وناظر الخزانة الخاص. انظر: المصدر نفسه، ٣٠/٤، ١٩٠.

[92] المقريزي، المصدر السابق، ٤٣٠/٧.

[93] الأشرفية أو الدينار الأشرفي هو العملة الذهبية التي تنسب للسلطان الأشرف برسباي. والواقع، إن العملة الأوربية التي كانت تسمى الافرنتي أو الدوكات– التي وصفها مؤرخو مصر المملوكية باسم "المشخصة"– شهدت انتشارا واسعا داخل مصر خاصة مع بدايات القرن التاسع الهجري، وتمتعت بسعر قانوني ثابت، وأصبحت هي النقد المرغوب فيه في التجارة بمصر. هذا الهجوم النقدي للدوكات الذهبية على الدنانير المملوكية أزعج السلطان برسباي، الذي أمر بضرب الدنانير الأشرفية بنفس وزن الافرنتي (٣.٤٥ جرام)، وأصدر أوامره عام ٨٢٩هـ/١٣٢٥م بإبطال التعامل بالدنانير المشخصة من الدوكات "بسبب صور الكفار عليها" وإحلال الأشرفية التي ضربت بالقاهرة محلها. أنظر: عبد الرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي–القاهرة، ١٩٦٤، ص ٩٧–١٠٠.

[94] ابن طوق، المصدر السابق، ١٥٨٩/٤؛ =

على أية حال، فإن أولى المناصب المهمة التي أسندت لهذه الأسرة كانت من نصيب بدر الدين حسن؛ إذ إن السلطات المملوكية- بعد نجاحها في فرض سيطرتها على مدينة جدة- قامت بمنح الإمرة داخل تلك المدينة لبدر الدين، وذلك عام ٨٤١هـ/١٤٣٨م، كما أنه أصبح مسئولا عن تأمين التجارة داخل البحر الأحمر [٩٥].

كما تقلد بدر الدين منصب نظارة الجيش بدمشق عام ٨٥٤هـ/١٤٥٠م، وصارت إليه جميع الوظائف التي كانت بيد ناظر الجيوش زين الدين عبد الباسط بن خليل، الذي وافته المنية في شوال من هذا العام [٩٦]. وتولية ابن المزلق لهذا المنصب الرفيع إنما هو من قبيل مكافأة السلطان الظاهر جقمق له، نظير خدماته التي قدمها للسلطة آنذاك، بوصفه أولا واحدا من كبار التجار داخل الدولة، ثم- من ناحية أخرى- بفضل حسن إدارته للأمور داخل جدة، خاصة من

=Y. Ben-Bassat, Developing Perspectives in Mamluk History, Bril, Leiden, 2017, p. 183-184.

95 السخاوي، المصدر السابق، ١٢٦/٣؛ المقريزي، المصدر السابق، ٣٤٨/٧؛ ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ٢٠/٥؛ F. Apellaniz, Op. cit., p. 81.

والواقع أن ابن اياس يشير إلى تلك الوظيفة التي أسندت لبدر الدين على أنها "نيابة جدة". (بدائع الزهور، ١٨١/٢) وهو أمر يبدو صعب الحدوث، نظرا لعدم إشارة المؤرخين المذكورين آنفا لهذا الأمر (أطلقوا على الوظيفة "إمرة جدة")، ولأن وظيفة النائب في العصر المملوكي لم يكن يتولاها في معظم الأحوال سوى أرباب السيوف. وعلى ذلك فمن المرجح أن تكون تلك الوظيفة التي تولاها بدر الدين بجدة هي وظيفة إدارية، متعلقة بتنظيم التجارة وتقدير الضرائب المفروضة عليها. انظر:

F. Apellaniz, Op, cit., p. 81 ; Ahmad Darrag, Op, cit., p. 235.

96 السخاوي، المصدر السابق، ١٢٦/٣؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ١٢٠/٥؛ النعيمي، المصدر السابق، ١١٢/٢؛ ابن طولون، القلائد الجوهرية، ص ٢٧٥.

وظيفة نظر الجيش موضوعها التحدث في أمر الإقطاعات بمصر وبلاد الشام، والكتابة بالكشف عنها، ومشاورة السلطان عليها، وأخذ خطه. ويذكر القلقشندي أنها وظيفة مرموقة وعظيمة القدر. كما كان لناظر الجيش أتباع بديوانه، يتولون مناصبهم بأوامر سلطانية، مثل صاحب ديوان الجيش وكتابه وشهوده، وكذلك صاحب ديوان المماليك، وكاتب المماليك وشهود المماليك. انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ٣٠/٤-٣١.

الناحية التجارية [٩٧]. والشيء الذي يمكن ملاحظته على تلك الوظيفة هو أن متوليها كان مستقلا عن الإدارة العسكرية الحاكمة داخل دمشق، لذلك كثيرا ما كان يتوجه بدر الدين حسن إلى القاهرة مركز السلطة، لإعطاء السلطان تقريرا عن أعماله، وأهم المسائل الخاصة بوظيفته [٩٨]. كما أن وصول بدر الدين إلى القاهرة، ومقابلته للسلطان كان دليلا على استمراره في شغل هذه الوظيفة، خاصة وأنه قد تكررت ولايته لها؛ لذلك كثيرا ما نجد تلك الزيارات متبوعة بقول المؤرخين المعاصرين: "وخلع عليه"، وكذلك "فاخلع السلطان عليه، وأقره على عادته " [٩٩].

مهما يكن من أمر، فإن العلاقات ما بين السلطات المملوكية وبين بدر الدين لم تكن ودية على طول الخط، وإنما كان يشوبها أحيانا بعض التوتر، وهو الأمر الذي كان يجعل من ابن المزلق عرضة للعقوبة والتوبيخ؛ من ذلك ما حدث عام ٨٦٧هـ/١٤٦٢م عندما استدعي هذا الأخير للقاهرة، فسجن بها "وجرت عليه محنة"، ولم يتخلص من تلك العقوبة إلا بعدما تعهد بحمل مبلغ كبير من المال للسلطان الظاهر خشقدم[١٠٠]، وعندئذ صدر العفو السلطاني عنه، بل وأعيد مرة أخرى لوظيفته. وقد أشار ابن شاهين إلى هذا الأمر بقوله: "وقاسى أهوالا بآخره" [١٠١].

---

[97] F. Apellaniz, Op. cit., p. 131.

[98] ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٥/١٢٠؛ F. Apellaniz, Op. cit., p. 131

[99] ابن اياس، المصدر السابق، ٢/٣٥١؛ ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ٦/٥٢، ٧/٩٤.

[100] هو أبو سعيد سيف الدين الظاهر خشقدم الناصري المؤيدي، كان مملوكا للخواجه ناصر الدين– وإليه نسبته– ثم اشتراه منه المؤيد شيخ واعتقه واستعمله. ثم عينه السلطان الظاهر جقمق "مقدم ألف" في دمشق عام ٨٥٠هـ، وفي عهد الأشرف اينال تولى "أمير سلاح"، ثم ولاه المؤيد أحمد "أتابكية العساكر"، وهي أعلى الرتب في الدولة. ولما ثار المماليك على المؤيد أحمد وخلعوه عام ٨٦٥هـ/١٤٦١م نادوا بسلطنة خشقدم، الذي ظل في الحكم حتى وفاته بالقاهرة عام ٨٧٢هـ/١٤٦٧م. انظر: الزركلي، المرجع السابق، ٢/٣٠٥-٣٠٦.

[101] ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ٦/١٥٤، ٧/٩٤.

كما تذكر لنا المصادر التاريخية أن إبراهيم بن بدر الدين حسن قد استقر في نظر الجوالي [١٠٢] في حياة أبيه، إلا إنه قدم إلى القاهرة هو وأخوه محمد بعد وفاة أبيهما، والتمسا من السلطة المملوكية إعفاءهما من الوظائف. وربما هذا الأمر يعود إلى خوفهما من نتائج القرب من السلطة، خاصة وأن المحنة التي مر بها أبوهما لم تكن غائبة عن ناظريهما [١٠٣]. بيد أن المؤرخين يشيرون كذلك إلى اقتراب شمس الدين محمد من السلطة مرة أخرى، وقيامه بزيارة البلاط السلطاني بالقاهرة، وقد وصل إلى دمشق في إحدى المرات– في شهر ربيع الأول عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م– بخلعة من السلطان الأشرف قايتباي، "وهي خلعة رضا" [١٠٤]. ويبدو أن علاقة ابن المزلق بنائب دمشق لم تكن في ذلك الوقت على ما يرام؛ إذ يذكر ابن طوق أن شمس الدين لما لبس هذه الخلعة لم يقابله أو يجتمع به النائب، وإنما "أرسل إليه صرة بها ثياب فحسب" [١٠٥]. كما أن ابن طولون يذكر حادثة أخرى تؤكد حالة الخصام التي كانت سائدة بين شمس الدين والنائب؛ ففي شهر ربيع الثاني من عام ٨٩٥هـ/١٤٩٠م استدعى نائب دمشق قانصوه اليحياوي ابن المزلق، وطلب منه إمداده بأموال لتجهيز الجند الخارجين في إحدى التجريدات، بيد أن شمس الدين رفض هذا الأمر محتجا بأنه "ما جرى بهذا عادة"، فما كان من قانصوه إلا إن أمر باستدعائه إلى القلعة وأن يسجن بها، ورغم أن النائب قد ندم على فعلته، وأمر بإخراجه من السجن، إلا إن ابن المزلق رفض الخروج حتى يأتي مرسوم السلطان قايتباي، "فلم تزل الأكابر به إلى أن خرج" [١٠٦].

---

102 ناظر الجوالي مهمته الإشراف على جباية الجزية، واستخراجها من أهل الذمة. انظر: مصطفى الخطيب، المرجع السابق، ص ٤٩.

103 السخاوي، المصدر السابق، ٤١/١.

104 ابن طولون، مفاكهة الخلان، ص ٤٨.

105 ابن طوق، المصدر السابق، ١٥٤/١.

106 ابن طولون، المصدر السابق، ص ١٠٠.

وقد أسند إلى شمس الدين منصب قاضي قضاة الشافعية بدمشق[١٠٧] عام ٨٨٩هـ/١٤٨٤م في عهد السلطان قايتباي، وذلك بعد عزل القاضي شهاب الدين بن الفرفور من هذا المنصب، وقد لبس شمس الدين "خلعة القضاء" في شهر رجب من هذا العام [١٠٨]. ورغم أن شمس الدين لم يستمر في هذا المنصب أكثر من عام؛ إذ صدرت الأوامر في شهر جمادى الأولى عام ٨٩٠هـ/١٤٨٥م بإعادة ابن الفرفور لتولي قضاء الشافعية، إلا إن السلطان عوض شمس الدين بمنصب كتابة السر بدمشق[١٠٩]، "وأن ابن المزلق يجلس فيها بدار العدل فوق القاضي الحنفي" [١١٠].

---

107 كان بدمشق– كالديار المصرية– أربعة قضاة من المذاهب الأربعة، أعلاهم الشافعي، وهو المتحدث على الموازع الحكمية والأوقاف وأكثر الوظائف، كما أنه أختص بتعيين النواب بجميع أعمال دمشق، ويليه في الرتبة الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي. ولما كانت وظيفة قضاء القضاة من أجل وأرفع الوظائف الدينة فإن السلطان اختص نفسه بتعيين من يتولى هذا المنصب. انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ١٩٢/٤.

108 ابن طولون، المصدر السابق، ص ٥٥–٥٦؛ ابن اياس، المصدر السابق، ٢٠٩/٣؛ ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ٣٨٣/٧؛ ابن طوق، المصدر السابق، ٣٨٠/١.

109 يعبر عن متولي كتابة السر بدمشق في ديوان الإنشاء بالقاهرة "بصاحب ديوان الإنشاء بالشام المحروس"، وهي وظيفة تضاهي كتابة السر بالديار المصرية من حيث المكانة ورفعة القدر. وموضوع تلك الوظيفة هو قراءة الكتب الواردة على السلطان، وكتابة أجوبتها، وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها. وصاحب تلك الوظيفة كان يولى مباشرة من السلطان المملوكي، وقد كان السلطان حريصًا على أن يكون كاتب السر بدمشق من خاصته الموثوق بهم، "ليطالعه بخفيات أمور المملكة، وما يحدث بها مما لعل النائب قد يخفيه عن السلطان". انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ٣٠/٤، ١٨٩.

110 ابن طولون، المصدر السابق، ص ٦٠–٦١؛ ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ٤١٨/٧؛ ابن طوق، المصدر السابق، ٤٨١/١.

بيد أن ابن طوق يشير إلى أن شمس الدين قد تمكن من الحصول على منصب القضاء الشافعي بعدما قام بدفع مبلغ يصل لعشرة آلاف أشرفية [١١١]. والواقع أن ظاهرة الحصول على منصب القضاء وغيره من الوظائف الأخرى داخل الدولة عن طريق بذل الأموال قد تفشت بصورة كبيرة خاصة مع نهاية العصر المملوكي، وإذا ما طالعنا مؤلفات المؤرخ الدمشقي المعاصر ابن طولون فسنجد أمثلة لا حصر لها لهذا الأمر [١١٢]. وقد أكد هذا المؤرخ صراحة على أن منصب القضاء– مع مكانته العظيمة وعلو قدره– كان ينال عن طريق الرشوة ودفع الأموال لأهل السلطة، ذاكرًا: "ومنهم من يتولى بالرشوة، فإذا عوتب عليه يدعي أنما بذله صونا للمنصب من وقوعه في أيدي الجهلة، والله لا يخفى عليه شيء" [١١٣].

---

[111] ابن طوق، التعليق، ١/٣٨٠.

[112] انظر على سبيل المثال: مفاكهة الخلان، ص ٢٩–٣٠، ٣٤، ٣٦، ٥٥.

[113] ابن طولون، نقد الطالب لزغل المناصب، (تحقيق) محمد أحمد دهمان، (راجعه) نزار أباظة، دار الفكر العربي المعاصر–بيروت، ١٩٩٢م، ص ٤٥.

خاتمة البحث

من خلال هذه الدراسة التي تعرضت لأسرة بني المزلق داخل مدينة دمشق خلال القرن التاسع الهجري، نستطيع أن نجمل أهم نتائج البحث فيما يلي :

- احتلت فئة كبار التجار مكانة مميزة داخل المجتمع المملوكي، الذي كان يقوم بصفة أساسية على فكرة الطبقية؛ فقد استطاع هؤلاء التجار أن يلعبوا دورًا رئيسًا في جلب الأموال لخزينة الدولة، وهو الأمر الذي جعل سلاطين المماليك يسعون إلى التقرب منهم، كما كانوا يخصونهم بحسن معاملة واحترام كبير، وبفضل ذلك الأمر نالت تلك الطبقة مكانة ومنزلة بارزة في مختلف المدن المملوكية في مصر وبلاد الشام.
- ارتبط ظهور وعلو نجم أسرة بني المزلق في مدينة دمشق بالتجارة، خاصة بعدما أصبح أفراد هذه الأسرة هم الوكلاء التجاريون الرسميون للسلطة المملوكية في مدينة دمشق، وبفضل تلك التجارة نجحوا في امتلاك الثروات الكبيرة، التي جعلتهم من أشهر أعيان المدينة آنذاك.
- رغم أن بني المزلق أصبحوا وكلاء السلطة المملوكية، إلا إن ذلك لم يمنعهم من عقد عدد من الصفقات التجارية لحسابهم الخاص؛ فالبيع والشراء لتلك السلطة إنما اقتصر على تجارة التوابل، وعلى ذلك فقد استطاع بنو المزلق المتاجرة في العديد من السلع التجارية الأخرى، كالمرجان والزعفران والأحجار الكريمة.
- إلى جانب تجارتهم مع بلدان الشرق، ارتبط بنو المزلق كذلك بعلاقات تجارية مع العديد من التجار الغربيين، بصفة خاصة البنادقة، ولم تخل تلك العلاقات من ظهور بعض الخصومات والمنازعات ما بين الطرفين، وقد ظهر ذلك الأمر جليا من خلال الوثائق والأرشيف البندقي. بيد أن الشيء اللافت للنظر في هذا الأمر

هو وقوف السلطة المملوكية إلى جانب بني المزلق، وذلك رغم ما تمثله مدينة البندقية من أهمية تجارية لتلك السلطة، وهو الأمر الذي يبين بوضوح المكانة المتميزة التي تبوأتها تلك الأسرة داخل الدولة المملوكية.

- نجح بنو المزلق في أن يؤسسوا لأنفسهم أسرة ذات نفوذ قوي داخل المجتمع الدمشقي، حتى أنهم عدوا من كبار أعيان المدينة خلال القرن التاسع الهجري. تلك المنزلة الرفيعة التي احتلتها هذه الأسرة إنما تعود للعلاقات الطيبة التي ربطت بينها وبين السلطة الحاكمة، وذلك بفضل ما قدموه لتلك السلطة من خدمات جليلة وأموال أثناء مواجهة الأزمات والصعاب.
- تمكن بنو المزلق من شغل عدد من الوظائف الإدارية والدينية المهمة داخل الدولة المملوكية، وكان ذلك بمثابة الثمرة التي نجحوا في حصدها من وراء الخدمات التي قدموها للسلطة الحاكمة؛ فالبداية كانت مع بدر الدين حسن الذي تقلد منصب الإمارة بجدة، ثم نظارة الجيش بدمشق، وأخيرا كتابة السر بالمدينة نفسها. كما أن ابنه شمس الدين محمد نال منصب قاضي قضاة الشافعية بدمشق، فضلا عن تولي ابنه الآخر إبراهيم لمنصب نظر الجوالي.

مصادر ومراجع البحث

أولا: المصادر والمراجع العربية:

ابن اياس (محمد بن أحمد)، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، (تحقيق) محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب–القاهرة، ١٩٨٣–١٩٨٤.

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*، (حققه ووضع حواشيه) نبيل محمد عبد العزيز، مركز تحقيق التراث–القاهرة، ١٩٨٨.

------، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، (قدم له وعلق عليه) محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٩٩٢م.

ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد)، *إنباء الغمر بأبناء العمر*، (تحقيق) حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي–القاهرة، ١٩٧٢م.

ابن شاهين الظاهري (زين الدين عبد الباسط بن خليل)، *نيل الأمل في ذيل الدول*، (تحقيق) عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية–بيروت، ٢٠٠٢م.

ابن طوق (شهاب الدين أحمد)، *التعليق (مذكرات كتبت بدمشق في أواخر العهد المملوكي ٨٨٥هـ–٩٠٨هـ)*، (تحقيق) جعفر المهاجر، مطبوعات المعهد الفرنسي للدراسات العربية–دمشق، ٢٠٠٠م.

ابن طولون الصالحي (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد)، *القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية*، القسم الأول، (تحقيق) محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية–دمشق، (د.ت).

------، *مفاكهة الخلان في حوادث الزمان*، (وضع حواشيه) خليل المنصور، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٩٩٨م.

------، *نقد الطالب لزغل المناصب*، (تحقيق) محمد أحمد دهمان، (راجعه) نزار أباظة، دار الفكر العربي المعاصر–بيروت، ١٩٩٢م.

ابن العماد الحنبلي (شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد)، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، المجلد التاسع، (تحقيق) محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير–بيروت، ١٩٩٣م.

الأشقر (محمد عبد الغني)، *تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي*، الهيئة المصرية العامة للكتاب–القاهرة، ١٩٩٩م.

البصروي (علاء الدين علي بن يوسف)، *تاريخ البصروي (صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك من سنة ٨٧١هـ لغاية ٩٠٤هـ)*، (تحقيق) أكرم العلبي، دار المأمون للتراث–دمشق، ١٩٨٨م.

الخطيب (مصطفى عبد الكريم)، معجم *المصطلحات والألقاب التاريخية*، مؤسسة الرسالة–بيروت، ١٩٩٦م.

الزركلي (خير الدين)، *الأعلام*، دار العلم للملايين–بيروت، ٢٠٠٢م.

السخاوي (شمس الدين محمد عبد الرحمن)، *التبر المسبوك في ذيل السلوك*، الجزء الأول، (تحقيق) نجوى مصطفى كامل، لبيبة إبراهيم مصطفى، (مراجعة) سعيد عاشور، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية–القاهرة، ٢٠٠٢م.

------، الضوء *اللامع لأهل القرن التاسع*، دار الجيل–بيروت، ١٩٩٢م.

الشهابي (قتيبة)، *أبواب دمشق وأحداثها التاريخية*، منشورات وزارة الثقافة–دمشق، ١٩٩٦.

عاشور (سعيد عبد الفتاح)، *الأيوبيون والمماليك في مصر والشام*، دار النهضة العربية–القاهرة، ١٩٩٦م.

------، *العصر المماليكي في مصر والشام*، دار النهضة العربية–القاهرة، ١٩٧٦م.

------، *المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك*، دار النهضة العربية–القاهرة، ١٩٩٢م.

العريني (السيد الباز)، *المماليك*، دار النهضة العربية–بيروت، ١٩٦٧.

الغزي (نجم الدين محمد)، *الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة*، (وضع حواشيه) خليل المنصور، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٩٩٧م.

الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي)، *العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين*، الجزء الرابع، (تحقيق) فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة–بيروت، ١٩٨٦م.

فهمي (عبد الرحمن)، *النقود العربية ماضيها وحاضرها*، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي–القاهرة، ١٩٦٤م.

القلقشندي (أبو العباس أحمد)، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، مطبعة دار الكتب المصرية–القاهرة، ١٩٢٢م.

القوصي (عطية)، "أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة"، مقال *بالمجلة التاريخية المصرية*، المجلد الثاني والعشرون، مطبعة الجبلاوي–القاهرة، ١٩٧٥م.

لابدوس (ايرا)، *مدن إسلامية في عهد المماليك*، (نقله إلى العربية) على ماضي، الأهلية للنشر والتوزيع–بيروت، ١٩٨٧م.

المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي)، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، (تحقيق) محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٩٩٧م.

النعيمي (عبد القادر بن محمد)، *الدارس في تاريخ المدارس*، (أعد فهارسه) إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٩٩٠م.

ثانيًا: المصادر والمراجع الغربية:

Appellaniz (**Francisco Javier**), *Pouvoir et finance en Méditerrqnée pré-moderne : les deuxième etat mamelouk et le commerce des épices (1382-1517)*, Consejo superior de investigaciones cientificas, Barcelona, 2009.

--------, "The Funduqs of Damascus seen by Frankish Notaries and Merchants", in *Viatjar a l'Edat Mitjana, Travel in the Middle Ages*, organized by Musée de Cluny, Paris, 2014, pp. 266-270.

Ashtor (**Eliyahu**), "Le monopole de Barsbay d'après des sources vénitiennes", in *Anuario de Estudios Medievales*, No. 9, 1979, pp. 551-572.

--------, *Levant Trade in the Middle Ages*, Princeton University Press, New Jersey, 1983.

--------, "Profit from Trade with the Levant in the fifteenth Century", in *Bulletin of the School of Oriental and Africain Studies*, University of London, Vol. 38, No. 2, 1975, pp. 250-275.

--------, "The Venetian Supremacy in Levantine Trade : Monopoly or pre-Colonialisme?" in *Studies on the Levantine Trade in the Middle Ages*, ed. Variorum Reprints, London, 1978, pp. 5-53.

Balard (**Michel**), "European and Mediterranean Trade Networks", in *The Cambridge World History, Vol. V (Expanding Webs of exchange and conflict, 500-1500)*, edited by: Benjamin Kedar, Cambridge University Press, 2015, pp. 257-286.

Ben-Bassat (**Yuval**), *Developing Perspectives in Mamluk History*, Bril, Leiden, 2017.

Colin (**Jean**), *Cyriaque d'Ancone : le voyageur, le marchand, l'humaniste*, Paris, 1891.

Cytryn–Silverman (**Katia**), *The Road Inns (Khans) in Bilad al–Sham*, Oxford, 2010.

Darrag (**Ahmad**), *L'Egypte sous le règne de Barsbay*, Institut français de Damas, 1961.

Fischel (**Walter**), "The Spice Trade in Mamluk Egypt", in *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, 1:2, 1958, pp. 157–174.

Jorga (**N.**), *Notes et Extraits pour servir à l'histoire des croisades au XVe siècle*, Paris, 1902.

Piloti (**Emmanuel**), *L'Égypte au commencement du XVe siècle d'après le traité d'Emmanuel Piloti de Crète,* Le Caire, 1932.

أرضيات المسجد الحرام

(٩٢٣ - ١٤٢٦هـ / ١٥١٧- ٢٠٠٥م)

دراسة تاريخية

د. فهد بن عتيق الشبان المالكي
أستاذ التاريخ الحديث المشارك
بجامعة أم القرى

ملخص البحث:

فهذا بحث يتناول بالدراسة والاستقصاء أرضيات المسجد الحرام خلال عصر الدولة العثمانية؛ وكذلك في العصر السعودي، ويحتوي البحث على مقدمة لتبيان أهمية الموضوع وسبب اختياره، وأهم الصعوبات والتسهيلات وكذلك يحتوي على تمهيد تم فيه استعراض التطور التاريخي لأرضيات المسجد الحرام في عصر النبوة وفي العصر المملوكي، ثم اشتمل البحث على مبحثين: الأول تناولت فيه التطور التاريخي لأرضيات المسجد الحرام في العصر العثماني، والمبحث الثاني: كان مخصص لإبراز جهود القيادة السعودية في تطوير أرضيات المسجد الحرام وتوضيح القفزات الهائلة التي تمت فيها، ثم عقب ذلك خاتمة تم فيها توضيح أهم النتائج التي توصل لها الباحث.

Abstract:

This research deals with the study and survey the floors of the Grand Mosque during the era of the Ottoman Empire; as well as in the Saudi era, The research contains an introduction to show the importance of the subject and the reason for its selection, and the most important of the facilities and facilities as well as contains a preliminary review of the historical development of the floors of the Grand Mosque in the era of prophecy and the Mamluk era, The second study was devoted to highlighting the efforts of the Saudi leadership in developing the floors of the Holy Mosque and clarifying the huge jumps that took place in them. Then, the conclusion was made to clarify the main findings of the study. Her researcher.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فلقد أهتم المسلمون منذ صدر الإسلام ولا سيما ممن شرَّفه الله بالولاية عليها من حكومات متعاقبة من خدمة بيته العتيق، اهتماماً بالغاً بالمسجد الحرام، فتنوع ذلك الاهتمام في بذل الأموال بسخاء على تنفيذ مشاريعه وعمارته والعناية به.

ولقد استمرت تلك الحكومات التي حكمت مكة المكرمة عبر تاريخهم الطويل يهتمون بالمسجد الحرام ويبذلون الغالي والنفيس في سبيل راحة قاصديه؛ لأدائهم مناسك عبادتهم بكل يسرٍ وسهولة، ومن بين مظاهر الاهتمام أرضيات المسجد الحرام، وتبليطها التي مرت بالعديد من المراحل منذ أن فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة في السنة الثامنة للهجرة حتى العصور الحديثة.

فلقد بذلت الحكومات التي تولت الإشراف على المسجد الحرام جل اهتمامها وعنايتها بالقدر الذي تيسر لها، إلى أن جاء عهد الدولة السعودية فكان من صميم رسالتهم الاهتمام ببيت الله الحرام، وبلغ الاهتمام في عهدهم بأرضيات المسجد الحرام مبلغاً كبيراً، فقاموا بتبليط أرضياته بصورة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث ((أرضيات المسجد الحرام منذ دخول العثمانيين الحجاز عام ٩٢٣ / ١٥١٧م حتى نهاية عهد الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود – يرحمه الله – عام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)) وقد تم تسليط الأضواء من خلال مجريات البحث على التطور التاريخي لأرضيات المسجد الحرام منذ عصر النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – حتى عصر الدولة العثمانية ثم تبيان النقلة النوعية (كماً وكيفاً) في عصر المملكة العربية السعودية، ولذلك قسمت البحث إلى:

تمهيد ومبحثان، وجاء التمهيد تحت عنوان (أرضيات المسجد الحرام من عصر النبوة حتى نهاية العصر المملوكي)، وأما المبحث الأول فقد خُصص بدراسة التطور التاريخي لأرضيات المسجد الحرام في العصر العثماني، وأما المبحث الثاني فقد تناولت فيه التطور التاريخ لأرضيات المسجد الحرام في العصر السعودي، وقد شهد هذا المبحث بسط الحديث عن النقلة النوعية والمتغيرات الجوهرية التي تم استخدامها في تبليط المسجد الحرام.

وأما بالنسبة للصعوبات التي واجهتني في إعداد البحث فتكمن في أن المعلومات المتعلقة به عبارة عن شذرات متناثرة في بطون الكتب، وتتبعها تطلب بذل الجهد ومضاعفة العمل، وأما التسهيلات؛ فهي توفيق الله – عز وجل – والعناية الإلهية التي كانت مصدر إلهام أنارت الطريق أمامي للوقوف على أوعية المعلومات المتعددة.

كل هذه الأحداث التاريخية هي ما يسر الله – سبحانه وتعالى – لي جمعها وتحليلها ومعالجتها وطرحها بأسلوب علمي، الهدف من ورائه إبراز التطور التاريخي لأرضيات المسجد الحرام في العصر العثماني، وتوثيق لجهود القيادة السعودية في العصر السعودي المبذولة في العناية والاهتمام بها ورعايتها خير رعاية.

هذا وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،

تمهيـــد:

أرضيات المسجد الحرام من عصر النبوة حتى نهاية العصر المملوكي

كان المسجد الحرام قبل الإسلام منذ زمن سيدنا إبراهيم – عليه السلام – إلى زمن قصي بن كلاب[١]، فسحة واسعة حول الكعبة، لأن من نزل بمكة يسكنون الشعاب ويتركون ما حول الكعبة؛ احتراماً لها، فلم يكن بالحرم أي بيت قائم؛ لتحريم السكن بمكة؛ تعظيماً لحرمتها بعدم البناء فيها، فقبل (قصي) كانت القبائل من عمالقة وجرهم وقريش وغيرهم، يسكنون في شعاب مكة ويتركون حول الكعبة؛ احتراماً وتعظيماً لشأنها فلا يجترئ أن يبني أحدٌ بجوارها داراً أو جداراً، أو يحدث جديداً على أرضيَّاتها (التي كانت حول المطاف تراباً ورملاً من نفس تربة مكة المكرمة)[٢].

ونظراً لقلة سكان مكة المكرمة (في زمن النبوة) لم تكن هناك حاجة لوضع أرضيات للمسجد الحرام؛ لأن سعة مدار الطواف كانت كافية لصلاة المسلمين المقيمين بمكة، ولهذا لم يحدث في المسجد الحرام زيادة ولا توسعة ولا تغيّر في العصر النبوي، ولا خلافة أبي بكر الصديق –رضي الله عنه –. [٣]

وفي عهد عمر بن الخطاب –رضي الله عنه –تم فرش المسجد الحرام بالحصباء،

---

(١) هو الجد الرابع للنبي محمد صلى الله عليه وسلم حصل على نفوذ واسع في مكة المكرمة، ويعتبر أشهر رئيس في قبيلة قريش في عصر ما قبل الإسلام حيث أنه انتصر لقريش على باقي قبائل كنانة وخزاعة حينما أخرجهم من مكة وجعل سكنى مكة خاصة لقريش. وكانت إليه السدانة والسقاية والرفادة والندوة ولواء الحرب. ابن قتيبة، عبدالله محمد بن مسلم، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ص٧٠، ابن سعد، محمد بن مشيع: الطبقات الكبرى، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ص٦٦.

(٢) الأرزقي: أخبار مكة ١٧٦/١، ٦٤٩/٢– ٦٥٦؛ الفاكهي أخبار مكة، ١٧١/٥ – ١٧٥، المقريزي: بناء الكعبة ص١٢٤؛ السنجاري: منائح الكرام ٣٦٨/١، ٣٩١؛ النهروالي: إعلام الأعلام، ص٤٣–٤٩؛ الغازي: إفادة الأنام، ٢٤٢/١، ٢٤٣؛ مجهول: أحوال الحرمين الشريفين، ص٤٠؛ الكردي: التاريخ القويم.

(٣) عبدالستار محمد فيض، الزيادات في المسجد الحرام، ص٧٢.

(وهو عبارة عن حجارة صغيرة من وادي العقيق)، وقد استمرت أرضيات المسجد الحرام على حالها حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين(٤).

أما في العصر الأموي فإن الإضافة على أرضيات المسجد الحرام تكمن في ما فعله عبدالله بن الزبير – رضي الله عنه –(٥)، حيث فرش المطاف حول الكعبة نحو عشرة أذرع، وبذلك أصبح أول من فرش دائرة المطاف بالحجارة المنحوتة المصقولة(٦).

أما في العصر العباسي فقد استمرت دائرة المطاف مفروشة بالحجارة المنحوتة حول الكعبة المشرفة دون تحديد لمدارها أو محيطها حتى تولى الخليفة العباسي الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤٢ – ٨٤٧م) (٧) فأمر بعشرة أعمدة من شبه(٨)، طوال تدار حول محل الطواف وأمر بثمان ثريات كبار وضعت عليها؛ ليستصبح بها الطائفون، وكانت مقسمة

---

(٤) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ط١، جدة، بن لادن، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٩١ – ١٩٢.

(٥) هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، وأمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، ذات النطاقين، ولد بالمدينة بعد ٢٠ شهر من الهجرة وتوفي سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م.

للاستزادة عنه انظر: ابن سعد: أبو عبدالله محمد بن سعد، كاتب الواقدي (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، جـ٨، ص١٨٢، ابن هشام: أبو محمد بن عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري العافري (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، السيرة النبوية، ١ – ٤ حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحميد شلبي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ١/ ص٤٨٦.

(٦) الأزرقي: أخبار مكة، ٣٠٤/١، ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٨، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٣؛ الفاسي: شفاء الغرام، ٢٣٠/١، ٢٤٢؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ٧٤/٢، ٧٥، الأسدي: إخبار الكرام، ص١٦٤، ١٤٣؛ السنجاري: منائح الكرم، ٢٢/٢، ٢٣؛ الغازي: إفادة الأنام، ٣١٥/١؛ الكردي: التاريخ القويم، ٣/ ص١٧٠، ١٧١؛ ٢٦٣.

(٧) هو هارون الثاني الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، وهو تاسع الخلفاء العباسيين يطلق عليه المأمون الخير لأدبه وفضله، عثمان أ؛مد علي، الخليفة العباسي الواثق بالله (رسالة ماجستير، جامعة القدس، بيروت، ٢٠٠٣م)، ص١٧.

(٨) الشبه: النحاس يصبغ فيصفر. ابن منظور: لسان العرب، ٥١٦/١٣.

على جهات الكعبة الأربعة في كل جهة اثنتان[٩].

وفي عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ – ٢٨٩هـ/ ٨٩٢ – ٩٠٢م) [١٠]، أُسْتُكْمِلَ بلاط المطاف من جميع الجهات حول الكعبة المشرفة[١١].

وبذلك تنتهي أعمال الخلفاء العباسيين وتعميرهم لمحل المطاف (الداير حول الكعبة المشرفة)، حيث بقيت أرضيات المسجد الحرام تلتف حول دائرة المطاف وبقي فرشها بالحصباء واستمر تحصيب أرضيات المسجد الحرام، وكان يحصب في كل سنة بـ ٤٠٠ دينار[١٢].

وفي عهد المماليك وتحديداً عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون[١٣]، بتعمير المسجد الحرام وإصلاحه، فكانت من ضمن تلك الأعمال استحداث أرضيات دائرية حول المطاف، وقد صنع بعضها بالحجارة المنحوتة الدقيقة، والباقي من الآجر مجصص، وجعل بيد كل من الأساطين خشبة ممدودة راكبة عليها وعلى المقامة لها؛ لأجل القناديل التي تعلق للاستضاءة حول الكعبة عوضاً عن الأخشاب التي كانت في هذا المكان على صفة الأساطين[١٤].

وفي سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م أمر السلطان الأشرف شعبان بن حسين (٧٦٤ – ٧٧٨هـ/ ١٣٦٢ – ١٣٧٦م) [١٥] بتبليط كامل المطاف بالحجارة المنحوتة[١٦]، وفي عهد

---

(٩) الأزرقي: أخبار مكة، جـ١، ص٤٠١؛ السنجاري: منائح الكرم، جـ٢، ص١٥٨.

(١٠) هو أول خليفة عباسي لم يكن والده خليفة من قبل.، بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله، وكان شجاعاً مهيباً. عبدالكريم عبده حتامله، خلافة المعتضد بالله، (رسالة ماجستير) جامعة القدس، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ص١٣.

(١١) ابن فهد: إتحاف الورى، ٢/ ص ص٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢؛ القبطي: إعلام العلماء الأعلام، ص ص٨٦، ٨٧.

(١٢) الفاكهي: أخبار مكة، ٢/ ص ص١٣١، ١٣٢؛ ابن فهد: إتحاف القرى، ٢/ ص٣٣٨.

(١٣) هو أحد أشهر سلاطين المماليك استمر حكمه على ما يزيد عن قرن من الزمان، محمد فوزي عبيدات، السلطان قلاون المملوكي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٤.

(١٤) ابن فهد: إتحاف الورى، ٣/ ص٢٠٧.

(١٥) هو الملك الأشرف زين الدين شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون تولى حكم مصر عام ٧٦٤هـ/١٣٦٣م، للمزيد انظر: عدنان شطناوي، دولة المماليك في مصر والشام في عهد

السلطان الأشرف برسباي (٨٣٠هـ/١٤٢٦م) [١٧] تجددت أرضيات المسجد الحرام، حيث جعل الحصى فيه وبطحه، فحرث بالبقر جميع المسجد الحرام وكُوم التراب جميعه كيماناً، ثم رُفِعَت بالحمير إلى أسفل مكة، وأزيل من الحرم، وبُطح الحرم ببطحاء مغربلة من ذي طوى بأسفل مكة المكرمة[١٨].

وفي سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م تم إعادة تكحيل أرضيات المسجد الحرام بأمر السلطان الأشرف برسباي بعد أن ظهر عدة شقوق فيها من جراء السيول وأصلح معه بعض رخامات بشاذروان الكعبة تحت الحجر الأسود[١٩]، وأثناء فترة سلطنة الظاهر جقمق (٨٤٢ – ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨–١٤٥٣م) [٢٠] أمر عام ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م بإصلاح ما تُلِفَ من المسجد الحرام، فصب الرصاص المذاب في الحفر (التي بأرض المطاف (٨٧٣ – ٩٠١هـ/ ١٤١٢هـ – ١٤٩٦م))[٢١].

وفي سنة ٨٨١هـ/١٤٧٧م أمر السلطان قايتباي[٢٢]، بإصلاح ما انكسر من أخشاب

السلطان الأشرف شبان بن حسين (رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠١م)، ص٦٥.

(١٦) ابن فهد: إتحاف الورى، ٣/٤٥٢، ٤٥٣، السنجاري: منائح الكرم، ٢/ ص٤٠٧.

(١٧) هو الأشرف سيف الدين برسباي، يعد السلطان الثاني والثلاثون في ترتيب سلاطين دولة المماليك، للمزيد انظر: ناجي محمد الأيوبي، السلطان المملوكي الأشرف سيف الدين برسباي سيرته وأعماله (رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، السعودية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠١٧م)، ص٨.

(١٨) ابن فهد: إتحاف الورى، ٣/ ص٦٣٧.

(١٩) نفسه، ٤/ ص٤٦.

(٢٠) هو أحد سلاطين المماليك، تولى حكم مصر عام ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م ويعد السلطان الرابع والثلاثون في ترتيب سلاطين المماليك. للمزيد انظر: فيصل حبطوش، أعلام الشراكسة (ط١، الأردن، عمان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م)، ص٣٣.

(٢١) ابن فهد: إتحاف الورى، ٤/ ص١٩٧.

(٢٢) هو الملك الأشرف أبو النصر قايتباي المحمودي الظاهري، يعد الملك الثامن من ملوك الجراكسة، السادس عشر من سلاطين المماليك البحرية والجراكسة، للمزيد انظر: إسماعيل أحمد، مدرسة السلطان قايتباي في المسجد الحرام (العدد ٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص٨٢.

أروقة المسجد الحرام، وعمل الترميمات اللازمة لأرضيات المسجد الحرام والكعبة المشرفة، فتم إصلاح ذلك ثم قام بمباشرة الأعمال بتغيير رخام حجر إسماعيل – عليه السلام – داخلياً وخارجياً وصب الرصاص بأرض المطاف حول الكعبة(٢٣)، كما قام ببطح المسجد الحرام وفرشه بالحصباء(٢٤).

وفي سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م أمر السلطان الغوري(٢٥) (٩٠٦ – ٩٢٢هـ/ ١٥٠٠ – ١٥١٦م) بترميم أرضيات المسجد الحرام برصاص أذيب في المسجد وصب في أماكن من المطاف.

والجدير بالذكر أن عهد المماليك شهد عناية كبيرة بأرضيات المسجد الحرام، وخاصة في الأوقات التي تأثر بها من العوامل الطبيعية كهطول الأمطار وجريان السيول داخل جنبات المسجد الحرام مما أثر على أرضيات المسجد الحرام هذا من جهة، ومن جهة أخرى تزاحم الناس عند الكعبة المشرفة، كل هذه عوامل جعلت من سلاطين المماليك في متابعة مستمرة لإصلاح الأرضيات – على حسب الإمكانيات المتاحة لهم.

المبحث الأول

أرضيات المسجد الحرام في العصر العثماني

استمر سلاطين الدولة العثمانية على نهج أسلافهم السلاطين المماليك في الاهتمام بشئون المسجد الحرام؛ لمكانته العظيمة، فعندما آل إليهم أمر الحجاز بعد إزاحة الدولة المملوكية من مصر والشام، اتبعوا ما كان يقوم به السلاطين المماليك من أعمال إصلاح

(٢٣) ابن فهد: إتحاف الورى، ٤/ ص٦٠١.

(٢٤) ابن فهد: إتحاف الورى، ٤/ ص ص٦١٢ – ٦٢٠.

(٢٥) هو السلطان قانصوه الغوري أحد السلاطين بمصر من سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م حتى سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، كان في الأصل من مماليك السلطان الأشرف قايتباي، ابن إياس. بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٢هـ/ ١٨٩٢م، ص٤٨.

وتجديد لبيت الله العتيق ، ومن تلك الأعمال: العناية بأرضيات المسجد الحرام [٢٦].

فقد كانت باكورة تلك الأعمال ما قام به السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ – ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠ – ١٥٦٦م) [٢٧] (منذ توليه الحكم) بأنه أرسل إلى مكة المكرمة مرسوماً يأمر فيه بفرش أرضيات المسجد الحرام بحصباء نقية[٢٨]، وفي سنة ٩٥٩هـ/ ١٥٥١م أصدر أوامره بتبليط المطاف كاملاً، فتم تغييره ببلاط جديد على دائرة المطاف جميعه على يد أحمد جلبي المقاطعجي[٢٩].

وفي سنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م شرع السلطان سليمان في تسوية المطاف لما بدى من أحجاره، إذ كانت قد انفصلت عن بعضها حتى صار بين كل حجرين حفرة، وكانت تلك الحفرة تسد تارة بالنورة وتارة بالرصاص وتسمر بمسامير الحديد فأزيل ما بين تلك الأحجار

---

(٢٦) فوزية حسين مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي حتى العثماني (رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية ، ١٩٨٦م/ ١٤٠٦هـ) ص١٦٣.

(٢٧) سليمان خان الأول بن سليم خان الأول (بالتركية العثمانية: سليمان بن سليم؛ بالتركية: Suleyman، كان عاشر السلاطين العثمانيين وخليفة المسلمين الثمانين، وثاني من حمل لقب "أمير المؤمنين" من آل عثمان. بلغت الدولة الإسلامية في عهده أقصى اتساع لها حتى أصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت. وصاحب أطول فترة حكم من ٦ نوفمبر ١٥٢٠م حتى وفاته في ٧ سبتمبر سنة ١٥٦٦م خلفاً لأبيه السلطان سليم خان الأول وخلفه ابنه السلطان سليم الثاني. عُرف عند الغرب باسم سليمان العظيم وفي الشرق باسم سليمان القانوني (في التركية Kanuni) لما قام به من إصلاح في النظام القضائي العثماني. أصبح سليمان حاكمًا بارزًا في أوروبا في القرن السادس عشر، يتزعم قمة سلطة الدولة الإسلامية العسكرية والسياسية والاقتصادية. قاد سليمان الجيوش العثمانية لغزو المعاقل والحصون المسيحية في بلغراد ورودوس وأغلب أراضي مملكة المجر قبل أن يتوقف في حصار فيينا. ضم أغلب مناطق الشرق الأوسط في صراعه مع الصفويين ومناطق شاسعة من شمال أفريقيا حتى الجزائر. تحت حكمه، سيطرت الأساطيل العثمانية على بحار المنطقة من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر حتى الخليج. المصدر: نور الدين حواش: سليمان القانوني (مجلة حراء، تركيا، س ٧، ٣٠٤، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٢م)، ص٦٢.

(٢٨) جارالله محمد بن عبدالعزيز : نيل المنى بذيل بلوغ القرى١/ ص٢٤٩.

(٢٩) هو أحمد جلبي المقاطعجي: دفتر مصر محمد بن سليمان، وصل إلى مكة متولياً منصب ناظر الحرم الشريف في افتتاح سنة ٩٥٨هـ، كان من فضلاء كتبه مصر، وله شعر بالتركية. النهروالي: الأعلام ٥٥، القطبي: أعلام العلماء، ص٥٥.

ونحت أطراف الحجر إلى أن ألصقت بطرف الحجر الأحمر من جوانبه الأربع وقد استمر فرش المطاف على هذا النمط إلى أن تم ذلك وفرشوا المسجد الحرام جميعه بالجص(٣٠)، وأرَّخ العلامة الشيخ عبدالعزيز الزمزمي الشافعي في فرش المطاف ونظم الشعر(٣١)بقوله:

انْظُـرْ إلَـى أَحْجَـارِ المطَـافِ ... لَـمْ يَبْـقَ فِـي أَرْجَـائِهِنَّ اخْـتِلاف
وادعُ لِمَـنْ صَـيَّرَهَا أَمْـرَه ... عَلَـى اسْـتِوَاءٍ ظَـاهِرٍ وائْـتِلاف
وَهُـوَ مَلِيـكُ الْعَـصْرِ بحـرُ النَّـدَى ... مَـرْدِي الْعَـدَى قَـامِعُ أَهْـلِ الخِـلَاف
أَعْنَـى سُـلَيْمَانَ بِـنْ عُثْمَـانَ مِـنْ ... كُـلُّ مُلُـوكِ الأَرْضِ مِنْـهُ تَخَـاف
عُمَـرُ مِـنْ أَرْضِ المَطَـافِ الَّـذِي ... كَـانَ خَرَابـاً وَتلافَـى الْـتَّلَاف
لَـوْ قِيـلَ مَـاذَا جَـاءَ تَارِيخُـهُ ... لَقِيـلَ عَمَـرَتْ جَمِيـعُ الْمطَـاف
دَامَ مَلِيكـاً عَـادِلاً قَـاهِراً ... جَمِيـعُ أَهْـلِ الظُّلْـمِ الْاعْتِـسَاف(٣٢)(٣٣)

وتم استكمال أعمال أرضيات المسجد الحرام في عهد السلطان سليم الثاني خان بن

---

(٣٠) من الخامات المتوفرة بكثرة في الأرض وهو أكثر معدن كبريتي منتشر في الطبيعة بأحد شكليه المعدني أو صخر رسوبي وهو يتداخل مع معدن الأنهدريت (كبريتات الكالسيوم اللامائية) ويتواجد مع الدولوميت والطين والحجر الجيري وهو ذو لون رمادي أوأبيض ويميل إلى الإحمرار في بعض الأحيان وقد يكون وجوده على سطح الأرض أو على أعماق قد تصل إلى /٣٥٠/م ، يوسف الدواف : إنشاء المباني (ط٦، القاهرة ، بدون نشر ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ص٦٥.

(٣١) هو الشيخ عبد العزيز الزمزمي (٩٠٠ – ٩٧٦هـ): هو عبد العزيز الرئيس الزمزمي عز الدين بن علي بن عبد العزيز البيضاويُّ الشِّيْرازيُّ الأصلِ، ثُمَّ المكيُّ الزمزميُّ الشافعي، نشأ بمكة، وتلقى العلم عن علمائها، وبرع في الفنون العلمية كالتفسير واللغة والأدب، وله منظومة التفسير، وشرح مقامات الحريري ، نجم الدين العزي ، الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة (ط١، بيروت ، دار المكتبة العلمية ، ١٣٩٧هـ /١٩٩٧م ، ١/ ص٢٦٩.

(٣٢) السنجاري: منائح الكرم، ٣/ ص ص٣٤٠، ٣٤١، النهروالي: الأعلام، ص٥٨، المحب الطبري: إتحاف فضلاء الزمان، أحداث سنة ٩٥٩هـ.

(٣٣) وصف الشاعر من خلال الأبيات ما تم عمله من تبليط لأرضيات المسجد الحرام في عصر السلطان العثماني سليمان القانوني.

السلطان سليمان الأول القانوني (٩٧٤-٩٨٢هـ/ ١٥٦٦-١٥٧٤م) [٣٤]، فقد أمر بتعمير حاشية المطاف التي تدور خارج أساطين المطاف، بحيث تلتف حول دائرة المطاف، ففرشها بالحجر الصوان المنحوت بعد أن كانت مفروشة بالحصباء، ويدور بها دور حجارة مبنية منحوتة حول الحاشية كالافريز لها، ففرشت في أيام الموسم، وصار محلاً لطيفاً دائراً بالمطاف من بعد أساطين المطاف، وصار ما بعد ذلك مفروشاً بالحصباء كسائر المسجد[٣٥].

وبعد وفاة السلطان سليم الثاني تولى السلطان مراد الثالث (٩٨٢ – ١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤ – ١٥٩٥م) [٣٦] فتم في عهده فرش المسجد بالحصباء الجديدة بعد أن جاء سيل ليلة الأربعاء ١٠ جمادى الأولى سنة ٩٨٣هـ/١٦ أغسطس١٥٧٥م، ودخل من أبواب المسجد الحرام حتى امتلأ المطاف الشريف وارتفع حتى غطى الحجر الأسود وجدار حجر إسماعيل –عليه السلام –، وبعد خروج الماء حضر ناظر الحرم، ومعه الخدم، وقاموا بتنظيف المطاف الشريف وأخرجت جميع الأوساخ وفرش أرضيات المسجد بالحصباء الجديدة[٣٧].

واستمر في العمل في أرضيات المسجد الحرام التي بدأها أبوه السلطان سليم خان، فقد أصدر المرسوم السلطاني سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م بأن يستمر في فرش أرضيات المسجد

---

(٣٤) هو تاسع سلاطين الدولة العثمانية ، وأوّل من حمل لقب" أمير المؤمنين "من آل عثمان. حكم الدولة العثمانية من سنة١٥١٢ حتى سنة ١٥٢٠ يُلقب" بالقاطع "أو" الشجاع " عند الأتراك نظرًا لشجاعته وتصميمه في ساحة المعركة ، رزيقة قرشي: السياسية الخارجية للدولة العثمانية خلال عهد سليم الأول (رسالة ماجستير، جامعة الجيلالي، الجزائر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠١٦م) ص ٢٧.

(٣٥) السنجاري: منائح الكرام ٣/٤٧١: ٤٧٧؛ القطى: إعلام العلماء الأعلام، ص١٤٤.

(٣٦) هو أحد خلفاء الدولة العثمانية. ولد عام ٩٥٣ هـ وتولى الخلافة عام ٩٨٢ هـ بعد وفاة أبيه، وبعد أن تولى السلطة أمر بمنع شرب الخمر، ولكن ثورة الإنكشارية أجبرته على ترك هذا القرار، ميز عهد السلطان سليم الأول عما سبقه من العهود بأن الفتوحات تحولّت في أيامه من الغرب الأوروبي إلى الشرق العربي. نبذة في ذكر ملوك آل عثمان. مخطوط مجهول المؤلف موجود بمكتبة الأسد الوطنية. دمشق. رقم ٨٤٣٤. ص:٥١.

(٣٧) القطبي: ص١١، النهروالي: الأعلام، ص٣/٤.

الحرام حتى أتم في عهده تبليط المسجد الحرام في أواخر سنة ٩٨٤هـ /١٥٧٦م وصار المسجد نزهة الناظر وجلاء الخاطر، فكانت عدد الأسطوانات (الأعمدة) التي طوقت أرضيات صحن المطاف ، وأحاطته بعد تلك التجديدات ١٣٢ أسطوانة جميعها من النحاس الأصفر ينظمهم طوق من جديد يعلق من كل أسطوانتين ٧ قناديل، فكان عرض المطاف من جدر الحجر مما يقابل الميزاب إلى جهة مقام الحنفي ٢٢ ذراعاً وعرض المطاف من جهة المتجار إلى آخره ٣٠ ذراعاً، وعرض المطاف أيضاً من جهة الركن اليماني إلى المطاف ٢٨ ذراعاً ودائرة الطواف مرتفعة عن الأرض نحو ثلث ذراع، وفيها من الأسطوانات النحاس ٢١ أسطوانة و٢ من الرخام الأبيض وتحت كل أسطوانة حجر مربع هو قاعدة الأسطوانة ومن كل أسطوانتين وترص خشب مصفح بالرصاص وفيه ٧ قناديل وبعد الأسطوانات حاشية الطواف، وكانت تفرش بالحصا كسائر المسجد[٣٨].

وفي عهد السلطان محمد الثالث خان بن مراد خان (١٠٠٣ – ١٠١٢هـ/ ١٥٩٥ – ١٦٠٣م)[٣٩]، بدأ أعماله بالمسجد الحرام بتبليط جميع أرض المطاف بالرخام المرمر[٤٠] سنة ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م، وبعد أن تم ذلك الفرش المرمري استحدث أربعة مماشي؛ لكي تصل بين صحن المطاف المبلط بالمرمر، وأروقة المسجد الحرام فكانت إحداهم واصلة إلى باب السلام والثانية إلى باب الصفا، والثالثة إلى باب العمرة، والرابعة إلى باب الحزورة، والجناحان اللذان بجانبي مقام الحنفي، والفرش الذي خلفه والذي تجاه المنبر، وذلك لأنهم كانوا كلما أزالوا شيئاً من المطاف جعلوه في هذه الأماكن[٤١].

---

(٣٨) السنجاري: منائح الكرم، ٣/ ص ص٤٧١: ٤٧٧.

(٣٩) هو الخليفة العثماني الثالث عشر من سلاطين الدولة العثمانية كان شاعراً، وهو ابن جارية بندقية الأصل، اشتراها السلطان مراد واصطفاها لنفسه. محمد بوكيوط، السلطان الثالث (مجلة أمل، المغرب، العدد ٣١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص٩٤.

(٤٠) هو نوع من المعادن البيضاء، يتميز بصلابته وشدة بياضه وجوده طبيعياً. أنطونيو دي يونيس، صناعة المرمر، (مجلة المشرق، إيطاليا، العدد ٣، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، ص٥٣.

(٤١) السنجاري: منائح الكرم، ٣/ ص ص٥٠٠ ، ٥٠١، ٥٢٠، ٥٢١؛ الشلي: عقد الجواهر والدرر، ٣٢٨/١، العصامي: سمط النجوم العوالي، ٤/ ص١٠٢.

وأرَّخ الإمام عبدالقادر الطبري[٤٢] مبدأ الشروع بقوله:

سَـــــــأَلْتَ أَهْـــــــلَ بَيْتِـــــــهِ بِالْبَيْـــــتِ حِـــــينَ طَـــــافُوا
تَارِيخُـــــــــــهُ فَقَـــــــــالُوا قَـــــدْ رَخِـــــم الْمَطَـــــاف[٤٣]

وأرَّخ أسعد أفندي مفتي الديار الرومية[٤٤]، ذلك بقوله من مثمن الكامل: (وهو متروك عند العروضيين).

زَانَ الْمَطَـــــــــافُ بِمَرْمَـــــــــرِ مَلِـــــكَ الْأَنَـــــامِ مُحمَّـــــد[٤٥]

وفي ١٣ شوال ١٠١٠هـ/ ٥ أبريل ١٦٠١م أمر السلطان محمد خان بترميم أرض المطاف وترخيم مقام الحنفي ومحرابه وتجديد الشاذروان الملاصق بجدار الكعبة[٤٦].

وفي عهد السلطان مراد الرابع (١٠٣٢ – ١٠٤٩هـ/ ١٦٢٣ – ١٦٤٠م) [٤٧] وقبل إعادة بناء الكعبة المشرفة سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م على أثر سقوطها من جراء سيل سنة ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م جرى تنظيف المسجد الحرام من الطين الذي غشيه وملأه، وتم غربلته

(٤٢) هو عبدالقادر محمد بن يحيى بن مكرم الطبري الشافعي، إمام المقام الشافعي وخطيب المسجد الحرام، ولد بمكة المكرمة، وطلب العلم وهو صغير، فحفظ القرآن الكريم، وصلى التراويح إماماً بالمسجد الحرام، محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، (ط٣، المطبعة الوهبية، ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م) ج٣، ص٨٧.

(٤٣) السنجاري: منائح الكرم، ٥٠١/٣١.

(٤٤) هو أسعد أفندي بن علي عثمان، ولد في بلاد البلقان ثم انتقل إلى استانبول وأصبح مدرس ثم قاضي، مؤلف مجهول، دفتركشيخانه أسعد أفندي (ط١، تركيا، مطبعة محمود بك، ١٤٢٦هـ/ ٢٠١٦م)، ص١٧.

(٤٥) السنجاري: منائح الكرم، ٣/ ص٥٢١ .

(٤٦) نفسه، ٣/ ص ٥٢٢.

(٤٧) هو السلطان العثماني السابع عشر، حكمت بغداد في عهده، وكان يجيد اللغة العربية، والفارسية. صالح محمد العابد، جملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العدد ٤، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص٧٥.

وإخراج بعض حصى المسجد منه ثم أعاد فرش أرضيات المسجد الحرام، وأثناء بناء الكعبة المشرفة في سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م بعد عيد الفطر مباشرة اكتشف شريف مكة وناظر الحرم أن بعض رخام الطواف قد تكسر؛ بما سقط عليه من أحجار الكعبة حال سقوطها من السيل، وفي يوم السبت ٨ شوال من سنة ١٠٤٠هـ/ ٩ مايو ١٦٣٠م شرعوا في ترميم المنكسر من رخام الطواف، بإخراج القطع المكسورة وإبدالها بالسليم ثمَّ شرع المنقلون(٤٨)، في تكحيل صفة المطاف وممشى باب السلام، وباب الزيادة، ، ثم جاء بالحمير قرب المسجد الحرام وعلى ظهورها الحصى الذي يفرش به أرضيات المسجد الحرام ، وأزالته وألقته عند المقام الحنبلي وما يحاذيه حتى فرشوه(٤٩)، كما قام العمال بإزالة ممشى باب الزيادة من الباب إلى حذاء السليمانية ثم أعادوا بناء الممشى إلى باب الزيادة كما كان (٥٠).

وبعد أن تم إعادة بناء الكعبة المشرفة سنة ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م حدث سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م خلل في أرضيات المسجد الحرام، فَعُرِضَ ذلك الخلل على السلطان مراد صاحب مصر، فجاء الأمر بإصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح، وبعد أن فرغوا من التجديد، قاموا بفرش أرضيات المسجد الحرام بالحصى، وأصلحوا المماشي وما فيها من الممرات بالنورة(٥١).

كما أصدر السلطان محمد الرابع مرسوماً سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م بترميم أرضيات المسجد الحرام فورد صنجق جدة بعد أن فوض إليه مشيخة الحرم ونظارة عمارته، فشرع في ترميم أرضيات المسجد، ففرش حاشية المطاف بالحجر الصوان، المنحوت ثم زاد عليها زيادة قليلة (فرش بالحجر المنحوت)، وبني مقام الحنفي بالحجر المنحوت الصوان وغيَّر قبة زمزم ونقش مقام إبراهيم – عليه السلام – بالذهب(٥٢).

---

(٤٨) المنقلون: مفردها يُنقل، وهو الذي يقوم بتكحيل أحجار الجدران والأرضيات بالنورة كل تتلاحم.
(٤٩) ابن علان: إنباء المؤيد الجليل مراد ببناء بيت الوهاب الجواد، تحقيق خالد عزام حمد الخالدي، الجمعة التاريخية السعودية، الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١٧٠.
(٥٠) ابن علان: إنباء المؤيد الجليل، ص ص ٤٠٠، ٤٠٩.
(٥١) السنجاري: منائح الكرم، ٤/ ص ص ١٧٢، ١٧٣.
(٥٢) السنجاري: منائح الكرم، ٤/ ص٤٦٥.

وقد زار مكة المكرمة في عهده اثنان من الرحالة إحداهما أوليا جلبي[٥٣]، (وقد زارها سنة ١٠٨١هـ/١٦٧٠م)[٥٤]، والآخر جوزيف بتس (الحاج يوسف) [٥٥]، وقد تركوا لنا وصفاً شاملاً للمسجد الحرام إبان فترة السلطان محمد الرابع وقد رأينا فيه وصفاً مسهباً لأرضيات المسجد الحرام صورت فيه شكلها وتقسيماتها المختلفة والمواد المبنية منها، فجاء على لسان أوليا جلبي حيث قال: "... وهذه الأعمدة المنصوبة متصلة ببعضها البعض بأذرع حديدية في سماكة ذراع الرجل ... وبتناسق فإن ما بين كل عمود وآخر خمس خطوات مستوية وعلى كل عمود قد نقش علم مُذهَّب .. وقد زينت الأعمدة بالقناديل .. وكل الحجاج المسلمون يطوفون من داخل هذه الأعمدة النحاسية وهم حدود الطواف، ولا يكون الطواف من خارجها، لأن هذه الأعمدة قد أقيمت على آخر حدود قد سارت فيها قدمي الحبيب المصطفى أثناء الطواف ... وما بين هذه الأعمدة والكعبة المشرفة مفروشة بالرخام الأبيض .. وما عدا ذلك، فليست الأرضية مفروشة أو مكسوة بالرخام .. بل هي مكسوة أو مصبوبة بقطع من الصخر الأسود، والرصيف ليس مكسواً كذلك بل مفروش بالحصى ... ولا يتمكن الإنسان من السير عليه بهدوء وسكينة وهذه الأحجار الصغيرة والحصى هي كما هي، وظلت على ما هو عليه منذ أن بنى الخليل إبراهيم البيت الحرام ... وقد تركها القائمون على المسجد تبركاً، ويكتفون بتطهيرها ... ولحكمة إلهية، فلهذا أيضاً فائدة فلو فرشت أرضية الحرم في أماكن الطواف منها لشدة الحرارة فالأحجار تخفض الحرارة، ويمكن

(٥٣) هو رحالة تركي بدأ أول جولاته في اسطنبول ثم أنقل ليصف سلسلة من الرحلات الطويلة ضمن الإمبراطورية الثانية، عمرو محمد عبدالباقي)، الرحالة التركي أوليا جلبي (مجلة كلية اللغات والترجمة، مصر، القاهرة، جامعة الأزهر، العدد ١٩، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م).

(٥٤) أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ترجمها عن التركية الصفصافي أحمد المرسي، ط١، مصر، دار الآفاق العربية، ص٢٣٥.

(٥٥) هو أول إنجليزي وثاني أوروبي يزور مكة المكرمة في التاريخ الحديث، وهو أيضاً أصغر رحالة. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، رحلة جوزيف بنس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، (ط١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ص٧.

الطواف في هدوء وسكينة في فترات القيظ، ولكن البيت الكبير، أولاً: من الكعبة المشرفة وحتى باب الصفا، وبعرض ٣ أذرع مكسوة بالرخام الخام الطبيعي، ومثل هذا حتى باب الباسطية، وآخر حتى باب الزيادة وثالث حتى باب السلام، وما عدا ذلك فمفروش أي مصبوب بقطع حجرية ..." (٥٦).

أما جوزيف بتس فقد جاء على لسانه واصفاً أرضيات المسجد الحرام: "... فأبواب المسجد الحرام تبلغ حوالي ٤٢ باباً وهو عدد غير كبير لأن الظروف أحياناً تضطرهم لغلق بعضها أو تركها مفتوحة، وتفضي لممرات مغطاة بالحصى ما عدا بعض الممرات التي رصفت بأحجار عريضة وهي الممرات المؤدية للكعبة المشرفة والأروقة المحيطة بالصحن – حيث الكعبة المشرفة – مرصوفة بأحجار عريضة جميلة ..." "... وأريد أن أذكر مزيداً من التفاصيل عن الكعبة رغم أن البعض قد يعدون بعض التفاصيل التي سأوردها لا أهمية لها فالأرض المحيطة بالكعبة المشرفة مرصوفة بالرخام وهي المطاف أي: المنطقة التي يمارس فيها الحجاج شعيرة الطواف، ويبلغ عرضها حوالي ٥٠ قدماً، وحول المطاف توجد أعمدة نحاسية يبلغ ارتفاع الواحد منها ١٥ قدماً، ويبعد الواحد منها عن الآخر ٢٠ قدماً، وفوق منتصف كل منها قضيب حديدي يصلها ببعضها الآخر، وثمة مصابيح معلقة فوق هذه القضبان بأسلاك نحاسية ثلاثية تضاء ليلاً، فالطائفون لا يكفون في موسم الحج عن أداء شعيرة الطواف ليلاً ونهاراً، وهذه المصابيح الزجاجية تملأ لنصفها بالماء ويوضح الزيت ليطفو فوق الماء، وفوق الزيت سلك نحاس حلزوني قائم فوق ثلاث قطع صغيرة من الفلين لتجعله يطفو، وفي وسط هذا السلك النحاسي الحلزوني توضع فتيلة، أو قطناً، ويشعلونه، فيظل مشتعلاً حتى ينتهي الزيت، وفي كل يوم يغسلون هذه المصابيح ويزودونها بماء جديد وزيت وقطن أو قناديل"(٥٧).

وفي عهد السلطان مصطفى خان الثاني (١١٠٦ – ١١١٥هـ/ ١٦٩٤ – ١٧٠٣م)

---

(٥٦) أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ص٢٣٦، ٢٣٧.
(٥٧) رحلة جوزيف بتس: رحلته إلى مصر ومكة والمدينة المنورة، ص ص٤٩، ٥٠، ٥٥.

(٥٨) أرسل مختصين إلى مكة المكرمة سنة ١١١٢هـ / ١٧٠٠م؛ لتعمير كل ما يحتاج للعمارة والتعمير يكون داخل المسجد وخارجه، فعمر المماشي في المسجد الحرام وطبطابا أجزاء غير متساوية في أرضيات المسجد الحرام بباب الزيادة وعمِّر أطراف المسجد، وما كان محتاجاً للتعمير باطناً وظاهراً(٥٩).

وفي عهد السلطان أحمد خان الثالث (١١١٥ – ١١٤٣هـ / ١٧٠٣ – ١٧٣٠م)(٦٠) تمت عدة ترميمات داخلية لأرضيات المسجد الحرام بدأها سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م بفرش أجزاء من باب السلام بالحجارة، وفي ١٠ ربيع الأول سنة ١١٤٠هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٧٢٧م فرش أرضيات المسجد الحرام جميعها بالحجارة المنحوتة وذلك بعد أن أزيل ماكان به من الطبطاب لعدم استوائه(٦١)، وبذلك يصبح السلطان أحمد خان أول من فرش أروقة المسجد بالحجارة المنحوتة فرشاً محكماً(٦٢).

وفي عهد السلطان عبدالحميد خان الأول (١١٨٧ – ١٢٠٣هـ/ ١٧٧٤ – ١٧٨٩م)(٦٣) زار مكة اثنان من الرحالة المغاربة وهما: ابن عبدالسلام الدرعي المغربي(٦٤)

---

(٥٨) هو ابن محمد الرابع بن إبراهيم الأول ويعد السلطان العثماني الثالث والعشرين، كان شجاعاً ومقداماً، تولى فيها الجويش العثمانية، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية (ط١، بيروت، دار النفائس، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ١/ ص٣٢٩.

(٥٩) حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٢٧٢.

(٦٠) يعد السلطان الرابع والعشرون للدولة العثمانية، تولى الحكم وعمره اثنين وثلاثين عاماً. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ١/ ص ٣١٢.

(٦١) الصباغ: تحصيل المرام، ١/ ص ٤٠٨.

(٦٢) حسين باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٢٧٢.

(٦٣) هو ابن السلطان أحمد الثالث، وقد أمضى ٤٠ عاماً في الأسر، فبقي محجوزاً في قصره مدة حكم أخيه مصطفى الثالث، يعد السلطا السابع والعشرين للدولة العثمانية، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ١/ ص٣٤١.

(٦٤) هو الإمام الحافظ العلامة المحدث الفقيه الرحالة أبو عبدالله محمد بن عبدالسلام. محمد الفاسي: الرحالة المغاربة وآثارهم (مجلة دعوة الحق، العدد ٣، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م)، ص٢٠.

(وقد زارها موسم حج سنة ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م)، والرحالة محمد بن عبدالوهاب المكناسي[٦٥] (قد زارها سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م)، وقد قاما بوصف مقتضب للمسجد الحرام، إلا أنه لا يخلو من الأهمية لتطرق الرحالة الدرعي للمسجد الحرام بشكل عام وأرضيات المطاف ومن يقوم بتنظيفها خاصةً، كذلك قياس الرحالة المكناسي لمساحة أرضيات المسجد الحرام، فيصف الدرعي أرضيات المطاف حول الكعبة المشرفة بأنها (منخفضة عن باقي الصحن)، كما يصف أرضيات المسجد الحرام بأنها (في غاية النظافة) والمطافة خاصة، حيث ترى السدنة من العبيد المعروفون بالأغوات يكنسون كل صبيحة مع ظهور الضوء، وهم في غاية السكينة والوقار والعفاف عن المسألة[٦٦].

أما المكناسي فيصف أرضيات المسجد الحرام بقوله: "... أكبر مساجد الإسلام وأعظمها، أما قديماً فالمسجد الحرام كان صغيراً جداً وهو الظاهر بوسط المسجد وهو محل المطاف، أما المسجد الحرام على الهيئة التي هو عليها من الزيادة والتوسعة، فطوله من المشرق إلى المغرب واحد وأربعون قوساً مرفوعة على أعمدة الرخام، وفي عرضه ٢٨ قوساً كذلك، عرض كل قوس ١٥ قدماً ونصف، وعرض أصل كل عمود قدم ونصف وفي بعضها ٣ أقدام، فتكون مساحة طوله ٧٠٥ قدم، وعرضه ٤٧٦ قدماً، وعدد الأعمدة التي في أصولها ٣ أقدام من غيرها، ومسقفة ٣ بلاطات فقط دائرة به من الجهات الأربعة، ووسطه براح متسع جداً وعدد أبوابه نحو الأربعين"[٦٧].

وممن زار المسجد الحرام ووصفه وصفاً دقيقاً الرحالة جون لويس بيركهارت في سنة

---

(٦٥) هو من الرحالة المغاربة تميز بدقة الملاحظة وسعة الاطلاع، كانت مشاهداته في مكة المكرمة، تنصب نحو المسجد الحرام. محمد الفاسي: الرحالة المغاربة وآثارهم، ص٢٣.

(٦٦) حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي المغربي، في رحاب الحرمين، أشهر رحلات الحج، ص ص ١٣٢،١٣٣.

(٦٧) رحلة محمد عبدالوهاب المكناسي: رحلة المكناسي المسمى "إحراز المعلم والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب" ١٧٨٥م، تحقيق محمد بوكبوط، أبو ظبي، دار السويدي، ص٢٦٧.

١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م[٦٨] في عهد السلطان محمود الثاني (١٢٢٣ – ١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨ – ١٨٣٩م) [٦٩]، ووصف أرضيتها الموجودة في الأروقة والصحن المكشوف وصفاً مفصلاً حيث ذكر: "... لقد تم تبليط الأرضية في صف الأعمدة بأحجار كبيرة غير مثبتة بالأسمنت مع بعضها بشكل جيد، وهناك سبعة طرق معبرة، أو ممرات تقود من صف الأعمدة باتجاه الكعبة أو البيت الحرام في الوسط، وهي بعرض كافٍ لاحتواء أربعة أو خمسة أشخاص يمشون جنباً إلى جنب، وقد ارتفعت بنحو ٩ إنشات فوق الأرض، وبين هذه الممرات المغطاة بالحصى أو بالرسل، يظهر العشب وقد نما في أماكن عدة، وهذا ناتج عن مياه زمزم التي تتسرب من الجرار الموضوعة في الأرض في صفوف طويلة خلال النهار، وتقع منطقة المسجد كلها على مستوى أكثر انخفاضاً من أي من الشوارع المحيطة به، وهناك منحدر يُقدر بنحو ٨ أو ١٠ درجات نزولاً عبر بوابات الجهة الشمالية، ويؤدي إلى المنصة عند صف الأعمدة، ومنحدر آخر من ثلاث أو أربع درجات في الجهة الجنوبية من البوابات، ..." [٧٠].

---

(٦٨) هو رحالة ومؤرخ سويسري، انتقل إلى لندن بعد احتلال الإمبراطور نابليون لبلاده، التحق بالجمعية الملكية المعينة بالاكتشافات الجغرافية. محمد القاضي: قراءة في ترحال الجزيرة العربية، (مجلة الآطام، العدد ٤٠، النادي الأدبي بالمدينة المنورة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ص٣١.

(٦٩) هو السلطان محمد خان الثاني عبدالحميد الأول بن أحمد الثالث بن محمد الرابع كان السلطان الثلاثون للدولة العثمانية، وهو ابن السلطان عبدالحميد الأول شهد عصره خطوات إصلاح واسعة، وحاول أن يوقظ الدولة العثمانية، وأن يدفعها إلى ما تستحقه من مكانة وتقدير، تقلد السلطان محمود الثاني مقاليد الخلافة العثمانية سنة ١٨٠٨م، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، واستقر عزمه على أن يمضي في طريق الإصلاح الذي سلكه بعض أسلافه من الخلفاء العثمانيين، المصدر: محمد عبداللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني في عهد السلطان محمود الثاني (جامعة عين شمس بمصر، كلية الآداب، رسالة دكتوراه، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ص ص ٣٥ – ٣٧.

(٧٠) جون لويس بيركهارت: رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، مؤسسة الانتشار العربي، ص ص١١٦، ١١٧.

ويذكر في موضع آخر: "... وهناك أرضية جميلة ومرصوفة بالرخام حول الكعبة، تنخفض عن مستوى الفناء المربع الكبير بنحو ٨ إنشات، وقد وضعت سنة ٩٨١هـ بأمر من السلطان، ولها شكل بيضاوي غير منتظم وقد أحيطت بـ ٣٢ عموداً ذهبياً رفيعاً من كل اثنين منها عُلقت ٧ مصابيح زجاجية تُضاء دائماً بعد الغروب، ووراء الأعمدة أرضية مرصوفة أخرى يبلغ عرضها نحو: ٨ خطوات، وقد ارتفعت عن الأولى نوعاً ما، لكنها ذات صنعة أسوأ، ثم هناك واحدة أخرى أعلى بـ ٦ إنشات ويبلغ عرضها: ١٨ خطوة تقف عليها عدة أبنية قديمة صغيرة، وخلف تلك هناك الأرض المفروشة بالحصباء، بحيث أن درجتين عريضتين قد تؤديان من الفناء المربع نزولاً إلى الكعبة، أما الأبنية الصغيرة المذكورة آنفاً والتي تحيط بالكعبة فهي المقامات مع بئر زمزم والقنطرة المدعوة بباب السلام والمنبر، ويمارس الأغوات مهمة الشرطة في المسجد، فهم يمنعون الإخلال بالنظام ويقومون يومياً بغسل وكنس الأرضية حول الكعبة بواسطة مكانس كبيرة، وفي وقت المطر رأيت الماء راكداً على الأرضية بعلو قدم، فيقوم العديد من الحجاج في مثل هذه الظروف بمساعدة الخصيان في إزالتها عبر عدة فتحات وثقوب في الأرضية تؤدي كما يقال إلى سراديب واسعة تحت الأرض، ... وعند صلاة المغرب تغطى الأرضية المفروشة بالحصباء وجزء من الأرضية الخارجية المحاذية للكعبة بالسجاد الذي يبلغ طوله: من ٦٠ إلى ٨٠ قدماً وعرضه ٤ أقدام، وهو من صناعة مصرية، ثم يعاد لفه بعد انتهاء الصلاة، ويأتي العدد الأكبر من الحجاج بسجاداتهم الخاصة وتُمد الأجزاء البعيدة من المنطقة، والأرض تحت صف الأعمدة بالحُصر التي أخضرت من سواقين، وهذا المكان الأخير هو المكان المعتاد لتأدية صلاة الظهر والعصر"[٧١].

(٧١) بيركهارت: رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ص ص١٢١، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٥.

وممن اهتم بالمسجد الحرام عبدالمجيد خان (١٢٥٥ – ١٢٧٧هـ/ ١٨٣٩ – ١٨٦٠م)[٧٢] ففي سنة ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م كتب إليه أن بالمسجد الحرام ظهر ميول لإحدى أسطوانتين من باب الصفا مما يلي صحن المسجد، ففصل الأمر بإصلاحها وإصلاح ما يحتاج إلى ترميم من المسجد الحرام، فهدمت القباب التي تحملها ثم أعيد بناؤها جميعاً وأصلحوا المماشي وزيد في ممشى باب الصفا وأحدثت ممشى باب علي، وفي سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م فرشت رحبة باب السلام من خارج الباب بالرخام الأبيض، وكانت قبل ذلك سقاية يباع بها الماء[٧٣].

وفي عهد السلطان عبدالعزيز خان (١٢٧٧ – ١٢٩٣هـ/ ١٨٦٠ – ١٨٧٦م)[٧٤] دخل مكة سيل عظيم من ٨ جمادى الأولى سنة ١٢٧٨هـ/ ١٠ نوفمبر ١٨٦١م وذلك قبل صلاة الفجر فارتفع الماء إلى قفل باب الكعبة المشرفة، وغطى مقام المالكي وملئ بئر زمزم وتكسرت

(٧٢) هو عبدالمجيد بن محمود الثاني هو سلطان العثمانيين الحادي والثلاثين، والثالث والعشرين من آل عثمان، تولى السلطنة وله من العمر ١٦ عاماً، تمكنت الدولة العثمانية في عهده من الانتصار في حرب القرم، واستعادة سوريا العثمانية من حكم محمد علي باشا، وأدخل إصلاحات عديدة في القوانين العثمانية. خالد الصقلي: رسالة إلى السلطان عبدالمجيد (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد عبدالله، العدد ١٤، ١٤٠٦هـ/ ٢٠٠٦م)، ص٢١١.

(٧٣) الصباغ: تحصيل المرام، ١/ ص ص٤٠٩، ٤١٠.

(٧٤) عبد العزيز الأول (١٢٥٤ – ١٢٩٣هـ/ ١٨٣٠ – ١٨٧٦م) هو خليفة المسلمين الرابع بعد المئة وسلطان العثمانيين الثاني والثلاثين والرابع والعشرين من آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة والسلطنة. والده السلطان محمود الثاني، استوى على تخت الملك بعد وفاة شقيقه عبدالمجيد الأول في ٢٥ يونيو ١٨٦١م، ومكث في السلطة خمس عشرة عاماً حتى خلعه وزراؤه وسائر رجال الدولة في آخر مايو ١٨٧٦م وتوفي بعدها بأربعة أيام وقيل انتحر وقيل أيضاً قد قتل. امتاز عهده بغنى الدولة بالرجال وبكثير من الإصلاحات التي تمت على يد صدريه محمد أمين عالي باشا وفؤاد باشا، الذين كسبا شهرة في التاريخ العثماني، ولم تبدأ مشاكل السلطنة بالتفاقم – الذي توج بإعلان إفلاس الدولة عام ١٨٧٥ – إلا بعد وفاتهما؛ كما أنه السلطان العثماني الوحيد الذي قام بزيارات خارجية سياسية إلى مصر وإلى كلٍ من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، ولم يشهد عهده أي حروب خارجية للدولة. المصدر: محمد فريد بك: تاريخ الدولة العثمانية، ص٥٥٥.

أرض الأروقة والمماشي وحاشية المطاف –أي: التي خارج الأعمدة النحاس التي يوقد فيها المصابيح –وتحفرت بسبب السيل الذي دخل الحرم وأصيب المسجد الحرام بأضرارٍ كثيرة، وعندما علم السلطان عبدالعزيز بما حدث في المسجد الحرام، أصدر الأمر السلطاني بإصلاح المسجد الحرام، فقام نائب الحرم في عهده بإخراج جميع ما في الأروقة من الطبطاب القديم التالف والمماشي وحاشية المطاف وعوض ذلك بأرضيات جديدة، وأصلح كل ما تخرب بأحسن وأتقن مما كان عليه في السابق فأتقنوها غاية الإتقان بحيث لم يعمر قبل هذه العمارة منذ بني الحرم، وانتهوا من العمل كله في نهاية شهر ذي الحجة من نفس السنة(٧٥).

وفي عهد السلطان عبدالحميد خان الثاني (١٢٩٣ – ١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦ – ١٩٠٩م)(٧٦) جرت عمارة عمومية عظيمة في عموم المسجد الحرام داخلياً وخارجياً شملت أرضيات المسجد الحرام، وذلك سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، وسبب ذلك أنه مضى أكثر من ٣٥ سنة على عمارة السلطان عبدالعزيز لم تحدث فيه إصلاحات أو ترميمات، كذلك تعاقبت السيول والأمطار ولعدم وجود مشرفين يقومون بصيانة وإصلاح ما عطل بالمسجد الحرام فتكاثر الغبار على الأساطين الرخام حتى غطى عليها طبقة مخالفة للونها البلوري بلون قاتم، وذهبت الألوان والأصبغة والنقوش التي حلي بها عقود وجدران المسجد الحرام، كذلك تكسر الحجارة المفروشة بداخل الأروقة والمماشي وحاشية أرضيات المطاف الموجود

(٧٥) الصباغ: تحصيل المرام، ١/ ص ص٢١٠ ، ٢١١.

(٧٦) عبدالحميد الثاني هو خليفة المسلمين الثاني بعد المئة والسلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، والسادس والعشرين من آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة والسلطنة، تولى الحكم في (١٠ شعبان ١٢٩٣هـ – ٣١ أغسطس ١٨٧٦) وخُلع بانقلاب سنة (٦ ربيع الآخر ١٣٢٧هـ – ٢٧ أبريل ١٩٠٩)، وُضع رهن الإقامة الجبرية حتى مماته. وهو آخر من امتلك سلطة فعلية منهم. خلفاً لأخيه السلطان مراد الخامس. يعرف بـ "أولو سُلطان عبد الحميد خان" أي "الخاقان الكبير"، و"السلطان الأحمر"، و"السلطان المظلوم"، وغازي (الغازي). المصدر: محمد مصطفى الهلالي: السلطان عبدالحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، (ط١، دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م)، ص٢٠-٢٢.

عليها المقامات الأربعة[٧٧].

فأصدر السلطان عبدالحميد خان مرسوماً سلطانياً سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م بإجراء ما يلزم لأرضيات المسجد الحرام من تجهيز وإصلاح وترميم وتنظيف ونقوش، فقام ناظر الحرم الشريف في عهده بإجراء كل ما يلزم، فنظفوا جميع أسطوانات الرخام ونظفوا داخل القبب، ثم أصلحوا عموم الأحجار المرصوفة على أرض كل الأروقة والمماشي، وكذلك حاشية مدار أرضيات المطاف[٧٨].

أما السلطان محمد رشاد خان (١٣٢٧ – ١٣٣٧هـ/ ١٩٠٩ – ١٩١٨م)[٧٩] فقد كان له اليد الطولى في أعمال أرضيات المسجد الحرام وذلك نظراً لما أحدثه السيل العظيم سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م (وقد عرف بسيل الخديوي) فامتلأ المسجد الحرام كله وارتفع الماء إلى عتبة باب الكعبة المشرفة وغطى الحجر الأسود وظل الماء داخل المسجد الحرام يوماً وليلة حتى خرج من الأبواب، وقد أحدث تصدع وخلل كبير من أسطوانات الرخام وبلاط وجدار المسجد الحرام وغير ذلك من الخراب، فأصلح شريف مكة الشيء اليسير منه وبقي إصلاح الأساطين، فأمر السلطان محمد رشاد سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م بعمارة المسجد الحرام عمارة كاملة وتامة وقد بدأ العمل في أول شهر صفر من نفس العام المذكور فأصلح ميول الأساطين بعد أن عمل المعماريون ٢٠ طارة من الخشب الجاوي القوي على قدر العقود المركبة على تلك الأسطوانات؛ لكي يحملوا عليها تلك العقود واستبدال الأسطوانات أسفلها، ثم قاموا بإصلاح كل أرضيات الأروقة الحجرية ورخم عموم الخراب الواقع بأرضيات

---

(٧٧) حسين باسلامة: تاريخ وعمارة المسجد الحرام، ص٢٧٤: ٢٧٦.

(٧٨) حسين باسلامة: تاريخ وعمارة المسجد الحرام، ص ص٢٧٤: ٢٧٦.

(٧٩) تولى حكم الدولة العثمانية عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، بعد خلع أخيه السلطان عبدالحميد الثاني، وكانت أوضاع الدولة العثمانية تسير من سيء إلى أسوأ، وخاصة بعد انتشار الحركات القومية، وكان السلطان محمد حليماً سليماً مشفقاً مرهفاً، وكان يساعد الفقراء والمحتاجين، وقد استم بحسن الخلق والتواضع، علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، (ط٤، المكتب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص١١٠.

المسجد الحرام(٨٠).

وفي الحقيقة كان سلاطين آل عثمان، حريصين على متابعة أي خلل طارئ على أرضيات المسجد الحرام بالتنظيف والتبديل والتغيير، وحصلوا على السبق في فرش أرضياته بالحجارة الجبلية المنحوتة، وكذلك نالوا الشرف في أنهم أول من فرشوا أرضيات المسجد الحرام بالرخام المرمر الأبيض الناصع البياض.

المبحث الثاني

أرضيات المسجد الحرام في العصر السعودي

أرضيات المسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله –:

لما ضمَّ الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود – يرحمه الله – الحجاز صدرت أوامره في سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م بعمارة المسجد الحرام، ومن ضمن تلك الأعمال أرضيات المسجد الحرام حيث قام بترخيم عموم أرضيات المسجد الحرام وإصلاح كل ما يقتضي إصلاحه منها، من ترميم عموم الخراب الواقع في جدار المسجد الحرام وأرضه وأعمدته، وإصلاح المماشي وحاشية المطاف وعموم الأبواب وطلاء مقام إبراهيم الخليل – عليه السلام – بالدهان الأخضر، وكذلك الأساطين النحاس الواقعة حول المطاف وغير ذلك من الإصلاحات اللازمة للمسجد الحرام (٨١).

ثم في سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م أصدر الملك عبدالعزيز – يرحمه الله – مرسومه السامي بأن توضع سرادقات في حصاوي المسجد الحرام؛ ليستظل تحتها المصلون من وفود بلد الله الحرام، ويتوقون بظلها من ضربة الشمس وحر الظهيرة، ونتج من ذلك نفع عظيم لقسم كبير من المصلين، وأكثر من ١٠ آلاف حاج كانوا يؤدون صلاتهم في

(٨٠) حسين باسلامة: تاريخ وعمارة المسجد الحرام، ص ص٢٧٧: ٢٨١؛ أحمد السباعي: تاريخ مكة، ٢/ ص٢٤٠.

(٨١) ضيف الله الزهراني: عمارة المسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز (مجلة اتحاد الآثاريين العرب، القاهرة، العدد ٤، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ص٣٣.

حصاوي المسجد الحرام في وقت صلاتي الظهر والعصر[٨٢].

ثم في أوائل سنة ١٣٤٦/١٩٢٧م صدرت أوامر الملك عبدالعزيز آل سعود – يرحمه الله – بإجراء عمارة المسجد الحرام داخلياً وخارجياً على حسابه الخاص[٨٣]، وفي سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م صدرت أوامر الملك عبدالعزيز آل سعود – يرحمه الله – بإجراء عمارة كاملة لكامل المسجد الحرام، فرفع صاحب السمو الملكي نائب الملك على الحجاز الأمير فيصل بن عبدالعزيز إلى الملك عبد العزيز بتاريخ ١٢ شعبان سنة ١٣٥٤هـ/ ٨ نوفمبر ١٩٣٥م بتشكيل لجنة مؤلفة من:

نائب رئيس مجلس الشورى الثاني	رئيساً للجنة
صاحب الفضيلة الشيخ/ عبدالله بن عبالقادر الضبيبي	الفاتح الثاني لبيت الله الحرام
الشيخ سليمان أزهر	معاون مديرية الأوقاف بمكة
السيد هاشم بن سليمان	نائب الحرم ووكيل رئيس مجلس إدارة المسجد الحرام

وعهد إلى هذه اللجنة بإجراء الكشف أولاً: على عموم ما يلزم للمسجد الحرام من عمارة وإصلاح وتجديد (كل ما يلزم تجديده من أبواب وطبطاب وغير ذلك)، فقامت اللجنة بما عهد إليها وأجرت الكشف اللازم على المسجد الحرام بحضور مهندس أمانة العاصمة ومعاونه وكبار المعلمين والمنقلين والتجاريين وقرروا ما يلي:

إصلاح الأرضية المفروشة بالحجر الصوان الواقعة حول مدار المطاف التي عليها المقامات، وداخل الحصاوي بما في ذلك المماشي بإزالة عموم الأحجار غير الصالحة ورصفها من جديد رصفاً جيداً متقناً وأن يكون حبسها ولحامها في بعضها بالأسمنت والنورة والجصاص، ويكون نسبة ذلك من كل صنف الثلث بصفة فنية منتظمة على نسق واحد[٨٤]، إصلاح أرضية أروقة المسجد الحرام وذلك بإزالة الأحجار غير الصالحة ووضع غيرها.

وبدأ العمل في مستهل جمادى الأولى من السنة المذكورة، فرمم عموم فرش أروقة

(٨٢) حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٢٨٢.
(٨٣) نفسه، ص٢٨٣.
(٨٤) ضيف الله الزهراني: عمارة المسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز، ص٣٣.

المسجد الحرام من جهاته الأربعة مع زيادتي دار الندوة وباب إبراهيم وعموم بلاط الأبواب، وطلي الأساطين النحاس المحاطة بمدار المطاف التي تعلق فيها مصابيح الكهرباء بلون أخضر، وطلى رؤوسها بلون ذهبي بعد أن أمر بإبلاغ اللمبات (ألفاً) موزعة على المطاف وبقية المسجد الحرام وأضاف إلى ذلك فنارات اللوكس زيادة في الإنارة(٨٥)، وملأ الفراغ الذي بين الأحجار وأحكمه إحكاماً جيداً وفرش أرضيات المسجد الحرام بالحصباء بعد أن أزال ما فيه من الأتربة المتراكمة(٨٦).

أرضيات المسجد الحرام في عهد الملك سعود – يرحمه الله –:

بعد أن تزايدت أعداد الحجاج والمعتمرين والزوار سواء من داخل المملكة العربية السعودية أو من خارجها أصبح أمل الملك سعود بن عبدالعزيز – يرحمه الله – أن تتم توسعة للحرم المكي الشريف، فأمر بعمل الدراسات اللازمة لتوسعته، ففي الوقت الذي كانت فيه المشروعات والأعمال التطويرية تجرى على قدم وساق في المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، وكانت هذه الأعمال والتوسعات أمنية غالية للملك عبدالعزيز – يرحمه الله – وقد تم في عهده التخطيط للمشروع واستمرت دراسة كامل جوانبه في عهد الملك سعود – يرحمه الله – حتى عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) وكان المسجد الحرام في هذا العام مستطيل الشكل تقريباً، ويغطي مساحة تبلغ ٢٠٠×١٢م٢(٨٧) ويتكون من العناصر التالية:

١– المطاف حول الكعبة وهو بيضاوي الشكل بمحاور كبيرة وصغيرة على التعاقب وكان مبلطاً بالرخام وعلى محيطه الخارجي قناديل نحاسية للإضاءة(٨٨).

---

(٨٥) أحمد الرهوني: الرحلة المكية، ١٣٥٥ – ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، المغرب، تطوان، معهد الجنرال فرنكو للأبحاث العربية الأسبانية، ص ص١٠٢– ١٠٣.

(٨٦) محمد العوفي: تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، ط١، الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٨٢.

(٨٧) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص٢٤٠؛ وزارة المالية: المسجد الحرام، ص ص١٠١، ١١٠.

(٨٨) حامد عباس: نفسه، ص٢٤٠؛ نفسه، ص١٠٥.

٢– مقام إبراهيم: في نفس الموقع الذي يوجد فيه اليوم، وقد وضع المقام في مبنى مسقوف ومن خلفه باب بني شيبة(٨٩).

٣– بئر زمزم: مغطى ببناء ذي قبة بني سعد(١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م) ويتكون من دورين، وكان الدور الأول يستعمل كمكبرية، وعملت ترتيبات لإمداد الحجاج بالماء بالدور الأرضي(٩٠).

٤– المنبر: في موقع ملاصق لمقام إبراهيم – عليه السلام – من الناحية الشمالية، وقد أقيم في سنة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م على الطراز العربي القديم من الرخام الأبيض وجاء هدية من السلطان سليمان بن السلطان سليم العثماني(٩١).

٥– المقامات الأربعة: وقد أقيمت على المحيط الخارجي للمطاف لتابعي المذاهب الأربعة(٩٢).

٦– الحصاوي: وهي المناطق المكشوفة غير المبلطة بين المطاف وأعمدة المسجد وكانت مغطاة بالحصى الرفيع وبينها ممرات توصل إلى المطاف(٩٣)

وهذا هو الوصف العام للحرم المكي في تلك السنة، وكانت الصعوبات تواجه الحجاج في الصلاة والطواف؛ نظراً لضيق مساحة المسجد، وعدم كفاية أماكن الصلاة ووجود عوائق متعددة في المطاف، بالإضافة إلى عدد من العوائق الأخرى التي جعلت الحاجة ماسة لتوسعة المسجد وعمارته؛ حتى يتمكن من استيعاب الأعداد المتزايدة من الحجاج(٩٤).

وفيما يخص بحثنا والخاص بأرضيات المسجد الحرام نجد أن المشاكل التي واجهت الملك سعود – يرحمه الله – في توسعة أرضيات المطاف لازدياد المعتمرين والحجاج سنة بعد أخرى تمثلت في أربعة معوقات أجلت تحقيق حلمه بتوسعة دائرة أرضيات المطاف

(٨٩) حامد عباس: نفسه، ص٢٤٠؛ نفسه، ص١٠٥.
(٩٠) حامد عباس: نفسه، ص٢٤٠؛ نفسه، ص١٠٥.
(٩١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص٢٤٠؛ وزارة المالية: المسجد الحرام، ص١٠٥.
(٩٢) حامد عباس: نفسه، ص٢٤٠؛ وزارة المالية: نفسه، ص١٠٦.
(٩٣) حامد عباس: نفسه، ص٢٤١؛ وزارة المالية: نفسه، ص١٠٦.
(٩٤) حامد عباس: قصة نفسه، ص٢٤١.

وتبليط أغلب مساحة الصحن المكشوف من المسجد الحرام برخام مدينة كراراً[٩٥] المستورد من إيطاليا[٩٦].

فكانت أولى تلك المعوقات: وجود المقامات الأربعة المقامة على حافة حاشية المطاف؛ والتي تأخذ مساحة كبيرة تعوق معها زيادة دائرة المطاف القديمة المحددة بأعمدة نحاسية، أما ثانيها: فكانت المباني المقامة على بئر زمزم والتضييق على الطائفين أثناء طوافهم – حتى أنها تسببت في أحيان إلى مقتل بعض الأنفس دهساً أثناء الطواف بسبب التدافع عند بئر زمزم أثناء الطواف –، أما المعوق الثالث: مكان وجود المنبر الرخامي بجوار دائرة المطاف – والذي لا يسمح بتوسعة دائرة المطاف –.

وعلى الرغم من تلك المعوقات نجد أن الملك سعود – يرحمه الله – قد تغلب عليها جميعها بإرادته وتم توسعة أرضيات المطاف كما أرادها وتم فرشها بالرخام الكرار الإيطالي وسوف أوضح تلك المعوقات وكيف تم التغلب عليها من خلال النقاط الآتية:

أولاً - توسعة محل المطاف الشريف:

كان المطاف الأول هو نفس المسجد الحرام من عهد سيدنا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – إلى السنة الرابعة من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –، أي: إلى سنة ١٧هـ/٦٣٨م، ففي هذه السنة زاد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في المسجد الحرام (وهي أول زيادة حصلت فيه)، وبقيت حدود المسجد الحرام الأول، الذي هو نفس المطاف، محفوظة معلومة إلى عهد الملك سعود – رحمه الله – رغم تكرار الزيادة في المسجد الحرام فظلت مساحة أرضيات المطاف الأول كما هي لم يفكر أحد من

(٩٥) يوجد نوعين منه، الأول هو الرخام العادي المستخدم في كافة المواقع الداخلية للمسجد الحرام مثل أدوار مبنى المطاف والسعي الغير معرض لأشعة الشمس، والثاني هو الرخام المفرغ ويستخدم في المزلقانات بتصميم مختلف ليرفع احتكاك سطحا لرخامة وجميعها بسمك (٥سم) وهذا النوع يستورد من مدينة كرار بإيطاليا. تقرير تم الحصول عليه من القسم الهندسي في الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

(٩٦) نقلاً عن القسم الهندسي برئاسة شؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

سلاطين المسلمين وملوكهم أن يوسعوها ويزيدوا رقعتها(٩٧).

فلما جاء الملك سعود بن عبدالعزيز – رحمه الله – رأى ضرورة توسعة أرضيات المطاف؛ حرصاً على راحة الحجاج في مواسم الحج، فأصدر مرسومه سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م بتوسعة أرضيات المطاف وهدم المقامات الأربعة (التي في أطراف المطاف) وإزالة المبنى المقام فوق بئر زمزم(٩٨).

فجاءت توسعة أرضيات المطاف في الأسبوع الأخير من شهر شعبان سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م حيث ابتدأوا في قلع الرخام الذي كان في المطاف والمحيط به، ثم حفروا الأرض المحيطة بالمطاف؛ لتتساوى به بعد وضع الرخام عليها، كما أنهم أزالوا في الأسبوع الأول من شهر رمضان من السنة المذكورة سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م الأعمدة الخضر التي كانت في حدود أرضيات المطاف الأول علامة عليه، ثم بدؤوا بعد حفر الأرض في فرشها بالأسمنت ثم وضعوا الرخام المرمر عليه حتى تساوى هذا المطاف الجديد بالمطاف القديم، وصار على سمته وبلصقه ومقدار مساحة الجديد كمقدار مساحة القديم تقريباً(٩٩).

وانتهوا من فرش المطاف الجديد بالرخام في النصف الأول من شهر شوال من السنة المذكورة، وتعد توسعة المطاف أي: "المطاف الجديد" هو نفس المكان الذي زاده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في المسجد الحرام سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م فلا تنقص هذه التوسعة في المطاف ولا تزيد عن مقدار ما زاده عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في المسجد الحرام إلا بمقدار قليل نحو مترين أو ثلاثة فقط لاغير(١٠٠).

ونتيجة لهذه التوسعة أصبح قطر المطاف ٦٤.٨م على اعتبار أن الكعبة مركز القطر، ويحيط به ممران متجاوران على محيط أرضيات المطاف عرض كل منهما ٢.٥م

(٩٧) الكردي: التاريخ القويم، ٥/ ص ٩٦.
(٩٨) الكردي: المرجع السابق، ٥/٩٦؛ الشريف محمد مساعد الحسيني: درر الجامع الثمين، ص٣٥.
(٩٩) الكردي: المرجع السابق، ٥/ ص ٩٦؛ خالد العبيد: الحرم المكي الشريف، ص٥٠.
(١٠٠) الكردي: المرجع السابق، ٥/ ص٩٦.

وعلى ارتفاع ٢٠سم، وكسيت أرض المطاف برخام أبيض ذي أحجام مختلفة استورد من كرارا بإيطاليا، وبُلطت بعض الأماكن برخام أسود للاحتفاظ بمكانها(١٠١).

وكان الجزء الداخلي من الدائرة الذي يستعمل بصفة مستمرة للطواف خلال الأيام العادية غير مميز بصفوف، أما الجزء الخارجي من الدائرة فقد تم تبليطه بثمانية صفوف دائرية مميزة بشريط من الرخام الأسود بعرض ١٠سم، وتستخدم كصفوف في صلوات الجماعة، وبُلطت الممرات المؤدية (المماشي) إلى المطاف بالرخام، وحدود هذه الممرات لم تتغير منذ قرون عديدة، بل أن بعضها – على ما يُروى – يرجع تاريخها إلى قبل الإسلام(١٠٢).

وقد أصبحت مساحة أرضيات المطاف ٣٠٥٨م٢ حول الكعبة وتتسع باستثناء الممرات المحيطة بالمطاف حوالي ٨٥٠٠ شخص، وفي موسم الحج تبلغ مساحة المطاف مع الممرين ٤١٥٤م٢ تستوعب لحوالي ١٤ ألف شخصٍ(١٠٣).

ولما وسع القائمون على مشروع التوسعة أرضيات المطاف لم يكونوا يرغبون في وضع حد يفصل بين المطاف القديم والمطاف الجديد فتجادل معهم المؤرخ محمد طاهر الكردي (مؤرخ المسجد الحرام آنذاك) واقترح في الجريدة التي تصدر بمكة أن لابد من وضع حد من الرخام الأسود على حدود المطاف القديم ليكون فاصلاً فارقاً بينه وبين المطاف الجديد لبيان كلاً منهما وللمحافظة على حدود كل شيء كما هو الواجب، فعندئذ عملوا الحد الفاصل بينهما وأصبح المطاف الجديد يبدأ من خط الرخام الأسود الذي يدور حول الكعبة، ولكن رئيس المحاكم الشرعية بمكة المكرمة فضيلة الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش رأى جواز توسعة المطاف، وأنه لا حاجة لوضع الحد المذكور وقد دعاه الملك سعود – يرحمه الله – إلى داره بمكة المكرمة وألقى كلمة أمام الملك أوضح فيها جواز توسعة

(١٠١) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص١٥٩؛ وزارة المالية: المسجد الحرام، ص١٦٥.
(١٠٢) حامد عباس: المرجع السابق، ص١٥٩؛ وزارة المالية: المرجع السابق، ص١٦٥.
(١٠٣) حامد عباس: المرجع السابق، ص١٥٩؛ وزارة المالية: المرجع السابق، ص١٦٥.

المطاف، فتم توسعة أرضيات المطاف لزيادة أعداد المسلمين الحجاج(١٠٤).

وقد كانت أرضيات المطاف القديم على شكل بيضاوي من أصل الوضع الطبيعي في بادئ الأمر، وسببه أيضاً وجود حِجْر إسماعيل – عليه الصلاة والسلام –، في جهة واحدة من الكعبة المشرفة وهي الجهة الشمالية، فالطائف يطوف بلصق الكعبة من الجهات الثلاثة، فإذا وصل إلى الجهة الشمالية صار يطوف من وراء حِجْر إسماعيل – أي: مبتعداً عن الكعبة من هذه الجهة بمقدار ١٠ أمتار –، لأن من شروط الطواف: أن يكون من وراء جدار الحجر؛ فلهذا كان المطاف القديم على شكل بيضاوي بطبيعة الحال لا بفعل فاعل(١٠٥).

وقد حرر الكردي المؤرخ طول أرضيات المطاف القديم من الجهات الأربعة محرراً مضبوطاً بالأمتار سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م فجاء بيانها كالتالي: طول أرضيات المطاف القديم من جدار الكعبة الذي فيه الباب من جهة الشرق إلى أول مقام إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – ١١٫٥٠م، وطول المطاف القديم من جدار الكعبة من ظهرها – أي: من الجهة الغربية – ١٦٫٦٥م، وطول المطاف القديم من جدار الكعبة من تحت ميزابها – أي: من الجهة الشمالية بما فيه حجر إسماعيل وسمك جدارة – ٢٢٫٣م، طول المطاف القديم من جدار الكعبة الذي بين الركنين من الجهة الجنوبية ١٥٫٢٠م(١٠٦).

أما أرضيات المطاف الجديد فهو على شكل دائرة كاملة الاستدارة وقد كان هذا الشكل الدائري من عمل المهندسين الذين أشرفوا على توسعة المطاف، وقد حرر مؤرِّخ عمارة الملك سعود بالحرم المكي الشريف المؤرخ الكردي طول المطاف الجديد من الجهات الأربعة – أي: الزيادة الواقعة على المطاف القديم –، وحررها بالأمتار في نفس السنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م فجاء بيانها كالآتي: طول المطاف الجديد من الجهة الشرقية للكعبة – أي: من مقام إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – ١٥.٣٠م، طول المطاف الجديد من الجهة

(١٠٤) الكردي: المرجع السابق، ٥/٩٧، ٢٧٠.
(١٠٥) الكردي: المرجع السابق، ٥/٩٧.
(١٠٦) الكردي: المرجع السابق، ٥/ ص٩٧ .

الغربية – أي: من جهة ظهر الكعبة ١٠.٧٥م، طول المطاف الجديد من الجهة الشمالية – أي: من جهة حِجْر إسماعيل عليه الصلاة والسلام ٦٥ ٤م، طول المطاف الجديد من الجهة الجنوبية أي من جهة الركنين الأسود واليماني – ٥٠ ١١م، وبإضافة مقدار المطاف القديم على المطاف الجديد يظهر مقدار كامل المطافين(١٠٧).

وقد قام المؤرخ الكردي برسم المطافين القديم والجديد وقد قسمهما إلى أربعة أقسام متساوية(١٠٨) بين مقدار طول المطاف القديم وطول المطاف الجديد من الجهات الأربع، وقد أخذه من المهندسين الذين اشتغلوا في توسعة المطاف من أواخر شهر شعبان إلى أوائل شوال من سنة ١٣٧٧هـ/ أواخر شهر فبراير إلى أوائل شهر أبريل ١٩٥٧م(١٠٩).

وجعل مياه الأمطار والسيل التي تتجمع على أرضيات المطاف والممرات تتصرف في مجرى مستطيل ٣٠سم × ٦٠سم مثبتة في الدرجة المنخفضة للدائرة الذي حول المطاف، وتنحدر المياه من سطح المطاف إلى المجرى خلال شبك معدني، ولهذا المجرى منفذ واحد يوصله على خط المجاري التي تربط منطقة زمزم لمحطة الظلمات في البدروم(١١٠).

ثانياً - هدم المقامات الأربعة التي بحاشية أرضيات المطاف:

كان يوجد بالمسجد الحرام أربع مقامات ينسب كل واحد منها إلى أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب وهي: "المقام الشافعي والمقام الحنبلي والمقام الحنفي والمقام المالكي"(١١١)، وكان يتواجدون داخل حدود أرضيات المطاف القديم من جهاته الأربعة التي تتميز بأرضيتها المفروشة بالحجر الصوان، وكل مقام عبارة عن مصلى لأتباع كل مذهب من المذاهب الأربعة وقد كان لكل مقام مظلة خاصة لتوفير مساحات من الظل للمصلى

(١٠٧) الكردي: المرجع السابق، ٥/ ص٩٧.
(١٠٨) انظر الملاحق، ص٥٦.
(١٠٩) الكردي: التاريخ القويم، ٥/ ص ٩٨.
(١١٠) وزارة المالية: المسجد الحرام، ص١٨٣.
(١١١) الكردي: المرجع السابق، ٥/٣٢٦.

ووقايته كذلك من المطر، وقد أتاحت لهم أفضل سماع للأعداد الغفيرة لصوت الإمام؛ نظراً لعدم توفر مكبرات للصوت في ذلك الزمن(١١٢).

ولم يُعْرَف أول من أحدث هذه المقامات وعن سنة حدوثها، ويبدو أنها حدثت بين القرنين ٤–٥هـ/ ١٠–١١م، وكانت مواضع وأماكن أئمة الصلوات الخمس في المسجد الحرام على المذاهب الأربعة فلا هي مقامات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ولا هي مقامات نفس الأئمة أصحاب المذاهب الأربعة(١١٣).

فالمقام الحنفي؛ أول ما اتخذ كان بمثابة المكبرية للتبليغ والدليل على ذلك صورته التي كانت عليه حيث يرتقي عليه المكبرون الذين يبلغون الناس حركات الإمام وموقعه في طرف حاشية المطاف، مقابل لميزاب الكعبة، ولم يكن في بادئ الأمر ينسب للحنفي بل كان يطلق عليه لفظ "المقام" فقط أي مكان إقامة الصلوات، أو مقام مبلغ حركات الإمام، ولما كان المقام بطبيعة الحال مسقوفاً، كان إمام المسجد الحرام يصلي تحته، ولا يبعد أنه كان حنفي المذهب، فنسب المقام إليه، فأطلقوا عليه المقام الحنفي فرقاً بينه وبين مقام إبراهيم الخليل – عليه الصلاة والسلام – ثم بمرور الأيام وتوالي السنين ، أحدثوا أربعة أمكنة حول حاشية أرضيات المطاف لكل مذهب من المذاهب الأربعة فكان خاص، وأطلقوا عليها اسم المقامات الأربعة (١١٤).

١ – هدم المقام الحنبلي:

كان يقع جهة الجنوب من المسجد الحرام ناحية المكبرية جهة باب الملك عبدالعزيز آل سعود – يرحمه الله – مستقبلاً الحجر الأسود ومجاوراً لمبنى بئر زمزم لسنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، فتم إزالته وإعادة بنائه من دور مستنداً على أربعة أعمدة وتم تعديل ناحيته بحيث يكون مقابلاً للحجر الأسود وعلى مستوى سطح صحن المطاف وملاصق لحد الصحن،

(١١٢) فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص٦٨.
(١١٣) الكردي: المرجع السابق، ٣٢٦/٥.
(١١٤) الكردي: المرجع السابق، ٣٢٧/٥.

وحوله مفروش بالحصى، وفي سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢ تم إعادة طلائه بألوان لطيفة[١١٥]، وعندما أراد الملك سعود بن عبدالعزيز –يرحمه الله – أثناء التوسعة السعودية الأولى توسعة المطاف الشريف فصدرت الموافقة الملكية بذلك فأمر بهدم المقامات الأربعة وقاموا بتنفيذ الرغبة الملكية فهدموا أولاً "المقام الحنبلي"؛ الذي هو بقرب بئر زمزم وذلك ليلة الثلاثاء ٢١ شعبان سنة ١٣٧٧هـ/ ١٢ مارس ١٩٥٧م[١١٦].

٢– هدم المقام المالكي والحنفي:

كان يقع جهة الغرب من المسجد الحرام مما يلي خلف الكعبة من الركنين الغربي واليماني – أي: من ناحية باب العمرة –، وكان على مستوى سطح المطاف ومن دور واحد مقام على أربعة أعمدة وحوله محاط بالحصى[١١٧]، وعندما أراد الملك سعود بن عبدالعزيز توسعة المطاف الشريف أثناء أعمال التوسعة للمسجد الحرام فأمر بهدم تلك المقامات لإعاقتها لتوسعة المطاف فبدأوا بالمقام الحنبلي ثم تقدموا نحو المقام المالكي الواقع بين المقامين الحنبلي والحنفي لهدمه في ليلة الأربعاء ٢٢ شعبان من نفس السنة المذكورة سنة ١٣٧٧هـ/ ١٣ مارس ١٩٥٧م فتم هدمه[١١٨].

وعندما صدرت أوامر الملك سعود بن عبدالعزيز –يرحمه الله –بهدم المقامات الأربعة التي بحاشية أرضيات المطاف؛ لأجل توسعة محل الطواف وتم تبليطه بالرخام المرمر المستورد من كرارا بإيطاليا فتم هدم المقامات: الحنبلي والمالكي والحنفي سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

٣ – هدم المقام الشافعي:

أما هدم المقام الشافعي تأخر كثيراً عنهم لأن ليس له بناء مستقل وحده كالمقامات السابقة الذكر، فهو يقع فوق بئر زمزم، فهدمة لا يكون إلا بإزالة هذا البناء، ثم إن الناس

---

(١١٥) فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص٩٤.
(١١٦) الكردي: التاريخ القويم، ٥/٣٣٠.
(١١٧) الكردي: التاريخ القويم، ٢/٢٧٠.
(١١٨) الكردي: التاريخ القويم، ٥/٣٣٠.

في حاجة إلى من يبلغهم حركات الإمام، ومكبرات الصوت فوق هذا البناء، فلا يمكن إزالته لتوسعة أرضيات المطاف إلا إذا بنى بمكبرات الصوت موضع خاص ثابت، فلم يتقرر ذلك لدخول موسم الحج ووصول بوادر الحجاج، واستمر الحال على ذلك حتى سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، عندما تقرر هدمه فهدموا مقام الشافعي(١١٩) وبذلك تم هدم المقامات الأربعة لأجل توسعة أرضيات الطواف حول دائرة الكعبة المشرفة.

ثالثاً - إزالة بئر زمزم القديم:

وهو بئر مدور الفوهة عليه قطعة من رخام المرمر على قدر سعة فمه ويبلغ ارتفاعها عن بلاط الأرض التي حول البئر من داخل القبة: ٢.٥٠٠ ذراع – أي: ١٢٠سم، وأرض بيت زمزم أو داخل قبة زمزم مفروش بالرخام الأبيض ويحيط بفم البئر من أعلاه دربزين مصنوع من الحديد السميك وفوق الدرابزين شبكة من حديد وضعت فوق ذلك الدرابزين سنة ١٣٣٢هـ/١٤١٤م(١٢٠).

أما البناء القائم على بئر زمزم فهو بناء مربع الشكل من الداخل طول كل ضلع منه ١١ ذراعاً (بذراع السيد) وسطح البئر مغموس بالحجر في الجهة الشرقية باب قبة زمزم وعلى جناح الباب الشمال طاقة عليها شباك، وكان في جدار الطاقة سبيل قديم ثم أبطل عمله وشبابيك لكل منفذ شباك، ومن الجهة الغربية مما يلي الكعبة المعظمة ٣ منافذ ولكل منفذ شباك وعلى نحو نصف سطح البئر الجهة الغربية المقابلة للكعبة المعظمة مظلة قائمة على ٤ أعمدة بنيت في النصف الأمامي من سطح البئر، وعلى ٤ أعمدة لطاف وضعت اثنان منها على جدار البئر الأمامي مما يلي الكعبة المعظمة واثنان على حد منتصف سطح البئر من الجهة الشرقية، وأما نصف السطح الشرقي فهو مكشوف ليس عليه ما يظله، وفوق هذه المظلة الأمامية سقف مصنوع من الخشب القوي وفوق السقف جملون

(١١٩) الكردي: المرجع السابق، ٥/٣٣٠.
(١٢٠) حسين باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص١٨١؛ الكردي: التاريخ القويم، ص٨٤.

مصفح بألواح من الرصاص على شكل بديع ويحيط بالمظلة من جهاتها الثلاثة: الشمالي والغربي والجنوبي ٥ شبابيك: أحدها من جهة الشمال و٣ من الجهة الغربية وواحد من الجهة الجنوبية وذلك مصنوع من السلك الحديد الدقيق والمظلة مدهونة بصباغ أخضر، وهذه المظلة خاصة برئيس الموقتين الذي يبلغ المؤذن الأذان في الأوقات الخمس وهم على منابر المسجد الحرام(١٢١).

ولما كانت رغبة الملك سعود بن عبدالعزيز – يرحمه الله – توسعة أرضيات دائرة المطاف فأمر بإزالة الأعمدة النحاسية التي تلتف حول المطاف القديم كذلك صدرت أوامره بهدم المقامات الأربعة التي تتماس مع حاشية أرضيات المطاف المبلط بالحجر الصوان فتم هدمهم سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م وتأخر هدم مقام الشافعي لوقوعه أعلى بيت زمزم، فأمر الملك سعود – يرحمه الله – بهدم بيت زمزم القديم وما يعلوه من مقام الشافعي للاستفادة من سطحها ضمن مشروع توسعة أرضيات المطاف، إلا أنه وقبل البدء في الهدم سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م، بئر زمزم داخل قبو (بدروم) تحت مستوى الأرض في صحن المطاف، حيث تم خفض فوهة بئر زمزم عن مستوى المطاف بمقدار: ٧□٢م وقدرت مساحته: ١٣٥م٢ مما استلزم تغطية فتحة البئر فسقف من فوقها لتتساوى بسطح المطاف، ودخل السقف بما فيه فناء واسع وراء المقام في المطاف وبذلك جعل السقف جزءً من صحن المطاف، فتمكن الحجاج والعمار بذلك من أداء نسك الطواف والشرب من ماء زمزم دون أن يزاحم بعضهم بعضاً، ويمكن الوصول إلى مستوى الأرض المحيطة بالبئر عن طريق درج من الجهة الشرقية على عمق ٧□٢م تحت المطاف، وبعرض ٧٦□١٤م بلغ عددها: ٢٤ درجة ومنها إلى نفق يتصل بفوهة بئر زمزم من تحت بناء زمزم وتبلغ مساحة النفق ٧٤□١٠٠م٢ به صنابير للمياه عددها: ٣٩ صنوبراً، وقد قسم الدرج والنفق إلى قسمين:

(١٢١) حسين باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص١٨١، الكردي: التاريخ القويم، ٣/ ص ص٨٤، ٨٥، ٨٦.

قسم للرجال بمساحة ٥٤.٢٧م٢ مجهز بـ ٢٠ صنوبراً وقسم للنساء يشغل مساحة ٤٦.٤٧م٢ مجهز بـ ١٩ صنوبراً، وجعلت غرفة البئر داخل شبكة حديد وجعل لخزن الماء في هذا التعمير مخزنان كبيران تحت الأرض على جانبي درج زمزم(١٢٢).

وفي سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م تم إزالة المباني المقامة على فوهة بئر زمزم وكذلك مقام الشافعي(١٢٣)، وكان من أثر هدم المقامات الأربعة والمباني المقامة على بئر زمزم أن زادت مساحة أرضيات المطاف من ٣٢٩٨م٢ إلى ٧١١٩م٢(١٢٤) وتم تبليطها بالرخام المرمر المستورد من مدينة كرارا بإيطاليا.

رابعاً - نقل منبر السلطان سليمان القانوني:

وهو منبر أرسله السلطان سليمان خان سنة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م إلى المسجد الحرام؛ وهو مصنوع من الرخام الناصع البياض، وهو رشيق الصورة، تتجلى فيه روعة الفن ودقة الصنعة وإتقان التركيب بحيث أنه يعد آية من آيات الفنون الجميلة، وأن أكثر ما يلفت نظر المدقق الخبير بالفنون النقوش العجيبة والزخرفة البديعة المحفورة في نفس حجر الرخام، ومكون من: ١٤ درجة ويبلغ طوله أفقياً: ٨٠ـ٥م وعرض قاعدته: ٨٨ـ١م، أما مقدار ارتفاع المنبر من أرض المطاف إلى هلال قبته فبلغ: ١٢م وبلغت تكاليف صناعته: ٣٠ ألف دينار ذهب، وفي أعلاه أعمدة من المرمر تحمل قبة مستطيلة صنعت من الخشب المتين وصفحت بألواح من الفضة طليت بالذهب وفي أعلى القبة هلال، ووضع أول الأمر قرب المطاف مقابل بداية

(١٢٢) يحيى حمزة كوشك: عناية الدولة بماء زمزم، ص٩٢، الشريف محمد مساعد الحسيني: درر الجامع الثمين، ص٣٨؛ خالد العبيد: الحرم المكي الشريف، ص٥٠؛ وزارة المالية: المسجد الحرام، ص١٦٦، وصى الله عباس: المسجد الحرام، ص٤١٦؛ حامد عباس، قصة التوسعة الكبرى، ص١٤١؛ عبدالله الرقيبة: الحرمان الشريفان والمشاعر المقدسة، ص٦٩؛ فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص ص٦٦، ٦٧.

(١٢٣) الكردي: التاريخ القويم، ٣/ ص٨٦، يحيى حمزة كوشك: عناية الدولة بماء زمزم، ص٩٢.

(١٢٤) يحيى حمزة كوشك: عناية الدولة بماء زمزم، ندوة عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بالحج والحرمين الشريفين، ص٩٢، فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص٦٧،

جدار حجر إسماعيل من جهة الشرق للمسجد الحرام، وعلى بعد ٩٠□١٣م منه، وبجوار مقصورة مقام إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – بينه وبينها ٤م من جهته الشمالية وعلى يمين باب بني شيبة، وكان الاختيار لهذا الموقع في صحن المطاف لميزة خاصة انفرد بها هذا المنبر وهي أن الشمس لا تصل إلى موضع الخطيب صيفاً ولا شتاءً(١٢٥).

ولرغبة الملك سعود بن عبدالعزيز – يرحمه الله – (١٩٦٤م – ١٩٧٥م) في توسعة أرضيات المطاف بأكبر مساحة ممكنة مع تبليطها بالرخام الكرار سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م أمر بإرجاع ذلك المنبر والذي ظل مدة ٤١٧ سنة في مكانه الأصلي إلى الخلف قليلاً لمسافة ٧م تقريباً، ليكون خارج مدار أرضيات الطواف(١٢٦)، فتتم بذلك ما رغبه من توسعة صحن المطاف؛ لإتاحة أكبر مساحة للطائفين مع تبليط كل تلك التوسعات بالرخام المرمر.

أرضيات المسجد الحرام في عهد عهد الملك فيصل – رحمه الله –

من أهم أعمال الملك فيصل – يرحمه الله – في ساحة أرضيات المسجد الحرام قيامه بتوسعة دائرة المطاف، بإزالة زوائد مقام إبراهيم – عليه السلام – ووضع صندوق بلوري عليه بدلاً من المقصورة والتي كانت تأخذ مساحة ٢٨م٢ وهدم باب بني شيبة وتبليط مكانها بالرخام الكرارا الإيطالي(١٢٧).

كان الازدياد الكبير لأعداد الحجاج في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز – يرحمه الله – أثره الواضح على مقدرة مدار المطاف الدائر حول الكعبة على استيعابهم حيث ضاق عليهم وأرض المطاف ضاقت ضيقاً شديداً خاصةً عند قبة مقام إبراهيم – عليه السلام – حيث كانت تتكون من: مقصورة نحاسية مربعة الشكل وعليها قبة قائمة على أربعة تنتهي مؤخرتها بمظلة متصلة بالمقصورة؛ ليصلي الناس تحتها والطواف وعليها أعمدة تحتل

(١٢٥) الكردي: التاريخ القويم، ٥/ ص ص ١٧٨، ١٧٩؛ حامد عباس، قصة التوسعة، ص١٩٧، فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص ص ٤٢، ٤٣.

(١٢٦) الكردي: التاريخ القويم، ٥/ ص١٧٩؛ الشريف محمد مساعد الحسيني: درر الجامع الثمين، ص٣٧.

(١٢٧) حامد عباس: قصة التوسعة، ص١٩٨.

مساحة قدرها: ٣ × ٦ أمتار – أي: ١٨م٢ –والمقام موجود في داخل تابوت خشبي عليه ستارة من الحرير مكتوب فيها آيات قرآنية وبذلك أصبحت قبة المقام واحدة من عوامل إعاقة الحركة حول بيت الله الحرام(١٢٨).

حيث أصبح يعترض أي توسعة للمطاف، وأصبح المكان من الكعبة ومقام إبراهيم – عليه السلام – بمثل عنق الزجاجة في موسم الحج حيث تنحصر الجموع الحاشدة من الطائفين الذين يسيرون في متسع عرضه ٢٤م إلى مكان عرضه ١٢م عند المقام مما يترتب عليه ازدحام خانق خلال ساعات الذروة ويزداد الموقف خطورة عندما يشغل بعض الحجاج أماكن خلف مقام إبراهيم – عليه السلام – لتأدية صلاة ركعتي الطواف(١٢٩).

ثم إن بعض العلماء في المملكة العربية السعودية رؤوا أنه لا بأس بنقل مقام إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – من محله الأصلي وتأخيره إلى محل آخر توسعة للناس في حال الطواف، ورأى بعضهم عدم جواز نقله من محله الأصلي مطلقاً(١٣٠).

وعندما لم تتفق آراء العلماء في جواز تنحيته طرحت تلك المسألة على علماء رابطة العالم الإسلامي المنعقد في موسم حج سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م فقررت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة أن المجلس التأسيسي قد اتخذ في جلسته الحادية عشرة المنعقدة في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٨٤هـ/ ٢٦ أبريل ١٩٦٤م قراراً برفع المقصورة الحديدية التي كانت موضوعة فوق مقام إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – منذ مئات السنين ويوضع بدلاً عنها زجاج قوي جميل على نفس المقام الكريم مع بقائه في محله الأصلي من غير تحريكه ولا زحزحته عن موضعه، لما فيه من راحة المسلمين بتوسعة أرضيات المطاف الشريف مع بقاء المقام الكريم في محله الأصلي القديم(١٣١).

---

(١٢٨) حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص١٥١، عبيد الله الكردي: الكعبة المعظمة، ص١٨٣.
(١٢٩) وزارة المالية والاقتصاد الوطني المسجد الحرام، ص ص ٨٣، ١٦٥.
(١٣٠) الكردي: التاريخ القويم، ٥/ ص ٥٢.
(١٣١) الكردي، المرجع السابق، ٥/ ص ٥٣.

فامتثلت حكومة الملك فيصل – يرحمه الله – بما تقرر من رابطة العالم الإسلامي من: أولاً – هدم الزوائد الخارجة عن مقام إبراهيم – عليه السلام – ووضع بدلاً منه غطاء زجاجي، مع المحافظة على محله الأصلي وعدم زحزحته عنه وثانياً – هدم باب بني شيبة (باب السلام)، ويمكن شرح ذلك فيما يلي:

أولاً: إبقاء المقام في مكانه وإزالة جميع الزوائد الموجودة حوله ووضعه داخل صندوق من البللوري السميك القوي على قدر الحاجة.

بدؤوا في العمل سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م فأحاطوا مقصورة المقام الكريم بالأخشاب من جميع الجهات وجعلوا فيها باباً للدخول والخروج وهذه الإحاطة بالأخشاب تمكن العمال من الاشتغال في المقام بدون تشويش على الناس الذي يجتمعون عنده، وبعد ذلك قاموا بإزالة المقصورة الجديدة المحاطة بالمقام الكريم على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، وهذه المقصورة القديمة –أي: نفس الشباك الحديدي –طولها ٣م × ٣م وارتفاعها مثل ذلك، ومساحة المصلى الذي يلي المقصورة مثل ذلك أيضاً – أي: ٣م –ثم قاموا برفع ما بقي من الأنقاض والأحجار والأتربة حتى بلغوا الأساس القديم، ولقد وجدوا أن المقام الشريف مركب على قاعدة من الحجر المربع طوله ٥٠سم وعرضه ٥٠سم، وقد حبس هذا الحجر بأربعة أسافين من الحجارة الضخمة؛ تثبيتاً له حتى لا يتزحزح عن مكانه فلم يمس العمال هذا الحجر بسوء بل لم يزل في مكانه، وهذا الحجر ينزل عن سطح أرض المطاف بنصف متر، ويظن الذي رأى هذا الحجر أنه من وضع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله تعالى عنه –والله تعالى أعلم، فقولنا: "حتى بلغوا الأساس القديم" –أي: بلغوا جوانب الأساس من غير أن يمسوا نفس الأساس، ومن غير أن يحركوا نفس حجر المقام الكريم، فكل شيء قديم بقي على ماهو عليه(١٣٢).

ثم رفعوا الغطاء الداخلي الذي كان موضوعاً فوق المقام الشريف وهو صندوق خشبي عليه ستارة من الحرير المكتوب، ثم عملوا حول المقام الكريم من الأرض إلى أعلاه قاعدة من الرخام يحيط به وهو على شكل سداسي طوله ١٦٠سم، وعرضه ١١٠سم وارتفاعه

(١٣٢) الكردي: التاريخ القويم، ٥/٥٧، ٥٨، ٥٩؛ الشريف محمد مساعد الحسي: دور الجامع الثمين، ص٤٧؛ خالد العبيد، الحرم المكي الشريف، ص٥٠.

٧٥سم، ثم في يوم الأربعاء ١٥ رجب ١٣٨٧هـ اشتغل العمال بتكميل تركيب القاعدة الرخامية الجديدة (والرخام لونه أسود مأخوذ من جبال تبعد عن مكة المشرفة بنحو ١٠٠كم)، وفي يوم الخميس ١٦ رجب ١٣٨٧هـ وضعوا قاعدة نحاسية مدورة مثقوبة من وسطها، زنتها ٦٠٠ كجم والثقب على قدر ما يظهر المقام الكريم، وفوق القاعدة النحاسية وضعوا الغطاء الزجاجي على نفس المقام الكريم، ثم ركبوا عليه المقصورة الحديدية الجديدة (وهي الشبابيك) وهي أصغر حجماً من المقصورة القديمة، فطولها ١٦٠سم وعرضها ١١٠سم وارتفاعها إلى هلالها ٣م، أي أن حجم المقصورة الجديدة أصغر من المقصورة القديمة؛ لتوسعة المطاف، مما أدى إلى توفير نحو ٥م في عرض أرضيات المطاف(١٣٣) – أي: مساحة قدرها ٢٥م٢ – وفي يوم السبت ١٨ رجب ١٣٨٧هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٦٧م جرى رفع الستار عن الغطاء البللوري في حفل جليل بيد الملك فيصل بن عبدالعزيز – يرحمه الله –(١٣٤).

---

(١٣٣) الكردي: التاريخ القويم، ٥/ ص ص ٦٠، ٦١؛ وصى الله بن محمد عباس: المسجد الحرام تاريخه وأحكامه، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٤٠١؛ حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، حدة، مجموعة بن لادن السعودية، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص١٥١؛ محمد بن عبدالله بن صالح، الحرمان الشريفان نشوءهما وتوسعتهما وتأثيرهما على المحيط العمراني على مر العصور متوجه بجهود خادم الحرمين الشريفين، الرياض، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص ص ٢٠، ٢١، أحمد حسين العقبي، عمارة المسجد الحرام في عهد خادم الحرمين الشريفين مستلة من ندوة "عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود بالحج والحرمين الشريفين ٢٥ – ٢٧ ذو الحجة ١٤٢٢هـ.

(١٣٤) الكردي: التاريخ القويم، ٥/ ص ص ٦٠، ٦١؛ وصى الله بن محمد عباس: المسجد الحرام تاريخه وأحكامه، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٤٠١؛ حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، حدة، مجموعة بن لادن السعودية، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ص١٥١؛ محمد بن عبدالله بن صالح، الحرمان الشريفان نشوءهما وتوسعتهما وتأثيرهما على المحيط العمراني على مر العصور متوجه بجهود خادم الحرمين الشريفين، الرياض، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص ص ٢٠، ٢١، أحمد حسين العقبي، عمارة المسجد الحرام في عهد خادم الحرمين الشريفين مستلة من ندوة "عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود بالحج والحرمين الشريفين ٢٥ – ٢٧ ذو الحجة ١٤٢٢هـ.

ثانياً: إزالة باب بني شيبة (باب السلام) (١٣٥):

في يوم السبت ١١ رجب سنة ١٣٨٧هـ/ ١٤ أكتوبر ١٩٦٧م أزالوا باب بني شيبة؛ وهو العقد القائم خلف مقام إبراهيم – عليه السلام – وبجوار بئر زمزم والمنبر وهو الذي كان يسمى قديماً منذ صدر الإسلام (باب السلام)، والذي يُسنّ الدخول منه إلى المسجد الحرام، وهو عُقْد على شكل نصف دائرة، مبني على عمود من حجر الرخام المتين مزين بنقوش بديعة، وهذا العقد هو محل السكة الضيقة النافذة من بين بيوت قريش إلى المسجد الحرام، فإن قريشاً لما بنت بيوتها حول الكعبة على قدر حاشية المطاف جعلوا بين كل

(١٣٥) التبس الأمر على كثير من الباحثين في أي عهد أو عصر تم إزالة باب بني شيبة فذكر الدكتور فوزي الساعاتي أنه حدث في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز إلا أنه قد جانبه الصواب برغم أنه ذكر تاريخ الإزالة صحيحاً في ١١ رجب سنة ١٣٨٧هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٩٦٧م نقلاً عن الكردي في التاريخ القويم وكذلك كتاب المسجد الحرام الصادر عن وزارة المالية وهذا يؤكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك أنه في فترة وعهد الملك فيصل بن عبدالعزيز الذي تولى الحكم في سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، فضلاً عن أن الداعي لإزالته هو ما قررته رابطة العالم الإسلامي في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م في التوجيه بإزالته من صحن المطاف لتوسعة محل المطاف لاستيعاد أكبر قدر من الحجاج دون التصديق عليهم سواء من قبل باب بني شيبة أو المقصورة الخشبية المقامة على مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام، كذلك ذكر كلاً من الباحث عبدالفتاح راوه والشريف محمد بن مساعد الحسيني والرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي أن الإزالة حدثت في سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز إلا أنهم قد جانبهم الصواب أيضاً لذكر مؤرخ الحرم المكي آنذاك محمد طاهر الكردي في كتابه التاريخ القويم أن الإزالة تمت في ١١ رجب سنة ١٣٨٧هـ أثناء إزالة الزوائد الخارجة من مقصورة المقام ووضع بدلاً منها غطاء بللوري، أما التاريخ المذكور سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م هو تاريخ تبليط أرض المطاف بالرخام البارد المقاوم للحرارة وليست الإزالة.

يراجع: وزارة المالية: المسجد الحرام، ص١٦٨؛ فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة وما استحدث في ساحة الحرم من مباني على اختلاف وظائفها ومن المدرسين والوعاظ في حصوات المسجد الحرام، (ب–د) ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م، ص٤٥؛ عبدالفتاح راوه: أمراء البلد الحرام، ص٦٣؛ الشريف محمد بن مساعد الحسيني: درر الجامع الثمين لأعمال الملوك من آل سعود الميامين في مسجد البلد الأمين، جدة، مطبعة النهضة الحديثة،، جـ١، ١٣٤٣هـ، ١٤١٨م، ص٦٣، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الحرمان الشريفان في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، ط١، ١٤٢٣هـ، ص٤٧.

دارين من دورهم مسلكاً ينفذ منه إلى بيت الله الحرام، فكان هذا العقد هو محل السكة النافذة، وبجواره كانت دار شيبة بن عثمان الحجبي سادن الكعبة المعظمة التي دخلت في توسعة الخليفة العباسي المهدي للمسجد؛ لذلك نسب البيان إليه فقيل: "باب بني شيبة"، وكان "باب بني شيبة" حد المسجد الحرام من الجهات الثلاثة في زمن رسول الله – صل الله عليه وسلم – وزمن أبي بكر – رضي الله عنه –، وما وراء ذلك من زيادات الخلفاء (أمراء المؤمنين – رضي الله تعالى عنهم –)[١٣٦][١٣٧].

فمحل "باب بني شيبة" الذي أزيل حد المسجد الحرام وحد المطاف القديم أيضاً، ومرادنا بالقديم زيادة الملك سعود بن عبدالعزيز – يرحمه الله –؛ لأن المسجد الحرام كان هو المطاف القديم سواء بسواء، فلما زاد الخلفاء في المسجد الحرام عملوا حد للمطاف القديم، وفي عهد الملك سعود– يرحمه الله– زاد في أرضيات المطاف القديم ووسعوه لكثرة الناس، وبعد إزالة باب بني شيبة وضع مكانه رخام أسود إشارة إلى محله[١٣٨].

أرضيات المسجد الحرام في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز– يرحمه الله–:

بعد تلك التوسعات التي قام بها الملك سعود والملك فيصل – يرحمهما الله – استمر الملك خالد – يرحمه الله – (١٩٧٥م – ١٩٨٢م) على نهج أخوية في توسعة أرضيات المطاف، بضم جميع مساحات الصحن المكشوف بداخل دائرة المطاف؛ ليصبح الصحن كله مدار للطواف وتم تبليطه بالرخام الأبيض ليصبح حدود المطاف هي حدود جدران

(١٣٦) الكردي: التاريخ القويم، ٤/ ص٥٨، ٥/ ص ص١٦٨، ١٦٩.

(١٣٧) ورد في كتب الحديث والتاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل المسجد الحرام من هذا الباب ويخرج منه وسبب ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت إقامته بمكة، إما بدار خديجة، رضي الله عنها بزقاق الحجر أو بدار عقيل بسوق الليل، أو كان ينزل بالأبطح جهة المعلا، فالآي من هذه الأماكن لابد وأن تكون وجهته قبل باب الكعبة، فيدخل المسجد من باب بني شيبة بطبيعة الحال، وأيضاً فإن هذا الباب مقابل لباب بيت الله الحرام.
الكردي: المرجع السابق، ٥/ ص ص١٦٨، ١٦٩.

(١٣٨) الكردي: المرجع السابق، ٤/ ص ٥٨، وزارة المالية: المرجع السابق، ص١٦٨.

المسجد من الداخل، ومجموع مساحة المنطقة المكشوفة داخل الحرم الشريف تبلغ ٢٥٠□١٦م٢ والذي يشمل أرضيات المطاف بعد توسعته من قبل الملك سعود – رحمه الله – والتي تبلغ مساحته: ١٥٠□٤م٢، وبذلك تشمل الأجزاء الباقية وقدرها: ١٠٠□١٢م٢ الحصاوي والممرات المبلطة وأرضيات المطاف والممرات المؤدية إلى المطاف وحدود هذه الممرات لم تتغير قروناً عديدة وكلها مكسوّة بالرخام، والمنطقة المتبقية المكشوفة "الصحن" خارج المطاف تتكون من: الممرات وأقسام يغطيها الحصى؛ وهي على مساحات مختلفة وتسمى (الحصاوي) وتستعمل أيضاً للصلاة عندما يزيد عدد المصلين وتفرش بالبسط فوق الحصى في أوقات الصلاة، وجزء من هذه (الحصاوي) ملاصق للمسجد المسقوف وكان له مظلات مؤقتة من القماش تنشر خلال صلاتي الظهر والعصر[١٣٩].

وفي سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م قررت وزارة المالية والاقتصاد الوطني أن تبدأ دراسة تفصيلية في هذا الصدد؛ لتوسعة أرضيات المسجد الحرام ومنطقة زمزم[١٤٠]، وتم تقسيم العمل على النحو التالي:

أولاً – توسعة منطقة المطاف وتبليط الحصاوي:

كانت حدود الأبعاد لأقصى توسعة يمكن إدخالها على دائرة المطاف تتحكم فيها الناحيتان (الشمالية والجنوبية الشرقية للمبنى القديم للحرم الشريف)؛ فتم تبليط أرض المطاف بالرخام الأبيض بانحدار قدره: ١: ١٥٠ باتجاه محوري بعيداً عن الكعبة، والرخام الأبيض إذا ما قورن بمواد التبليط الأخرى الطبيعية تجده الأنسب لأن به صفات مثل: المتانة والراحة والمنظر المريح الملائم لمبنى الحرم، وتم تغطية جميع مناطق الحصاوي بالرخام الأبيض بانحدار ١: ١٠٠؛ لتصريف المياه باتجاه محوري إلى قناة التصريف الدائرية على المحيط الخارجي للمطاف على أن تحتفظ بمنسوبها ١٥سم بحيث تكون منخفضة عن الممرات[١٤١].

---

(١٣٩) وزارة المالية: المرجع السابق، ص ص ١٦٥، ١٨٣.
(١٤٠) وزارة المالية، المرجع السابق، ص١٩٩.
(١٤١) وزارة المالية، المرجع السابق، ص ص١٩٩، ٢٠٠.

وبذلك أصبح قطر دائرة المطاف ٢□٩٥م مقابل القطر السابق ٨□٦٤م وازدادت مساحة المطاف من ٣٢٩٨م٢ إلى ٧١١٩م٢ – أي: زيادة قدرها: ٨□١١٥% فأصبح لأول مرة في التاريخ مساحة المسجد الحرام القديم كله مطافاً، وزاد استيعابها الضعف من ١٤٠٠٠ شخص إلى ٢٨٠٠٠ شخصاً دفعة واحدة(١٤٢).

وقد كان الرخام المرمر الكرارا الإيطالي المفروش في أرضيات المطاف يتأثر بالشمس فكان يؤذي الطائفين والمصلين، فجلب الملك خالد – يرحمه الله – رخام أبيض ناصع ضد الحرارة من اليونان بتكاليف باهظة وفرش في جميع أرض المطاف والحجر ولا يتأثر من حرارة الشمس القوية، وبإمكان الطائف والمصلى أن يطوف ويصلي في وهج الشمس وشدة الحرارة، ولا يؤثر على الأقدام بالحرارة مطلقاً(١٤٣).

وقد كان هذا الرخام هو رخام "تاسوس"(١٤٤) الذي يحتل النسبة الأكبر للرخام المستخدم في أرضيات المباني الفاخرة، إذ يستورد من اليونان بكميات حجرية كبيرة، قبل أن تتم معالجته وقصه إلى قطع رخامية بمقاسات محددة للاستفادة منه في أرضية الحرم المكي الشريف(١٤٥).

وهذا الرخام المستخدم في الحرم المكي الشريف يجلب من جزيرة تدعى "تاسوس" في اليونان، شمال بحر ايجه تبعد عن الساحل الأوروبي سبعة كيلومترات، وهذا يدل على أن حكومة المملكة العربية السعودية تحرص بشدة على ما يوفر الراحة والخدمة للطائفين والقائمين في المسجد الحرام، هذا النوع من الرخام الذي من شأنه إراحة المصلين الجالسين

---

(١٤٢) وزارة المالية، المرجع السابق، ص١٩٩، حامد عباس: المرجع السابق، ص١٥٩.

(١٤٣) وزارة المالية: المرجع السابق، ص١٤٦.

(١٤٤) هو رخام أبيض يستخرج من اليونان، لونه أبيض ناصع جميل، وقد تم استخدامه في الحرم المكي لما له من خصائص في حفظ درجة الحرارة، نقلاً عن القسم الهندسي بالرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي. وتاسوس نسبة إلى جزيرة تاتوس والتي كان يطلق عليها اسم "طاشور"، لمزيد من التفاصيل انظر: د. أشرف مؤنس: الحكم المصري في جزيرة طاشورة، مكتبة الأدب، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ص٧–٩.

(١٤٥) صحيفة مكة المكرمة، الثلاثاء ١٦ صفر ١٤٣٦، ٩ ديسمبر ٢٠١٤.

في صحن المطاف والساحات الخارجية – لا سيما في وقت الظهيرة – ينعم الجالسون في ساحات الحرم ببرودة أرضيته وتقيهم حرارة الصيف.

وهذه حقيقة أفصح عنها المهندس محمد كمال إسماعيل(١٤٦)، الذي كان له الشرف في وضع تصاميم توسعة أرضيات المسجد الحرام، فيذكر أن السر في برودة الرخام هو أن هذا النوع من الرخام الذي يدعى "تاسوس" من خواصه أنه في الليل يمتص الرطوبة عبر مسام دقيقة وفي النهار يقوم بإخراج ما امتصه في الليل مما يجعله دائم البرودة أثناء ارتفاع الحرارة وقد تم وضع قطع سمك ٥سم لزيادة امتصاص الرطوبة وجعله أكثر برودة في لهيب الحر (١٤٧).

ويتم استيراد مادة الرخام تلك من اليونان إلى مصانع سعودية خاصة تقوم بمعالجتها وصناعة البلاط منها، إضافة إلى قصها إلى بلاطات بمقاسات معينة حسب ما تقتضيه المعايير الهندسية في الحرم المكي، كما أن هناك كميات جاهزة لوضعها في مكان القطع التي لم تعد صالحة للاستخدام، مؤكداً أن هذه النوعية من الرخام طبيعية بالكامل ولا تخضع لأي تقنيات أو إضافات سواء في اليونان أو داخل المملكة العربية السعودية(١٤٨).

ثانياً – نقل مدخل بئر زمزم:

كان لرغبة الملك خالد – يرحمه الله – في توسيع محل أرضيات المطاف للحاجة؛ لتوفير مزيد من المساحات للطائف، ليشمل جميع الصحن المكشوف من المسجد الحرام أثره في إصدار أوامره بنقل مدخل بئر زمزم القابع في قبو أسفل أرضيات المسجد الحرام إلى الرواق الشرقي مع تطوير قبو البئر لزيادة استيعابية، ففي سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م أصدر

---

(١٤٦) هو مهندس معماري مصري، من أبرز أعماله توسيع للمسجد الحرام والمسجد النبوي، اختاره الملك فهد بن عبدالعزيز، لتصميم هذا العمل الكبير، بعد أن اطلع على مؤلفه الذي يحمل عنوان "مساجد مصر" صحيفة الأهرام: العدد ٢٣٤٩ الصادر بتاريخ ١٤٣٦/٧/٣٠هـ، الموافق ٢٠١٥/٥/١٨م، ص٢.

(١٤٧) Muhammed Kamal Ismail, The Architecture of the Holy Mosque Makkah. London 1998. pp.174.

(١٤٨) صحيفة مكة المكرمة، الثلاثاء ١٦ صفر ١٤٣٦، ٩ ديسمبر ٢٠١٤.

الملك خالد – يرحمه الله – أوامره بإرجاع مدخل قبو (بدروم) بئر زمزم إلى الخلف ناحية الرواق الشرقي وذلك لزيادة مساحة النفق مع تغطية المدخل القديم الموجود بصحن المطاف بسقف يتساوى مع سطح المطاف وحددت فوهة بئر زمزم التي تقع أسفل منطقة الطواف بدائرة من الرخام الأبيض المحاط بإطار من الرخام الأسود كتب عليها "بئر زمزم" ووضعت هذه العلامة كدلالة على مكانها التاريخي، وتبعد (فم البئر) عن سطح صحن الطواف بـ ١□٥٦م، ويبعد مركز فتحة البئر عن الحجر الأسود بـ ٢٠□٦٠م، كما يبعد منتصف الحجر الأسود حتى سطح صحن الطواف ١.٢٥م، كما يبعد عن مقام إبراهيم – عليه السلام – بمقدار: ١٢□٤٥م، كذلك قام الملك خالد – رحمه الله – بتوسيع (قبو البئر) من مساحة ١٣٥م٢ إلى ١٤٥٠م٢، كما قام بتحسين ترتيبات نافورات الشرب من ناحية العدد حيث بلغت: ٣٥٠ صنبوراً بعد أن كانت ٣٩ صنبوراً كذلك حسنها من ناحية التخطيط بحيث تؤدي خدمات ملائمة لشرب الماء وتأمين نظام يسهل حركة الدخول والخروج(١٤٩).

ثالثاً – نقل منبر السلطان سليمان القانوني:

فبعد أن أرجعه الملك سعود بن عبدالعزيز – يرحمه الله – سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م إلى خارج صحن المطاف بمقدار: ٧م أمر الملك خالد بن عبدالعزيز – يرحمه الله – في سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م – عند توسعة صحن المطاف – بنقله إلى خارج المحيط الخارجي لصحن المطاف بجوار المظلة، وظل هذا المنبر الرخامي العثماني في المسجد الحرام لغرة المحرم سنة ١٤٠٠هـ/ ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م، حيث تعرضت بعض أجزائه للكسر من جراء

(١٤٩) وزارة المالية: المسجد الحرام، ص٢٠١؛ وصى الله عباس: المسجد الحرام، ص٤١؛ حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص١٤١؛ عبدالله الرقيبة: الحرمان الشريفان والمشاعر المقدسة، ص٦٩، فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص٦٧؛ محمد بن عبدالله صالح: الحرمان الشريفان نشوءهما وتوسعتهما، ص٢١؛ الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الحرمان الشريفان في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز، ص٤٨؛ يحيى حمزة كوشك: عناي الدولة بماء زمزم، ص٩٢، الشريف محمد مساعد الحسيني: الدرر الجامع الثمين، ص٦٣، خالد العبيد : الحرم المكي الشريف، ص٥٠.

سيطرة الفئة الضالة على المسجد الحرام، وتم بحمد الله دحرها، ثم جرى تفكيك ما بقي من المنبر الرخامي العثماني وحفظ هذه الأجزاء بمستودعات المسجد الحرام إلى أن استقر وضعها الآن بمتحف الحرم المكي(١٥٠).

رابعاً – نقل المكبرية من صحن المسجد الحرام:

وهي السقيفة التي استحدثت في عصر الملك فيصل بن عبدالعزيز – رحمه الله – سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م في المسجد الحرام في حصوة باب الصفا من الجهة الجنوبية لساحة صحن المطاف(١٥١)، وتشغل مساحة ٥٠م٢ من مبنى الحرم القديم و١١٠م٢ من المبنى البارز(١٥٢)؛ لتمكين المؤذن من رفع الأذان وإقامة الصلاة، حيث كان التبليغ من المقام الحنفي ثم في المقام الشافعي فوق زمزم وفي مقابل المزولة وذلك قبل هدمها أثناء التوسعة السعودية الأولى، وقد استمرت في أداء عملها وأضيف إليها النقل الحي على الهواء مباشرة لنقل الصلوات من خلال البث التلفزيوني من خلال الدائرة التليفزيونية الموجودة داخل المكبرية وذلك حتى عام ١٣٩٨هـ – ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٧ – ١٩٧٨م عندما أراد الملك خالد – رحمه الله – من تبليط أرضيات جميع الصحن المكشوف للمسجد الحرام بالرخام التاسوس المقاوم لامتصاص الحرارة، فهدمت لغرض إيجاد أكبر مساحة للطائفين حول البيت الحرام، وقد تم ما بها من معدات البث الإذاعي والتليفزيوني إلى مكبرية أخرى بُنيت داخل الرواق العثماني جهة الجنوب للكعبة، جهة باب الصفا، وبناء مكبرية ثانية في

---

(١٥٠) وزارة المالية: المرجع السابق، ص ص١٦٨، ٢٠١؛ فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص٤٣.

(١٥١) وزارة المالية: المرجع السابق، ص ص١٦٧، ٢٠٠؛ فوزي الساعاتي: المرجع السابق، ص٤٨، وقد ذكر رئاسة شؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي أنها استحدثت سنة ١٣٩٠هـ، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الحرمان الشريفان في عهد الملك فهد، ص٤٦؛ الشريف محمد مساعد الحسيني: درر الجامع الثمين، ص٤٨.

(١٥٢) الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي: الحرمان الشريفان التوسعة والخدمات خلال مائة عام (ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ص٦١.

شمال الكعبة جهة باب الزيادة (المكبرية القديمة) وتتميز بصغر مساحتها وبقلة عدد الأعمدة الحاملة لسقفها حيث تبلغ: ١٢ عموداً منها: ٦ كانت ضمن الرواق العثماني و ٦ أعمدة تم إحداثها عند البناء(١٥٣).

وبذلك تم توسعة المطاف وتوسعة أرضيات المسجد الحرام توسعة كبيرة جداً شملت: إلغاء جميع الحصاوي والمشايات التي كانت في الحرم المكي، ونقل المنبر والمكبرية ومدخل بئر زمزم؛ لتصبح سعة المطاف إلى حدود الحرم القديم وتصبح –لأول مرة في التاريخ – مساحة المسجد الحرام القديم كله مطافاً.

أرضيات المسجد الحرام في عهد الملك فهد– يرحمه الله–:

تمثلت أعمال الملك فهد– يرحمه الله – (١٤٠٢–١٤٢٦هـ/١٩٨٢–٢٠٠٥م) الخاصة بأرضيات المسجد الحرام بأنه أول من قام بتبليط سطح التوسعة السعودية الأولى بالرخام المقاوم للحرارة ومنه زادت مساحة المسجد الحرام بمقدار: ٦١ ألف متر مربع(١٥٤).

تقدم ذكر جهود الملك عبدالعزيز –يرحمه الله –وأعماله الجليلة في خدمة المسجد الحرام والتي نالت فيه أرضياته بنوعيها: الحجرية والمحصبة النصيب الأوفر من الاهتمام سواء المفروشة في محل الطواف أو الحصباء المفروش بها حصاوي المسجد، كذلك الأرضيات الحجرية المفروشة في الأروقة الجانبية للمسجد الحرام، ثم جهود أبنائه البررة وخلفائه الصالحين سعود وفيصل وخالد –يرحمهم الله –وكلهم ساروا على خطى والدهم المؤسس– يرحمه الله –في أداء الأمانة والاهتمام بأمر المسلمين وولاية أمر الحرمين الشريفين والعناية بهما.

ولما تولى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز –يرحمه الله – في سنة

---

(١٥٣) حامد عباس: المسجد الحرام، ص١٤٦؛ الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الحرمان الشريفان في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز، ص٤٦؛ فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص ص ٤٨، ٤٩؛ عبدالله بن صالح الرقيبة، الحرمان الشريفان والمشاعر المقدسة، ص٧٠.

(١٥٤) وزارة المالية: المسجد الحرام، ص١٤٦.

١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، جعل همه الأول خدمة الحرمين الشريفين والنظر في شؤونهما وإعطاء الأولوية لمشاريعهما خدمة للإسلام والمسلمين وتقرباً إلى الله تعالى بعمارتهما، فلما رأى ضيق المسجدين على الحجاج وتزايد أعدادهم عاماً بعد عام أمر بتوسعتهما توسعة مناسبة لأعدادهم فقرر توسعة المسجد الحرام من جهة السوق الصغير وإحداث ساحات جديدة فأمر بوضع الدراسات اللازمة ولما وضعت التصاميم والدراسات وعرضت عليه عدة مرات أبدى فيها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد – يرحمه الله – ملاحظاته وتوجيهاته مما تطلب تعديلها وفق ملاحظاته، وعندما اكتملت وضع الملك فهد – رحمه الله – حجر الأساس للتوسعة السعودية الثانية للمسجد الحرام في ٢ صفر سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م(١٥٥).

وتعرف توسعة الملك فهد بن عبدالعزيز – يرحمه الله – بالتوسعة السعودية الثالثة وأما ما يخص بحثنا فيمكن طرحه من خلال أربعة أمور:

الأمر الأول: أنه في عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م أمر الملك فهد – يرحمه الله – بتنفيذ مشروع؛ لتحسين سطح التوسعة الأولى بالمسجد الحرام؛ ليستوعب أعداداً كبيرة من الحجاج والمعتمرين في مواسم الحج وشهر رمضان ولم يكن يستفاد من السطح إلا لأعمال الكهرباء، وكانت شبكات الكهرباء المنتشرة في مواضع متفرقة من السطح تعيق المصلين، فأمر خادم الحرمين الشريفين أن تجمع جميع شبكات الكهرباء في قباب جميلة، وأن يبلط أرضيات السطح بالرخام البارد من النوع الذي بلطت أرضية المطاف به، وقد نفذ المشروع عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م وأضيف بذلك إلى المسجد الحرام مساحة تقدر ٦١.٠٠٠م٢ وتستوعب ١٩٠ ألف مصلى(١٥٦).

الأمر الثاني: أنه في ٢٥ رمضان سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢ فبراير ١٩٩٧م أمر

---

(١٥٥) الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي: الحرمان الشريفان التوسعة والخدمات خلال مائة عام، ص٦٢.

(١٥٦) نفسه، ص ص٦٠، ٦١.

الملك فهد –رحمه الله – الشروع في ترميم محل مقام إبراهيم – عليه السلام – والمحل الذي يوجد فيه مقام إبراهيم عبارة عن هيكل معدني ذهبي اللون تعلوه قبة وبداخله قفص من زجاج يغطي الركن وفي هذا الترميم تم استبدال الهيكل المعدني الذي كان مركباً على مقام إبراهيم – عليه السلام –بهيكل آخر جديد مصنوع من نحاس ذي جودة عالية، كما تم تركيب شبك داخلي مطلي بالذهب، ومن الخارج زجاج مقاس ١٠ مليمتر ليعطي رؤية واضح ومن النوع المقاوم للحرارة والكسر، كما تم استبدال كساء القاعدة الخرسانية للمقام التي كانت مصنعة من الجرانيت الأسود ورخام من وادي فاطمة بقاعدة أخرى مصنعة من رخام كرارا الأبيض الصافي والمحلى بالجرانيت الأخضر ليماثل في الشكل حجر إسماعيل – عليه السلام – ومن الخارج زجاج مقاس ١٠ مليمتر ليعطي رؤية واضحة ومن النوع المقاوم للحرارة والكسر (١٥٧).

وقد أصبح محل المقام بعد هذه التحسينات انسيابياً وقبل ذلك كان مضلعاً وشملت التحسينات الهيكل والقبة والهلال، إضافة إلى القاعدة الخرسانية وقد تمت تلك الترميمات مع الحرص الشديد على عدم تحريك المقام من موقعه(١٥٨). وتم الانتهاء من هذا الترميم في مساء الأربعاء ٢١، ٢١ شوال سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م(١٥٩).

الأمر الثالث: أمر بتغطية مدخلي قبو زمزم بإزالة الدرج والأسوار ومساواته بسطح أرضيات المطاف وترحيل صنابير مياه الشرب إلى داخل الرواق الشرقي للمبنى العثماني وبذلك أضيفت مساحة ٤٠٠م٢ إلى مساحة أرضيات الطواف بعد أن تم تبليطها بالرخام المقاوم للحرارة كباقي أرضيات المسجد الحرام(١٦٠).

---

(١٥٧) الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي: الحرمان الشريفان في عهد الملك فهد، ص ص٧٩، ٨٠.

(١٥٨) نفسه، ص ص٧٩ ، ٨٠.

(١٥٩) عبيد الله الكردي: الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارة وتاريخاً، مجموعة بن لادن السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ، ص١٨٤.

(١٦٠) فوزي الساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص٦٧.

الأمـر الرابـع: أمـر خـادم الحـرمين الـشريفين الملـك فهـد بـن عبـدالعزيز – يرحمـه الله – بعمل أرضيات الساحات الخارجية، من جهة السوق الصغير، والساحة الواقعة شرقي المسعى بمساحة إجمالية تبلغ ٨٠٠ ٨٥م٢ تكفي لاستيعاب ٠٠٠ ١٩٥ مصلٍّ، وبذلك تصبح مساحة أرضيات المسجد الحرام شاملة مبنى المسجد بعد توسعته والسطح وكامل الساحات حوالي ٠٠٠ ٣٥٦م٢، تتسع لحوالي ٠٠٠ ٧٧٣ مصلٍّ في الأيام العادية، أما في أوقات الحج ، والعمرة، ورمضان فيزيد استيعاب الحرم ليصل إلى أكثر من مليون مصلٍّ، كما يضم مبنى التوسعة مدخلاً رئيساً، و١٨ مدخلاً عادياً، بالإضافة إلى مداخل المسجد الحرام، والبالغ عددها ٣ مداخل رئيسة، و٢٧ مدخلاً عادياً، وقد روعي في التصميم إنشاء مدخلين للبدروم، إضافة إلى المداخل الأربعة(١٦١).

(١٦١) مجلة القافلة، العدد العاشر، المجلد السابع والأربعون، شوال ١٤١٩هـ، ص٦١.

الخاتمـــة:

وفي النهاية نلمُّ بأطراف هذا البحث الذي رصد لنا ووثق بمنهج علمي تتبعي للتطور التاريخي لأرضيات المسجد الحرام في العصرين العثماني والسعودي خلال الحقبة الزمنية (٩٢٣ – ١٤٢٦هـ / ١٥١٧ – ٢٠٠٥م) والتي أفرزت لنا نتائج جاءت على النحو الآتي:

أولاً: أثبتت الدراسة أن الحجر والمطاف وساحة المسجد الحرام كانت تراباً ورملاً وأول من حصب أرضيات المطاف بالحصباء أمير المؤمنين الخليفة الثاني للمسلمين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –.

ثانياً: أكدت الدراسة أن أول من بلط المطاف حول الكعبة المشرفة كان عبدالله بن الزبير – رضي الله عنهما – بباقي حجارة بناء الكعبة المشرفة لنحو عشرة أذرع.

ثالثاً: أوضحت الدراسة أنه حينما كان المسجد الحرام يتعرض في بعض الأوقات للكوارث الطبيعية من أمطار وسيول وغيرها، كان الجميع يتكاتفون في إعادة الأمور إلى نصابها بداية من كبار الحكام إلى جموع المسلمين، في مكة المكرمة حيث يقوم الجميع برفع الماء أو إزالة الأتربة والرمال أو إقامة حواجز السيول وغير ذلك؛ ابتغاءً لوجه الله تعالى.

رابعاً: أوضحت الدراسة أن بعض سيول مكة المكرمة كانت قوية لدرجة أنها تدخل المسجد الحرام من غالب أبوابه أو بعضها حتى تغمره غمراً كاملاً، وذلك بسبب إحاطة الجبال بالمسجد الحرام، وكانت تجلب معها دائماً الأوساخ مما دفع نظار المسجد الحرام إلى تجديد بطحاء المسجد وأروقته بالحصباء النقية حتى يتمكن الناس من أداء شعائرهم الدينية بالمسجد الحرام.

خامساً: أثبتت الدراسة أن أول من فرش حاشية أرضيات المسجد الحرام بالحجارة الجبلية المنحوتة هم سلاطين الدولة العثمانية، وصارت محلاً لطيف دائراً بالمطاف بعد أن كانت مفروشة بالحصباء.

سادساً: أثبتت الدراسة أن أول من فرش جميع المطاف بالرخام المرمر الأبيض الناصع البياض الجميل هو السلطان محمد الثالث سنة ١٠١٠هـ/ ١٦٠٢م.

سابعاً: أثبتت الدراسة أنه في سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م في عهد السلطان مراد الرابع تم فرش أروقة المسجد الحرام كلها بالحجارة المنحوتة وأزيل ما كان فيه من جميع الطبطاب.

ثامناً: أوضحت الدراسة أنه في سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م زاد في حاشية أرضيات المسجد الحرام زيادة قليلة فرشً بالحجر المنحوت.

تاسعاً: كانت من أول اهتمامات الملك عبدالعزيز –رحمه الله – الاهتمام بأرضيات المسجد الحرام، فقد عمد على إصلاح ما يحتاج منها إلى إصلاح، وترخيمها والعناية بها.

عاشراً: أوضحت الدراسة ما قام به الملك سعود – رحمه الله – من أعمال جليلة في أرضيات المسجد الحرام بغرض التوسعة حيث قام بهدم حاشية المطاف والمقامات الأربعة، وإزالة جميع المباني المقامة على بئر زمزم وإنزال فوهة البئر لأسفل المطاف؛ للاستفادة منها في إضافة مساحة صحن المطاف، ثم فرش جميع تلك الأرضيات بالرخام الكرارا الناصح الأبيض المستورد من إيطاليا.

أحد عشر: لم يذكر أحداً من الباحثين أن إزالة بئر زمزم كانت على مرحلتين؛ حتى لا ينقطع شرب مياه زمزم عن المعتمرين أو الحجاج، فكانت المرحلة الأولى سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م وذلك بعمل قبو أسفل بئر زمزم ودرج موصل إليه، أما المرحلة الثانية فكانت سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م والتي تم فيها هدم المباني على بئر زمزم لاستثمار جميع مساحة البئر في توسعة أرضيات المسجد الحرام.

اثنا عشر: أثبتت الدراسة أن أول توسعة أرضيات المسجد الحرام للمطاف في التاريخ السعودي كانت في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز – يرحمه الله – سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

ثلاثة عشر: بينت الدراسة ما قام به الملك فيصل – يرحمه الله – من حل للكثير

من المشاكل التي كانت تواجه الطائفين من المعتمرين والحجاج بقصد توسعة أرضيات المسجد الحرام، فقام بإزالة المقصورة الخشبية المقامة على مقام سيدنا إبراهيم – عليه السلام – وعمل غطاء بلّوري عليها، فزاد في مساحة المطاف حول الكعبة المشرفة قرابة ٢٥م٢، كذلك أزاح المنبر من حول المطاف للخلف قليلاً قرابة ٧م؛ حتى يتسنى زيادة مساحة المطاف للطائفين.

أربعة عشر: أوضحت الدراسة ما قام به الملك خالد – يرحمه الله – من إزالة جميع المعوقات في صحن المسجد الحرام من: إزالة جميع الحصاوات المفروشة بالمسجد وإزالة المكبرية ونقل منبر السلطان العثماني سليمان خان القانوني وإرجاع فتحة بئر زمزم خارج الصحن تماماً، وجعلها بالرواق الشرقي من المسجد. ثم قام بأكبر عملية تبليط لأرضية المسجد الحرام على مر العصور حيث بلط جميع أرضيات الصحن المكشوف للمسجد الحرام برخام خاص مقاوم للحرارة استورد من اليونان لكي يقي الحاج أو المعتمر من أي حرارة يمتصها الرخام العادي فتتألم قدميه فأصبح لأول مرة في التاريخ مساحة المسجد الحرام القديم كله مطاف.

خمسة عشر: بينت الدراسة ما قام به الملك فهد – يرحمه الله – من استكمال الأعمال التي بدأها إخوانه الملوك من توسعة المسجد الحرام، فقام بتبليط سطح التوسعة السعودية الأولى بنفس البلاط الرخامي المستورد من اليونان المقاوم للحرارة فزاد بذلك مساحة المسجد الحرام قرابة ٦١ ألف م٢.

كل هذه الأحداث التاريخية هي مَا يَسَّر الله – سبحانه وتعالى – لي بجمعها وتحليلها ومعالجتها وطرحها بأسلوب علمي، الهدف من وراءه إبراز التطور التاريخي لأرضيات المسجد الحرام.

هذا وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الملاحق:

(١)

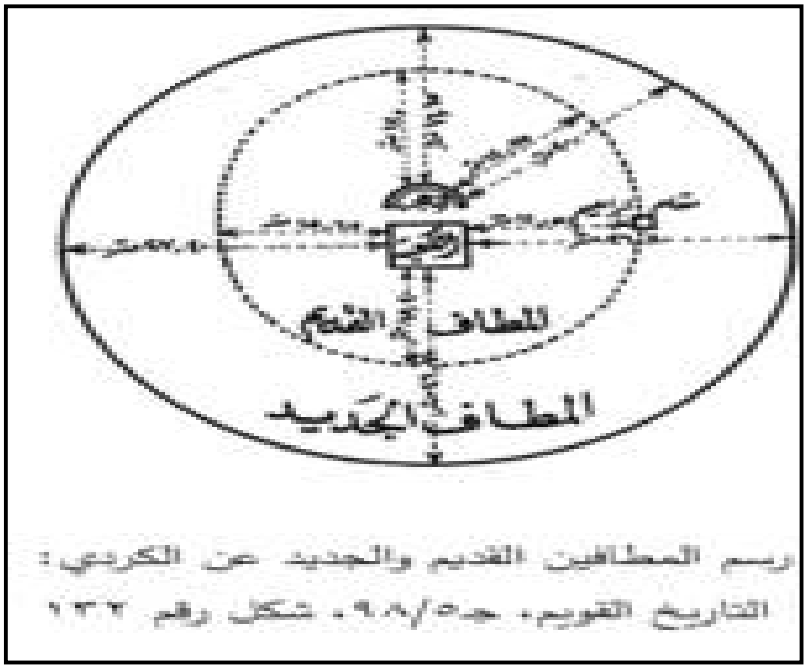

رسم المطافين القديم والجديد عن الكردي: التاريخ القويم، جـ٥/٩٠٨، شكل رقم ١٣٢

(٢)

(٣)

رسم ملون للمسجد الحرام في مخطوط شلام على (دليل مكة والمدينة) والمؤرخ لسنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م بتوسطه رسم للكعبة المشرفة وقد التف حولها دائرة المطاف المبلط باللون الأزرق والمحددة بنهاية طرفها بحاشية وزعت عليها الأعمدة النحاسية التي تدور مع دوران صحن الطواف فيما شتها بعوارض علقت عليها قناديل الإضاءة، ويظهر باقي أرضية المسجد الحرام وقد افترش بالحصباء التي توزعت عليها المقامات الأربعة، فضلاً عن مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام وباب بني شيبة والمبنى المقام على زمزم ثم قبة الفراشين وقبة سقاية العباس.

المصدر: معراج مرزا: أطلس خرائط مكة المكرمة، جامعة أم القرى.

معراج مرزا – عبدالله بن صالح شاويش، فهد بن معراج مرزا: الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة الرقمي من القرن السادس حتى النصف الأول من القرن الحادي عشر.

المصدر: معرض فنون الإسلام: كنوز من مجموعة ناصر خليلي، أبو ظبي ٢٠٠٨م.

(٤)

رسم ملون للمسجد الحرام من مخطوطة عثمانية من القرن ١٠هـ / ١٦م يظهر في وسطها رسم الكعبة المشرفة وقد التف حولها دائرة المطاف المبلطة والمحددة.

المصدر: معرض فنون الإسلام: كنوز من مجموعة ناصر الخليلي، أبو ظبي [illegible]هـ/ [illegible]م.

المصدر: ريتشارد برتن وآخرون: الدار المقدسة قبل قرنين.

(٥)

بلاطة من الخزف (القاشاني) مصنوع في إزنيك بتركيا مؤرخة بالقرن ١١هـ/ ١٧م ومحفوظة بمتحف بيناكي بأثينا، رسم عليها المسجد الحرام ويظهر بوسطه الكعبة المشرفة وقد أحاطت بها دائرة المطاف المبلطة بالرخام الأبيض وحددت بصف من الأعمدة تدور مع دوران دائرة المطاف وقد اتصلت فيما بينها بعوارض خشبية علقت عليها قناديل الإنارة، أما في مساحة المسجد الحرام فقد افترشت بالحصباء وقد عبر عنها: Venetia porter: The British Museum Press

بلاطة من الخزف (القاشاني) من تركيا عليها رسم للمسجد الحرام ترجع لسنة ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م ويبدو في وسطها الكعبة المشرفة ويدور حولها دائرة المطاف ومحفوظة بمتحف فيكتوريا وألبرت، لندن، رسم عليه المسجد الحرام ويظهر بواسطة الكعبة المشرفة ويحيط بها دائرة المطاف المبلطة والتي رسم بالأزرق السماوي وحوله حواجز وأعمدة المصابيح المعلقة ويظهر باقي أرضية المسجد الحرام والأروقة وقد افترشت بالحصباء وبرزت عليها المقامات الأربعة فضلاً عن مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام.

المصدر: ديتشارد سيلن وآخرون، الدار المقدسة قبل قرنين.

(٦)

رسم منظوري لمكة المكرمة مؤرخ بسنة ١١٩٧هـ/١٧٨٧م رسمه لوي نيكولا دوايمسيداس والنقاش بيرغاريل بيرتهو ونشره أغناطيوس مزاجي دوسون في كتابه صورة عامة للإمبراطورية العثمانية، ويظهر من خلال تلك اللوحة مشهد بانورامي لمكة المكرمة أثناء موسم الحج وفي وسطه رسم المسجد الحرام وقد استقل جموع الحجاج وقد رسمت الكعبة المشرفة في وسطه وقد التف حولها الحجاج في ساحة مطافها المبلط بالرخام والتي يتوصل إليها عبر طريق معاشي متصلة بالأروقة الأربعة الجانبية المبلطة بالأحجار المستوية، وقد حصرت تلك المعاشي مساحات واسعة فرشت بالحصباء (الحصوة) وعرفت بالحصاوي.

المصدر: معراج مرزا: أطلس خرائط مكة المكرمة – جامعة أم القرى.

(٧)

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام من تصوير السيد عبدالغفار بن عبدالرحمن سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م. وتظهر بواسطتها الكعبة المشرفة وقد التف حولها دائرة المطاف المبلطة بالرخام (الصحن) والمحددة بصف الأعمدة الحاسية التي تدور مع دوران صحن الطواف والمعلق فيما بينها قناديل الإضاءة لإنارة المطاف، ثم حاشيتها الدائرية التي تلتف حول دائرة المطاف وقد فرشت بالأحجار المستوية والتي تتصل بالأروقة الجانبية المبلطة بالأحجار المستوية عن طريق معاشي تحصر فيما بينها ساحات عريضة مفروشة بالحصباء (الحصوة) ويحيط بها أروقة المسجد وقد أقيمت على أعمدة تتبادل مع دعامات يعلوها عقود نصف دائرية تحمل السقوف ذوات القباب الضحلة.

المصدر: Hi CAZI

(٨)

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام من تصوير السيد عبدالغفار بن عبدالرحمن سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م وتظهر بواسطتها الكعبة المشرفة وقد التف حولها دائرة المطاف المبلطة بالرخام (الصحن) والمحددة بصف الأعمدة الحاسية التي تدور مع دوران صحن الطواف والمعلق فيما بينها قناديل الإضاءة لإنارة المطاف، ثم حاشيتها الدائرية التي تلتف حول دائرة المطاف وقد فرشت بالأحجار المستوية والتي تتصل بالأروقة الجانبية المبلطة بالأحجار المستوية عن طريق معاشي تحصر فيما بينها ساحات عريضة مفروشة بالحصباء (الحصوة) ويحيط بها أروقة المسجد وقد أقيمت على أعمدة تتبادل مع دعامات يعلوها عقود نصف دائرية تحمل السقوف ذوات القباب الضحلة.

المصدر: الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة.

(٩)

صورة فوتوغرافية لساحة المسجد الحرام من تصوير المصور محمد حلمي هـ/ ١٩٤٧م.
وتوضح بشكل جلي أرضية المسجد الحرام، حيث يظهر الأرضية الرخامية التي غطت دائرة المطاف (الصحن) والأعمدة النحاسية التي تدور على حافته والمعلق بها قناديل الإضاءة، ثم يظهر بطرف الصورة الأرضية الحجرية التي غطت حاشية المطاف التي تدور عليه والتي يخرج منها مماشي أو ممرات تربط من أروقة المسجد وصحن المطاف وقد غطيت تلك المماشي والأروقة بنفس أشكال البلاطات الحجارى التي غطيت بها حاشية المطاف.
المصدر: معهد العالم العربي ومكتبة الملك عبدالعزيز: صور فوتوغرافية قديمة من مكة المكرمة والمدينة المنورة.
١٨٨٠ – ١٩٤٧م / ١٢٩٧ – ١٣٦٦هـ.

(١٠)

صورة فوتوغرافية لأحد أروقة المسجد الحرام قام بتصويرة محمد حلمي سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.
وتظهر الأرضية الحجرية التي افترشت بها أروقة المسجد والتي غطيت بها أيضاً المماشي أو الممرات التي تصل بين تلك الأروقة وحاشية المطاف ومنها لصحن الطواف حول الكعبة.
المصدر: معهد العالم العربي ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة: صور فوتوغرافية قديمة من مكة المكرمة والمدينة المنورة.

(١١)

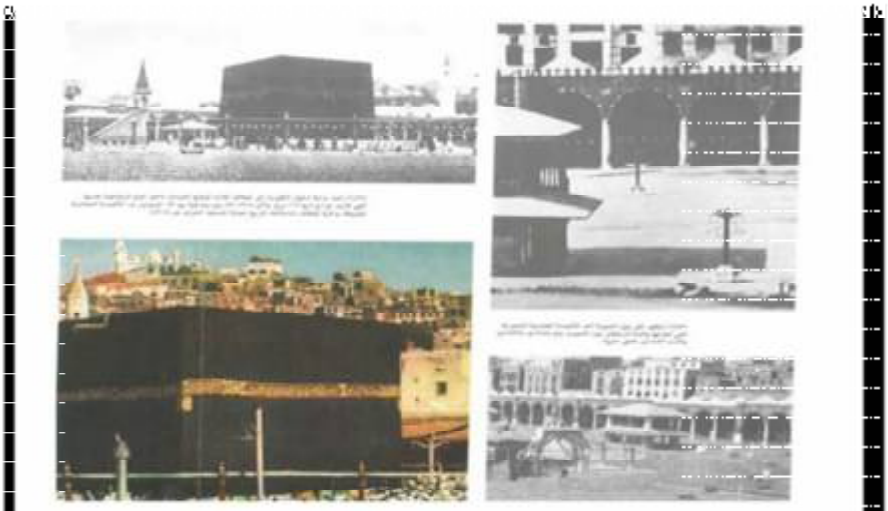

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام توضح الأرضية الحصباء المفروش بها الساحات الواسعة من أرضية المسجد الحرام.

المصدر: معراج مرزا وعبد الله.

الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة.

(١٢)

صور فوتوغرافية للمسجد الحرام من أقدم بادئ صورت سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م ويظهر بوسطها الكعبة المشرفة وحولها دائرة الطواف، ويظهر بوسطها الكعبة المشرفة وحولها دائرة الطواف المبلطة بالرخام والمحددة بنصف من الأعمدة النحاسية الرشيقة والمثبت فيها أوتار علقت عليها قناديل الإضاءة ويدور حولها حائط تنصف تقام عليها المقامات الأربعة.

ومعاشيها التي تربط من الأروقة وضمن الطواف وقد بلط جميعه بالأحجار المستوية، ويظهر الساحات الواسعة المحصورة من تلك المباني وقد فرشت بالحصباء ويحيط بها أروقة المسجد المقامة على أعمدة رخامية ** تتخلل مع دعامات حجرية يعلوها عصور نصف دائرية مسقوفة بقباب ضحلة.

المصدر: Hi CAZ

(١٣)

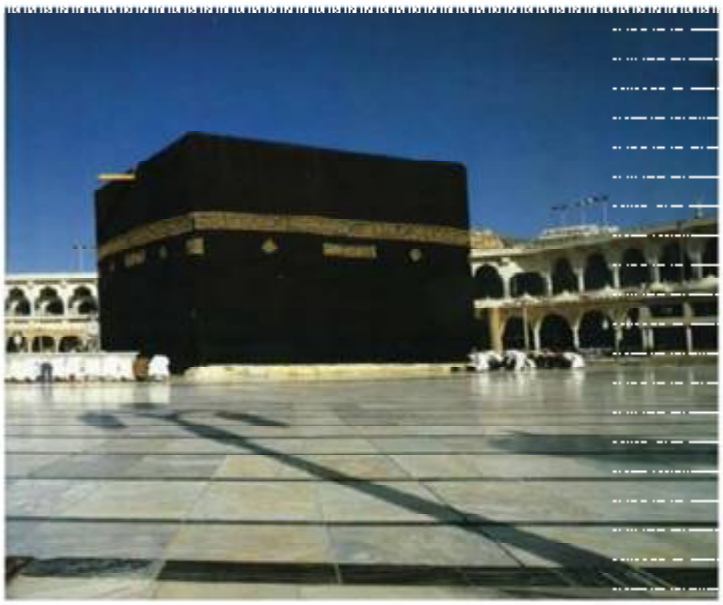

Demand Stewart: Mecca, Newsweek, Newyork 1980.

(١٤)

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام منتصف القرن ٢٠، وتظهر الساحات الواسعة من أرضية المسجد الحرام المفروشة بالحصباء (الحصوة) الحصواي.

المصدر: Murat Kargili: Hajj The Holy Journey

(١٥)

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام ترجع لمنتصف القرن العشرين ويظهر الحصاوي وقد فرشت بالحصباء.

المصدر : Murat Kargili: Hajj The Holy Journey

(١٦)

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام منتصف القرن ٢٠م يظهر فيها الأرضية الرخامية المبلط بها دائرة الطواف حول الكعبة.

المصدر : Murat Kargili: Hajj The Holy Journey

(١٧)

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام ترجع لمنتصف القرن العشرين ويظهر الكعبة المشرفة وقد أحيطت بدائرة المطاف المبلطة بالرخام والمحددة بصف من الأعمدة النحاسية التي تدور مع دورانها وقد اتصلت تلك الأعمدة فيما بينها بحواجز جديدة يتدلى منها قناديل الإنارة ويحف بها حاشية المطاف المبلطة بالأحجار المستوية والتي تتصل بأروقة المسجد عن طريق مماشي حصرت بينها مساحات واسعة فرشت بالحصباء.

المصدر: Murat Kargili: Hajj The Holy Journey

(١٨)

صورة فوتوغرافية للمسجد الحرام ترجع لمنتصف القرن العشرين وتظهر الأرضية الرخامية المفروشة بدائرة المطاف.

المصدر: Murat Kargili: Hajj The Holy Journey

(١٩)

بلاط الرخام الأبيض المسمى (تاسومن) والمركب خصيصاً للحرم الشريف

(٢٠)

عملية تحميل بلاط المسجد الحرام من موقعه من اليونان

(٢١)

شحن بلاط المسجد الحرام (تاسومن) من اليونان إلى المملكة العربية السعودية

(٢٢)

عملية قص البلاط (تاسومن) وتجهيزها لتركيبها في المسجد الحرام

موقف الحكومة الإيطالية من حرب يونيو ١٩٦٧

د. شريف محمد أحمد عبد الجواد
أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب– جامعة المنيا

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة فترة مهمة وحرجة في العلاقات الدولية، فقد قامت إسرائيل بالهجوم على مصر في ٥ يونيو ١٩٦٧، وفي ذلك الوقت كانت علاقات إيطاليا بالعالم العربي طيبة بوجه عام. وعلى الجانب الآخر فإن إسرائيل نجحت من جانبها في توثيق علاقاتها بإيطاليا في مختلف المجالات، وقد ساعدها في ذلك وجود جاليات يهودية قوية في أوروبا، ومن هذا المنطلق تبلور الموقف الإيطالي تجاه أزمة الشرق الأوسط.

كانت توجهات الخارجية الإيطالية منصبه على القيام بدور الوسيط في الأزمة، وأن موقف الحكومة الإيطالية يقوم على أن العمل البناء هو محاولة الوصول إلى حل شامل عن طريق الأمم المتحدة، هذا في الوقت الذي أكدت فيه الحكومة الإيطالية أن إسرائيل قائمة وباقية، ولكن سرعان ما انتقلت الحكومة الإيطالية من سياسة الحياد بين الدول العربية وإسرائيل إلى سياسة التأييد لإسرائيل.

وتجدر الإشارة أن موقف إيطاليا خلال الأزمة كان موقفاً مزدوجاً بين الخارجية من جهة والأحزاب الإيطالية من جهة أخرى، فقد واجهت الأحزاب المؤتلفة ضغوط داخلية وخارجية، هذا بالإضافة إلى الرأي العام الإيطالي المتعاطف مع إسرائيل، وكذلك ولاء إيطاليا التام لحلف الأطلنطي، والولايات المتحدة الأمريكية التي تدعم الأحزاب الحاكمة سياسياً ومادياً، وهذا ما يفسر الموقف الذي وقفته إيطاليا والذي يختلف عن مواقف الدول الأخرى المشتركة في حلف الأطلنطي بالنسبة لهذه الأزمة. وعلى الرغم من أن إيطاليا كان أمامها فرصة بحكم موقعها الجغرافي والسياسي، باعتبارها إحدى دول حوض البحر المتوسط، لكي تلعب دوراً مهماً في حل الأزمة، إلا أن سياستها التابعة للغرب أفقدتها رؤيتها، وجعلتها تابعة في تنفيذ ما يملئ عليها بحجة انضمامها لحلف شمال الأطلنطي.

The Position of the Italian Government in the June 1967 War

This study deals with an important and critical period in international relations. Israel attacked Egypt on June 5, 1967, and at that time Italy's relations with the Arab world were generally good. On the other hand, Israel has succeeded in strengthening its relations with Italy in various fields. This success has been aided by the presence of strong Jewish communities in Europe. In this sense, the Italian position towards the Middle East crisis has crystallized.

The Italian Foreign Ministry's position played the role of mediator in the crisis, and the position of the Italian government which is based on constructive work is to try to reach a comprehensive solution through the United Nations, at a time when the Italian government has confirmed that Israel exists and remains, then the government Italian has changed its policy of neutrality between the Arab countries and Israel to the policy of support for Israel.

It should be noted that Italy's position during the crisis was a dual position between the Foreign Ministry and the Italian parties. On the other hand, the combined parties faced internal and external pressure, in addition to the Italian public opinion sympathetic to Israel, as well as Italy's total loyalty to the Atlantic Alliance and the United States of America which supports the political and the material parties, which explains Italy's different position from that of other NATO countries in relation to this crisis. Although Italy had an opportunity as a Mediterranean country to play an important role in resolving the crisis, its Western-based policy made it lose its vision and held it dependent on the fulfillment of the pretext which is justified by joining the North Atlantic Treaty Organization.

وجدت قوات الطوارئ الدولية في مصر عقب العدوان الثلاثي ١٩٥٦، وذلك عندما قبلت مصر بوجودها على أرضها على الحدود مع إسرائيل، بينما رفضت إسرائيل وجودها على أرضها. وقد تشكلت هذه القوات من كل من الهند ويوغوسلافيا وكندا والبرازيل والسويد والنرويج، حيث كان واجبها يقتضي مراقبة الحدود بين الجانبين، والإبلاغ عن أية اعتداءات يقوم بها أحد الطرفين.

وكان المكسب المادي الوحيد الذي حققته إسرائيل بعد اشتراكها في العدوان الثلاثي استمرار الملاحة في خليج العقبة(١)، وكذلك ظهور إيلات كميناء بحري تعتمد عليه إسرائيل في ربطها بالبحر الأحمر وبدول شرق أفريقيا وآسيا، ويرجع ذلك لموافقة القيادة السياسية المصرية على مرور السفن الإسرائيلية في هذا الخليج، أو أنها كانت مضطرة أن تغض الطرف عن ذلك(٢).

---

(١) أيد عدد من الدول البحرية بشكل علني حرية العبور عبر خليج العقبة في مناقشات الأمم المتحدة في أوائل عام ١٩٥٧؛ وذلك كجزء من الجهد الدولي العام لتأمين الانسحاب الإسرائيلي من شبه جزيرة سيناء. وشملت هذه: المملكة المتحدة وفرنسا وإيطاليا وكندا والسويد وبلجيكا ونيوزيلندا وغيرها من الدول. انظر:

- Foreign Relations of the United States, 1964–1968, Vol. XIX, Arab–Israeli Crisis and War, 1967, United States Government Printing Office, Washington, 2004, Circular Telegram From the Department of State to All Posts, Maritime Declaration, Washington, May 31, 1967, PP.205–207.

(٢) صلاح الدين الحديدي: شاهد على حرب ١٩٦٧، دار الشرق، بيروت، ١٩٧٤، ص ص٦٣،٦٨.

بداية الأزمة :

لقد علَّت نغمة التهديدات الإسرائيلية لسوريا منذ أوائل مايو ١٩٦٧، وذلك عندما ألمح كل من ليفي أشكول (Levy Eshkol) رئيس الوزراء الإسرائيلي[٣] وإسحاق رابين (Yitzhak Rabin) رئيس الأركان[٤] إلى إمكان القيام بعملية غزو شامل لإسقاط تلك الحكومة التي تأوي الفدائيين[٥]، وبذلك كان عبد الناصر مضطراً

---

(٣) ليفي اشكول: ولد عام ١٨٩٥، شغل منصب رئيس الوزراء الإسرائيلي عام ١٩٦٣، وظل حتى وفاته في فبراير ١٩٦٩. انظر:

Gluska (Ami): The Israeli Military and the Origins of the 1967 War; Government, armed forces and defence policy 1963–1967, Routledge, USA, 2007, P.268.

(٤) إسحاق رابين: ولد عام ١٩٢١، شغل منصب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي، وقد ترك هذا المنصب في ٣١ ديسمبر ١٩٦٧. أصبح سفيراً لدى واشنطن (١٩٦٨–١٩٧٣)، رئيس الوزراء (١٩٧٤–١٩٧٧)، وزير الدفاع (١٩٨٤–١٩٨٩)، ورئيس الوزراء ووزير الدفاع (١٩٩٢–١٩٩٥). للمزيد من التفاصيل انظر: Gluska (Ami): Op. Cit., P.268.

(٥) في ١٢ مايو ١٩٦٧ أعلن إسحاق رابين "أننا سوف نشن هجومًا خاطفًا على سوريا، وسنحتل دمشق لنسقط الحكم فيها ثم نعود"، كما أعلن ليفي أشكول أن "إسرائيل مستعدة لاستخدام القوة ضد سوريا". انظر: محمود رياض: مذكرات محمود رياض (١٩٤٨–١٩٧٨)، البحث عن السلام .. والصراع في الشرق الأوسط، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٥، ط٢، ص٤٥. وانظر كذلك: محمد عبد الغني الجمسى: مذكرات الجمسى، حرب أكتوبر ١٩٧٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢، ص ص٣٧–٣٨.

Parker (Richard B.): The June 1967 War: Some Mysteries Explored, Middle East Journal, Vol. 46, No. 2, 1992, p.179.

لتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا(٦)، وبناءً على معرفة عبد الناصر –أبلغاه مندوبان من المخابرات السورية– في ٨ مايو بوجود حشود إسرائيلية على حدود سوريا، ومع تأكيد السوفييت لهذا الخبر(٧)، قرر إرسال حشود مصرية إلى سيناء في ١٣ مايو ١٩٦٧(٨).

---

(٦) وقعَّت معاهدة الدفاع المشترك بين مصر وسوريا في ٤ نوفمبر ١٩٦٦، ونصت مادتها الأولى على " تعتبر الدولتان المتعاقدتان كل اعتداء مسلح على أية منهما أو قواتهما اعتداء عليهما وذلك عملاً بحق الدفاع الفردي والجماعي عن كيانهما تلتزمان بأن تبادر كل منهما إلى معونة الدولة المعتدي عليها وبأن تتخذا على الفور جميع التدابير وتستخدما جميع ما لديهما من وسائل بما في ذلك استخدام القوات المسلحة لرد الاعتداء " لمزيد من التفاصيل انظر:عاطف السيد: القرارات المصيرية والأسرار الخفية في الصراع العربي الإسرائيلي، دراسة سياسية إستراتيجية، دار عطوه للطباعة، القاهرة، ١٩٨٥، ص١٤٠.

(٧) هناك جدل واسع حول صحة وجود حشود إسرائيلية على حدود سوريا من عدمه، ولكن ذكرت جولدا مائير في مذكراتها أن ليفي أشكول قد نفى ذلك للسفير السوفييتي في إسرائيل، بل وطلب منه أن يرافقه لجولة يرى فيها الحدود الشمالية، ولكن السفير السوفييتي اعتذر بأعماله الأخرى. انظر: جولدا مائير: مذكرات جولدا مائير، إعداد وتقديم: الحسيني الحسيني معدَّي، دار الخلود، القاهرة، ٢٠١٣، ط١، ص٢٠٨.

أرسل مراد غالب سفير مصر في الاتحاد السوفييتي ببرقية لمصر بخبر الحشود، ولكن ذكر في مذكراته " قام الفريق محمد فوزي ومعه مستشاروه العسكريون بزيارة سوريا. وزار هو والقيادة العسكرية السورية الجبهة بطائرة هليكوبتر. وعادوا يؤكدون أنه لا توجد حشود على سوريا"، وعندما ذكر مراد غالب ذلك لوزير الدفاع السوفييتي رد عليه بأن هناك حشودًا إسرائيلية، وتعجب من الكلام الفريق فوزي. انظر: مراد غالب: مع عبد الناصر والسادات، سنوات الانتصار وأيام المحن، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١، ط١، ص١٢١. وانظر كذلك: محمد عبد الغني الجمسى: مصدر سابق، ص٤٢.

(٨) صلاح العقاد: مأساة يونيو١٩٦٧، حقائق وتحليل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥، ط١، ص ص٢٢٢-٢٢٣. وانظر كذلك:

- Karsh (Efraim), The Six-Day War, An Inevitable Conflict, Middle East Quarterly, Summer 2017, P.5.

كانت الدبلوماسية المصرية ترمي لمحاولة تخفيف الضغط على سوريا بممارسة الضغوط على إسرائيل، وفي هذا الاتجاه طلب عبد الحكيم عامر –القائد العام للقوات المسلحة– في ١٦ مايو من الفريق محمد فوزي–رئيس الأركان– أن يرسل خطاباً[٩] للجنرال ريكي(Indar Jit Rikhye) قائد قوات الطوارئ الدولية، يخبره بأن مصر مستعدة للتصدي لإسرائيل في حال قيامها بعدوان على أية دولة عربية، وعلى هذا الأساس طلب الفريق فوزي من الجنرال ريكي سحب قوات الطوارئ الدولية من حدود مصر الشرقية[١٠].

كانت اتصالات السفير الإيطالي بالقاهرة متواصلة مع الخارجية المصرية، وذلك بشأن معرفة توجهاتها في حال خروج قوات الطوارئ الدولية من غزة، مما قد يترتب عليه معاودة نشاط الفدائيين العرب ضد إسرائيل، والذي قد يدفع بالأخيرة لتوجيهه هجوم رادع ضد العرب. ولكن الخارجية المصرية أعلنت أن القاهرة التي لا تريد عدوانا على أحد لن تقبل بالعدوان عليها أو

---

(٩) بعد قراءة جمال عبد الناصر لنص الخطاب باللغة العربية الذي يطالب بحسب قوات الطوارئ الدولية، طلب من المشير عبد الحكيم عامر النص الإنجليزي الذي سيرسل لقائد قوات الطوارئ الدولية الجنرال ريكي، فلاحظ عبد الناصر أن النص الإنجليزي استعمل مصلح " سحب كل القوات All these Troops" ، وكان اقتراحه استبدال كلمة سحب withdrawal بكلمة أخرى= =مثل " Redeployment أي إعادة توزيع القوات"، ولكن المشير عامر أبلغ الرئيس جمال عبد الناصر أن محاولاته لوقف تسليم الرسالة الأصلية لم تنجح، وأن الجنرال ريكي قد تسلم بالفعل النص الأصلي، فكان رد عبد الناصر بأن الأمر يمكن تداركه في الاتصالات اللاحقة مع الأطراف الدولية. لمزيد من التفاصيل انظر: محمد حسنين هيكل: الانفجار ١٩٦٧، حرب الثلاثين سنة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠، ص ص ٤٦٤–٤٦٧. وانظر كذلك: Parker (Richard B.): Op. Cit., – P.185.

(10) Year Book of the United Nations 1967, Office of Public Information United Nations, New York, United Nations Publication, 1969, P.163.

– وانظر كذلك : محمود رياض: مصدر سابق، ص ص٤٥–٤٦.

على أي بلد عربي، ولن تتركه بغير رد، هذا بالإضافة إلى أن إسرائيل لن تقوى على القيام بعمل حربي إلا بعد أن تتأكد من مسانده الدول الكبرى التي تضمن سلامتها(١١).

وعلى وجه السرعة اصدر يوثانت (U Thant)(١٢) سكرتير عام الأمم المتحدة توجيهاته إلي الجنرال ريكي، حيث طلب الأخير بأن توجه مصر الخطاب الذي تطالب فيه بسحب القوات إلى السكرتير العام عن طريق وزارة الخارجية، هذا في الوقت الذي أعلن فيه يوثانت أنه من الصعب سحب جزئي للقوات من منطقة الحدود المصرية مع إسرائيل وتركها في شرم الشيخ وقطاع غزة، وبرفض يوثانت الانسحاب الجزئي لم تستطع الحكومة المصرية التراجع، وطالبت بالانسحاب الكلي لقوات الأمم المتحدة(١٣).

وبذلك يظهر من سياق الأحداث أن المواجهة بين العرب وإسرائيل كانت آتيه لا محالة، وقد أدى طلب سحب القوات الدولية إلى تحول الأزمة من الجبهة السورية إلى مشكلة

---

(١١) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953-0078)، بشأن: محضر مقابلة رقم ٦٧/٦٨ بين سفير إيطاليا بالقاهرة المسيو فيلتش كاتالانو دي مليللى مع وكيل الخارجية المصرية، بتاريخ ٢٠ مايو ١٩٦٧، سري جداً.

(١٢) سيثو يوثانت (١٩٠٩-١٩٧٤): سياسي بورمي، أصبح ممثلاً دائما لبورما بهيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٧، تولى منصب الأمين العام للأمم المتحدة من ١٩٦١-١٩٧١. لمزيد من التفاصيل انظر عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤، ج٧، ص ٤٤٨.

(١٣) محمود رياض: مصدر سابق، ص٤٦. وانظر كذلك:

- "Protocol of the meetings between Egyptian Minister of War, Shams Badran, and Soviet Premier, Alexei Kosygin, on the 25 and 26 of May 1967," May 26, 1967, Wilson center, Digital Archive, http://digitalarchive.wilsoncenter.org/document/114310

حرية المرور بخليج العقبة بالنسبة لإسرائيل. وعلى وجه السرعة صدَّق الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧ قراراً ينص على إغلاق خليج العقبة في وجه السفن التي تحمل العلم الإسرائيلي، وكذلك ناقلات البترول على اختلاف جنسياتها المتجه إلى إيلات، وبالفعل تم البدء في تنفيذ هذا القرار اعتباراً من ٢٣ مايو(١٤).

وتجدر الإشارة أن القرارات التي اتخذها عبد الناصر منذ بداية الأزمة من إرسال قوات إلى سيناء، وكذلك طلبه سحب قوات الطوارئ الدولية، وإغلاق مضيق تيران، كل ذلك لم يكن يمثل توجهًا عسكريًا ضد إسرائيل في المقام الأول بقدر ما مثَّل توجهًا سياسيًّا، حيث أوضح إسحاق رابين أن عبد الناصر أراد من ذلك تحسين وضعه المزعزع بشكل متزايد في العالم العربي، وإثبات أنه الوحيد القادر على تحدي إسرائيل، وبذلك فشل ناصر في توقع سير الأمور(١٥).

لقد جاءت تصريحات السنيور أمينتوري فانفاني (Amintore Fanfani) وزير الخارجية الإيطالي موضحةً لموقف الحكومة الإيطالية إزاء تفاقم الصعوبات في الشرق الأوسط، والخط الذي تسير عليه سياستها في هذا الشأن، والذي قد تم عرضه في روما على وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٦، والمتمثل في " احترام استقلال وسيادة جميع شعوب الشرق الأوسط، وحقها في تقرير مصيرها، والمساهمة الفعالة للمحافظة على أحسن

---

(١٤) الملك حُسين: حربنا مع إسرائيل، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٨، ص ص٢٨-٢٩.
وانظر كذلك: محمد حسنين هيكل: مرجع سابق، ص ٥١٨.

- Year Book of the United Nations 1967, Office of Public Information United Nations, New York, P.166.

(15) Gat (Moshe), Nasser and the Six Day War, 5 June 1967: A Premeditated Strategy or An Inexorable Drift to War?, Israel Affairs, Vol.11, No.4, October 2005, pp.608-610.

العلاقات بينها، وذلك عن طريق الإسهام أما في حل النزاعات أو تجنب نشوبها، والعزم الأكيد لدى إيطاليا على المساهمة بصورة مباشرة في تنمية دول الشرق الأوسط"[١٦].

وفي هذا الاتجاه كانت علاقات إيطاليا بالعالم العربي طيبة بوجه عام[١٧]، حيث عملت على تعزيز علاقاتها الاقتصادية والتجارية بكافة الدول العربية، والمشاركة في العديد من مشروعات التنمية فيها، كما حرصت الحكومة الإيطالية على ألا تتخذ جانبًا في المشاكل بين الدول العربية أو في الصراع بينها وبين قوي الاستعمار.

وعلى الجانب الآخر؛ فإن إسرائيل نجحت من جانبها في توثيق علاقاتها بإيطاليا في مختلف المجالات، وقد ساعدها في ذلك وجود جاليات يهودية قوية في أوروبا [١٨] وبصلاتها بدوائر المال والتجارة والأحزاب وأجهزة الإعلام. هذا بالإضافة لعلاقاتها الوثيقة بالولايات المتحدة

---

(١٦) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953-0078)، سفارة إيطاليا بالقاهرة، بشأن: ترجمة موجز التصريحات التي أدلي بها السيد أمنتوري فانفانى وزير خارجية إيطاليا أمام مجلس النواب الإيطالي يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧ بشأن الموقف في الشرق الأوسط.

(١٧) ذكر وكيل وزارة الخارجية الإيطالية جورجيو أوليفا فيما يتعلق بالجالية الإيطالية في مصر أنها تشمل ١٠ الآلف شخص تقريباً، وأنه منذ بداية الأزمة في الشرق الأوسط تم ترحيل ٦٥٠ شخصًا إلى وطنهم. انظر: دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف= =الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953-0078)، إدارة غرب أوروبا، بشأن: بيان وكيل وزارة الخارجية الإيطالية عن وضع الجالية الإيطالية في الجمهورية العربية المتحدة أثناء الأزمة، بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٦٧، سري جدًا.

(١٨) انظر ملحق رقم (١).

الأمريكية والمعسكر الغربي بوجه عام، ومن هذا المنطلق تبلور الموقف الإيطالي تجاه أزمة الشرق الأوسط[١٩].

لقد أبدت الحكومة الإيطالية قلقها إزاء الموقف الذي نشب في الشرق الأوسط، ومن هذا المنطلق استقبل وزير الخارجية الإيطالي في ٢٣ مايو ١٩٦٧ القائم بأعمال الجمهورية العربية المتحدة في روما، وقد رجاه أن يبلغ أمل إيطاليا الصادق في أن يتكرم السيد الرئيس عبد الناصر وحكومته ويساهموا في إنجاح مهمة السلام التي بدأها يوثانت[٢٠] في القاهرة. هذا في الوقت الذي لفت فيه وزير الخارجية الإيطالي نظر القائم بالأعمال المصري الأخطار المترتبة على قرار حكومة القاهرة المتعلقة بشأن الملاحة في خليج العقبة.

---

(١٩) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953-0078)، إدارة غرب أوروبا، بشأن: موجز العلاقات السياسية بين الجمهورية العربية المتحدة وإيطاليا، بتاريخ فبراير ١٩٦٨.

(٢٠) أرسل الرئيس الأمريكي ليندون جونسون في مايو ١٩٦٧ رسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر يناقش فيها تطورات الموقف في الشرق الأوسط، وفي نهاية الرسالة طلب منه أن يتعاون-بناءً علي طلب الولايات المتحدة وقوى أخرى ذلك من يوثانت- مع سكرتير عام الأمم المتحدة في محاولة لإيجاد حل للأزمة، وقد رد عبد الناصر بأنه سيبذل قصار جهده لتخفيف حدة التوتر. وعندما جاء يوثانت إلى القاهرة اجتمع مع عبد الناصر في ٢٤ مايو، وطلب من الرئيس= =محاولة "تجميد الموقف"، ولكن عبد الناصر أعلن له عدم معارضة ذلك الاتجاه في حال قبول الأطراف الأخرى بذلك. لمزيد من التفاصيل انظر: محمد حسنين هيكل: لمصر لا لعبد الناصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٧، ط١، ص ص١١٩-١٢٠.

ومن هذا المنطلق كانت حكومة إيطاليا تود في أن تجد حكومة الجمهورية العربية المتحدة سبيلاً إلى إدراج هذه المسألة أيضا ضمن المحادثات مع يوثانت، والتي من الممكن أن تساهم في البحث عن حل من شأنه أن يعيد بعض الهدوء إلى المنطقة(٢١).

وجدير بالذكر أن السياسة الأمريكية لم تكن بعيدة عن المواقف والأحوال المضطربة في الشرق الأوسط، ففي ٢٦ مايو ١٩٦٧ طلب السفير الأمريكي بالقاهرة مقابلة الرئيس عبد الناصر –على وجه السرعة– بناءً علي تعليمات الرئيس الأمريكي جونسون(١٩٦٣–١٩٦٩)، وذلك لإبلاغ عبد الناصر بعدم البدء بالعدوان على إسرائيل. وعلى الجانب الآخر طلب السفير السوفيتي بالقاهرة في ٢٧ مايو ١٩٦٧ مقابلة عاجلة–الساعة الثالثة صباحاً– مع عبد الناصر؛ وذلك لإبلاغ مصر بناءً على تعليمات من حكومته بعدم البدء في العدوان.

وعند النظر بدقة لمواقف القوى الكبرى يتضح مدى التنسيق بينهما لتقديم النصيحة لمصر في نفس التوقيت، والذي بدا ظاهريًّا وعلى ما يبدو لدى الولايات المتحدة فقط، حيث أرادت الأخيرة بهذه الدعوة إطالة فترة التحضير والاستعداد للحرب لدى الجانب الإسرائيلي؛ وذلك بعد أن وضح للولايات المتحدة وإسرائيل تصميم مصر على تحدي إسرائيل عسكريًّا بغلق خليج العقبة، وبتسرب معلومات عن الضربة الجوية المزمع تنفيذها ضد إسرائيل فجر يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧(٢٢).

على أية حال، فإن موقف الحكومة الإيطالية في بداية الأزمة لم يتعد دعوة الطرفين إلى ضبط النفس، وذلك أملا في إيجاد حل سلمي للمشكلة والابتعاد عن الحرب. ومما يدلل على ذلك اندهاش الوزير المفوض الإيطالي بالقاهرة من موقف الحكومة المصرية بشأن الثناء

---

(٢١) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953–0078)، إدارة غرب أوروبا، سفارة إيطاليا (مفكرة)، القاهرة في ٢٤ مايو ١٩٦٧.

(٢٢) محمد فوزي: حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧–١٩٧٠، الكرمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦، ص ص١٠٣–١٠٤.

والمديح تجاه الموقف الفرنسي، فقد اعتبرت الخارجية المصرية أن السياسة الفرنسية قد تغيرت تحت رئاسة ديجول Charles De Gaulle[٢٣]–على الرغم من كونها إحدى دول التصريح الثلاثي ١٩٥٠ والعدوان الثلاثي ١٩٥٦ –بعض الشيء بحيث اتجهت إلى جانب الحياد، وهذا جعل الحكومة المصرية تشيد بهذا الموقف، وذلك في مقابل الموقف الإيطالي الذي جاء على غير ما توقعته مصر أو أقل مما كانت تنتظره منها[٢٤].

كانت مساعي الخارجية الإيطالية تهدف لإيجاد حل سلمي للأزمة، والدعوة لحرية الملاحة مع كفالتها بالطرق السلمية واعتبار المسألة سياسية أكثر منها قانونية. وعلى الرغم من عدم اتفاق السياسة التي ينتهجها وزير الخارجية الإيطالي ووجهة النظر العربية بالنسبة للملاحة عبر مضيق تيران، إلا إن الخارجية المصرية كانت ترى أنه يمكن وصف تلك السياسة بالاعتدال.

وتجدر الإشارة أن موقف الأحزاب الإيطالية كان له تأثير واضح على الحكومة، فقد كان فانفاني يستمد تأييدًا في سياسته من الحزب الديمقراطي المسيحي الذي ينتمي إليه، وهو أكبر الأحزاب الائتلافية الحاكمة. وذلك عكس بقية الأحزاب الإيطالية المؤتلفة بالحكومة، والتي أظهرت انحيازًا سافرًا لإسرائيل وسياسة الولايات المتحدة، وروحًا عدائية إزاء موقف الجمهورية العربية المتحدة.

وانطلاقاً من هذا أوصت الخارجية المصرية بأن يواصل رؤساء البعثات العربية في روما اتصالهم بفانفاني، ودوائر وصحف الحزب الديمقراطي المسيحي لتشجيع موقفه المعتدل،

---

(٢٣) شارل ديجول (١٨٩٠–١٩٧٠): قائد عسكري فرنسي، بدأ نجمه يلمع عقب استسلام فرنسا لهتلر ابان الحرب العالمية الثانية، حيث حمل لواء مواصلة القتال حتى تم تحرير فرنسا. أصبح رئيساً للجمهورية الفرنسية عام ١٩٥٨. للمزيد انظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ج٢، ط١، ص٧٤٢.

(٢٤) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (0078–049953)، إدارة غرب أوروبا، محضر مقابلة بين المسيو بوتزيني الوزير المفوض الإيطالي ومدير إدارة غرب أوروبا، القاهرة في ١٩٦٧/٥/٢٨، سري.

والنصح بالتزام سياسة متفقة والسياسة الرسمية لفرنسا إزاء الأزمة، وذلك مع التركيز فيما يتعلق بحرية الملاحة علي عدم جواز إسقاط الجوانب القانونية لدى معالجة مسألة سياسية(٢٥).

– حرب يونيه ١٩٦٧:

كانت توجهات الخارجية الإيطالية منصبه علي القيام بدور الوسيط في الأزمة، فقد وصف السفير الإيطالي بالقاهرة الدور الذي يقوم به فانفاني بأنه معتدل، وأنه يسلك طريقاً لا يظهر فيه انحياز لأي طرف في محاولة لمنع نشوب حرب في المنطقة. وعلى الرغم من تقدير الخارجية المصرية لذلك إلا إنها كانت ترى أن هذا الاتجاه يعترضه الموقف المعادي للصحافة الإيطالية بشكل عام، وكذلك موقف أحد أعضاء الحكومة الإيطالية البارزين وهو نيني (Pietro Nenni) نائب رئيس الوزراء(٢٦)، والذي تعد تصريحاته معادية لمصر والعرب(٢٧).

وفي تحليل للمواقف التي اتخذتها مصر تجاه إسرائيل منذ بدء الأزمة يتضح أنها كانت ترمي لاتجاهين من جانب عبد الناصر: الأول اعتماده على تدخل القوى الدولية لمحاولة حل الأزمة من جهة، والثاني استمراره في التصدي لإسرائيل ولو بالحرب من جهة أخرى. وعلى

---

(٢٥) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953-0078)، إدارة غرب أوروبا، بشأن: موقف إيطاليا من المواجهة الحالية بالشرق الأوسط، بتاريخ ١٩٦٧/٥/٣١.

(٢٦) تضمنت تصريحات بيترو نيني نائب رئيس الوزراء الإيطالي وزعيم الحزب الاشتراكي الموحد في ١٩٦٧/٥/٢٦ " الدعوة إلى تدخل دول التصريح الثلاثي لحماية حدود إسرائيل والمطالبة بتسوية نهائية وسلام دائم على أساس ضمان الحدود وحرية الملاحة مع ضرورة قيام إيطاليا بعمل ملتزم" انظر: دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي= =السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953-0078)، إدارة غرب أوروبا، بشأن: موقف إيطاليا من أزمة الشرق الأوسط، بتاريخ ٧ أغسطس١٩٦٧.

(٢٧) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953-0078)، بشأن: مقابلة سفير إيطاليا بالقاهرة لوزير الخارجية، ١٩٦٧/٦/٢، سري جداً.

الجانب الآخر فإن إسرائيل كانت ترى أنه لابد من كسر إغلاق المضايق البحرية، وذلك من خلال القيام بمعركة في قلب سيناء بعد تشكيل حكومة الوحدة الوطنية–أول يونيو ١٩٦٧– في إسرائيل(٢٨).

لقد بدأت الحرب في ٥ يونيو ١٩٦٧، وكان التخطيط الإسرائيلي في غاية الدقة والكفاءة، فقد نجحت ضربتهم الجوية للمطارات المصرية، وكان مجيء الطائرات الإسرائيلية من الشرق والغرب والشمال(٢٩) قد أربك القيادة العسكرية والسياسية المصرية، مما أدى إلى التصريح بأن الولايات المتحدة الأمريكية قد دخلت الحرب بجانب إسرائيل، وهذا جعل الولايات المتحدة تستشيط غضباً من هذا التصريح –الذي أعلنه عبد الناصر والملك حسين– خوفاً على مصالحها في العالم العربي(٣٠).

وبذلك فإن حرب يونيو كانت مأساة، فقد تمكنت القوات البرية الإسرائيلية من احتلال: شبه جزيرة سيناء، وقطاع غزة، والضفة الغربية، والقدس الشرقية، ومرتفعات الجولان(٣١).

وعلى وجه السرعة انعقد مجلس الأمن بعد اندلاع القتال بساعات قليلة، حيث تقدم الاتحاد السوفيتي بمشروع قرار يدعو إلى وقف إطلاق النار والانسحاب إلى المواقع السابقة، ولكن الولايات المتحدة رفضت ذلك على اعتبار أن هذا الوضع سيجعل مصر تعود إلى إغلاق المضايق، وبعد المشاورات بين الدول الأعضاء تقدم المندوب الفرنسي باقتراح جديد في محاولة

---

(٢٨) **موشى ديان: مذكرات موشى ديان، قصة حياتي، إعداد: الحسيني الحسيني معدَّي، دار الخلود، القاهرة، ٢٠١١، ط١، ص٢٢٩.**

(٢٩) **انظر شكل رقم (١).**

(٣٠) **مراد غالب: مصدر سابق، ص١٢٣.**

(31) **Gigliotti (Giorgio), Egitto, (Esperienze internazionali), Ministero del Lavoro e della Previdenza Sociale, settembre 2006, I edizione, P.27.**

لتوفيق وجهتي النظر السوفيتية والأمريكية، والذي يقضي بوقف إطلاق النار، والعودة إلى الحالة السابقة على بدء الأزمة.

وبذلك يتحقق الانسحاب الإسرائيلي من جهة، وتعود قوات الطوارئ الدولية إلى شرم الشيخ لتأمين الملاحة الإسرائيلية من جهة أخرى، ولكن هذا المشروع لم يجد نفعًا في ظل رفض هذا الاقتراح من مندوب مصر –بعد إجراء الاتصال بحكومته– في الأمم المتحدة(٣٢).

وفي تحليل لما سبق يتضح أن الأعمال العسكرية للجمهورية العربية المتحدة خلال الأزمة كانت دون نوايا عدوانية، أما القرار الإسرائيلي بالضربة لم يتخذ لأسباب عسكرية، بل لمنع الحل الدبلوماسي الذي ينطوي على مساوئ للجانب الإسرائيلي. وجدير بالذكر أنه خلال تلك الأزمة لعبت الحسابات الخاطئة دورًا واضحًا، وربما اعتقد عبد الناصر بأن الجيش المصري قوي بما فيه الكفاية لصد هجوم إسرائيلي لفترة من الوقت؛ وذلك من أجل قيام القوى العظمي بترتيب لوقف إطلاق النار، ولكن عبد الناصر قد بالغ في تقدير تأثير النفوذ الأمريكي على عملائه، متوقعًا أن تكبح واشنطن جماح إسرائيل(٣٣).

الموقف الإيطالي عقب العدوان:

اتجهت الحكومة الإيطالية عقب العدوان لبذل مساعيها لوقف إطلاق النار، والاتصال بيوثانت وعواصم الدول الكبرى، وكذلك وفود الدول لدى الأمم المتحدة لاتخاذ عمل سريع تجاه الأزمة، كما أعرب السفير الإيطالي بالقاهرة في ٦ يونيو لوكيل وزارة الخارجية المصرية عن استعداد حكومته للقيام بأي عمل يطلب منها بناءً على الصداقة التي تربطها بالجمهورية العربية المتحدة(٣٤).

---

(٣٢) صلاح العقاد: مرجع سابق، ص٢٩٠.

(33) Popp (Roland); Stumbling Decidedly into the Six-Day War, The Middle East Journal, Vol. 60, No. 2, 2006, PP.281،306.

(٣٤) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، مصدر سابق، بشأن: موقف إيطاليا من أزمة الشرق الأوسط، بتاريخ ٧ أغسطس١٩٦٧.

ولم تكن إيطاليا تستطيع التضحية بمصالحها في الشرق الأوسط، ولذلك أوضحت الخارجية الإيطالية أن من الصالح عدم إثارة الرأي العام العالمي، وأن الدول التي تتأثر مصالحها بالملاحة في قناة السويس ليس لها دخل فيما تتخذه الجمهورية العربية المتحدة ضد أمريكا وانجلترا. ومن هذا المنطلق كانت الحكومة الإيطالية ترغب في معرفة موقف الجمهورية العربية المتحدة من الملاحة بعد وقف القتال، وذلك خاصةً بالنسبة للسفن التي لا تحمل جنسية أمريكا وإنجلترا، وكذلك موقف مصر من وقف إطلاق النار، وما يمكن لإيطاليا أن تفعله في الأمم المتحدة بعد قبول مصر السير في هذا الاتجاه.

وبذلك يظهر من سياق الأحداث أن موقف الحكومة الإيطالية يقوم على أن العمل البناء هو محاولة الوصول إلى حل شامل عن طريق الأمم المتحدة، هذا في الوقت الذي أكدت فيه الحكومة الإيطالية أن إسرائيل قائمة وباقية، ولذلك فليس من الصالح الاستمرار في تصريحات الدول العربية التي تدعو إلى تدمير إسرائيل والقضاء عليها(٣٥).

وفي إطار سعي الحكومة الإيطالية لإيجاد حل للأزمة قام السفير الإيطالي بالقاهرة بمقابلة وزير الخارجية المصري في ٩ يونيو ١٩٦٧؛ وذلك لإبلاغه باستعداد فانفاني لتقديم خدماته في تلك الظروف، وعلى الرغم من عدم تقديم السفير الإيطالي لأية تعليمات محددة إلا إنه تسأل عن مدى إمكانية فتح الملاحة لإسرائيل في شرم الشيخ وقناة السويس، هذا في الوقت الذي أبلغ فيه السفير الإيطالي أن حكومته وضعت تحت تصرفه مبلغ ٤٢ ألف جنيه إسترليني؛ وذلك لتقديمها لحكومة الجمهورية العربية المتحدة لشراء الأدوية أو أي شيء آخر بقيمتها.

---

(٣٥) نفسه، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953-0078)، بشأن: محضر مقابلة- مقابلة الوزير المفوض الإيطالي بوتزيني لمدير إدارة الهيئات الدولية والمؤتمرات، بتاريخ ١٩٦٧/٦/٧.

ولكن سرعان ما تعرضت سياسة فانفاني المعتدلة لحملة عنيفة من الصحافة والأحزاب الإيطالية باستثناء اليسار، والتي اتهمت وزير الخارجية بأنه يعمل لحساب الكنيسة، مما أدى إلى تبلور الانقسام داخل مجلس الوزراء(٣٦).

لقد أحدث الضغط الذي مارسته الصحافة والأحزاب الإيطالية على الحكومة تغييرًا في موقفها، فقد انتقلت الحكومة الإيطالية من سياسة الحياد بين الدول العربية وإسرائيل إلى سياسة التأييد لإسرائيل، ولقد ظهرت بوادر هذا الاتجاه عندما أوفدت الحكومة الإيطالية رئيس وزرائها ألدو مورو(Aldo Moro) وليس وزير خارجيتها –كما جرت العادة– إلى الأمم المتحدة(٣٧)، وعند تصويت إيطاليا بالجمعية العامة أعلن مورو رفض الاقتراح السوفيتي بإدانة إسرائيل، هذا في الوقت الذي طالب فيه بأن يكون الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي العربية مقروناً بالتسوية الشاملة للصراع العربي الإسرائيلي(٣٨).

---

(٣٦) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، مصدر سابق، بشأن: موقف إيطاليا من أزمة الشرق الأوسط، بتاريخ ٧ أغسطس١٩٦٧.

(٣٧) في ١٢ يونيو ١٩٦٧ طلب الاتحاد السوفيتي من الأمين العام للأمم المتحدة أن يدعو إلى جمعية عمومية فوق العادة، وطالب بالجلاء عن كل الأراضي التي يحتلها الإسرائيليون. وفي ١٩ يونيو ألقى الرئيس الأمريكي جونسون خطاباً عارض فيه العودة المباشرة إلى الحالة السابقة للحرب، وبينما كان الاتحاد السوفيتي يطالب بعودة إسرائيل إلى خطوط هدنة ١٩٤٩، كان الأميريكيون يقبلون بضم بعض الأراضي. وأخيراً لم تحصل القرارات المقترحة لتأييد موقف الجمعية العمومية على غالبية الثلثين؛ وذلك لأن كثيراً من البلاد اللاتينية – الأمريكية دعمت وجهة نظر الولايات المتحدة، وبذلك واجه الاتحاد السوفيتي إخفاقاً سياسياً. للمزيد انظر: ج. ب. دروزيل: التاريخ الدبلوماسي (١٩٥٧–١٩٧٨)، ترجمة: نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧، ط١، ص ص ١٧٣–١٧٤.

(٣٨) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953–0078)، من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إلى وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة، بشأن: موقف إيطاليا حكومة وأحزابًا وصحافة من أزمة الشرق الأوسط، بتاريخ ١٩٦٧/٨/٨، عاجل.

على أية حال، فإن موقف الحكومة الإيطالية بشأن الأزمة أظهر انقسامها على نفسها، وأن الأغلبية تقف ضد الجمهورية العربية المتحدة تمشيًّا مع موقف الرأي العام، وذلك على أساس أن البيانات العربية كانت تهدف إلي القضاء على إسرائيل-في حال قيامها بعدوان- ولكن فانفاني على الرغم من هذا الانقسام حاول إقناع حكومته بأن المطالب العربية بانسحاب إسرائيل لخط ٥ يونيو غير مغالي فيها(٣٩).

ولقد أكد بيان رئيس الوزراء الإيطالي ألدو مورو- في مجلس النواب يوم ١٣ يوليو ١٩٦٧- على الموقف الإيطالي في الشرق الأوسط، والقائم بصفة أساسية على وجود إسرائيل وحقها في البقاء، والذي أكده وزير الخارجية فانفاني من قبل، وكذلك حرية الملاحة في مضيق العقبة. ومما يؤكد رغبة الحكومة الإيطالية في ربط التسوية السياسية بالانسحاب الإسرائيلي تصويتها لصالح مشروع دول أمريكا اللاتينية، حيث أن مشروع دول الانحياز طالب فقط بالانسحاب السريع غير المشروط للقوات الإسرائيلية، في حين نص المشروع اللاتيني علي ضمان السيادة الإقليمية لدول المنطقة، وحرية الملاحة كشرط لانسحاب القوات الإسرائيلية. هذا في الوقت الذي أشار فيه رئيس الوزراء إلى أن إيطاليا لم تصوت لصالح المشروع الباكستاني الخاص بالقدس(٤٠)؛ وذلك لأن مشروع دول أمريكا اللاتينية كان يطالب بنفس الشيء للقدس(٤١).

---

(٣٩) نفسه، بشأن: محضر مقابلة رقم ٢٨٨- مقابلة سفير إيطاليا بالقاهرة لوكيل الخارجية المصرية، بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢١، سري جدًّا.

(٤٠) قُدِّمت باكستان اقتراحاً للجمعية العامة للأمم المتحدة يقضي بإعادة توحيد القدس، على اعتبار أن ضم إسرائيل للقدس لاًغيا وباطلاً. وقد اجتمعت الجمعية العامة خمس مرات في الفترة من ١٢-١٤ يوليو ١٩٦٧، لمناقشة المشروع المقدم من باكستان والذي طلب من مجلس الأمن "ضمان تنفيذ" القرار، بدلاً من "اتخاذ التدابير اللازمة لضمان تنفيذ القرار" ، وقد حصل هذا الاقتراح على ٩٩ صوتاً مقابل (صفر)، وامتناع ثمانية عشر عن التصويت. للمزيد انظر: =

وفي تحليل لما سبق يتضح أن إيطاليا قد غيرت سياستها التي كانت تنتهجها منذ بداية الأزمة، وقد بدا ذلك واضحًا في بيان ألدو مورو أمام مجلس النواب، والذي أكد فيه على أن موقف إيطاليا مرتبط ارتباطاً وثيقاً بوضعها في حلف الأطلنطي، وكذلك السوق الأوروبية المشتركة، وهذا الاتجاه يدل على أن إيطاليا تتبع سياسة موالية للغرب ولا تتبع من ذاتها.

وتجدر الإشارة إلى أن فانفاني حاول أن يلعب دورًا يتميز بالمرونة ويحقق نوعًا من الحيادية خلال الأزمة، ولكن الولايات المتحدة ألقت بثقلها(٤٢) إلى جانب الرئيس الإيطالي جوزبي ساراجات (Giuseppe Saragat) وبيترو نيني نائب رئيس الوزراء، ومن هذا المنطلق نشأت الخلافات داخل الائتلاف الحكومي، والتي كادت تؤدي إلى استقالة وزير

=–Sharnoff (Michael), Nasser's Peace, Egypt's Response to the 1967 War with Israel, Transaction Publishers, USA, 2017, PP.63–63.

(٤١) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (0078–049953)، من السفير إلى وكيل وزارة الخارجية، بشأن: مناقشة سياسة إيطاليا الخارجية بالنسبة للشرق الأوسط، بتاريخ ١٩٦٧/٧/٢٠، سري.

(٤٢) ألقى الرئيس الأمريكي جونسون بياناً وضح فيه الخطوط العامة للتسوية في ١٩ يونيو ١٩٦٧، وقد ألقى فيه بالتبعية الرئيسة في الحرب على مصر، واصفًا إغلاق المضايق بأنه "عمل أحمق". وقد أوضح أن الولايات المتحدة لن تضغط على إسرائيل لكي تنسحب دون أن يتحقق السلام، وحدد جونسون خمسة مبادئ جوهرية لهذا السلام: الاعتراف بحق الدولة في الوجود، تحقيق العدالة للاجئين، المرور البرئ للملاحة، فرض قيود على سباق التسلح، الاستقلال السياسي ووحدة الأراضي للجميع. لمزيد من التفاصيل انظر: وليام. ب. كوانت: عملية السلام الدبلوماسية الأمريكية والنزاع العربي الإسرائيلي منذ ١٩٦٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٦٤. وانظر كذلك:

– Humadi (Zuhair Abdul–Ghani), An Analysis of the Shift in Policy by the United Nations General Assembly toward the Arab–Israel ? Conflict. 1967–1975, Ph.D. Thesis, Unpublished, The Graduate School, Southern Illinois University, June 1978, P.35.

الخارجية. ومما يدلل على هذا الاتجاه اعتراف رئيس الوزراء في خطابه بذلك أن اشتداد اللهجة أثناء الأزمة لم يعرض الوزارة للخطر، ولكن امتناع فانفاني عن إلقاء بيان الحكومة عن السياسة الخارجية –من اختصاصه– يدل على استمرار الخلافات داخل مجلس الوزراء(٤٣).

وفي الوقت نفسه تجلى موقف الحكومة الإيطالية وظهر انحيازها لإسرائيل في الخطاب الذي ألقاه رئيس الجمهورية الإيطالية السنيور جوزبي ساراجات خلال زيارته لبلدته بجنوب إيطاليا، حيث قال: "إننا كنا نرتجف عندما علمنا بتهديد إبادة مليوني نسمة وليس ذلك لأنهم يهود بل لأنهم بشر. وكنا سنفعل بالمثل حتى لو كانوا عرباً أو صينيين..."، وكذلك التصريح الذي أدلى به السنيور نيني نائب رئيس مجلس الوزراء الإيطالي وزعيم الحزب الاشتراكي الموحد عندما قال: " أنه من المأمول ألا يسمح أحد بالقضاء على مليونيين من الإسرائيليين نجا معظمهم من معسكرات الإبادة النازية، وأن المزاعم عن استفزازات إسرائيل للدول العربية تعيد إلى الأذهان أسطورة الذئب والحمل"(٤٤).

كانت الخارجية الإيطالية تسعى لتبرير مواقفها تجاه العرب خلال الأزمة على أساس رغبتها في استتباب السلام الدائم في منطقة الشرق الأوسط. وقد بدا ذلك واضحاً في اعتراف موراري – مدير قسم الدول العربية والشرق الأوسط بالخارجية الإيطالية– بأن تصويت إيطاليا لصالح مشروع القرار اللاتيني يرجع إلى إرضاء الرأي العام الذي كان منحازاً لإسرائيل، هذا فضلاً عن الاعتبارات الحزبية بسبب موقف الحزب الاشتراكي الموحد برئاسة نيني.

---

(٤٣) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (0078–049953)، من السفير إلى وكيل وزارة الخارجية، بشأن: مناقشة سياسة إيطاليا الخارجية بالنسبة للشرق الأوسط، بتاريخ ١٩٦٧/٧/٢٠، سري.

(٤٤) نفسه، من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إلى وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة، بشأن: موقف إيطاليا حكومة وأحزابا وصحافة من أزمة الشرق الأوسط، بتاريخ ١٩٦٧/٨/٨، عاجل.

وفي ظل ربط الخارجية الإيطالية بين انسحاب القوات الإسرائيلية وأية تسوية سياسيةً، أوضح موراري أنه علي الجانب المصري أن يدلل على رغبته في إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل، وأنه لا يوجد إلا احتمالان: استمرار حالة الحرب مع إسرائيل وهو ما يرفضه العالم، أو مفاوضتها لإنهاء حالة الحرب وحل كافة المشاكل، وهو ما كانت مصر ترفضه رفضًا باتًّا، والتي اعتبرت أن إيطاليا لو كانت حريصة على السلام فعليها أن تعمل على انسحاب القوات الإسرائيلية(٤٥).

وخلال مقابلة السفير الإيطالي بالقاهرة– قبل عودته لروما– مع وزير الخارجية المصري في ٢ سبتمبر ١٩٦٧، أوضح له الأخير أن فانفاني يستطيع في هذا التوقيت التحرك من أجل صالح العلاقات المصرية الإيطالية، والتي أفسدها موقف بعض السياسيين الإيطاليين الذين تأثروا بالرأي العام الأوروبي الذي أثاره اليهود ضد العرب. فقد ذكر وزير الخارجية للسفير الإيطالي أن فانفاني يمكن أن يستند للمواقف الإيجابية التي قدمها مؤتمر القمة العربي–الاتجاه نحو العمل السياسي والحل السلمي واستمرار ضخ البترول للغرب–(٤٦) من أجل تغيير موقف الحكومة الإيطالية، وكذلك الاستفادة من تلك المواقف لتأييد وجهة النظر العربية أمام المحاولات الأمريكية التي تستهدف ارغام العرب على التسليم أمام المطالب الإسرائيلية(٤٧).

---

(٤٥) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953–0078)، من السفير إلى وكيل وزارة الخارجية، بشأن: آراء لمدير الشرق الأوسط بالخارجية الإيطالية حول الموقف الراهن، بتاريخ ١٩٦٧/٧/٢٠، سري جداً.

(٤٦) انعقد هذا المؤتمر في ٢٨ أغسطس ١٩٦٧ في الخرطوم، وقد ضم ٨ رؤساء دول عربية، ولم تحضره سوريا. وقد قرر المؤتمر بشأن إسرائيل: لا اعترف، لا مفاوضة، لا سلام. انظر: ج. ب. دروزيل: مرجع سابق، ص ص١٧٢–١٧٣.

(٤٧) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953–0078)، بشأن: مقابلة السفير الإيطالي بالقاهرة لوزير الخارجية المصري، بتاريخ ١٩٦٧/٩/٢.

وعلى الرغم من إشادة المسئولين بالخارجية الإيطالية بموقف الرئيس عبد الناصر في مؤتمر الخرطوم، إلا إنهم كانوا يرون أن قرارات المؤتمر غير كافية لحل الأزمة في الشرق الأوسط؛ وذلك بسبب القيود التي وضعها بعدم الاعتراف والتفاوض والصلح مع إسرائيل. وبذلك فإن رؤية الإيطاليين للموقف هي ضرورة قبول العرب لإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل لكي يتم حل الأزمة في المنطقة.

وعند النظر لتصريحات المسئولين الإيطاليين يتضح مدى وقوفهم بجانب الإسرائيليين، ولقد دَّل خطاب الرئيس ساراجات في ٤ أكتوبر ١٩٦٧ على إظهار العطف(٤٨) عليهم، وعند توجيه اللوم من مستشار السفارة المصرية بروما للإيطاليين على سلوكهم، أوضح السنيور موراري أن الموقف الإيطالي لم يتغير منذ بداية الأزمة؛ وذلك لأن إيطاليا ترى ضرورة حل مشكلة الشرق الأوسط بصورة نهائية(٤٩).

---

(٤٨) عقب عودة الرئيس الإيطالي ساراجات – يوم ٣ أكتوبر ١٩٦٧– من زيارته لكل من كندا والولايات المتحدة واستراليا، أدلي بخطاب عبر فيه عن موقف إيطاليا من المشاكل العالمية، والتي كان من بينها أزمة الشرق الأوسط، فقال: " أن كل جهد من جهودنا موجه إلى الحصول علي تسوية مستقرة للمسألة كلها مع قيام شروط التوازن والأمن بالنسبة للجميع– وأضاف ساراجات– أن انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي المحتلة يجب أن يتم في نفس الوقت مع الاعتراف بحق أمة صغيرة ديمقراطية تعداد سكانها مليونان ونصف مليون نسمة في العيش في سلام وفي رؤية حدودها مضمونة وحريتها في المواصلات البحرية مكفولة بدون نسيان ضرورة تسوية مشكلة اللاجئين العرب تسوية إنسانية مع ضرورة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة بأسرها" انظر: دار الوثائق القومية: وثائق وزارة= =الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (0078–049953)، من السفير إلى وكيل وزارة الخارجية، بشأن: موقف إيطاليا من المشاكل العالمية، بتاريخ ١٩٦٧/١٠/٣، سري.

(٤٩) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (0078–049953)، من السفير إلى وكيل وزارة الخارجية، بشأن: موقف إيطاليا من أزمة الشرق الأوسط، بتاريخ ١٩٦٧/١٠/٥، سري جداً.

ولقد جاء بيان الحكومة الإيطالية أمام مجلس الشيوخ الإيطالي في ١٧ أكتوبر ١٩٦٧ محاولاً التكيف مع الوضع الذي تمر به الأزمة في الشرق الأوسط، فقد كان فانفاني يرى–في خطابه– أنه منذ حرب يونيو ١٩٦٧ لم تظهر بداية للسلام على الرغم من محاولات الانطلاق من قرارات مؤتمر الخرطوم للتوصل إلى حل، والذي كان يعوقه اعتقاد الجانبين– العربي والإسرائيلي– بأن الوقت يعمل في صالح كل منهما مما أدى في النهاية لتعقيد الحوار.

وكانت وجهة النظر الإيطالية لحل الأزمة ترى أنه من الأفضل تسوية المشكلة تسوية عامة، وأن يكون تنفيذها في الوقت نفسه ، ولكن في حال تعثر ذلك فإن إيطاليا ستعمل على معاونة الأطراف للاتفاق على الإجراءات الممكنة والفعالة حتى إذا لم تكن كاملة، وذلك على أن يكون الحل في إطار احترام وجود الشعوب وأمانيها في الحرية والأمن والتنمية، ولكن الحكومة الإيطالية كانت ترى أن هناك مسائل لها الأولوية، تتمثل في: انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي المحتلة، واعتراف الدول العربية بإسرائيل، وكذلك حرية المرور في مضيق تيران وإعادة فتح قناة السويس، هذا بالإضافة لحل مشكلة اللاجئين العرب وحرية التردد على الأماكن المقدسة، هذا في الوقت الذي يجب أن تراعي فيه أمن حدود دول المنطقة والمساعدة على تطويرها(٥٠).

لقد اعترف فانفاني بأن الأزمة قد أثرت على العلاقات العربية الإيطالية، هذا في الوقت الذي تأثرت فيه إيطاليا من غلق قناة السويس، وبذلك فإن استمرار الأزمة قد سبب الضرر للجميع، ومن هذا المنطلق أبدت إيطاليا استعدادها لمعاونة الأطراف على التوصل لحل شامل، وذلك على اعتبار أن وظيفتها الطبيعية هي السعي لتحقيق التوازن والتقدم في منطقة البحر المتوسط .

وعند النظر بدقة لوجهة النظر الإيطالية في الأزمة يتضح أنها لم تحدد أي بعد زمني

---

(٥٠) نفسه، من السفير إلى وكيل وزارة الخارجية، بشأن: بيان وزير الخارجية عن أزمة الشرق الأوسط أمام مجلس الشيوخ الإيطالي، بتاريخ ١٩٦٧/١٠/١٩، سري.

لانسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي المحتلة، هذا في الوقت الذي بلور فيه فانفاني مشكلة القدس في التردد على الأماكن المقدسة دون بيان مصير المدينة سواء من حيث التبعية السياسية أو التدويل، وبذلك فإن إيطاليا لم تعارض ضم إسرائيل لجزء من الأراضي المحتلة، وذلك على اعتبار أن الانسحاب عام وغير محدد(٥١).

كانت الجهود الدولية ترمي لمحاولة إيجاد حل سلمي للنزاع العربي الإسرائيلي، وفي هذا الاتجاه وافق مجلس الأمن الدولي بالإجماع في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ على قرار(٥٢) يقضي بانسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة، وبعد التصويت على القرار أعلن يوثانت اختياره غونار يارنج (Gunnar Jarring) (٥٣) ليكون ممثله الشخصي للشرق الأوسط(٥٤).

على أية حال، فإن إيطاليا قد عانت اقتصاديًّا بدرجة كبيرة من إغلاق قناة السويس، ومن

---

(٥١) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953-0078)، من السفير إلى وكيل وزارة الخارجية، بشأن: بيان وزير الخارجية عن أزمة الشرق الأوسط أمام مجلس الشيوخ الإيطالي، بتاريخ ١٩٦٧/١٠/١٩، سري.

(٥٢) انظر ملحق رقم (٢).

(٥٣) غونار يارنج: ولد عام ١٩١٧، سياسي سويدي، حصل على الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٤٣ وعمل أستاذاً بالجامعة، انتقل في عام ١٩٤٩ للسلك الدبلوماسي، تم تعينه في عام ١٩٥٦ مندوبًا دائمًا لبلاده في الأمم المتحدة، وفي نوفمبر ١٩٦٧ تم اختياره مبعوثًا خاصًّا للشرق الأوسط لمتابعة تنفيذ قرار مجلس الأمن بشأن انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية. لمزيد من التفاصيل انظر: عبد الوهاب الكيالي: مرجع سابق، ج٧، ص ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٥٤) سيدني دي بيلي: الحروب العربية الإسرائيلية وعملية السلام، ترجمة: الياس فرحات، دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢، ط١، ص ص ٢٧١-٢٧٢. و انظر كذلك: - Humadi (Zuhair Abdul-Ghani), Op. Cit.,PP.44-46.

هذا المنطلق اتجهت إلى الاتصال بالولايات المتحدة لحثها على التخفيف من موقفها المتعنت حيال الأزمة، وعلى الرغم من علم السفارة الإيطالية بالقاهرة بتلك الاتصالات، إلا إنها أسدت النصيحة للمسئولين بالخارجية المصرية من أجل توطيد القاهرة لعلاقاتها بالأحزاب الاشتراكية في إيطاليا. فقد أوضح مسيو "ألبني" –مستشار السفارة الإيطالية– أن هذه الأحزاب هي مفتاح الموقف ولها نفوذ كبير في سياسة إيطاليا الخارجية، هذا في الوقت الذي أبدى فيه استعداده لقيام السفارة الإيطالية في القاهرة بالتعاون مع الخارجية المصرية وسفارتها في روما لتحقيق تلك الاتصالات؛ وذلك في محاولة لتوطيد العلاقات بين القاهرة والأحزاب الاشتراكية في إيطاليا(٥٥).

كانت جهود السفارة الإيطالية بالقاهرة مستمرة لمحاولة إبراز دور الحكومة الإيطالية في حل الأزمة، وذلك من خلال قيام سفيرها في إسرائيل بإخطار حكومة تل أبيب برغبة إيطاليا في عدم تدخل إسرائيل في عملية إخراج السفن المحتجزة في القناة، فقد ذكر مسيو كاتالانو – سفير إيطاليا بالقاهرة – أن ما قامت به القاهرة بشأن الإفراج عن المراكب المحتجزة قد أحدث صدى عميقًا لدى الرأي العام العالمي، وخاصة بين الدول صاحبة المصالح التجارية في القناة.

وفوق كل ما ذكر فقد أوصى السفير الإيطالي المسئولين بالخارجية المصرية بالاتصال بالحزب الاشتراكي الموحد، وكذلك الحزب الديمقراطي المسيحي، وذلك بمساعدة السفارة الإيطالية بالقاهرة في هذا المجال بطريق غير ظاهر على اعتبار أن الأمر يتعلق بالمسائل الحزبية(٥٦).

وفي ضوء التنسيق بين السفير الإيطالي بالقاهرة وسفير مصر في روما لدعوة

---

(٥٥) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953–0078)، محضر مقابلة– المسيو "ألبني" مستشار السفارة الإيطالية بالقاهرة مع الوزير المفوض مدير إدارة غرب أوروبا، بتاريخ ١٩٦٧/١٢/٢٨.

(٥٦) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953–0078)، محضر مقابلة– المسيو " كاتالانو" سفير إيطاليا بالقاهرة مع الوزير المفوض مدير إدارة غرب أوروبا، بتاريخ ١٩٦٨/١/١١.

ممثلين عن الأحزاب الإيطالية لزيارة الجمهورية العربية المتحدة، اتجه السفير المصري لإجراء محادثات مع السنيور فيتوريلي رئيس المجموعة البرلمانية للحزب الاشتراكي الموحد في هذا الاتجاه، ولكن هذا الاتصال لم يؤت ثماره نتيجة لموقف الحزب من الصراع العربي–الإسرائيلي، حيث إن الجناح الاشتراكي الديموقراطي (جناح ساراجات) كان له مواقف أكثر تشددًا لصالح إسرائيل من الأزمة، هذا بالإضافة إلى رغبة الحزب في عدم إجراء أي اتصالات في ذلك الوقت قد تكون لها تأثير على الانتخابات العامة التي ستعقد في مايو –يونيو ١٩٦٨.

ولكن جهود السفير المصري بروما كانت مستمرة في هذا الاتجاه طبقاً لتوصيات الخارجية الإيطالية، وذلك بإجراء الاتصال بالسنيور برونو ستورني عضو النواب وسكرتير عام اتحاد النقابات العمالية (ديموقراطي مسيحي)، وعضو الشيوخ جيتيروزو يوريتشي من الحزب الاشتراكي. وعلى الرغم من ترحيب الأول أثناء المقابلة في ١٩ فبراير ١٩٦٨ بالزيارة التي سيقوم بها للقاهرة، وذلك في ظل بعض الاعتبارات التي كان من أهمها موعد الزيارة وأن تكون في إطار اقتصادي–اجتماعي، وعدم تمكن السفير من مقابلة الثاني نظراً لمرضه، إلا إن تلك الاتصالات هي الأخرى لم تؤت ثمارها؛ ويرجع ذلك لقرب موعد الانتخابات العامة والتي جعلت من الصعب على الأحزاب الايطالية والقوى الأخرى أن تمارس نشاطاً جادًّا في العلاقات الخارجية(٥٧).

– موقف إيطاليا من قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ :

على أية حال فإن فانفاني حاول في خطابه –الذي ألقاه في مجلس النواب يوم ٢٨ فبراير ١٩٦٨– الظهور باتخاذ خطوات ملموسة ومباشرة لحل أزمة الشرق الأوسط، وذلك بتشجيع كافة الأطراف بالامتناع عن الإضرار بمهمة المبعوث الدولي، وقبول قرار مجلس

---

(٥٧) نفسه، من السفير إلى وكيل وزارة الخارجية، بشأن: العلاقات مع الأحزاب الإيطالية، بتاريخ ١٩٦٨/٢/٢١، سري.

الأمن وتنفيذه، حيث أبرز فانفاني أهمية التسوية لإعادة فتح قناة السويس التي نجم عن إغلاقها ضرر للجميع، وكذلك محاولة اجتذاب الدول العربية ناحية المعسكر الغربي وإبعادها عن المعسكر السوفيتي؛ وذلك لأن قيام توازن في العلاقات مع العالم العربي من شأنه المساهمة في الوصول لتسوية للصراع العربي– الإسرائيلي(٥٨).

وفي تحليل لما سبق يتضح أن خطاب فانفاني–الذي صيغ بروح ودية– لا يمثل تعديلاً لسياسة إيطاليا تجاه الشرق الأوسط، وذلك للاعتبارات والعوامل الضاغطة على موقف إيطاليا، والتي تتمثل في الأزمة الحادة التي تواجهها الولايات المتحدة في فيتنام(٥٩)، ومن غير المتوقع أن تتخذ إيطاليا –أكثر الدول الأوروبية ولاءً لأمريكا–سياسات تضر بموقف حليفتها. هذا في الوقت الذي تتجنب فيه إيطاليا أزمة في علاقات أحزابها–قبيل الانتخابات– المؤتلفة يمكن أن تؤدي بمصير كل هذه الأحزاب.

ومن المرجح أن موقف فانفاني لا تحكمه الاعتبارات السياسية في المقام الأول؛ وذلك لأن إيطاليا لا يهمها كيف يمكن حل الأزمة بقدر ما يهمها الإسراع في حلها، حيث إن موقفها يتأثر بالاعتبارات الاقتصادية ومسائل الأمن القومي، والتي تتمثل في إعادة فتح قناة السويس، والتي أثر إغلاقها على المرور في البحر المتوسط كممر عالمي. كما إن إيطاليا ترى في

---

(٥٨) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953–0078)، من السفير إلي وكيل وزارة الخارجية، بشأن: خطاب وزير خارجية إيطاليا حول سياسة إيطاليا الخارجية تجاه الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط، بتاريخ ١٩٦٨/٣/٦، سري للغاية.

(٥٩) كان الرئيس الأمريكي جونسون يعمل على منع فيتنام الجنوبية من السقوط في أيدي الشيوعيين، وخلال شهر فبراير ١٩٦٥ اتخذ الرئيس قراراً بقصف أهداف عسكرية في فيتنام الشمالية، ولكن لم يتوج هذا التكتيك بنجاح. وفي أغسطس ١٩٦٧ أعلن جونسون أن أعداد العسكريين الأمريكيين في فيتنام ستصل إلى ٥٢٥ ألف خلال عام. لمزيد من التفاصيل انظر: ج. ب. دروزيل: مرجع سابق، ص ص١١٩–١٢٧.

تدهور موقف الولايات المتحدة وبريطانيا فرصة مواتية لتحل – بالاشتراك مع فرنسا – محلهما في المنطقة، الأمر الذي لا يتحقق دون استقرار كامل. هذا بالإضافة لتزايد النشاط العسكري والسياسي السوفيتي في البحر المتوسط، وذلك بعد انسحاب فرنسا من قيادة حلف الأطلنطي(٦٠)، والذي يلقي بالعبء على إيطاليا في تلك المنطقة المهمة. ومن هذا المنطلق كان خطاب فانفاني يرمي لمحاولة تعبئة سياسية لدول البحر المتوسط، وذلك للقيام بدور بالنسبة للصراع العربي – الإسرائيلي(٦١).

كانت مساعي الإيطاليين واتصالاتهم متواصلة مع المسئولين الأمريكيين والإسرائيليين لمحاولة الوصول لحل الأزمة، إلا إنهم أدركوا عدم جدوى ذلك لعدم إعلان إسرائيل قبولها لقرار مجلس الأمن صراحة، وفي هذا الإطار أبلغ السفير الايطالي بالقاهرة الخارجية المصرية بأن الحكومة الايطالية تحاول ممارسة الضغوط على إسرائيل؛ وذلك لمحاولة معرفة شروطهم الحقيقية غير الواضحة، هذا بالإضافة لشعور الإيطاليين بأن إسرائيل ليست مستعدة للتفاهم

---

(٦٠) أعلن الرئيس الفرنسي شارل ديجول في ٧ مارس ١٩٦٦ انسحاب فرنسا من المنظمة العسكرية لحلف شمال الأطلنطي، وقد طلب من الحلف نقل القواعد التابعة له من الأراضي الفرنسية في حال عدم قبولها الخضوع للقيادة الفرنسية. انظر: دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (0078-050412)، من مدير إدارة غرب أوروبا إلى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية، بشأن: مذكرة عن أزمة تحالف حلف الأطلنطي، بتاريخ ١٩٦٦/٦/٢٣، سري.

(٦١) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953-0078)، من السفير إلى وكيل وزارة الخارجية ، بشأن: خطاب وزير خارجية إيطاليا حول سياسة إيطاليا الخارجية تجاه الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط، بتاريخ ١٩٦٨/٣/٦، سري للغاية.

بسبب الخلافات الداخلية فيها(٦٢).

لقد عبَّر وزير الخارجية الإيطالي–جوسبي ميدتشGiuseppe Medici– عن وجود اختلاف جوهري في وجهات نظر الطرفين؛ وذلك بشأن معني وأهمية قرار مجلس الأمن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧، وكذلك المهمة التي عهد بها للسفير يارنج، فمن جهة نظر الإسرائيليين لقرار الأمم المتحدة على أنه مجموعة من المبادئ –التوجيهية– التي يسترشد بها خلال المحادثات المباشرة، والتي من شأنها أن تؤدى إلى معاهدة رسمية للصلح، وبذلك يجب أن تسهل مهمة يارنج قبل أي شيء لقاء الأطراف حول مائدة المفاوضات.

ومن جهة أخرى فقد نظر العرب للقرار بأنه مجموعة من الأحكام يجب أن يضعها كل جانب موضع التنفيذ بدون الحاجة للاتصال المباشر، وبالتالي فإن مهمة يارنج التوفيق في محادثات مفصلة مع العرب والإسرائيليين بشأن الإجراء اللازم لتنفيذ القرار. وعلى الرغم من إدراك الخارجية الإيطالية للصعوبات التي تؤثر في حل الأزمة، إلا إنها كانت ترى ضرورة أن يبقي الحل داخل إطار الأمم المتحدة، بالإضافة إلى اعتبار قرار ٢٢ نوفمبر وحدة لا تتجزأ، تلزم الطرفين المتنازعين بتنفيذها عن طريق أعمال واقعية تعكس روح القرار ونصه(٦٣).

وبذلك يظهر من سياق الأحداث أن مهمة يارنج التي بدأت من نوفمبر ١٩٦٧، وحتى تعليق مهمته في أبريل ١٩٦٩ لم تسفر عن إحراز أي تقدم ملموس لإيجاد حل، وذلك لتمسك إسرائيل –مناورة– بإجراء مفاوضات مباشرة مع العرب لاقتناص الاعتراف بشرعيتها من جانب

---

(٦٢) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049953–0078)، إدارة غرب أوروبا، بشأن: مقابلة السفير الإيطالي للسيد مساعد رئيس الجمهورية للشئون الخارجية، بتاريخ ١٩٦٨/٤/٢٣، هام.

(٦٣) نفسه، إدارة غرب أوروبا، من السفير إلى وكيل وزارة الخارجية، بشأن: ترجمة بيان وزير الخارجية الإيطالية عن أزمة الشرق الأوسط، بتاريخ ١٩٦٨/١٠/٣١، سري.

الدول العربية[٦٤].

على أية حال، فإن الجهود الدولية كانت مستمرة في محاولة إيجاد حل للأزمة[٦٥]، وتمثل ذلك في محاولات الجنرال ديجول بأن الحل قد يأتي من تفاهم الدول الأربعة–الولايات المتحدة، الاتحاد السوفيتي، بريطانيا، فرنسا– الكبار، وعلى الرغم من السير في هذا الاتجاه منذ فبراير ١٩٦٩ في الأمم المتحدة إلا إنه لم يحقق أي نجاح يذكر[٦٦].

وفي ظل فشل الجهود الدولية في التوصل لتسوية سلمية لحل الأزمة، بدأت مصر في شن هجمات على إسرائيل فيما عرف بحرب الاستنزاف، هذا بالإضافة إلى قيام مصر بإغراق عدة سفن في القناة لتعطيل حركة الملاحة بهدف حث القوى الدولية على سرعة التحرك باتجاه حل الأزمة. كما أن توطد العلاقات العسكرية والاقتصادية بين مصر والاتحاد السوفيتي أدى

---

(٦٤) ممدوح محمود منصور: الصراع الأمريكي–السوفيتي في الشرق الأوسط، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٦٠.

(٦٥) أرسل الرئيس اليوغوسلافي جوزيب بروز تيتو رسالة إلى رئيس الوزراء البريطاني يعرب له فيها عن قلقه من إطالة أمد الأزمة في الشرق الأوسط، موضحًا أن التأخير في حلها له عواقب وخيمة على السلام العالمي. وقد قدم تيتو أسس –خمسة بنود– للخروج من تلك الأزمة، واتجه للاتصال برؤساء الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وحكومة الاتحاد السوفيتي للتعرف على أفكارهم، وكذلك الأمين العام للأمم المتحدة، والمسئولين في الدول العربية. وقد أكد تيتو على أن ممارسة الضغط والإصرار على تنازلات أكبر، أي إخضاع الدول العربية للإذلال والاستسلام لن يكون واقعيًا، وسيؤدي إلي مزيد من تفاقم الأزمة. لمزيد من التفاصيل انظر:

- **PREM (13/2469) : From Josip Broz Tito to Prime Minister of the United Kingdom, Brioni, 24 August 1967, Personal Message, (Prime Minister's), Serial No. T229A/67, PP.1-5.**

(٦٦) ج. ب. دروزيل: مرجع سابق، ص ١٧٥.

إلى شعور الولايات المتحدة بالقلق، وبضرورة القيام بتحرك سياسي جاد في الشرق الأوسط(٦٧).

إذن كانت الأزمة بمثابة حجر عثرة في طريق الاستقرار في الشرق الأوسط، وفي ظل محاولات الدول الكبرى السعي نحو الحل جاءت مبادرة وزير الخارجية الأمريكي روجر (William Rogers)–مبادرة روجرز – في ٩ ديسمبر ١٩٦٩، حيث تضمن هذا الاقتراح مرحلتين: أولهما وقف إطلاق النار في الأول من أكتوبر ١٩٧٠، ثم يعقبها بعد ذلك اتفاقات منفصلة على متابعة المفاوضة في نطاق مجلس الأمن.

وبذلك يظهر من سياق الأحداث أن محاولات الولايات المتحدة وإسرائيل إظهار نوعاً من المرونة جعلت مصر تقبل بالمبادرة، هذا في الوقت الذي توفي فيه الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، وبذلك دخل الصراع بين مصر وإسرائيل مرحلة جديدة(٦٨).

وبذلك يتضح مما سبق أن موقف إيطاليا خلال الأزمة كان موقفًا مزدوجًا بين الخارجية من جهة والأحزاب الإيطالية من جهة أخري، فقد واجهت الأحزاب المؤتلفة ضغوط داخلية وخارجية، هذا بالإضافة إلى الرأي العام الإيطالي المتعاطف مع إسرائيل، وكذلك ولاء إيطاليا التام لحلف الأطلنطي، والولايات المتحدة الأمريكية التي تدعم الأحزاب الحاكمة سياسيًّا وماديًّا. وبذلك فإن هذه الأحزاب المؤتلفة كانت تعي مدى تأثير النفوذ الأمريكي عليها، وأن استقرارها في الحكم مرتبط بهذا التأييد، وبذلك فإن تخلي الولايات المتحدة عن تأييدها للحكومة الإيطالية يعني نهايتها، وهذا ما يفسر الموقف الذي وقفته إيطاليا والذي يختلف عن مواقف الدول الأخرى المشتركة في حلف الأطلنطي بالنسبة لهذه الأزمة.

وعلى الرغم من أن إيطاليا كان أمامها فرصة بحكم موقعها الجغرافي والسياسي، باعتبارها إحدى دول حوض البحر المتوسط، لكي تلعب دورًا مهمًّا في حل الأزمة، إلا إن سياستها التابعة للغرب أفقدتها رؤيتها، وجعلتها تابعة في تنفيذ ما يملئ عليها بحجة انضمامها لحلف شمال الأطلنطي.

---

(٦٧) **ممدوح محمود منصور: مرجع سابق، ص ص ٣٦٠-٣٦١.**

(٦٨) **ج. ب. دروزيل: مرجع سابق، ص ١٧٥.**

شكل رقم (١)

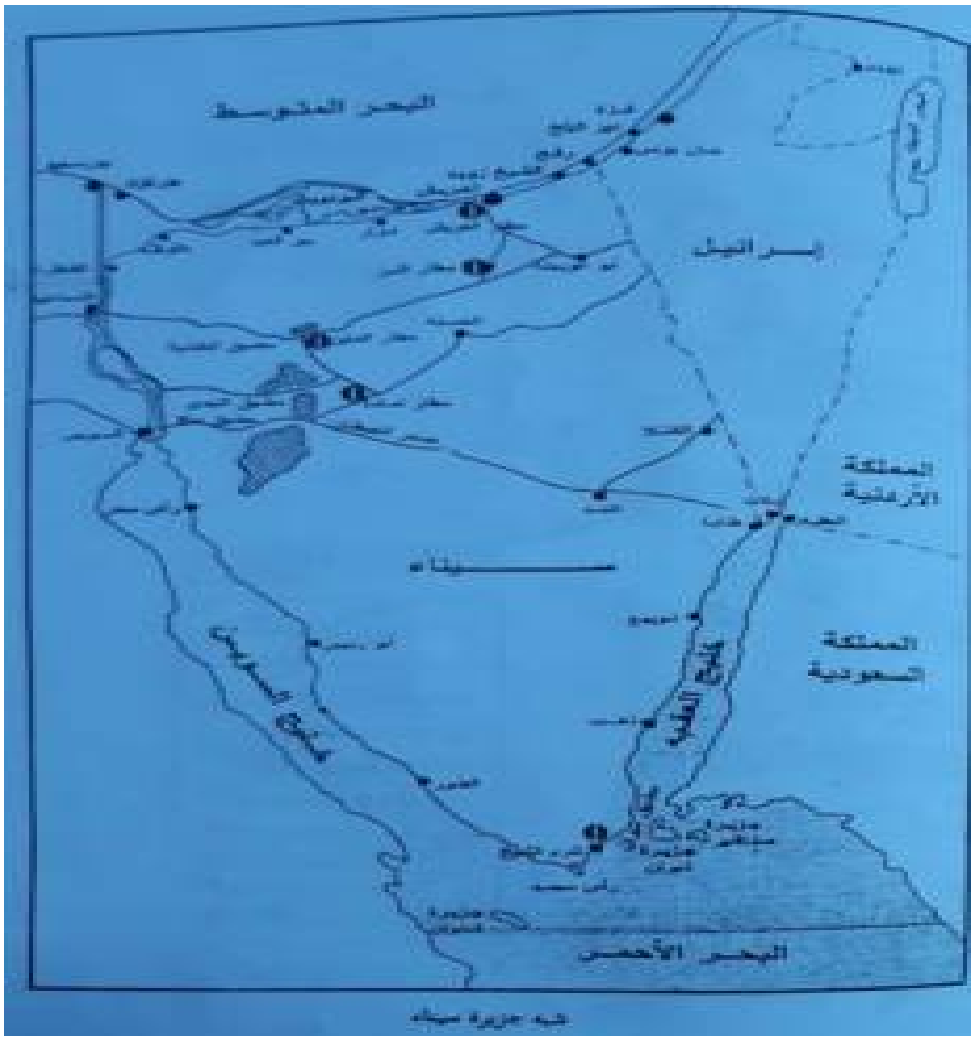

المصدر: محمد عبد الغني الجمسى: مذكرات الجمسى، حرب أكتوبر ١٩٧٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢.

شكل رقم (٢)

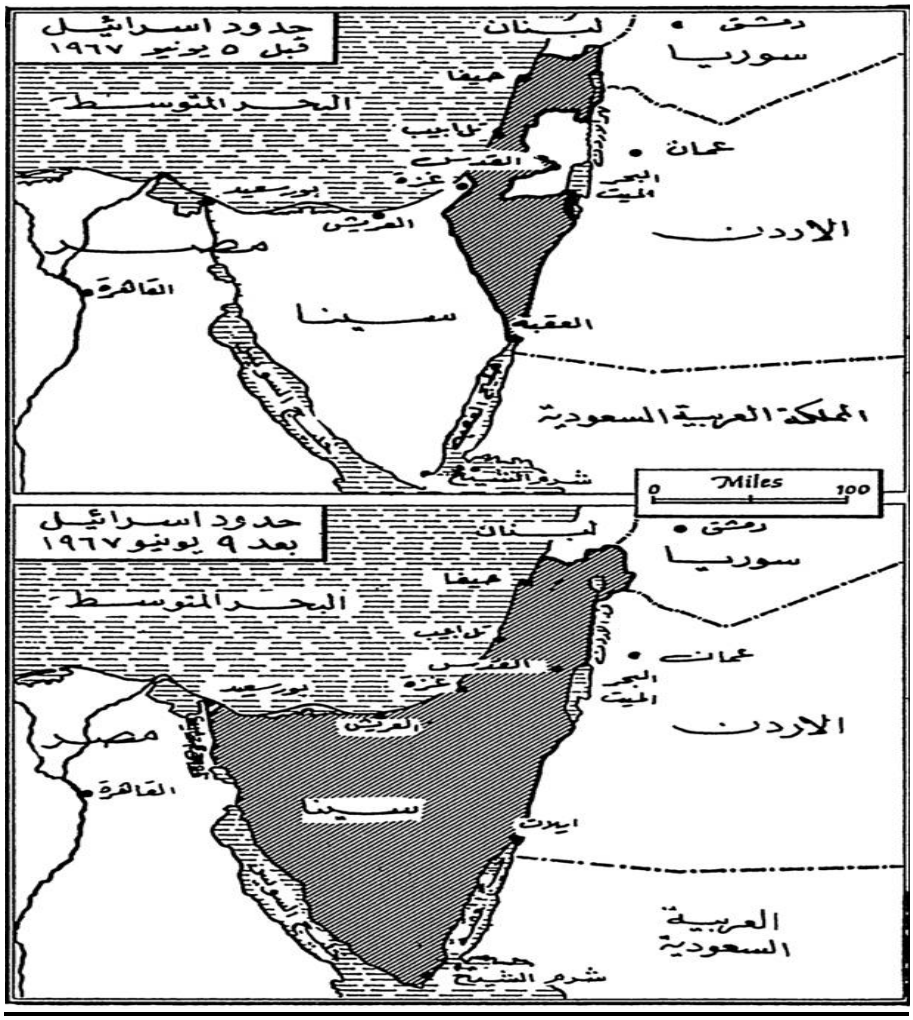

المصدر: إدغار أوبالانس: الحرب الثالثة بين العرب وإسرائيل ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ترجمة: مازن البندك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٨، ط٢، ص٢.

ملحق رقم (١)

إحصاء أصدره اتحاد الجاليات اليهودية في إيطاليا عن تعداد اليهود في أوروبا عام ١٩٦٦

م	توزيع اليهود في أوروبا	العدد
١	ألبانيا	٨٠٠
٢	النمسا	١٠.٠٠٠
٣	بلجيكا	٣٥.٠٠٠
٤	بلغاريا	٧.٠٠٠
٥	تشيكوسلوفاكيا	١٨.٠٠٠
٦	الدانمارك	٦.٠٠٠
٧	فلندا	١٥٠٠
٨	ألمانيا	٣٢.٤٠٠
٩	جبل طارق	٦٠٠
١٠	بريطانيا	٤٥٠.٠٠٠
١١	اليونان	٦.٥٠٠
١٢	ايرلندا	٥.٤٠٠
١٣	إيطاليا	٣٥.٠٠٠
١٤	يوجوسلافيا	٧.٠٠٠
١٥	لكسمبورج	١.٠٠٠
١٦	مالطة	٥٠
١٧	النرويج	٩٠٠
١٨	هولندا	٢٧.٠٠٠
١٩	بولندا	٢٥.٠٠٠
٢٠	البرتغال	٧٥٠
٢١	رومانيا	١٠٠.٠٠٠
٢٢	اسبانيا	٣.٠٠٠
٢٣	السويد	١٤.٠٠٠
٢٤	سويسرا	١٩.٠٠٠
٢٥	تركيا	٥٠.٠٠٠
٢٦	المجر	١٠٠.٠٠٠
٢٧	الاتحاد السوفييتي	٢.٣٤٥.٠٠٠
	الإجمـــــالـــي	**٣.٣٠٠.٩٠٠**

المصدر: دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، الكود الأرشيفي (049961-0078)، سفارة الجمهورية العربية المتحدة- روما، من السفير إلى وكيل وزارة الخارجية، بشأن: تقرير النشاط الصهيوني رقم (٣) لسنة ١٩٦٧، بتاريخ ١٩٦٧/٤/١٨، سري.

ملحق رقم (٢)

قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧

في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ ، صوت مجلس الأمن على مسودة قرار قدمتها بريطانيا ، واقرها بالاجماع . وفيما يلي نص القرار :

أن مجلس الأمن اذ يعرب عن قلقه المستمر للوضع الخطير في الشرق الأوسط . واذ يؤكد عدم جواز اكتساب الأرض بالحرب والحاجة للعمل من اجل سلام عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة أن تعيش في أمن .

واذ يؤكد كذلك أن جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل وفق المادة الثانية من الميثاق .

١ ـ يثبت أن تحقيق مبادىء الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط يجب أن يشمل تطبيق المبداين التاليين كليهما .

* انسحاب القوات الاسرائيلية من أراض احتلت في النزاع الأخير .

* انهاء كل تمسك بصفة المحاربة أو حالة الحرب وايلاء الاحترام والاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة وحقها في أن تعيش ضمن حدود أمنة ومعترف بها خالية من التهديدات أو أعمال القوة .

٢ ـ يثبت كذلك الضرورة

(أ) ـ لضمان حرية الملاحة عبر الطرق المائية الدولية في المنطقة .

(ب) ـ لتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

(ج) ـ لضمان الحرية الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة باتخاذ اجراءات بما فيها انشاء مناطق مجردة من السلاح .

٣ ـ يطلب الأمين العام انتداب ممثل خاص ليذهب الى الشرق الأوسط لاقامة ومواصلة الاتصالات مع الدول المعنية بغية تشجيع الاتفاق ومساعدة الجهود الرامية الى تحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفق النصوص والمبادىء الواردة في هذا القرار .

٤ ـ يطلب من الأمين العام موافاة مجلس الأمن ، في أقرب وقت ممكن ، بتقرير عن سير جهود الممثل الخاص .

المصدر: طه الفرنواني: الصراع العربي الإسرائيلي في ضمير دبلوماسي مصري، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٣٠١.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

أ- الوثائق غير المنشورة :

*** وثائق وزارة الخارجية المصرية- دار الوثائق القومية :**

الأرشيف الخارجي السري الجديد

- الكود الأرشيفي (0078-049953) الموضوع: العلاقات الإيطالية مع الجمهورية العربية المتحدة (أزمة الشرق الأوسط) ١٩٦٧-١٩٦٨، ملف رقم ٢١٧/٢٥٤ فرعي، ج١.
- الكود الأرشيفي (0078-049961) الموضوع: علاقات إيطاليا مع إسرائيل ١٩٦٦-١٩٦٧، ج٢.
- الكود الأرشيفي (0078-050412)، الموضوع:حلف الأطلنطي وآثاره السياسية.

*** الوثائق البريطانية PUBLIC RECORD OFFICE :**

1. PREM (13/2469) : From Josip Broz Tito to Prime Minister of the United Kingdom, Brioni, 24 August 1967, Personal Message, (Prime Minister's), Serial No. T229A/67.

ب– الوثائق المنشورة :

*** الوثائق الأمريكية:**

1. Foreign Relations of the United States, 1964-1968, Vol. XIX, Arab-Israeli Crisis and War, 1967, United States Government Printing Office, Washington, 2004.
2. Protocol of the meetings between Egyptian Minister of War, Shams Badran, and Soviet Premier, Alexei Kosygin, on the 25 and 26 of May 1967, Wilson center, Digital Archive.

*** وثائق الأمم المتحدة :**

1. Year Book of the United Nations 1967, Office of Public Information United Nations, New York, United Nations Publication, 1969.

ثانيًا: المذكرات الشخصية:

١. الملك حُسين: حربنا مع إسرائيل، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٨.
٢. جولدا مائير: اعترافات جولدا مائير، إعداد وتقديم: الحسيني الحسيني معدَّي، دار الخلود، القاهرة، ٢٠١٣، ط١.
٣. صلاح الدين الحديدي: شاهد على حرب ١٩٦٧، دار الشرق، بيروت، ١٩٧٤.
٤. طه الفرنواني: الصراع العربي الإسرائيلي في ضمير دبلوماسي مصري، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩٤.
٥. محمد عبد الغني الجمسى: مذكرات الجمسى، حرب أكتوبر ١٩٧٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢.

٦. محمد فوزي: حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧-١٩٧٠، الكرمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦.
٧. محمود رياض: مذكرات محمود رياض (١٩٤٨-١٩٧٨)، البحث عن السلام .. والصراع في الشرق الأوسط، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٥، ط٢.
٨. مراد غالب: مع عبد الناصر والسادات، سنوات الانتصار وأيام المحن، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١، ط١.
٩. موشى ديان: مذكرات موشى ديان، قصة حياتي، إعداد: الحسيني الحسيني معدَّي، دار الخلود، القاهرة، ٢٠١١، ط١.

ثالثًا: المراجع العربية:

١. صلاح العقاد: مأساة يونيو ١٩٦٧، حقائق وتحليل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥، ط١.
٢. عاطف السيد: القرارات المصيرية والأسرار الخفية في الصراع العربي الإسرائيلي، دراسة سياسية إستراتيجية، دار عطوه للطباعة، القاهرة، ١٩٨٥.
٣. محمد حسنين هيكل: الانفجار ١٩٦٧، حرب الثلاثين سنة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠.
٤. ـــــــــــــــ: لمصر لا لعبد الناصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٧، ط١.
٥. ممدوح محمود منصور: الصراع الأمريكي-السوفيتي في الشرق الأوسط، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.

رابعًا: المراجع المعربة:

١. إدغار أوبالانس: الحرب الثالثة بين العرب وإسرائيل ٥ يونيو ١٩٦٧، ترجمة: مازن البندك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٨، ط٢.
٢. ج. ب. دروزيل: التاريخ الدبلوماسي (١٩٥٧-١٩٧٨)، ترجمة: نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧، ط١.
٣. سيدني دي بيلي: الحروب العربية الإسرائيلية وعملية السلام، ترجمة: الياس فرحات، دار الحرف العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢، ط١.
٤. وليام. ب. كوانت: عملية السلام الدبلوماسية الأمريكية والنزاع العربي الإسرائيلي منذ ١٩٦٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩.

خامسًا: المراجع الأجنبية:

1. Ami Gluska: The Israeli Military and the Origins of the 1967 War; Government, armed forces and defence policy 1963–1967, Routledge, USA, 2007.
2. Giorgio Gigliotti, Egitto, (Esperienze internazionali), Ministero del Lavoro e della Previdenza Sociale settembre 2006, I edizione.
3. Michael Sharnoff : Nasser’s Peace, Egypt's Response to the 1967 War with Israel, Transaction Publishers, USA, 2017.

سادسًا: الدوريات الأجنبية:

1. Efraim Karsh, The Six-Day War, An Inevitable Conflict, Middle East Quarterly, Summer 2017.

2. Moshe Gat, Nasser and the Six Day War, 5 June 1967: A Premeditated Strategy or An Inexorable Drift to War?, Israel Affairs, Vol.11, No.4, October 2005.
3. Richard B. Parker: The June 1967 War: Some Mysteries Explored, Middle East Journal, Vol. 46, No. 2, 1992.
4. Roland Popp; Stumbling Decidedly into the Six-Day War, The Middle East Journal, Vol. 60, No. 2, 2006.

سابعًا: الرسائل العلمية:

1.Zuhair Abdul-Ghani Humadi, An Analysis of the Shift in Policy by the United Nations General Assembly toward the Arab-Israel ? Conflict. 1967-1975, Ph.D. Thesis, Unpublished, The Graduate School, Southern Illinois University, June 1978.

ثامنًا: الموسوعات:

- عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ج٢، ط١.
- ـــــــــــــــ: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤، ج٧.

دور المرأة التعليمي في عهد الملك خالد بن عبد العزيز

١٣٩٥-١٤٠٢هـ/١٩٧٥-١٩٨١م

د. أحلام علي أحمد أبو قايد
الأستاذ المشارك بقسم التاريخ
كلية الشريعة – جامعة أم القرى

ملخص:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

كرم الله سبحانه وتعالى المرأة المسلمة وجعل لها حقوق وواجبات خاصة وهي على قدم وساق مع الرجل، ومن هذا المنطلق حرص ملوك المملكة العربية السعودية على تعليمها لما في ذلك من فائدة عظيمة تعود بالنفع على حياتها وحياة أبنائها وتبرز دورها في وطنها .

وقد حوى هذا البحث والذي يحمل عنوان (**دور المرأة التعليمي في عهد الملك خالد بن عبد العزيز – يرحمه الله ١٣٩٥–١٤٠٢هـ/١٩٧٥–١٩٨١م**)على اهتمام الملك خالد بن عبد العزيز –يرحمه الله– بهذا الجانب وحرصه ورعايته، فنالت المرأة السعودية في عهده الزاهر الكثير من العناية والاهتمام وأخذت كامل حقوقها وخاضت غمار الأعمال التي تتناسب مع شخصيتها وأبرزت دورها في المجتمع وتنشئة أبنائها .

كما اشتمل على فصلين وهما :

الفصل الأول : **تعليم المرأة في مراحل التعليم العالي** :

المبحث الأول : مرحلتي الابتدائي والمتوسط .

المبحث الثاني : مرحلتي الثانوية والجامعة .

المبحث الثالث : مدى انعكاس تعليم المرأة على حياتها الخاصة .

الفصل الثاني : **عمل المرأة السعودية في عهد الملك خالد** :

المبحث الأول : عملها كمعلمة .

المبحث الثاني : عملها في مجال الصحة .

المبحث الثالث : عملها في المجالات الاجتماعية المختلفة .

المبحث الرابع : دورها في تربية أبنائها .

الخاتمـــة :

قائمة المصادر والمراجع .

أرجو من الله العلي العظيم أن أكون قد وفقت في إعداده وطرح أفكاره وإثبات أهمية دور المرأة المسلمة في خدمة دينها ووطنها.

هذا وبالله العون والسداد ،،،

Abstract

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, peace and blessings be upon the Muhammad, his family and companions.

God honored the Muslim woman and granted her special rights and duties and she is in full equity with the man, from this point of view the kings of Saudi Arabia paid attention to teach her because of the great benefit to her life and the lives of her children and highlight her role in her homeland. This research entitled "The educational role of women in the era of King Khalid bin Abdul Aziz - 1395 - 1402 H /1975 – 1981G) has focused on the attention of King Khalid bin Abdul Aziz, may God have mercy on him and care on this aspect. The woman in his era took lots of care and attention and took her full rights and engaged in the work that suits her personality and highlighted her role in the community and the upbringing of her children.

It also included two chapters:

Chapter One: Education of women in higher education stages:

The first topic: The primary and intermediate stages.

The second topic: Secondary and university.

The third topic: The extent of the reflection of women's education on their own lives.

Chapter Two: The Work of Saudi Women in the era of King Khalid:

The first topic: Her work as a teacher.

The second topic: Her work at the field of health.

The third topic: Her work at the various social fields.

The fourth topic: Her role in upbringing her children.

Conclusion: List of sources and references.

I wish the Almighty God to have succeeded in preparing and put forward ideas and prove the importance of the role of Muslim women in the service of religion and homeland.

Dr. Ahlam Ali Ahmed Abu Qayed Associate Professor, Umm Al Qura University Department of History Faculty of Sharia and Islamic Studies

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى كرم المرأة في الإسلام وحث على تعليمها وتنشئتها النشئة الصالحة لما لها من دور بارز في بناء الأجيال وتنشئة الأمم .

ومن هنا، فقد حرص ملوك المملكة العربية السعودية على افتتاح المدارس بمختلف مراحلها والجامعات لتنال قسط وافر من التعليم وتخرج إلى المجتمع لتعمل في المرافق والمجالات التي تتناسب مع مؤهلاتها وإمكانياتها بما لا يخالف أوجه الشريعة الإسلامية.

وقد اهتم الملك خالد بن عبد العزيز – يرحمه الله – بهذا الجانب وأولاه حرصه ورعايته، فنالت المرأة السعودية في عهده الزاهر الكثير من العناية والاهتمام وأخذت كامل حقوقها، وخاضت غمار الأعمال التي تتناسب مع شخصيتها وأبرزت دورها في المجتمع وتنشئة أبنائها .

وأرجو أن أكون قد وفقت في إعداد هذا البحث على الوجه المطلوب، وإبراز دور الملك خالد بن عبد العزيز – يرحمه الله – مع إيمانه بأهمية دور المرأة في المجتمع السعودي.

هذا ولله الحمد والمنة .

التمهيد :

بَنَت المملكة العربية السعودية سياسة التعليم ونوعت من أغراضه وأهدافه منذ عهد موحد وباني نهضتها الملك عبد العزيز [١] بن عبد الرحمن آل سعود – يرحمه الله– وعهد أبنائه من بعده، حيث افتتحت المدارس بمختلف مراحلها، والجامعات وشجعت التعليم العالي والابتعاث الخارجي [٢] .

وقد خطا التعليم نظيرًا لذلك خطوات واسعة في عهد الملك خالد [٣] بن عبد العزيز – يرحمه الله – بما يشمل ذلك من تعليم المرأة [٤] ، حيث انعكس ذلك في التطوير والإقبال المتزايد

---

(1) هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود، ولد في عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٦م في مدينة الرياض، ملك المملكة العربية السعودية ومؤسسها وباني نهضتها، توفي بالطائف ونقل جثمانه إلى الرياض حيث دفن في مقبرة العود. انظر عبد الحميد الخطيب ، الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ج١،ط١ (مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م) ، ص ٢٥ – ٢٧ .

(2) نواف بن صالح الحليسي ، حكمة الملك عبد العزيز في إدارة الدولة، د.ط(الكويت: د.ن، د.ت)، ص ١٢ – ١٣ .

(3) خالد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود ولد في الرياض عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م وتوفي في الطائف عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، وهو الابن الخامس للملك عبد العزيز –يرحمه الله –وثالث ملوك المملكة العربية السعودية من أبناء الملك عبد العزيز . انظر: خالد الهميل ، مولد ونشأة الملك خالد بن عبد العزيز، ط١ (الرياض : مطابع الدار للنشر والتوزيع، د.ت) ، ص ٢١٠ – ٢١١ .

(4) فاطمة السالم،تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية،ط١(جدة : د.ن ، د.ت)،ص ٧٥–٧٧.

والزيادات الكبيرة في أعداد المدارس للبنات لمختلف المراحل في التعليم العام والعالي [٥] .

وبالتالي، بات واضحًا ما للمرأة السعودية من دور مهم في مسايرة الواقع التعليمي للمملكة العربية السعودية [٦] ، بالإضافة إلى إبراز دورها المهني في المجال التعليمي وبناء الأجيال الجديدة [٧] .

ولما لعهد الملك خالد بن عبد العزيز – يرحمه الله – من أهمية كبيرة في المجال التعليمي وقع اختياري على الدراسة الموسومة (دور المرأة التعليمي في عهد الملك خالد بن عبد العزيز – يرحمه الله – ١٣٩٥-١٤٠٢هـ/١٩٧٥-١٩٨١م) .

---

(5) محمد المباركي ، التعليم في المملكة العربية السعودية ، ط٢(الدمام : مطابع اليسر ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص ١٥ – ١٧ .

(6) السالم ، تعليم المرأة ، ص ٧٩ .

(7) المباركي ، التعليم في المملكة ، ص ٢٠ .

الفصل الأول

تعليم المرأة في مراحل التعليم العام والعالي

خطا التعليم في عهد الملك خالد –يرحمه الله– خطوات واسعة وزادت مخصصاته المالية، مماكان له أبلغ الأثر في التطور الذي حصل في قطاع التعليم[٨]، ولعل من أبرز معالم هذا التطور افتتاح مدارس البنات لمختلف المراحل التعليمية[٩].لهذا سوف يشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث وهي :

١ – المبحث الأول: مرحلتا الابتدائي والمتوسط .

٢ – المبحث الثاني : مرحلتا الثانوية والجامعة .

٣ – المبحث الثالث : مدى انعكاس تعليم المرأة على حياتها الخاصة .

المبحث الأول

مرحلتي الابتدائي والمتوسط

شهد تعليم البنات في عهد الملك خالد بن عبد العزيز –يرحمه الله –طفرة هائلة، تبرز مدى اهتمام حكومته برفع مستوى المرأة والفتاة السعودية[١٠]،وذلك عن طريق فتح مجالات جديدة لتعليم البنات على جميع مستويات وقطاعات التعليم ، يشهد لذلك تطور إحصائيات تعليم البنات في

---

(8) عبد الله بن راشد السنيدي ، مراحل تطور وتنظيم الإدارة الحكومية في المملكة العربية السعودية ، ط١ (الرياض : مطابع الصفا للطباعة والنشر، د.ت)، ص٥٢ – ٥٤.

(9) أحمد دحلان ، دراسة في السياسة الداخلية للمملكة العربية السعودية ، ط١(الرياض: د.ن ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م) ص ٢٢ – ٢٥ .

السنوات الخمسة الأخيرة من عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م حتى عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م [١١].

والجدول التالي يبين إحصائيات وأعداد المدارس والطالبات خلال هذه السنوات والزيادات الكبيرة في إعداد الطالبات لمرحلتي الابتدائي والمتوسط .

عدد الطالبات	عدد المدارس
أولاً : المرحلة الابتدائية كان عدد الطالبات في عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م (٢٢٣٣٠٤) طالبة، وأخذ بعد هذه السنوات بالارتفاع ليصل في عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م إلى أكثر من (٣٢٠) ألف طالبة	كان عدد المدارس في السابق في المرحلة الابتدائية للبنات ما يقارب (١٠,٢٨) مدرسة ابتدائية ثم تطور العدد ليصل في عهده إلى (١٧,٣٠) مدرسة للبنات.
ثانيًا: المرحلة المتوسطة بلغ عدد الملتحقات بهذه المرحلة إلى أكثر من (٣٨٠٠٠) طالبة، ثم تطور العدد بزيادة هائله خلال السنوات الخمسة ليصل إلى (٨٠٠٢٤) طالبة .	أما عدد المدارس في هذه المرحلة فتتجاوز إلى (٢٠,٢٥) مدرسة للبنات ليشهد زيادات كبيرة بعد ذلك خلال السنوات القليلة القادمة.

كما خصصت إيرادات خاصة من ميزانية الدولة لإنفاقها على مجال التعليم بما يشمل ذلك تعليم البنات [١٢]، حيث ارتفعت الميزانية ارتفاعًا هائلاً ورصدت مبالغ الصرف على التعليم النسائي في عام ١٤٠١-١٤٠٢هـ/١٩٨١-١٩٨٢م مثلا لتصل إلى إجمالي (٢٣٦٩٠) مليون [١٣] ريال.

---

(10) السالم ، تعليم المرأة ، ص ٨٠ – ٨٢ .

(11) أحمد عبد الله الباز ، النظام السياسي والدستوري للمملكة العربية السعودية، ط١(الرياض: مطابع الصفا المكاوية ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) ، ص ٣٢ – ٣٣ .

(12) دحلان ، دراسة في السياسة الداخلية ، ص ٢٧ – ٣٠ .

(13) الباز ، النظام السياسي ، ص ٣٤ – ٣٧ .

المبحث الثاني

مرحلتي الثانوية والجامعة

كما شهدت مرحلتي الابتدائي والمتوسط نقلة كبيرة في مجال تعليم البنات كذلك الحال في مرحلة الثانوية . حيث كان عدد الطالبات في المرحلة الثانوية في عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م(١٠٢٠٦)،تضاعف هذا العدد ليصل في عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م إلى (٢٨٩٥٧)[١٤] أي أنه وفي خلال خمس سنوات فقط من حكم الملك خالد بن عبدالعزيز –يرحمه الله–كان هناك تطور كبير وزيادات مضطره في عدد الطالبات الملتحقات في مرحلة الثانوية[١٥].

وكل هذا نتاج الانفتاح الكبير والازدهار الملحوظ في عهده، يضاف إلى تنور الفكر والرغبة الصادقة من جلالته في ضرورة إشراك المرأة السعودية في المجال التعليمي[١٦]، وإبراز دورها الواضح في تربية أبنائها من جهة وإعداد أجيال المستقبل للمشاركة الفعاله في سوق العمل[١٧].

أما التعليم الجامعي أو التعليم العالي، فقد سار بخطى ثابتة لتحقيق أهداف واضحه، أولها

---

(14) بندر بن محمد الأسمري ، الملك خالد في قلب الشعب السعودي، ط١(مكة المكرمة: مكتبة المعالي ، د.ت) ص ١٢٢ – ١٢٤ .

(15) السالم ، تعليم المرأة ، ص ٨٢ – ٨٥ .

(16) المباركي ، التعليم في المملكة ، ص ٢٥ – ٢٧ .

(17) السنيدي ، مراحل تطور وتنظيم الإدارة ، ص ٥٧ – ٥٩ .

تنشئة الفتاة تنشئه إسلامية صحيحة[١٨]، وتكوين شخصيتها تكوينًا سليمًا، وإعداد المعلمات المؤهلات تأهيلاً علميًا تربويًا عاليًا لرفع مستوى التعليم في المملكة، وسد حاجة المدارس بالمدرسات المؤهلات والموجهات التربويات والإداريات، وإعداد مواطنات مؤهلات علميًا وفكريًا[١٩]. وتنمية الثروة البشرية وتوجيهها لمجالات الخدمة العامة ، وتوفير فرص الدراسة الجامعية للطالبات السعوديات داخل المملكة[٢٠]. وإتاحة الفرصة للنابغات أن يواصلن الدراسات العليا في التخصصات العلمية المختلفة[٢١]، والعمل على تنمية البحث العلمي والقيام بدور إيجابي في الميدان الذي يسهم في مجال التقدم العلمي في الأدب والعلوم وربط الطالبة بالتراث الإسلامي مع الاستفادة من المعارف الإنسانية بوجه عام[٢٢].

وتولت الإدارة العامة لكليات البنات ومعاهدها بافتتاح الكليات الآتية في عهده :

١- كلية التربية للبنات في مكة المكرمة: تأسست عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، وكانت فرعًا لكلية التربية بجدة، متخصصة بالدراسات الإسلامية واللغة العربية، ثم استقلت باسم كلية التربية وضمت عددًا من الأقسام وهي: الدراسات الإسلامية، اللغة العربية وآدابها، اللغة الإنجليزية، الاقتصاد المنزلي، الرياضيات[٢٣].

---

(18) دحلان ، دراسة في السياسة ، ص ٢٧ – ٣٠ .
(19) السالم ، تعليم المرأة ، ص ٨٩ .
(20) الأسمري ، الملك خالد ، ص ١٢٥ .
(21) الباز ، النظام السياسي ، ص ٤٩ – ٥٢ .
(22) الهميل ، مولد ونشأة الملك خالد ، ص ٢١٥ .
(23) محمد الدخيل ، التعليم العالي في عهد الملك خالد بن عبد العزيز، ط٢ (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ص ٦٧ – ٦٩ .

٢ – المعهد العالي للخدمة الاجتماعية للبنات في الرياض: تأسس عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، وكان يضم تخصصات علمية عدة وهي: خدمة الفرد، خدمة الجماعة، تنظيم المجتمع، ويقبل الحاصلات على شهادة الثانوية العامة ويمنحهن درجة البكالوريوس في الخدمة الاجتماعية [٢٤].

٣ – كلية الآداب للبنات بالرياض: تأسست عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، وتضم أقسام الدراسات الإسلامية، اللغة العربية وآدابها، التاريخ، الجغرافيا، اللغة الإنجليزية [٢٥].

٤ – كلية التربية للبنات بالدمام : تأسست عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، وتضم أقسام الكيمياء، الرياضيات، النبات، اللغة العربية وآدابها ، الجغرافيا الطبيعية ، علم الحيوان، الدراسات الإسلامية ، التاريخ، اللغة الإنجليزية [٢٦].

٥ – كلية التربية للبنات في المدينة المنورة : تأسست عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، وتضم أقسام الدراسات الإسلامية ، اللغة العربية وآدابها ، اللغة الإنجليزية ، الرياضيات، الفيزياء [٢٧].

٦ – كلية التربية للبنات في القصيم: تأسست عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، وتضم أقسام الدراسات الإسلامية، اللغة العربية وآدابها، علم الحيوان، النبات، الكيمياء [٢٨].

---

(24) السالم ، تعليم المرأة ، ص ٨٩ – ٩٠ .

(25) الدخيل ، التعليم العالي ، ص ٧٠ – ٧٢ .

(26) المباركي ، التعليم في المملكة ، ص ٢٥ – ٢٧ .

(27) السالم ، تعليم المرأة ، ص ٨٥ – ٨٧ .

(28) أحمد الدعجاني ، خالد بن عبد العزيز سيرة ملك ونهضة مملكة ، ط٢(الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ، ص ٥٥ – ٥٦ .

٧ – كلية التربية للبنات في أبها : تأسست عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، وتضم أقسام الدراسات الإسلامية ، اللغة العربية وآدابها ، اللغة الإنجليزية ، والكيمياء[٢٩] .

٨ – كلية التربية للبنات في تبوك : تأسست عام ١٤٠٢–١٤٠٣هـ/١٩٨٢–١٩٨٣م[٣٠] .

كما تأسست الكليات المتوسطة للبنات في عهد الملك خالد –يرحمه الله– بهدف إعداد وتأهيل معلمات للمرحلة المتوسطة، وتنمية قدرات معلمات المرحلة الابتدائية[٣١] .

ففي عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م افتتحت الرئاسة العامة لتعليم البنات أربع كليات متوسطة في أبها والمدينة المنورة والإحساء وعنيزه[٣٢] .ثم افتتحت عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م كلية خامسة في الطائف وسادسة في الجوف ، ثم في صبيا ومدة الدراسة فيها عامان[٣٣] .

كما تم افتتاح قسم الدراسات العليا في كلية البنات بالرياض عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٧م، لتفتح المجال أمام المرأة السعودية لمواصلة الدراسات العليا[٣٤] .

---

(29) عبد العزيز المتوكل، سيرة الملك خالد بن عبد العزيز، د.ط(د.م : د.ن ، د.ت) ، ص ١١٢–١١٤ .

(30) الدخيل ، التعليم العالي ، ص ٧٥ .

(31) الدعجاني ، خالد بن عبد العزيز ، ص ٥٧ .

(32) السالم ، تعليم المرأة ، ص ٩٠ – ٩٢ .

(33) دحلان ، دراسة في السياسة الداخلية ، ص ٢٩ – ٣٠ .

(34) المباركي ، التعليم في المملكة ، ص ٣٠ .

المبحث الثالث

مدى انعكاس تعليم المرأة على حياتها الخاصة

إن حرص الملك خالد بن عبد العزيز – يرحمه الله – على تعليم المرأة السعودية كان له انعكاس واضح على حياتها الخاصة[٣٥]، فأصبحت هذه الفتاة الجاهله سابقًا امرأة متعلمة حرصة على تربية وتنشئة أبنائها على جادة الحق والصواب[٣٦].وقد تجاوزت مؤسسات التعليم العالي للبنات محيط حرمها إلى الهيئة الاجتماعية المحيطة بها، وذلك بواسطة أنشطتها الثقافية والاجتماعية والعلمية والندوات والمحاضرات[٣٧]، وتوثيق الروابط العلمية والثقافية مع الجامعات والمؤسسات التعليمية السعودية والعربية والإسلامية والأجنبية[٣٨]، مع الاستفادة من الأساليب والنظم الناضجة في مختلف هذه المؤسسات[٣٩].

---

(35) الأسمري ، الملك خالد ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .

(36) السنيدي ، مراحل تطور وتنظيم الإدارة ، ص ٥٩ – ٦٢ .

(37) فهد عبد العزيز ناصر ، الإدارة في المملكة العربية السعودية ، د.ط(الطائف، مكتبة شبرا، د.ت)، ص ٢٠٥ – ٢٠٦ .

(38) نوال محمد عبد الغني خياط ، الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود(دراسة تاريخية حضارية ١٣٣١–١٤٠٢هـ / ١٨٩٥–١٩٨١م) ، رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ إشراف دكتور عبد اللطيف بن دهيش ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ص ٣٢٣–٢٣٥.

(39) الدعجاني ، خالد بن عبد العزيز، ص ٥٩ – ٦٠ .

وتعدى اهتمام جلالته – يرحمه الله – بتعليم البنات حدود الوطن إلى دول شقيقة وصديقه ، بإتاحة فرصة الدراسة لغير السعوديات من المقيمات في المملكة، وغير المقيمات ، بواسطة المنح الدراسية المخصصة لفتيات العالم العربي والإسلامي[٤٠] .

ومن الجدير بالملاحظة أن من بين الأهداف التي أكدتها الخطة الخمسية الثانية للمملكة، إكمال القاعدة التي يقوم عليها نظام التعليم العالي للبنات[٤١]،وضمان توسعتها، ورفع المستوى الأكاديمي للطالبات الجامعيات[٤٢]،وإعدادهن للإسهام في عمليات التنمية، وتوسيع مدى الاستفادة من إمكانيات كليات التعليم العالي للبنات في مجال الحياة العامة[٤٣] . وتم وضع مشروع لإنشاء جامعة للبنات، وصدقت عليه اللجنة العليا لسياسة التعليم العالي في المملكة في أواخر شهر شعبان من العام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ورفع إلى مجلس الوزراء[٤٤] .

كما استهدفت الخطة الخمسية الثانية تمكين الكليات من إعداد المعلمات السعوديات وتأهيلهن تأهيلاً عاليا في مجال التربية والفنون[٤٥] ، وذلك عن طريق

---

(40) دحلان ، دراسة في السياسة الداخلية ، ص ٣٢ – ٣٥ .

(41) الدخيل ، التعليم العالي ، ص ٧٥ .

(42) المباركي ، التعليم في المملكة ، ص ٣٥ – ٣٩ .

(43) المتوكل ، سيرة الملك خالد ، ١١٥ – ١١٧ .

(44) السالم ، تعليم المرأة ، ص ٩٥ – ٩٦ .

(45) الدعجاني ، خالد بن عبد العزيز ، ص ٥٩ – ٦٠ .

توفير الإمكانات والتجهيزات الحديثة لكليات التربية بالرياض وجدة ومكة المكرمة[٤٦]، وزيادة عدد الطالبات المنتظمات بتشجيع خريجات المدارس الثانوية وتحفيزهن على متابعة الدراسات العليا[٤٧]، وتوفير الأعداد اللازمة من عضوات هيئة التدريس في كليات البنات، وتوفير المساكن للطالبات وعضوات هيئة التدريس[٤٨].

الفصل الثاني

عمل المرأة السعودية في عهد الملك خالد

كما تهيئت الظروف، وأتيحت للمرأة السعودية لتنال كافة حقوقها التعليمية لمختلف مراحل التعليم العام والعالي، كذلك أتيحت لها الفرصة الكاملة لتمارس حقوقها ودورها في المجتمع السعودي، فتخوض غمار العمل في كافة المجالات التعليمية والصحية والاجتماعية ، وليظهر مدى أهميتها في بناء مجتمعها وكونها ركن مهم من أركان صرح المملكة العربية السعودية لايقل أهمية عن الرجل[٤٩].

---

(46) دحلان ، دراسة في السياسة الداخلية ، ص ٣٢ – ٣٥ .

(47) الأسمري ، الملك خالد ، ص ١٣٢ – ١٣٣ .

(48) الهميل ، مولد ونشأة الملك خالد ، ص ٢١٧ – ٢١٨ .

(49) محمد عبد الله الطفيل ، الدوائر الحكومية في المملكة العربية السعودية ، ط٢(الرياض: دار الوفاق ، د.ت ،) ، ص ٩٢ – ٩٥ .

ومن هذا المنطلق اشتمل هذا الفصل على المباحث التالية :

١ – **المبحث الأول** : عملها كمعلمة .

٢ – **المبحث الثاني** : عملها في مجال الصحة .

٣ – **المبحث الثالث** : عملها في المجالات الاجتماعية المختلفة .

٤ – **المبحث الرابع** : دورها في تربية أبنائها .

المبحث الأول

عملها كمعلمة

أدرك الملك خالد –يرحمه الله – أهمية إيجاد المعلمة الصالحة واللبنة المكملة لبناء المجتمع المسلم، وحرص على دعمها وتحفيزها ومن هنا تم تعيين الطالبات المتخرجات من كافة الأقسام العلمية والأدبية ومعاهد المعلمات في المراحل التعليمية المختلفة (٥٠) .

كما أوجد زيادات وتحسين في الرواتب للمعلمين والمعلمات، حيث تم زيادة ١٢% في رواتب هذه الفئة التعليمية (٥١) .

ولايفوتنا التنويه على أوامره الملكية بإقرار سلم الوظائف التعليمية ، وسلم رواتب أعضاء هيئة التدريس في الجامعات (٥٢) .

وقد تضاعف الانفاق على التعليم عموما فارتفع من (١٢٩٤٠٩٣٧) ريالاً عام ١٣٩٥هـ– ١٣٩٦هـ الموافق ١٩٧٥–١٩٧٨م ، ليصل إلى (٢٥٨٢٣٢٨٧) ريالاً في عام ١٤٠١–١٤٠٢هـ الموافق ١٩٨١–١٩٨٢م (٥٣) .

---

(50) السالم ، تعليم المرأة ، ص ١٠٠ – ١٠١ .

(51) المباركي ، التعليم في المملكة ، ص ٤٠ – ٤٢ .

(52) الدخيل ، التعليم العالي ، ص ٧٦ – ٧٧ .

(53) الدعجاني ، خالد بن عبد العزيز ، ٩٩ – ١٠٠ .

وقد شملت هذه الزيادات أيضا حوافز للمعلمات المعينات في مناطق بعيده أو قرى نائيه أو طرق وعرة ولم تعبد بعد [٥٤].

وفيما يلي جدول يوضح احصائيات لعدد المعلمات في كافة المراحل التعليمية في عهد الملك خالد – يرحمه الله –

المرحلة التعليمية	عدد المعلمات
١– المرحلة الابتدائية	١٢٥٢٢ معلمة تقريبًا في كافة مناطق المملكة
٢ – المرحلة المتوسطة	٩٧٢٥ معلمة تقريبًا في كافة مناطق المملكة
٣ – المرحلة الثانوية	٨٤١٧ معلمة تقريبًا في كافة مناطق المملكة
٤ – التعليم العالي	٣٦٥٥ عضو هيئة تدريس تقريبًا في مختلف جامعات وكليات المملكة

(54) الأسمري ، الملك خالد ، ص ١٣٥ .

المبحث الثاني

عملها في مجال الصحة

كما كان للمرأة السعودية دورًا فعال في المجال التعليمي؛ كذلك لها بصمات واضحة في الصحة وعلاج المرضى وخدمتهم والسهر على راحتهم بما لا يخالف أوامر ومقتضيات الشريعة الإسلامية [٥٥]. ففي القطاع الصحي والذي لقي أيضًا اهتمامًا واضحًا من الملك خالد بن عبد العزيز –يرحمه الله –تم زيادة عدد المستشفيات كمًّا ونوعًا [٥٦]، بالإضافة إلى قيامه بالخطوة الموفقة التي تم فيها تحويل مدارس التمريض للبنات بجيزان والطائف، ومكة المكرمة، والقطيف، إلى معاهد صحية [٥٧]. وبذلك ارتفع عدد المعاهد الصحية للبنات إلى (١٠) معاهد عام ١٤٠١-١٤٠٢هـ / ١٩٨١-١٩٨٢م [٥٨]. وتم زيادة عدد الطبيبات السعوديات لمواكبة العصر ، ومشاركة الطبيب السعودي حيث تم تخريج أول دفعة طبيبات في عهد الملك خالد –يرحمه الله –والمكونة من (٣٠) طالبة في جميع التخصصات ، ومن أغلب مدن المملكة [٥٩].

وكما أن تلك الطبيبات كانوا أول دفعة خريجات في طب جامعة الملك سعود

---

(55) محمد عبد العظيم القرني ، الصحة وبناء المستشفيات والتطور الطبي في المملكة العربية السعودية، ط ٢ (جدة : دار المريخ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ص ٣٢ – ٣٥ .

(56) عبد الله بن عبد العزيز السلمان ،التطور الصحي والمرافق العامة في بلادنا، ط١(الرياض: د.ن، د.ت) ص ١٠٥ – ١٠٦ .

(57) القرني ، الصحة ، ٣٥ – ٣٧ .

(58) السلمان ، التطور الصحي ، ص ١٠٦ –١٠٨ .

(59) المباركي ، التعليم في المملكة ، ص ٥٠ – ٥٢ .

بالرياض، فقد كللن نجاحهن وتمكن من مقابلة الملك خالد –يرحمه الله –شخصيًّا[٦٠] لمعايشة مشاكلهن والتعرف على احتياجتهن وإعطاء الحلول وتذليل الصعوبات[٦١].

ومن أشهر الطبيبات اللاتي تمكن من مقابلة الملك خالد بن عبدالعزيز – يرحمه الله – :

١ – الدكتورة آسيا الرواف رئيس قسم جراحة الأطفال في مستشفى (القوات المسلحة) وأول جراحة أطفال سعودية[٦٢].

٢ – الدكتورة مي الشاهد استشاري قلب الكبار في مستشفى الملك فيصل التخصصي[٦٣].

كما أن الملك خالد –يرحمه الله –قام بزيارة للطبيبات المبتعثات خارج المملكة ، ومن ذلك زيارته التي قام بها لدولة باكستان والتي التقى فيها العديد من الطالبات في مجال الطب من أمثال الطبيبة السعودية أمال فقيه (٦٤)، حيث تقول عن لقائها بالملك خالد –يرحمه الله –(أصر الملك خالد على مقابلتنا مع طلاب الطب، وبالفعل قابلناه، وسلم علينا، وأعطى كل شخص في السكن راتب شهر ، ووفر لنا سكنا خاصا، وطباخين ، وسائقا ، وباصا خاصا ، ومشرفات خاصات بنا)(٦٥).

وبذلك الطبيبات وغيرهن ممن عايشوا وعاصرين عهد الملك خالد – يرحمه الله – يؤكدن سعيه على مدى إنجاح التجربة وتأكيد دور المرأة السعودية وقدرتها على إثبات وجودها في كافة المجالات.

---

(60) الدعجاني ، خالد بن عبد العزيز ، ص ١٢٥ – ١٢٧ .

(61) الطفيل ، الدوائر الحكومية ، ص ٩٥ – ١٠٠ .

(62) المتوكل ، سيرة الملك خالد ، ص ١٠١ – ١٠٥ .

(63) القرني ، الصحة ، ص ٤٠ – ٤٥ .

(64) السلمان ، التطور الصحي ، ص ٧٢– ٧٣ .

(65) القرني ، الصحة ، ص ٥٥ .

المبحث الثالث

عملها في المجالات الاجتماعية المختلفة

المرأة في عهد الملك خالد – يرحمه الله – تستطيع أن تعمل في كافة المجالات والأنشطة المناسبة لها، والتي يمكن إعدادها وتهيئتها للقيام بها[٦٦]، باستثناء المجالات والأعمال التي يترتب على القيام بها مخاطر على المرأة ، والتي نص عليها نظام العمل لتوفير الحماية للمرأة[٦٧].

ولما كانت المرأة تمثل نصف المجتمع، لذا فقد أولت التنمية اهتمامًا خاصا بها في عهد الملك خالد– يرحمه الله – حيث تم افتتاح العديد من المراكز ودور الفتيات لتعليم الخياطة والتفصيل والتدبير المنزلي ومحو الأمية[٦٨].

وقد اتجهت المراكز في عهده كذلك لتدريب رائدات ريفيات يكن دعامة قوية لعملية التنمية الشاملة للمرأة[٦٩]، وحتى تأخذ المرأة دورها كاملاً في عملية التنمية[٧٠]، حيث اقيمت الدورات التدريبية للرائدات الريفيات لمساعدة الاخصائيات الاجتماعيات بالمراكز على القيام بدورهن كاملاً في التوعية والتنمية الشاملة[٧١].

---

(66) السنيدي ، مراحل تطور وتنظيم الإدارة ، ص ١٢٢ – ١٢٤ .

(67) السالم ، تعليم المرأة ، ص ٨٢ – ٨٤ .

(68) المباركي ، التعليم في المملكة ، ص ٥٢ – ٥٥ .

(69) الباز ، النظام السياسي ، ص ١٠٥ – ١٠٦ .

(70) دحلان ، دراسة في السياسة ، ص ٦٢ – ٦٥ .

(71) الأسمري ، الملك خالد ، ص ١١١ – ١١٢ .

ولما كانت التنمية تهتم بالناحية الاقتصادية للأسرة ومشاركة من المرأة في رفع المستوى الاقتصادي للأسرة ، فقد تم إنشاء جمعيات الإنتاج النسوي وتشجيعها من قبل جلالته بالمساهمات [٧٢] ، حتى تقف على قدميها للعمل على زيادة الدخل للأسرة [٧٣] .

وقد كان لهذه الجمعيات الإنتاجية دور بارز ومهم في تشغيل السيدات الراغبات في أعمال الخياطة والتفصيل ورفع المستوى الاقتصادي لأسرهن [٧٤] .

ويوجد بالمنطقة الغربية مكتب الإشراف الاجتماعي النسائي، ويتبع وكالة الوزارة للرعاية الاجتماعية [٧٥] ، وتعمل بالتعاون مع المكتب الرئيس للإشراف على الأنشطة النسائية التي تخدم المرأة والطفل على حد سواء في الدور الاجتماعية ومراكز الخدمة والتنمية الاجتماعية والجمعيات ، والمؤسسات الاجتماعية الخيرية النسائية [٧٦] .

---

(72) الدعجاني ، خالد بن عبد العزيز ، ص ٧ – ٧١ .

(73) خياط ، الملك خالد ، ص ٢٨٢ – ٢٨٣ .

(74) الأسمري ، الملك خالد ، ص ٤٥ – ٤٧ .

(75) المتوكل ، سيرة الملك خالد ، ص ٩٩ – ١٠١ .

(76) الطفيل ، الدوائر الحكومية ، ص ١٢٥ – ١٢٧ .

المبحث الرابع

دورها في تربية أبنائها

تؤدي المرأة دورًا هائلاً في التنمية الاجتماعية باعتبارها الأم المسؤولة عن تنشئة الأجيال الجديدة وتوجيهها وفق المتطلبات الحديثة[٧٧]، كما انها ذات تأثير كبير في اكتساب أطفالها أنماط العلاقات الاجتماعية والسلوكية المختلفة التي يجب أن تتواءم مع الأنماط السائدة في المجتمع حتى لا يتعرض الأطفال للعديد من المشكلات والضغوط النفسية والاجتماعية التي تعيق عملية التنشئة الاجتماعية والتربوية الصحيحة[٧٨].

هذا فضلاً عن حاجة المجتمع إلى المرأة في بعض مجالات العمل التي تصلح فيها أكثر من الذكور، كالتعليم النسائي والطب وخلافه[٧٩]. بالإضافة إلى دور المرأة كربة بيت مسؤولة مسؤولية متكاملة عن توفير وتهيئة كافة الاحتياجات التي تتطلبها الحياة السوية[٨٠].

ومن هنا يتضح لنا أن المرأة تمارس دورًا وطنيًا ذا شأن كبير من حيث التثقيف ورفع المستوى والتوعية وزيادة الإدراك بالمسؤولية الاجتماعية والتربوية الملقاه على عاتقها[٨١]، هذا فضلاً عن اكتسابها مهارات جديدة في الشؤون المنزلية والرعاية

---

(77) السنيدي ، مراحل تطور وتنظيم الإدارة ، ص ٦٥ – ٦٧ .

(78) الباز ، النظام السياسي ، ص ٣٥ – ٤٠ .

(79) السلمان ، التطور الصحي ، ص ١١٢ – ١١٣ .

(80) السالم ، تعليم المرأة ، ص ٧٢ – ٧٣ .

(81) المباركي ، التعليم في المملكة ، ص ١٠٥ – ١٠٧ .

الصحية والنظافة والصناعات المنزلية المختلفة وغيرها [٨٢].

ويتطلب هذا الدور منها ضرورة التهيئ لتنشئه مجتمع صالح مهيئ لخوض كافة مجالات خدمة المجتمع [٨٣].

الخاتمـــة

من خلال ماسبق عرضه في هذا البحث سنتخلص النتائج التالية :

١ – اهتمام حكومة الملك خالد بن عبد العزيز – يرحمه الله – بافتتاح مدارس لتعليم البنات في مرحلتي الابتدائي والمتوسط وزيادة أعدادها في مختلف مناطق المملكة ليتسنى للفتاة ممارسة حقوقها ونيلها قسط وافر من التعليم .

٢ – حرص جلالته – يرحمه الله – على استكمال المرأة السعودية لتعليمها في مرحلتي الثانوية والجامعة بزيادة عدد المدارس الثانوية وافتتاح كليات بمختلف التخصصات لتخريج معلمات لمختلف المراحل التعليمية متمكنات من إبراز دورهم التعليمي وتخريج أجيال صالحة من فتيات المجتمع السعودي .

٣ – انعكاس تعليم المرأة السعودية على حياتها الخاصة وحرصها على تربية وتنشئة أبنائها على جادة الحق والصواب .

٤ – إتاحة الفرصة من جلالته –يرحمه الله– للدراسة لغير السعوديات من المقيمات في المملكة، وغير المقيمات بواسطة المنح الدراسية المخصصه لفتيات العالم العربي والإسلامي .

٥ – رفع المستوى التعليمي والأكاديمي للطالبات الجامعيات وإعدادهن للإسهام في عمليات التنمية، وتمكين الكليات من إعداد المعلمات السعوديات وتأهيلهن تأهيلاً عاليًا .

---

(82) السالم ، تعليم المرأة ، ص ١١٢ – ١١٥ .

(83) المتوكل ، سيرة الملك خالد ، ص ١٠٠ – ١٠١ .

٦- إيجاد زيادات وتحسين في رواتب المعلمات وإقرار سلم الوظائف التعليمية وسلم رواتب أعضاء هيئة التدريس في الجامعات، وإعطاء حوافز للمعينات في مناطق بعيدة أو قرى نائية أو طرق وعره .

٧ – تخريج أول دفعة من الطبيبات السعوديات في عهد الملك خالد بن عبد العزيز –يرحمه الله– ولقاءه بهن يؤكد على مدى حرصه على إبراز دور المرأة السعودية في كافة التخصصات ومقدرتها، على مزاولة مهن مختلفة .

٨ – افتتاح مجالات أخرى لتمارس المرأة السعودية وتتمكن من إثبات قدرتها في مجالات اجتماعية أخرى غير التعليم والصحة وتساند بدورها في رفع المستوى الاقتصادي للأسرة .

٩ – تمارس المرأة السعودية دورًا وظيفيًا ذا شأن كبير في تنشئة مجتمع صالح مهيئ لخوض كافة مجالات خدمة المجتمع .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الكتب المؤلفة :

١ – الأسمري ، بندر بن محمد ، الملك خالد في قلب الشعب السعودي، ط١ (مكة المكرمة : مكتبة المعالي ، د.ت) .

٢– الباز ، أحمد عبد الله ، النظام السياسي والدستوري للمملكة العربية السعودية ، ط١(الرياض : مطابع الصفا المكاوية ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) .

٣ – الحليسي ، نواف بن صالح ، حكمة الملك عبد العزيز في إدارة الدولة، د.ط (الكويت : د.ن ، د.ت) .

٤ –الخطيب ، عبد الحميد ، الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ج١،ط١(مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م) .

٥ – دحلان ، أحمد ، دراسة في السياسة الداخلية للمملكة العربية السعودية، ط١ (الرياض: د.ن، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) .

٦ – الدخيل ، محمد ، التعليم العالي في عهد الملك خالد بن عبد العزيز، (الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

٧ – الدعجاني، أحمد ، خالد بن عبد العزيز سيرة ملك ونهضة مملكة، ط٢(الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) .

٨ – السالم ، فاطمة ، تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية ، ط١(جدة، د.ن، د.ت) .

٩ – السلمان ، عبد العزيز ، التطور الصحي والمرافق العامة في بلادنا، ، ط١ (الرياض ، د.ن، د.ت) .

١٠ – السنيدي ، عبد الله بن راشد ، مراحل تطور تنظيم الإدارة الحكومية في المملكة العربية السعودية ، ط١(الرياض : مطابع الصفا للطباعة والنشر، د.ت).

١١ – الطفيل ، محمد عبد الله ، الدوائر الحكومية في المملكة العربية السعودية، ط٢ (الرياض: دار الوفاق ، د.ت) .

١٢ – القرني ، محمد عبد العظيم ، الصحة وبناء المستشفيات والتطور الطبي في المملكة العربية السعودية ، ط٢(جدة : دار المريخ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

١٣ – المباركي ، محمد ، التعليم في المملكة العربية السعودية، ط٢(الدمام: مطابع اليسر ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) .

١٤ – المتوكل ، عبد العزيز ، سيرة الملك خالد بن عبد العزيز، د.ط (د.م: د.ن ، د.ت) .

١٥ – ناصر ، فهد عبد العزيز ، الإدارة في المملكة العربية السعودية ، د.ط (الطائف، مكتبة شبرا ، د.ت) .

١٦ – الهميل ، خالد ، مولد ونشأة الملك خالد بن عبد العزيز ، ط١(الرياض: مطابع الدار للنشر والتوزيع ، د.ت) .

ثانياً : الرسائل العلمية :

١ – خياط ، نوال محمد عبد الغني ، الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود (دراسة تاريخية حضارية ١٣٣١-١٤٠٢هـ/١٨٩٥-١٩٨١م) رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ إشراف الدكتور عبداللطيف بن دهيش ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

الثورة الإيرانية وأثرها في العلاقات الأمريكية السوفيتية
نوفمبر ١٩٧٨- يناير ١٩٧٩ (دراسة وثائقية)

د. أحمد محمد عبد المعز
مدرس التاريخ الحديث
والمعاصر- جامعة المنيا

ملخص:

على الرغم من أن الثورة الإيرانية اندلعت في يناير ١٩٧٨؛ إلا أنها لم تؤثر بشكل مباشر في العلاقات الأمريكية السوفيتية إلا في نوفمبر ١٩٧٨، فقد طالب السوفييت مباشرة من الولايات المتحدة عدم التدخل في إيران، والتدخل العسكري بشكل خاص، وردت الولايات المتحدة بطلب مماثل من السوفييت، لتستمر موجه من التهم والتحذيرات والتهديدات من كل منهما طوال ما تبقى من حكم الشاه حتى سقوطه في يناير ١٩٧٩، وظهر بوضوح أن الثورة الإيرانية أحدثت أزمة كبيرة بين القوتين الكبيرتين، وهو ما دارت حوله تلك الدراسة.

الكلمات المفتاحية:

الولايات المتحدة الامريكية – الاتحاد السوفيتي – الثورة الإيرانية ١٩٧٩ – حكم الشاه محمد رضا بهلوي.

Iranian Revolution and its Impact on the American – Soviet Relations

November 1978 – January 1979: A Documentary Study

Ahmed Mohamed Abd El-Moez

Abstract:

The present paper attempts to uncover the impact of the Iranian Revolution on the American – Soviet Relations. Although the Iranian revolution broke out in January 1978, it did not directly affect the American – Soviet relations until November 1978. The Soviets demanded directly from the United States not to interfere in Iran and military intervention in particular. The United States responded with a similar request from the Soviets , Continued to be guided by charges, warnings and threats from each of them throughout the remainder of the Shah's rule until his fall in January 1979, and it became clear that the Iranian revolution had caused a great crisis among the great powers, which is the main focus of the study.

Keywords:

US – Soviet – the Iranian Revolution – the Shah's rule.

اندلعت الثورة الإيرانية في يناير ١٩٧٨[١]، بعد أيام من زيارة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر **Jimmy Carter**[٢] لإيران في ٣١ ديسمبر ١٩٧٧، حينما أعلن أن إيران جزيرة استقرار وسط بحر عاصف، وشدد على أن لديه علاقات شخصية مع الشاه محمد رضا بهلوي[٣] أقوى من أي رئيس آخر في العالم[٤]، وقد شجع ذلك الشاه ليحذر

---

(١) اندلعت موجة واسعة من المظاهرات العنيفة في مدينة قُم الإيرانية في ٩ يناير ١٩٧٨ على خلفية مقال نشر في صحيفة (إطلاعات) الحكومية الإيرانية في ٧ يناير تمت فيه مهاجمة وإهانة الزعيم الديني الشيعي المنفي آية الله روح الله الخميني، ووصفه بأنه غير مؤمن وعميل للقوى الاستعمارية مما أدى لوقوع قتلى من المحتجين، وهو ما دفع بدوره إلى تكرار المظاهرات كل ٤٠ يومًا فيما عرف بأربعينيات الشهداء، راجع؛

_ **FCO 8/ 3202**, Letter from British Embassy, Tehran, to FCO, London, Mar.1, 1978, "Opposition Groups in Iran", and See also,

_ **Tazmini, Ghoncheh:** Revolution and Reform in Russia and Iran ,Tauris, London, 2012, P.184;

_ **Peter Avery, G.R.G. Hambly and C.P. Melville** "Ed", The Cambridge history of Iran , Vol. 7. From Nadir Shah to the Islamic Republic , Cambridge University Press, New York, 1991, P.292.

(٢) قادة ترأس الولايات المتحدة في الفترة من ١٩٧٧ حتى ١٩٨١ عن الحزب الديمقراطي، وقد حاول المساعدة في إيجاد حل لقضية روديسيا، وآدان الاحتلال السوفيتي لأفغانستان في ١٩٧٩، وقاطع الألعاب الأوليمبية في موسكو ١٩٨٠، للمزيد؛

_ **Sylvia Ellis:** Historical Dictionary of Anglo–American Relations, The Scarecrow Press, Toronto, 2009, P.74.

(٣) محمد رضا بهلوي: ولد في طهران سنة ١٩١٩، وقد عقد اتفاقا مع الحلفاء في ديسمبر ١٩٤٢ بدخول الحرب إلى جانبهم، قامت ضده الثورة الإيرانية في يناير ١٩٧٨، وسقط بعدها بعام في يناير ١٩٧٩؛ راجع؛

_ **طلال مجذوب:** إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص٣١١.

(4) **Malik, Hafeez** "Ed": Soviet–American Relations With Pakistan, Iran and Afghanistan, Palgrave Macmillan, New York, 1987,P.101.

السوفييت في ١ يناير ١٩٧٨ من أن إيران ستتدخل إذا غزت إثيوبيا أرضًا صومالية في نزاعهم في ذلك الوقت بشأن إقليم أوجادين(٥)

وعلى الرغم من هذا الشقاق بين السوفييت وإيران إلا إن الثورة الإيرانية لم تؤثر في العلاقات الأمريكية السوفيتية حتى شهر نوفمبر ١٩٧٨، حينما جلب اشتداد المظاهرات ضد الشاه إلى نزاع مفتوح وكبير جدًّا بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وتدافعوا للتأثير على سير الأحداث كلٌّ بطريقته(٦)، وقد رأى السوفييت أن اضعاف حضور الولايات المتحدة في إيران كسبًا كبيرًا لخشيتهم من استعمالها كمنطقة انطلاق ضد حدودهم(٧)، لاسيما وأن درجة ارتباط الشاه مع الولايات المتحدة جعلت الاتحاد السوفيتي يعتبر إيران "إسرائيل أخرى" في المنطقة، وقد مثَّلت الفترة ما بين نوفمبر ١٩٧٨ ونهاية يناير ١٩٧٩ فترة انهيار النظام الملكي الإيراني بروابطه الغربية(٨).

---

(5) **Patman, Robert G:** The Soviet Union in the Horn of Africa Cambridge University Press, New York, 1990, P.230,

_ حرب أوجادين كادت أن تؤدي إلى حرب عالمية ثالثة، لضخامة الدعم المستمر من الاتحاد السوفيتي وكوبا وإسرائيل لإثيوبيا؛ في وقت كانت فيه إيران تقف مع المملكة السعودية ومصر ومن خلفهم الولايات المتحدة في دعمهم للصومال، انظر:

-**FRUS, 1977-1980, VOL.XVII, P.1**, D.36, Memorandum From the Assistant Secretary of Defense for International Security Affairs (McGiffert) to Secretary of Defense Brown, Washington, Dec 20, 1977.

(6) **Quarterly Economic Reviews of Iran:** 4th Quarter 1978, The Economist Intelligence Unit Ltd, London, 1978, P.12.

(7) **Ross, Dennis:** Considering Soviet Threats to the Persian Gulf, International Security, Vol. 6, No. 2 (Fall, 1981), p. 166.

(8) **Zabih, Sepehr:** The Left in Contemporary Iran, Hoover Institution Press, California,1986 , Pp.17,23 .

وتباعًا استمر تجاهل قضية الثورة الإيرانية في العلاقات الأمريكية السوفيتية، سوى في شكوى السوفييت من إمداد إيران بكميات كبيرة من الأسلحة، واتساع نفوذها الخارجي حتى القرن الأفريقي(٩)، وابتعد السوفييت عن تناول أي اهتمام بإيران حتى أبريل ١٩٧٨(١٠)، على الرغم من أنها تقع على حدودهم المشتركة الممتدة إلى ١٥٠٠ ميل، ولكن ذلك الوضع الجغرافي جعل السوفييت يفضلون أن تتحول الأمور لصالحهم بالتدريج(١١)، وكان أول تناول أمريكي لدور سوفيتي في الثاني من أبريل ١٩٧٨، مع تجدد المظاهرات في مدينة تبريز الإيرانية؛ حين أُشير إلى أن تلك المدينة كانت مقرًا للعديد من العملاء السوفييت(١٢)، ما دفع الحكومة الإيرانية أن تعلن عن اكتشافها مجموعة تجسس سوفيتية؛ دون أن تربط بينها وبين حالة الاضطراب الداخلي(١٣)، وبدأ الإعلام السوفيتي أيضًا في تناول الأحداث الإيرانية(١٤)، حيث نددت الصحفية الحكومية السوفيتية إزفستيا Izvestia في ٢٤ مايو بتصريح للسفير الإيراني في

---

(٩)FRUS, 1977–1980, Vol.VI, D.85, Informal Notes, Feb. 28, 1978; Ibid, D.92, Memorandum of Conversation, Mar.16, 1978; Ibid, D.103, Memorandum of Conversation, Apr. 22, 1978.

(10) **FCO 8/ 3197**, Letter From Middle East Department FCO, London ,to Research Department FCO, London, Apr.6, 1978, "Soviet Relation with Iran".

(١١) **محمد حسنين هيكل:** مدافع آية الله، قصة إيران والثورة، ط٦، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٢٦.

(12) ***New York Times***, Apr. 2, 1978, P.E.5, "There were Signs Last Week of Real Unrest"

(13) **Quarterly Economic Reviews of Iran**: 2nd Quarter 1978, The Economist Intelligence Unit Ltd, London, 1978, P.7.

(14) **NARA**; Tel from Embassy, Tehran to Embassy Moscow, Apr.10,1978, "Soviet Propaganda Treatment of Iran"

واشنطن أردشير زاهيدي[١٥] أشار فيه إلى أن الاتحاد السوفيتي مليء بالأكاذيب[١٦]، ما دفع الحكومة الإيرانية للقول بأن بلدهم تتخذ سياسة خارجية مستقلة عن الولايات المتحدة[١٧].

لكن بحلول ٢١ يونيو، فتحت مقاتلات سوفيتية النار على مروحيتين عسكريتين إيرانيتين ضلتا الطريق واخترقتا المجال الجوي السوفيتي دون إذن[١٨]، وقتل ثمانية من أفراد طاقم واحدة منهما وأجبرت الأخرى على الهبوط[١٩]، وبناء عليه قدم احتجاج شديد اللهجة للحكومة الإيرانية[٢٠]، ومع ذلك أعلن الشاه في ١٧ أغسطس أن هناك من يرغب في تحويل إيران إلى جمهورية

---

(١٥) أردشير زاهدي: تزوج ابنة الشاه في ١٩٥٧، وعين سفيرًا في واشنطن ١٩٦٢– ١٩٦٤، ثم سفيرًا في لندن حتى ١٩٦٦، ثم وزيرا للخارجية ١٩٦٥– ١٩٧٧، ثم سفيرًا في واشنطن حتى بداية عام ١٩٧٩، راجع؛
_ **خضير البديري:** موسوعة الشخصيات الإيرانية في العهدين القاجاري والبهلوي ١٧٩٦– ١٩٧٩، العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٥، ص٥٢٢.

(16) **NARA**; Tel from Moscow to Sec State Priority2181, May.25,1978, "Izvestya Criticism of Iranian Ambassador"

(17) **Wilson Center; Digital Archive**, Tel 075,359, from the Romanian Embassy in Tehran, to the Romanian Ministry of Foreign Affairs, May.30,1978.

(18) **Quarterly Economic Reviews of Iran**: 3rd Quarter 1978, The Economist Intelligence Unit Ltd, London, 1978, P.7.

(19) **DNSA collection**: Iran Revolution; Telegram from United States Embassy Iran, Confidential, Cable, July 23, 1978, "Iranian Helicopters Downed USSR"

(20) **FCO 8/ 3198**, Tel From Moscow to FCO, London, Jul. 20, 1978, "Iranian Violation of Soviet Air Space".

سوفيتية[٢١]، في حين أن السوفييت أنفسهم اعتقدوا –حتى ذلك الوقت– بأن الثورة مدعومة من واشنطن لمعاقبة الشاه لمتابعته سياسة خارجية مستقلة بعض الشيء![٢٢].

ومع حدوث مذبحة الجمعة السوداء في ٨ سبتمبر في ميدان جاله في طهران، أكد الرئيس الأمريكي للشاه دعمه لموقفه[٢٣]، وفي اتجاه مختلف اعتبرت صحيفة الحزب الشيوعي السوفيتي، "برافدا Pravda" أن أحد أسباب الأزمة الإيرانية هي "الكميات الكبيرة من الأسلحة الأمريكية" التي باعتها للشاه، والنفقات المرتبطة بها مثل الانفاق على "عشرات الألاف" من الخبراء الأمريكيين في إيران[٢٤]، وردت عليها الصحيفة الأمريكية "واشنطن بوست The Washington Post" بإرجاع حدوث زلزال في إيران آنذاك إلى اختبارات الأسلحة النووية في الاتحاد السوفيتي!، ورغم أن إيران أنكرت ذلك التحليل[٢٥]، إلا إنه شكل ردًّا على هجوم البرافدا، ومما زاد الأمر غموضاً أن الاتحاد السوفيتي طالب الحكومة الإيرانية في ١٠ أكتوبر بزيادة كمية الغاز الإيراني التي يستوردها منها، وقد اعتبر السفير الأمريكي في إيران وليام سوليفان William

---

(21) Ibid, Letter from Middle East Department, FCO, London, to British Embassy, Tehran, Oct.26, 1978, "Soviet/ Iranian Relation".

(22) **Ganji, Babak:** Politics of Confrontation_ The Foreign Policy of the USA and Revolutionary Iran, Tauris Academic Studies, New York, 2006, P.41.

(23) **Bayandor, Darioush:** The Shah, the Islamic Revolution and the United States, Palgrave Macmillan, Nyon, Switzerland, 2019, P.218.

(24) **NARA**; Tel from Moscow to Sec State Priority6922, Sep,.18,1978, "Pravda Article on Iranian Events"

(25) ***The Washington Post***, Sep. 21, 1978, P.A.16, " Soviet Nuclear Test Blamed for Iran Quake".

H. Sullivan[٢٦] الطلب السوفيتي دليل على رغبة موسكو في الاستغلال الاقتصادي لإيران، وأن تلك المصالح سبب كافٍ للصمت السوفيتي من الأحداث[٢٧].

وفي الأسبوع الأخير من أكتوبر طالب متظاهري جامعة طهران بطرد خبراء الولايات المتحدة وإبطال المعاهدات معها[٢٨]، ما دفع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA إلى الاعتقاد باشتراك السوفييت في الأحداث الإيرانية، وقد ردت عليها وكالة الأنباء السوفيتية TASS بأن العلاقات السوفيتية الإيرانية استندت على مبادئ المساواة وعدم التدخل في الشئون الداخلية لبعضهم البعض لكلا الطرفين، وتم مهاجمة احتكارات النفط الأمريكية، ومبيعات الأسلحة، والخبراء الأمريكيين في إيران، واعتبار الاتهام لمكائد أمريكية في إيران، مثل محاولة الإبقاء على الشاه في الحكم[٢٩].

هذا التطور دفع السفارة السوفيتية في واشنطن لإجراء نقاشات مع الخارجية الأمريكية في ٢٦ أكتوبر حول خطط الولايات المتحدة لدعم الشاه، ومسألة مشتريات السلاح الإيرانية[٣٠]، وقد

---

(26) وليام سوليفان كان آخر سفير أمريكي في إيران في عهد الشاه يونيو ١٩٧٧– أبريل ١٩٧٩ ، عمل سفيرا في لاووس ١٩٦٦– ١٩٦٩، والفلبين ١٩٧٣– ١٩٧٧، راجع؛

_ **Afkhami, Gholam Reza:** The life and Times of the Shah, University of California Press, Los Angeles, 2009, P.604.

(27) **DNSA collection:** Iran Revolution; United States Embassy Iran, Confidential, Cable, Oct 11, 1978, " Soviets Interested in Obtaining More Iranian Gas".

(٢٨) الإمبريالية: هي كل ما يخص الإمبراطور وسلطته ودولته، ويقصد بها سياسة دولة تهدف إلى إخضاع دولة أخرى لسيطرتها السياسية والاقتصادية، فهي استعمارية ولكن تستخدم وسائل غير الاحتلال، انظر:

– **محمد برهام المشاعلي:** الموسوعة السياسية والاقتصادية، دار الأحمدي للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١٣.

(29) **NARA**; Tel from Moscow to Sec State Priority8354, Oct,.25,1978, "Soviet Media Criticize U.S. Rule in Iran"

(٣٠) مثلا، كانت إيران المشتري الأول للسلاح الأمريكي عام ١٩٧٥– ١٩٧٦١٩٨٠، راجع:

_ **سلمى حداد:** التسليح الايراني والأحلام الإمبراطورية، شؤون فلسطينية، عدد ٦٢، يناير ١٩٧٧، ص٧٩.

أعيد تأكيد السياسة الأمريكية بدعم الشاه، والأمل في اجتيازه للأزمة، وأن مشتريات السلاح ضرورية للاستقرار الاجتماعي، ومن الغريب أن السوفييت أشاروا إلى ضرورة دعم الولايات المتحدة الشاه![٣١]، ما يؤكد بأن كل الأطراف كانت بطيئة في توقع انهيار الشاه[٣٢]، لكن السوفييت رأوا أن أحد أهم أسباب الثورة؛ هو سماح إيران بتزايد التغلغل الامريكي أكثر من اللازم، ممثلا في تواجد القوة العسكرية الامريكية، وتغلغل النفوذ الأمريكي في الجيش، وأنكروا تمامًا أن هناك تدخلاً سوفيتيًا في إيران، أو ما عرف آنذاك (بيد موسكو The Hand of Moscow) في إيران[٣٣].

– تحذير السوفييت للولايات المتحدة بشأن إيران (نوفمبر ١٩٧٨):

ومع توالي المظاهرات في شهر نوفمبر ١٩٧٨؛ بدأت الولايات المتحدة تخشى جديًا من إمكانية سيطرة حكومة سوفيتية الولاء على الحكم في إيران[٣٤]، وتحدثت تقارير أمريكية عن "تدخل سوفيتي محتمل في إيران"، وهو ما أنكرته أجهزة الإعلام السوفيتية وتحدثت هي الأخرى عن "تدخل أمريكي محتمل"، وأن الولايات المتحدة تسعى لإقامة ديكتاتورية عسكرية[٣٥] في

---

(31) **NARA**; Tel from Sec State Wash DC, to Tehran Priority, Oct,.26,1978, "Soviet Interest in Iranian Situation"

(32) **Mohsen M. Milani**: Harvest of Shame: Tudeh and the Bazargan Government, Middle Eastern Studies, Vol. 29, No. 2 (Apr., 1993), p.309.

(33) **FCO 8/ 3198**, Tel From Moscow, to FCO, London, Oct.28, 1978, "Iran: Soviet Union.

(34) ***The Washington Post***, Oct. 31, 1978, P.A.5, " U.S. Fears Pro–Soviet Regime In Iran If Shah Is Overthrown".

(٣٥) انقسم رأي صناع القرار في واشنطن ما بين قسم رأى ضرورة تشجيع لمزيد من العنف تجاه المظاهرات بدعوى أن سقوطه سيؤدي إلى خسارة للمصالح الأمريكية، وبين من رأى أن الشاه لا ينبغي له استعمال القوة مع المعارضة لأنها شديدة الانتشار، راجع؛=

إيران[٣٦]، ولأول مرة منذ بدء الثورة في ٥ نوفمبر؛ قامت السفارة السوفيتية بإصدار "توضيح" أنكرت فيه ما ادعته الحكومة الإيرانية بأن الصحافة السوفيتية قد هاجمت الزعيم الشيعي أية الله الخميني[٣٧]، واعتبرت ذلك "خبراً استفزازيًّا"، حيث سعت السفارة لحماية نفسها من الغضب الكبير الذي قد يندلع من اتباع الخميني[٣٨]، حيث كان الآلاف من المتظاهرين قد دمروا السفارة البريطانية، ونجت السفارة الأمريكية لحماية الجيش الإيراني لها[٣٩]، وسريعًا توقفت كل الصحف عن الصدور[٤٠]، ليعتذر الشاه في خطاب للشعب الإيراني عن "الأخطاء السابقة والفساد"[٤١]، كما وصف ما يحدث في إيران لأول مرة بالثورة[٤٢]، ثم هدد في رسالة له الرئيس كارتر بأنه ينوي الاستقالة[٤٣].

= _ **آمال السبكي:** تاريخ إيران السياسي (١٩٠٦– ١٩٧٩)، سلسلة عالم العرفة، العدد (٢٥٠)، الكويت، ١٩٩٩، ص١٩٨.

(36) **Yodfat, Aryeh:** The Soviet Union and Revolutionary Iran, Routledge, New York, 2011, P.47.

(٣٧) السيد آية الله روح الله الخميني: اعتقله الشاه في ١٩٦٤، ثم تم نفيه لتركيا ثم العراق التي عاش فيها ١٣ عام حتى أكتوبر ١٩٧٨ حيث غادر إلى فرنسا، حتى عاد لإيران في الأول من فبراير ١٩٧٩، انظر؛
_ **طلال مجذوب:** مرجع سابق، ص٣٤١.

(38) **NARA**; Tel from Tehran to Sec State 1370, Nov,.5,1978, "Alleged Soviet Involvement in Current Events in Iran"

(٣٩) **فرح بهلوي:** مذكرات، ترجمة: إكرام يوسف، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠، ص٢٥٩.

(٤٠) **طلال مجذوب:** مرجع سابق، ص٤١٦.

(41) **Fatemi, Faramarz S:** The U.S.S.R. in Iran, Barnes, London:, 1980, P.189.

(٤٢) **إبراهيم الدسوقي شتا:** الثورة الإيرانية.. الصراع.. الملحمة.. النصر، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٦، ص٢٩٦.

(٤٣) **جيمي كارتر:** مذكرات البيت الأبيض، ترجمة: سناء شوقي حرب، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٣، ص٣٤٦.

وقد كان الشاه يتساءل: هل الولايات المتحدة ترغب في منح إيران للاتحاد السوفيتي أو على الأقل جعلها منطقة نفوذ محايدة؟، وكان السفير الإيراني في واشنطن قد سأل وزير الخارجية الأميركي سايروس فانسCyrus R. Vance (٤٤)، هل الولايات المتحدة كانت تخطط مع المعارضة لإسقاط الشاه؟(٤٥)، فقد اعتقد الشاه أن إدارة كارتر ربما توصلت سرًّا إلى اتفاقية مع السوفييت لتقسيم المنطقة التي فيها إيران إلى دوائر للنفوذ!(٤٦)، إلا إنَّ جيمي كارتر في مذكراته أنكر حدوث ذلك التقسيم(٤٧)، كما إن السوفييت أنفسهم ساورتهم الشكوك حول الموقف الأمريكي من الثورة الإيرانية، وأن الولايات المتحدة ربما أرادت الضغط على الشاه ليستسلم لها أكثر، أو لاستبداله بنظام أكثر ولاء(٤٨).

والحال كذلك اجتمع السفير السوفيتي في واشنطن مع مسئول من الخارجية الأمريكية، وقد أنكر السفير أي تدخل سوفيتي في الثورة الإيرانية، ولم يرد تأكيد أو نفي ما إن كان الشاه مفضل لدي السوفييت من سيطرة عسكرية أو حالة فوضى منتقدًا رغبة الشاه بجعل بلاده قوة كبرى بشكل سريع(٤٩)، وقد يعود التردد السوفيتي إلى خشيتهم من أن القيام بإثارة الوضع قد

---

(٤٤) وزير للخارجية الأمريكية فترة جيمي كارتر ١٩٧٧– ١٩٨١، لكنه استقال في ٢٨ أبريل ١٩٨٠ لمعارضته لكيفية إنقاذ الرهائن في إيران، وكان حالة نادرة في التاريخ الأمريكي استقالة وزير لاختلافه مع سياسة الرئيس؛ راجع؛

_ **Robert Anthony Waters Jr**.; Historical dictionary of United States–Africa relations, Scarecrow Press, Toronto, 2009, P.304.

(45) **Afkhami, Gholam Reza**: Op. Cit, P.469.

(46) **Zabih, Sepehr**: Iran since the Revolution, Routledge, New York, 2011, P.6.

(٤٧) **جيمي كارتر**: مرجع سابق، ص٣٩٥.

(48) **Malik, Hafeez** "Ed": Soviet–American Relations ; Op. Cit.,P.253.

(49) **NARA**; Tel from Sec State to Moscow, Nov,.7,1978, "Soviet Ambassador Bobrynin's Comments on Station Iran"

يؤدي إلى مجابهة مباشرة مع الولايات المتحدة، بالإضافة لتواجد أقلية مسلمة داخل حدود الاتحاد السوفيتي نفسه، مع عدم تأكده من أن بديل الشاه سيكون أفضل في علاقته معهم(٥٠)، إلا إن الولايات المتحدة توقعت قيام السوفييت بالضغط واستغلال الوضع، ليسارع الرئيس كارتر ويعلن أهمية الشاه للعالم الغربي كله(٥١).

فقد أصبح لدى السوفييت شك في فرص بقاء الشاه، وأعدوا أنفسهم لتحريك موقفهم الحذر من الثورة؛ وانتظروا فقط حدوث "كارثة جديدة" لاستغلالها لتعديل علاقة إيران بالولايات المتحدة(٥٢)، وبدأ الإعلام السوفيتي في مضاعفة تعليقاته بشأن الوضع في إيران بمجرد تعيين الحكومة العسكرية برئاسة رئيس هيئة أركان القوات المسلحة الإيرانية الجنرال غلام رضا أزهري(٥٣) في ٧ نوفمبر(٥٤)، ونفس الشك تطرق إلى السفير الأمريكي في إيران ليرسل برقية إلى وزارة خارجيته أشار فيها إلى أن أيام الشاه أصبحت معدودة، مطالبًا بالبحث عن بديل(٥٥)، لكن الولايات

---

(50) **FCO 8/ 3198**, Tel From Mr. Lucas to Mr. Tudd, Middle East Department, FCO, London, Oct.26, 1978, "Soviet Relation with Iran".

(51) ***New York Times***, Nov. 6, 1978, P.18, "Both East and West Regard Iran As Pivotal in the Power Balance".

(52) **CIA**, Memorandum For Director of Central Intelligence, Nov.9, 1978, "warning Report, USSR".

(٥٣) رئيس لوزراء إيران ما بين نوفمبر ١٩٧٨ و يناير ١٩٧٩، عين رئيسًا لوزراء الحكومة العسكرية وكان رئيسا لهيئة الأركان الإيرانية، وعمل على الحد من استخدام السلاح تجاه المظاهرات، وقد تلقى تدريبه العسكري في بداياته في الولايات المتحدة، انظر؛

_ **FCO 8/ 3349**; Leading Personalities In Iran, Jun.6, 1979,

(54) ***Los Angeles Times***, Nov.10, 1978, P.10, "Kremlin Paradox: Soviets Prefer Stable Regime in Iran".

(٥٥) **محمد حسنين هيكل:** مدافع آية الله، مرجع سابق، ص٢١٢.

المتحدة رأت أنه سواء وصل للحكم الخميني أو الجيش؛ فكلاهما معادي للشيوعية وللسوفييت معًا، وأن الانتخابات ستنتج جمهورية إسلامية ستكون مؤيد قوي للغرب![٥٦]، ومع ذلك جدد الرئيس الأمريكي في ١٣ نوفمبر دعمه للشاه[٥٧]، وأكد أنه لا يوجد لدى بلاده نية للتدخل في إيران (مالم يهدد أمنها الخاص بشكل مباشر)، وأكد أنه لم يجد دليل بأن السوفييت يثيرون المشاكل أو يحاولوا عرقلة الحكومة الإيرانية، كما استبعد تغيير الموقف السوفيتي ما لم يضعف الشاه بشكل لا رجعة فيه أو تأتي قوة أخرى للسلطة[٥٨].

ما جعل الرئيس السوفيتي ليونيد بريجنيف L. Brezhnev[٥٩] قلقًا حول إيران، وبدأ الاعلام السوفييتي في الإشارة إلى موافقة الولايات المتحدة للأساليب العنيفة التي انتهجتها الحكومة الإيرانية تجاه المظاهرات، بدعوى خوف الولايات المتحدة على مصالحها الاقتصادية[٦٠]، وأكد السوفييت على أن الشعور المعادي للولايات المتحدة كان عاملاً مهمًا للاضطراب، وأن الحكومة العسكرية الإيرانية تلقت دعمًا كبيرًا من الولايات المتحدة، وانتقدوا ما أشيع في تقارير أمريكية عن خطط طوارئ أمريكية للتدخل في إيران[٦١].

---

(56) **Afkhami, Gholam Reza**: Op. Cit., P.498.

(57) ***Los Angeles Times***, Nov.19, 1978, P.1, "Russia Issues a Warning Against Intervention in Iran" .

(58) **FCO 8/ 3196**, Enclose P.10., Telex From British Embassy, Washington to FCO, London SW1, Nov. 20, 1978, "Iran".

(٥٩) قاد الاتحاد السوفيتي ما بين عامي ١٩٦٤– ١٩٨٢عندما أصبح سكرتير أول للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي، للمزيد؛

_ **David Walker**, **Daniel Gray**: Historical Dictionary of Marxism, The Scarecrow Press, Toronto, 2007, P.33.

(60) ***The Washington Post***, Nov.15, 1978, P.A. 24, " Soviets Remain Cautions on Shah's Political Plight".

(61) **FCO 8/ 3196**, Tel From Moscow to FCO, London, Nov.18, 1978, "Iran: Soviet Comment".

ثم قام الإعلام الرسمي السوفيتي بنشر لقاء لزعيم حزب توده (الحزب الشيوعي الإيراني)[٦٢] "إيرج إسكندري" Iraj Eskandari[٦٣]، وأشار في لقائه إلى أن الدعم الوحيد لنظام الشاه أتى من الجيش والشرطة الإيرانية الذين يوجههما الخبراء الأمريكيون، وأن في إيران قرابة ٤٠.٠٠٠ من هؤلاء الخبراء، وأن "الإمبريالية الأمريكية" هي القوة الخارجية الرئيسة الداعمة لنظام الشاه لاحتكاراتها في إيران[٦٤]، وقد اعتبرت الولايات المتحدة نشر السوفييت للقاء اسكندري نوع من التدخل السوفيتي في شئون إيران الداخلية[٦٥].

---

(٦٢) بدأت قصة حزب توده في بداية ١٩٣٠ على يد أستاذ بجامعة طهران، عمل على نشر الشيوعية فسجنه الشاه رضا بهلوي و٥٣ من طلابه، حتى جاء السوفييت من الشمال والإنجليز من الجنوب إلى إيران في ١٩٤١، وكان اول شيء فعله السوفييت هو فتح السجون أمام هؤلاء الذين كونوا حزب توده (حزب الشعب)، راجع؛

– **محمد حسنين هيكل:** إيران فوق بركان، كتاب اليوم، القاهرة، ١٩٥١، ص١٠٧.

(٦٣) كان السكرتير الأول لحزب توده، وعضو مؤسس في الحزب، وقد تولى وزارة التجارة الإيرانية في ١٩٤٦، وهرب في ١٩٤٧ إلى فرنسا ثم لأوروبا الشرقية، راجع،

– **CIA**; National Foreign Assessment Center, Dec.8,1978., Intelligence Memorandum – Iran, the Tudeh Party and Communist Movement".

(64) **FCO 8/3196**; Tel No 1224 from Moscow to FCO, London, Nov. 24, 1978, "Interview with Iraj Eskandari", and See also;

_ **Tudeh Party Calls for a United Front**, MERIP "Middle East Research and Information Project" Reports, No. 71 (Oct., 1978), p. 5.

(65) **DNSA collection:** Iran Revolution; United States Embassy, Soviet Union, Confidential, Cable, to Sec State Wash DC, Nov20.,1978, "Eskandari Statement"

وانطلاقًا من تلك التطورات أرسل الرئيس السوفيتي ليونيد بريجنيف في ١٧ نوفمبر رسالة[٦٦] إلى الرئيس الأمريكي جيمي كارتر؛ أوضح فيها قلق الاتحاد السوفيتي المتزايد من تطور الأحداث في إيران، وأكد أن للولايات المتحدة دور في التأثير على الأحداث الإيرانية، مشيراً إلى أن هناك تقارير حول امكانية قيام الولايات المتحدة بالتدخل العسكري في إيران، مؤكداً في الوقت نفسه أنه لا يستطيع التحقق من النوايا الأمريكية، لاسيما وأنه لم يصدر أي نفي لتلك التقارير، وأن أي تدخل في الشئون الداخلية لإيران يناقض لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة الذي يتوجب الالتزام به، ويناقض أيضا المبادئ الأساسية للعلاقات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الموقعة في ١٩٧٢[٦٧]، وبناء على ذلك فقد شدد على ما يلي:

---

(66) تزامنت تلك الرسالة مع إعادة السوفييت لعدد من أسر جاليتهم الدبلوماسية السوفيتية في إيران دون إعلان سبب ذلك، انظر؛

_ **FCO 8/ 3196**, Tel From Moscow to FCO, London, Nov.18, 1978, "Iran: Soviet Comment".

(٦٧) جاء التوقيع على معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية الأولى في ٢٦ مايو ١٩٧٢، وتكونت من اتفاقين منفصلين؛ الأول: وهو المعاهدة الرسمية، نص على أن بمقدور الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي نشر الصواريخ العابرة للقارات في موقعين فقط، لا أكثر، والجزء الثاني: مثل اتفاقًا مؤقتًا بشأن الأسلحة النووية الهجومية، جمد الاتفاق العدد الذي يملكه الطرفان من الصواريخ البالستية العابرة للقارات والصواريخ البالستية التي تطلقها الغواصات، مع منح الاتحاد السوفييتي نسبة تفوق قدرها ٣ إلى ٢ في الأولى ونسبة تفوق ضئيلة في الثانية، وحافظت الولايات المتحدة على تفوقها الملحوظ في إجمالي عدد الرؤوس النووية القادرة على ضرب أهدافها؛ بامتلاكها ٥٧٠٠ رأس مقابل ٢٥٠٠ رأس للاتحاد السوفييتي، راجع؛

_ **روبرت جيه ماكمان:** الحرب الباردة، ترجمة محمد فتحي خضر، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤، ص ١٢٤.

أولا: يتوجب على كلا الجانبين أن (يفعل ما بوسعه لكي تختفي النزاعات والقضايا التي تساعد في زيادة التوتر الدولي، وأن يعمل على الترويج للمبادئ التي من خلالها ستعيش كل البلدان في أمن وسلام وأنها لن تكون خاضعة للتدخل الخارجي في شئونها الداخلية).

ثانيًا: رفض أي تدخل عسكري –بشكل خاص– في شئون بلاد تجاور مباشرة الاتحاد السوفيتي كإيران، وأن تدخل كهذا يؤثر على المصالح الأمنية السوفيتية.

ثالثًا: المطالبة بضرورة إصدار تصريحات واضحة من الجانب الأمريكي –والسوفيتي– تعلن رفض أي تدخل خارجي في الشئون الداخلية لإيران، لأن ذلك يخدم المصالح الأمريكية والسوفيتية معا، وأن الاتحاد السوفيتي سيعلن ضرورة امتناع كل الدول عن التدخل في تطورات الأحداث في إيران(٦٨).

وسريعًا قبل إعداد وإرسال الرد الأمريكي؛ التقى بريجنيف في ١٨ نوفمبر مع صحيفة برافدا وأعلن صراحة الموقف السوفيتي من التطورات الإيرانية(٦٩)، وأكد عدد من النقاط –كان قد أشار إلى معظمها في رسالته للرئيس كارتر – حيث أشار إلى وجود تقارير في الصحافة الغربية حول تدخل القوى الغربية وبشكل خاص الولايات المتحدة في الأحداث الإيرانية، وحول إمكانية

---

(68) **FRUS: 1977– 1980, VOL. VI**, D.158, Letter From Soviet General Secretary Brezhnev to President Carter, Nov. 17, 1978.

– راجع ملحق رقم (١)، جزء من رسالة من السكرتير العام السوفيتي بريجنيف إلى الرئيس كارتر ١٧ نوفمبر.

(69) وقد تزامن تصريح بريجنيف مع تقديم حكومة أزهري طلبا للبرلمان الإيراني للتصديق عليها بالثقة يوم ١٨ نوفمبر، ومع عودة فتح المدارس التي أغلقت بداية الشهر ذاته، كدليل على أن الحياة بدأت تعود لطبيعتها، مع أن الاشتباكات تجددت بين المتظاهرين والقوات الحكومية في المدن الإيرانية المقدسة في قُم ومشهد، انظر؛

_ ***The Jerusalem Post***, Nov.19, 1978, P.4," Iran Military Gov.'s gets Parliament Okay today".

التدخل العسكري؛ أكد أنه لا يستطيع أن يتغاضى عن تلك التقارير، متعجباً من أن الرئيس كارتر لم يستبعد امكانية تدخل عسكري في وجود "حجة ملائمة"، ثم أعلن –بريجنيف– من جديد أنه يقف بحزم ضد التدخل الخارجي في الشئون الداخلية لإيران، بأي شكل كان وتحت أي ذريعة، لأن تطور الأحداث في إيران هو مسألة داخلية، وأن أي تدخل –التدخل العسكري بشكل خاص– في شئون إيران جارة الاتحاد السوفيتي (سينظر إليه على انه تهديد يؤثر على أمن الاتحاد السوفيتي)[٧٠]، وقد اعتبر الإعلام السوفيتي ذلك التصريح دفاع عن سيادة إيران ضد أعدائها[٧١].

وكانت الولايات المتحدة قد علمت بلقاء بريجنيف مع برافدا مبكرا في ليل ١٨ نوفمبر، مما أدى إلى سلسلة غير عادية من الاجتماعات رفيعة المستوى في الحكومة الأمريكية ليلة ١٨ نوفمبر، وقد أكدت الدبلوماسية الأمريكية أن كارتر قد أخطأ فيما أعلنه في ١٣نوفمبر بأنه (ليس لديه دليل بأن السوفييت يثيرون المشاكل في إيران أو يحاولوا عرقلة الحكومة)، وأعلنت أن تحذير بريجنيف "غير مناسب إلى حد كبير" وأنه حاول احراج الولايات المتحدة، وقد أغضبها بشدة جملة بريجنيف (أن الرئيس كارتر مع أنه نفى محاولات التدخل في إيران إلا إنه لم يستبعد إمكانية تدخل كهذا في وجود "**حجة ملائمة**")، وتم إصدار مذكرة رسمية موجهة إلى الرئيس السوفيتي باسم وزير الخارجية الأمريكي بعد أن دارت المناقشات بينه وبين كارتر وإدارة الأمن القومي ووزارة الدفاع، وأكدوا جميعًا أن الولايات المتحدة لا تعتزم التدخل في الشئون الداخلية الإيرانية، ودعوا الاتحاد السوفيتي إلى الوفاء بوعده بعدم القيام بذلك أيضًا، ومع أن تبادل

---

(70) **FCO 8/ 3196**, Tel From Moscow to FCO, London No. 1198, Nov.19, 1978, "Iran"

– راجع ملحق رقم (٢)، رد ليونيد بريجنيف على سؤال مراسل برافدا ١٩نوفمبر ١٩٧٨.

(71) **Lenczowski, George**: The Soviet Union and the Persian Gulf: An Encircling Strategy, International Journal, Vol. 37, No. 2, (Spring, 1982), p. 326.

التصريحات بين القوتين الكبيرتين يبدو أمرًا طبيعيًّا؛ إلا إن السرعة التي ردت بها الحكومة الأمريكية على تصريح بريجنيف أشارت إلى حساسيتها من تلك السياسة السوفيتية تجاه إيران؛ البلد المحوري للغرب على الخليج العربي(٧٢).

وعلى الرغم من أن رسالة بريجنيف سبقت تصريحه الصحفي، إلا إن الزخم السياسي سواء في الاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة ركزت على التصريح، كما اختلفت الآراء حول الدوافع التي أدت بالسوفييت لتحذير الولايات المتحدة، وجاءت كالتالي:

أولاً:ـ رأى هنري برشت Henry Precht مدير مكتب إيران في وزارة الخارجية الأمريكية أن لادعاءات الصحافة الفرنسية أثرا في تغير المعالجة السوفيتية، حيث أشارت إلى أن "هناك تدخل أمريكي محتمل في إيران"(٧٣)، كما رأى برشت أن لمقابلة الرئيس كارتر الصحفية في ١٣ نوفمبر ١٩٧٨، أثرًا أيضا(٧٤).

ثانيًا:ـ وهناك من رأي أن تحذير بريجنيف جاء رداً على مناقشة حادة نشبت بين الحكومة السوفيتية وأعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي، في زيارة لهم لموسكو في ١٥نوفمبر، حول طائرات ميج٢٣ MIG.23 السوفيتية التي أمد بها حليفته كوبا آنذاك(٧٥)، مع أن مسألة إيران لم تناقش بأي شكل خلال الزيارة(٧٦).

---

(72) ***New York Times***; Nov 20, 1978, P.A1, "Carter Answers Soviet On Iran"

(73) **FCO 8/ 3196**, Telex From British Embassy, Washington to FCO, London SW1, Nov. 20, 1978, "Iran"

(74) Ibid, Enclose P.10., Telex From British Embassy, Washington to FCO, London SW1, Nov. 20, 1978, "Iran".

(٧٥) في ١٥ نوفمبر، حدث تسريب لمستند "غاية السرية" في هيئة الأركان الأمريكية كان عن طائرات الميج السوفيتية لكوبا، وتم تصوير المستند، وأخذت إحدى النسخ طريقها للإعلام، راجع؛

ـ **جيمي كارتر**: مرجع سابق، ص٣٤٩.

(76) ***New York Times***; Nov 20, 1978, P. A1, " Carter Answers Soviet On Iran"

ثالثًا:ـ ويمكن إرجاع التحول السوفيتي لشعورهم أن نوع من التدخل العسكري الأمريكي يمكنه توفير الحماية لعرش الشاه(٧٧)، حيث إن الاتحاد السوفيتي كان متلهفا لمنع تكرار تدخل وكالة الاستخبارات المركزية في إيران في ١٩٥٣ الذي أعاد الشاه إلى عرشه، بعد الانقلاب على حكومة محمد مصدق(٧٨)، فتوقع السوفييت أن أحداث ١٩٧٨ يمكن أن تعيد ما حدث في ١٩٥٣(٧٩)، كما أراد السوفييت أن يظهروا وأنهم قد منعوا هذا التدخل بتحذيرهم، لإيجاد نوع من الخوف والاستياء من الأمريكيين في إيران لإضعاف المواقع الأمريكية، وهو ما ظهر في الدعاية السوفيتية المهاجمة للولايات المتحدة والمتكررة بشكل يومي بعد التصريح(٨٠).

رابعًا:ـ وربما يعود التحول السوفيتي لقلقهم أن ينتج عن الثورة الإيرانية انفجار في المنطقة يجرها إلى أن تكون ساحة للنزاع مع الولايات المتحدة، وهو الأمر الذي لم تريده أى منهما؛ كما خشى السوفييت من أن ينتج عن سقوط الشاه سيطرة عسكرية في نظرهم ستزيد حتما التأثير الامريكي هناك، لاسيما وأن الشاه وعد في ١٩٦٢ بأنه لن يسمح لأي قذيفة أجنبية أن تطأ الأرض الإيرانية(٨١).

---

(77) **Zabih, Sepehr**: The Left in Contemporary Iran, Op. Cit. , P.19 .

(78) **Ehteshami, Anoushirvan, Manshour Varasteh** "Ed": Iran and the International Community, Routledge, New York, 2011, P.46.

(79) **Asinovsky, Dmitry**: The Soviet Union and the Iranian Revolution, Russia in Global Affairs, Vol. 16, No. 3, July – September, 2018, P.196.

(80) **Jimmy Carter**: Keeping Faith_ Memoirs of a President, Bantam Books, New York, 1982, P.440, and See;

_ **Yodfat, Aryeh**: The Soviet Union and Revolutionary Iran, Op. Cit., P.47.

(81) ***Los Angeles Times***, Nov. 30, 1978, P.7, " Iran is to Russia as Cuba is to U.S." .

خامسًا:ـ والبعض رأى أن تحذيرات بريجنيف إنما توضح رغبة السوفييت في الاشتراك في أي تسوية للأزمة الإيرانية، لشعورهم بالغبن لاستبعادهم من مساعي السلام في أزمة الشرق الأوسط، ليروا في الأزمة الإيرانية مخرج جديد للعودة إلى مكانتهم المفقودة في المنطقة(٨٢)، وأتى تأخر السوفييت في إعلان موقفهم لاحتمال بقاء الشاه نفسه بعد نهاية الأزمة(٨٣)، ولبقاء معاهدة ١٩٢١ بين السوفييت وبلاد فارس(٨٤) سارية المفعول طوال عهد الشاه(٨٥).

سادسًا:ـ أرجع السفير السوفيتي في إيران فلاديمير فينوجرادوف Vladimir Vinogradov(٨٦) توقيت التحذير إلى تصريح الحكومة الأمريكية بأن هناك خطط طوارئ

---

(٨٢) أما أطراف الأزمة الإيرانية فلم يؤيدوا أيضًا تصريح بريجنيف؛ حيث رأى الشاه أن تنازله عن العرش يعني أن مجموعات من "الشيوعيين سيحاولون الاستيلاء على إيران"، أما الخميني فقد هاجم – من منفاه في باريس– الاتحاد السوفيتي؛ وقال: (أنه يلعب دورا مريبا في السياسات الخاصة بالعالم الإسلامي)، انظر؛

_ **الأهرام:** ٢١ نوفمبر ١٩٧٨، عدد ٣٣٥٨٣، ص ص١، ٤ "السوفييت يحاولون العودة لمنطقة الشرق الأوسط عن طريق أزمة إيران"

(83) **FCO 8/ 3196**; Letter From British Embassy, Tehran to FCO, London, Dec.18, 1978, "Soviet Iran Relation".

(٨٤) راجع ملحق رقم (٣)، معاهدة الصداقة الموقعة بين إيران وروسيا في ١٩٢١، المواد ٥، ٦.

(85) **M.Walt, Stephen:** Revolution and War, Cornell University Press, London, 2013, P.222.

(٨٦) فيلاديمير ميخائيلوفيتش فينوجرادوف تم تعيينه سفيرا في إيران في ٢٩يناير ١٩٧٧، وكان قد عين في ١٩٧٠ سفيرا في القاهرة وبقى هناك حتى ١٩٧٤، ثم أصبح ممثلا للاتحاد السوفيتي في مؤتمر جينيف للسلام، راجع،

– **FCO 8/ 2984**; Letter from E A Henderson (Mrs) Soviet Section Research Department, to Mr. Bone (EESD), Feb.3, 1977, "New Soviet Ambassador"

للتدخل السريع إلى مياه الخليج العربي _وهي في الحقيقة أرسلت لساحل باكستان_[٨٧]، كما أن السوفييت تأكدوا من أن الأمور تسير ضد الشاه[٨٨].

سابعًا:_ رأى وزير الخارجية الأمريكي أن التحذير السوفيتي جاء للرد على الحملة الصحفية الأمريكية آنذاك عن الدور السوفيتي في كوبا، كما عكس رغبة سوفيتية بقطع التهم الموجهة لهم بالتدخل، للتأكيد على أن للاتحاد السوفيتي –مثل الولايات المتحدة– مصالحة الأمنية المشروعة على حدوده الجنوبية، ولم يكن لدى الخارجية الامريكية أي دليل على دعم السوفييت للمعارضة الدينية أو حتى دعم لحزب توده لإثارة المشاكل، ولم يكن متأكد من التقارير التي أشارت إلى تحركات للقوات السوفيتية على الحدود الإيرانية أو حتى تهريب أسلحة لإيران، وبدا أن السوفييت أمام أكثر من معضلة، حيث إن سقوط الشاه يُوجد فرص جديدة لتواجد سوفيتي في الخليج العربي، وفي الوقت نفسه لا يريدوا حالة من عدم الاستقرار على حدودهم الجنوبية خشية انتقال عدوى الثورة إلى المناطق السوفيتية المسلمة في وسط آسيا[٨٩].

وسريعًا في الساعة ١١ صباحا في ١٩ نوفمبر أصدرت الخارجية الأمريكية تصريحًا صحفيًّا ردت فيه على تحذير ليونيد بريجنيف؛ وأكدت فيه أن الولايات المتحدة لا تنوي التدخل في الشئون الداخلية لأي دولة أخرى والتقارير المخالفة لذلك لا أساس لها من الصحة، وأضافت

---

(87) **NARA**; Tel from Tehran to Sec State Wash DC Immediate 1784, Nov24.,1978, "Soviet Attitude toward Iran"

(88) Ibid; Tel from Ankara to Sec State Wash DC Immediate 4253, Dec.1,1978, "Soviet Intentions toward Iran, Turkish View".

(89) **DNSA collection:** Iran Revolution; Tel from . Department of State to ALL Near Eastern and South Asian Diplomatic Posts, Secret, Cable, Nov23.,1978, "Assessment of Soviet Posture and Intentions Regarding Situation in Iran"

أن (الاتحاد السوفيتي قال بالأمس أنه لن يتدخل في الشئون الداخلية لإيران، وأنه سيحترم سلامتها الإقليمية وسيادتها واستقلالها)[٩٠]، ومما زاد العلاقات توترًا أن الرئيس كارتر تأخر في إرسال رده الرسمي على رسالة بريجنيف[٩١]، ولم يرسله إلا في ٢١ نوفمبر مكررًا فيه تصريح وزارة الخارجية الأمريكية؛ ثم أخبره أنه علم بتصريحاته "لبرافدا"، مؤكدًا أن بعض النقاط في رسالته –أي بريجنيف– قد "أزعجته"، حيث قال: (بعض الجوانب في رسالتك أزعجتني؛ أنا على ثقة أنه لم يكن في نيتكم اقتراح أن التقارير الخاطئة التي أشرت إليها قد تستخدم لتبرير تدخل سوفيتى في الشئون الإيرانية، وأنا متأكد من أنك تقدر أن أي تدخل من هذا القبيل سيكون أمرًا بالغ الأهمية بالنسبة لنا)[٩٢]، وبذلك أجاب كارتر على التحذير السوفيتي بتحذير أمريكي مماثل، ويبدو أن الولايات المتحدة أزعجها تناول الخلاف –إن جاز تسميته– إعلاميًّا أكثر من أي شيء آخر؛ فإن كانت رسالة بريجنيف قد سبقت تصريحه الصحفي؛ إلا إن الرد الأمريكي جاء مخالفًا؛ فقد سبق التصريح الصحفي رد كارتر إلى بريجنيف.

وفي هذا الاتجاه أرسلت الخارجية الأمريكية لسفارتيها في طهران وموسكو في ٢١نوفمبر رسالة فيها الردود الواجبة حينما يجري التساؤل حول تحذير بريجنيف للولايات المتحدة؛ والتي يجب أن تتضمن التأكيد بأن كل سفارة أمريكية لها خطة طوارئ لحماية مواطنيها في حالة اندلاع اضطرابات جدّية في الخارج، وتوجد مثل هذه الخطة في طهران لكن لم يؤخذ أي

---

(90) Ibid: Iran Revolution ; United States, Department of State, Unclassified, Cable, November 19, 1978, "Press Statement by the Secretary".

(91) **NARA**; Tel from Sec State Wash DC To Moscow , Nov. 21,1978, "Brezhnev Letter on Iran".

(92) **FRUS: 1977– 1980, VOL. VI**, D.160, Backchannel Message From the President's Assistant for National Security Affairs (Brzezinski) to the Ambassador to the Soviet Union (Toon), Washington, Nov. 21, 1978.

خطوات لتطبيقها، وأنها –كما ذكر كارتر – ليس لديها نية للتدخّل لإبقاء الشاه في الحكم، بغض النظر على المصالح الأمريكية هناك – وكانت إيران قد وقعت اتفاقية دفاع مشترك مع الولايات المتحدة في مارس ١٩٥٩[٩٣]–، سواء السياسية أو الدفاعية أو الاقتصادية التي يجب أن تستمر، وعن التدخّل السوفيتي في إيران أمرت الخارجية الأمريكية بالتأكيد على ما أعلنه كارتر بشأن ذلك السؤال في١٣ نوفمبر بأنه لا يوجد دليل على ذلك، وأن أي حكومة مستقّرة هناك بغض النظر عن مسألة من يتزعمها تكون أمر ثمين للسوفييت، كما شددت الخارجية الأمريكية على سفارتيها بضرورة عدم التعليق على الاتصالات بين الرئيس كاتر والرئيس بريجنيف أو على توقيت تصريح بريجنيف[٩٤].

وسريعًا أعد مكتب الاستخبارات والبحوث بوزارة الخارجية الأمريكية تقريرًا بشأن الموقف والنوايا السوفيتية تجاه إيران، ورأى التقرير أن السوفييت سيستمرون في اللعب على المشاعر المعادية للأمريكيين في إيران، دون أن يقوموا بتدخل مباشر لما قد يكون لهذا التدخل من عواقب وخيمة[٩٥]، وهو ما اتفق مع تحليل الخارجية البريطانية، التي أكدت أن السوفييت يسيروا على قاعدة (ترقب وشاهد Wait and See)[٩٦]، لكنهم تمنوا لو أن السوفييت أداروا الأزمة

---

(93) **Malik, Hafeez** "Ed": Domestic Determinants of Soviet Foreign Policy Towards South Asia and The Middle East, Palgrave Macmillan, New York, 1990,P.227.

(94) **DNSA collection:** Iran Revolution; Tel from Department of State to Tehran, Limited Official Use, Cable, Nov22.,1978, "Brezhnev Letter"

(95) **NARA**; Tel from London to Sec State Wash DC2380, Nov28.,1978, "Assessment of Soviet Posture and Intentions Regarding Situation in Iran"

(96) **FCO 8/ 3196**; Letter from United States Mission to the North Atlantic Treaty Organization, (US NATO), Brussels, Nov24.,1978, "NATO Secret"

بأسلوب مغاير لسياسة الترقب[٩٧]، أي أنهم تمنوا لو أن السوفييت حاولوا التدخل المباشر الذي ربما كان سيمنح الولايات المتحدة مبرر لتدخلها العسكري ردًّا على السوفييت!، وفي الاتجاه نفسه أكد ليونيد بريجنيف أن الولايات المتحدة ستلجأ لكل الوسائل في دعمها للشاه حتى لا يصبح وحيدًا سياسيًّا؛ حتى وإن كانت فرص بقائه في الحكم غير واضحة[٩٨].

وفي ٢٧ نوفمبر أرسل كارتر مبعوثًا خاصًّا لإيران، طالب الاتحاد السوفيتي علانية بضرورة الابتعاد عن صراعات إيران الداخلية، وأكد أن الولايات المتحدة تنظر لأي تدخل في شئون إيران الداخلية بقلق عظيم، وأضاف؛ (الاتحاد السوفيتي أعلن أنه لن يتدخل في شئون إيران، نتوقع من الاتحاد السوفيتي أن يطبق بشرف هذا الالتزام)[٩٩]، ثم أرسل كارتر مبعوثًا جديدًا إلى إيران للتحقيق في أوضاعها، وقد وضع تقريره في ٣٠ نوفمبر ناصحا بانتقال سلمي للسلطة[١٠٠].

وطوال الأسبوع الأخير من نوفمبر تم تكرار النقاط التي أشار إليها تصريح بريجنيف بانتظام في الإعلام السوفيتي الحكومي، وخاصة الحديث عن الخطط الأمريكية للتدخل في إيران، وأن ذلك يؤثر على المصالح الأمنية للاتحاد السوفيتي، وأضافت "برافدا" بأن (الاتحاد السوفيتي لا يمكن أن يشاهد حدوث ذلك بغير رد فعل)، وفي المقابل تجاهلت الدعاية السوفيتية

---

(97) Ibid, Letter from FCO London to British Embassy, Tehran, Nov28, 1978,"Russia and Iran: A US View".

(98) **Wilson Center; Digital Archive**, Meeting of the Political Consultative Committee of the Warsaw Treaty Member Countries, Moscow, Nov.22,1978.

(99) ***Los Angeles Times***, Nov. 28, 1978, P.10, "Stay Out of Internal Affairs of Iran, Senator warns Soviets" .

(١٠٠) **نعمة حسن محمد:** أزمة الرهائن الأمريكيين في إيران (٤نوفمبر ٢٠ – ١٩٧٩ يناير ١٩٨١)، مجلة بحوث الشرق الأوسط في العلوم الانسانية والدراسات الأدبية، عدد ٤٤، ٢٠١٨، ص٢٨٨.

أي انتقاد للشاه أو لحكومته العسكرية، وعلى الرغم من أن السوفييت أبقوا خياراتهم مفتوحة إلا إنهم أصبحوا مقتنعين أنه إن لم تتدخل الولايات المتحدة، فإن الشاه سيسقط، وحذروا من أن استيلاء الجيش على السلطة يمكنه أن يضع القوى الكبرى في مواجهة صدامية(١٠١)، وانطلاقًا من ذلك قامت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بإعداد تقرير وضح فيه ازدياد كبير المواد الإعلامية السوفيتية التي هاجمت أجهزة المخابرات الأمريكية خلال شهر نوفمبر ١٩٧٨ وصلت إلى ٩٨ مادة إعلامية، مقابل ٨٣ مادة إعلامية فقط في أكتوبر ١٩٧٨؛ بسبب الحملة السوفيتية عن التغلغل الأمريكي في كل مستويات الجيش والإدارة والمؤسسات الإيرانية وعن التدخل في الشئون الداخلية لإيران(١٠٢).

– مظاهرات شهر ديسمبر في إيران وأثرها في العلاقات الأمريكية السوفيتية:

توقع مجلس الأمن القومي الأمريكي أن يكون شهر ديسمبر هو ذروة الاضطرابات في إيران لتزامنه مع شهر "محرم" المقدس عند الشيعة، وبناء على ذلك سيتحدد إذا كان الشاه سيبقى أم يرحل!(١٠٣)، وبالفعل من مساء١ ديسمبر ١٩٧٨ ولمدة أسبوع انفجرت مظاهرات جديدة في المدن الإيرانية، كما تحركت حشود المتظاهرين نحو السفارة الأمريكية بوصفها حليف الشاه الرئيسى(١٠٤)، وجاء ذلك مع نشر تقارير أشارت إلى أن الخميني قد تلقى معونة مالية من

---

(101) **FCO 8/ 3196**, Tell No. 1243 from Moscow to FCO London, Nov.29,1978, "Iran"

(102) **CIA**, Operational Briefs from Overt Soviet Publications November, Dec. 28, 1978.

(103) **DNSA collection:** Iran Revolution; United States, Central Intelligence Agency, [Classification Excised], Alert Memorandum, Nov. 29, 1978, " Iran –– Prospects for Moharram"

(104) ***The Washington Post***, Dec.3, 1978, P.1, "Iran Erupts in violence For 2d Night".

الاتحاد السوفيتي وحلفائه، وهو ما نفته الإدارات الأمريكية نفسها، التي رأت أن الخميني كان لديه ما يكفي من المؤيدين الإيرانيين في إيران وخارجها لدعم التظاهرات(١٠٥).

ما دفع السفير السوفيتي في واشنطن أناتولي دوبرينين Anatoly F. Dobrynin أن يقدم تطمينات للخارجية الأمريكية بأن بلاده ليس لديها أي اهتمام في "استبدال الشاه بالفوضى"، وهو ما كانت الخارجية الأمريكية نفسها لديها قابلية لتصديقه؛ إذ قالت: (إن السوفييت ليسوا أقوياء في إيران بما فيه الكفاية لكي يكونوا متأكدين من أن نظام موالي لموسكو سيظهر في إيران)(١٠٦)، لكن في نفس التوقيت ولأول مرة –تبعا لوثيقة أمريكية– بدأ السوفييت يشيرون صراحة إلى أن معاهدة ١٩٢١ بين روسيا وبلاد فارس لا زالت سارية المفعول وتسمح بنودها بإرسال قوات سوفيتية إلى إيران إذا هددت الولايات المتحدة استقلال إيران والمصالح السوفيتية فيها(١٠٧)، كما اعتبرت الولايات المتحدة أن توقيع الاتحاد السوفيتي معاهدة صداقة مع أفغانستان في بداية ديسمبر ١٩٧٨ هو دليل على قلق السوفييت من تدخلها في إيران(١٠٨)، لاسيما وأن البيان السوفيتي الأفغاني تضمن تكرار التحذير السوفيتي السابق من التدخل في إيران(١٠٩)، كما بدأ الحذر السوفيتي تجاه المشاركة في الأزمة في التغير حيث بدا أن مواطنين سوفييت قد شاركوا في المظاهرات الإيرانية، وهم بشكل خاص من التقنيين السوفييت العاملين في إيران آنذاك(١١٠).

---

(105) ***New York Times***; Dec.4, 1978, P. A1, " Tehran is Calmer but shoot into crowds Again"

(106) Ibid; Dec.8, 1978, P. A3, " Iranian Unrest: whose Influence at work?".

(107) **NARA**; Tel from Consul Leningrad to Sec State Wash DC 4847, Dec. 5, 1978, "Leningrad Lecture Coverage of Iran".

(108) ***The Washington Post***; Dec.6, 1978, "Soviet Sign Treaty with Afghanistan".

(109) **NARA**; Tel from Moscow to Sec State Wash DC Priority0358, Dec.14, 1978, "Iranian Diplomats in Moscow Discuss Iranian".

(110) **FCO 8/ 3196**, the attached is an Extract from a Record of a Quadripartite Meeting of Foreign Ministers in Brussels, Dec.13,1978.

كما لوحظ تغير كبير في السياسية السوفيتية في مقال لأحد مستشاري بريجنيف، أغضب الإدارة الأمريكية، حيث أشار إلى (دور الولايات المتحدة باعتبارها راعية للنظام الإيراني)، وتم التناول بطريقة توحي بأن المصالح الأمريكية تتعارض مع مصالح الشعب الإيراني، كما أشار إلى أنه لم توجد إيران للإيرانيين وإنما إيران للأمريكيين، وأكد أن الولايات المتحدة كانت تود التدخل في إيران لكن الوقت المناسب لذلك قد انقضى –وجاء ذلك في الوقت الذي أكد فيه بريجنيف في لقائه مع برافدا أن ما يمنع الولايات المتحدة من التدخل في إيران هو الخوف من أن يتفاقم الوضع ويخرج عن السيطرة الأمريكية(١١١).

ورغم هذا التقى وفد أمريكي مع مسئولين بالخارجية السوفيتية في ٦ ديسمبر وتم تناول الوضع في إيران؛ وقد أوضحوا أن الدولتين ليس لديهما النية للتدخل في إيران، وأنه ليس من مصلحة أحد أن تدخل إيران في مرحلة من الفوضى، وأكد كل جانب شعوره بالقلق إزاء النوايا والتحركات المحتملة للجانب الآخر، وأشار الجانب السوفيتي إلى رغبته في عدم تدخل الولايات المتحدة في إيران؛ لأن تدخلها (من شأنه أن يثير تساؤلات خاصة بالأمن السوفيتي)، وأدانوا الدعم الأمريكي المعلن للشاه، وأن الاتحاد السوفيتي على الرغم من علاقاته الجيدة مع الشاه وإيران!؛ إلا إنه امتنع عن إعلان دعم أي من الشاه أو المعارضة، وأن الاتحاد السوفيتي رأى أن إصدار التصريحات سواء مع أو ضد هو تدخل في الشئون الداخلية الإيرانية، كما تعرضت سفارتهم –السوفيتية– في إيران لانتقادات من المتظاهرين لعدم التحدث علانية ضد الشاه، وبرر الجانب الأمريكي القيام بذلك حتى لا يتم اعتبار صمتهم تأييدًا للمعارضة(١١٢).

---

(111) Ibid, Tel No.1279 from Moscow to FCO. London, Dec.7,1978, "Iran".

(112) **NARA**; Tel from Moscow to Sec State Wash DC Immediate, Dec. 7, 1978, "Soviet Deputy Foreign Ministry on Iran".

وفي إطار تدهور الوضع الأمريكي في إيران تم ترحيل ٩٨٣ من موظفي وزارة الدفاع الأمريكية(١١٣)، حيث أرسلت الوزارة خمس طائرات لنقلهم(١١٤)، ليسارع الإعلام السوفيتي سارع باستغلال الموقف وإعطاء انطباع بأنه تسيطر على إيران حالة من العنف والفوضى الكبيرة، خاصةً في قطاع الصناعة الإيراني بموظفيه الأمريكيين(١١٥)، كما بدأ قلق وزارة الدفاع الأمريكية يتزايد بشأن "أمن" الأسلحة الأمريكية المتقدمة التي تم بيعها لإيران، لإمكانية أن يحصل عملاء سوفييت على المعلومات السرية عن أنظمة تلك الأسلحة، أو حتى يستولوا على البعض منها إذا استمر الوضع الإيراني في التدهور، وبدأ تفكير الولايات المتحدة جديًّا في استخدام "خطة طوارئ" تسمح بإخلاء تلك الأسلحة الحساسة في "أسوأ حالة محتملة"، وتم اعتبار أسوأ حالة هي سيطرة حكومة إيرانية لديها ولاء سوفيتي(١١٦).

وفي تأكيد لسير العلاقات الأمريكية السوفيتية في اتجاه تصعيدي، أعلن كارتر في ١٢ديسمبر بأن (إدارته لن تسمح للآخرين بالتدخل في الشئون الإيرانية)، وجاء ذلك إبان إعداد

---

(١١٣) وعلى الجهة الأخرى لم يعلن السوفييت أن طائرة سوفيتية قد أخلت٥٠ من الخبراء السوفييت وعوائلهم من مدينة عبادان الإيرانية النفطية، حيث كانوا يعملون في محطة نفطية بعد إضراب عمالها، فقد كان في إيران مع بدء الأزمة قرابة ٤,٠٠٠ خبير سوفيتي، منهم ١,٠٠٠ سوفيتي بنوا مصنع للفولاذ في أصفهان، بالإضافة إلى قرابة ١٢٥ دبلوماسي سوفيتي في سفارتهم في طهران وثلاث قنصليات، انظر؛

_ ***New York Times***, Dec.28, 1978, P. A13, " West Is Fearful Of Soviet Gains In Iran's Crisis".

(114) ***The Washington Post***, Dec.10, 1978, P.A.1, " 1.5 Million Holy Day Protests Expected; Tehran is Quiet as Iran Await Sunday Demonstration".

(115) **FCO 8/ 3196**, Tell No.1303 from Moscow to FCO. London, Dec.14,1978, "Iran".

(116) ***New York Times***, Dec.12, 1978, P.A11, "West Is Now Uneasy About Arms In Iran".

مجلس الأمن القومي الأمريكي تقريرا عن خيارات السياسة الامريكية في إيران، وفي الوقت نفسه، قام مستشار الأمن القومي زبينيجيو بريجينسكي Brzezinski Zbigniew [١١٧] بالاتصال بسفير إيران في الولايات المتحدة وأكد له الدعم الأمريكي الكامل للنظام الإيراني في أزمته[١١٨]، كما كرر كارتر تحذيره للسوفييت قائلا: (نحن ليس لدينا نية للسماح الآخرين بالتدخل في الشئون الإيرانية الداخلية)، وصرح لأول مرة بأنه (تبادل رسائل خاصة مع الرئيس السوفيتي جعلت الموقف الأمريكي واضحًا بشأن إيران)[١١٩].

ويبدو أن التصعيد الأمريكي راجعٌ إلى تسلل عدد من تقنيي الطائرات إلى القاعدة الإيرانية الرئيسة في تبريز شمال غرب إيران قرب الحدود السوفيتية في ٨ ديسمبر، وخربوا عدة طائرات نفاثة أمريكية الصنع، وكانت الاستخبارات الأمريكية قد ألقت بالمسئولية على مجندي القوة الجوية الإيرانية، إلا إن نظام الطائرات الإلكتروني المعقد –المتطور– جعلهم يتوقعون أن واحدًا أو مجموعة من اختصاصي الطائرات السوفييت تعاونوا مع أحد الأشخاص داخل القاعدة، لتحريض القوة الجوية الإيرانية على الثورة، ومما زاد الأمر اشتعالا في ١٠ ديسمبر اخترقت مقاتلات Mig–10 النفاثة السوفيتية الحدود الإيرانية لأكثر من ٦٢٠ ميل داخل إيران، وتكرر الأمر في اليوم التالي، إلا إن الشاه أمر بعدم القيام بأي رد عسكري، وعدم نشر الخبر

---

(١١٧) دكتور بريجنيسكي سياسي وأكاديمي أمريكي، كان مستشارًا لمجلس الأمن القومي الامريكي فترة جيمي كارتر ١٩٧٧– ١٩٨١، وكان معارضًا قويًّا للشيوعية، وكان متشددًا تجاه السياسة السوفيتية في الشرق الاوسط عن سايروس فانس؛ للمزيد راجع؛

_ **Robert Anthony Waters Jr**.; Op. Cit., P.41.

(118) ***The Washington Post***, Dec.13, 1978, P.A.1, "Carter warns Soviets on Iran".

(119) **DNSA collection**: Iran Revolution; Non–Classified, Interview. December 14, 1978, United States Warning to the Soviet Union Not to Interfere in Iran [Interview with Barbara Walters].

حتى لا يحفز ضده الفئات المعارضة، كما تخوف من خلق أزمة دبلوماسية؛ لأن تلك الحادثة كان من الممكن أن تؤدي إلى مجابهة فعلية بين القوتين الكبيرتين بعد تحذيراتهما المتبادلة في نوفمبر ١٩٧٨[١٢٠].

واستمرارًا في التصعيد، قام مسؤولون سوفييت بتحذير السفارة الأمريكية في موسكو أن أي تصعيد من الولايات المتحدة في إيران سيدفع الاتحاد السوفيتي للتدخل هو الآخر، مما سيضر بالعلاقات المشتركة[١٢١]، وقد جعلت تلك التطورات من الصعب إعطاء تقييم نهائي للسياسات السوفيتية لاسيما وأن رد الفعل السوفيتي أصبح في حالة تغير مستمر[١٢٢]، إلا إن نيويورك تايمز حاولت طمأنة السوفييت، وأكدت أن الولايات المتحدة أقل قابلية للتدخل المباشر في الأزمات الخارجية في عام ١٩٧٨، وفي الوقت نفسه أكدت أن السوفييت هم من كانوا أكثر قابلية للتدخل في إيران، ومنعهم الخوف من أن يؤدي ذلك إلى إجبار الولايات المتحدة على تحرك مقابل[١٢٣].

وفي الإطار نفسه، خرج رئيس قسم المعلومات الدولية باللجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي ليونيد زامياتين Leonid Zamyatin في ١٦ ديسمبر وأكد صراحة إلى أن الولايات المتحدة كانت خلف الأحداث في إيران، وأنها قامت بتشجيع المعارضة في بداية

---

(120) ***Los Angeles Times***, Dec.24, 1978, P.6, "Soviet Military Provocation of Iran in Over flights, Sabotage of Jets Reported" .

(121) **NARA**; Tel from Moscow to Sec State Wash DC Immediate0578, Dec.20, 1978, "Soviet Middle east Specialists on Station in Iran".

(122) **FCO 8/ 3196**, Letter from British Embassy, Moscow to FCO. London, Dec.13,1978, "Soviet/ Iranian Relation".

(123) ***New York Times***; Dec.17, 1978, P. E3, " For the Shah, Mixed Echoes of 1953 Revolt Sound in 1978".

الأحداث، وسعت لتحقيق معالجة تتماشى مع أهداف رجال الدين، واستعمال الوضع لأهدافهم الخاصة، وأضاف (أن الولايات المتحدة قررت تذكير الشاه بما يحدث في بلاده، وسمحت بنمو تلك المعارضة، اعتقدت أن هذا لا يتلف نظام الشاه بل يجعله أكثر طاعة)، كما أكد زامياتين أن تطور الاحداث لم يكن كما توقعت الولايات المتحدة، حيث فقدت السيطرة على الوضع، وأصبح هدفها الوصول لاتفاق مع من سيحكم إيران، واختتم المسئول السوفيتي تصريحه بالسؤال عن (ما الذي سيجعل إيران تبقى للولايات المتحدة؟!)[١٢٤].

وبحلول الثلث الأخير من ديسمبر سعت الاستخبارات الأمريكية إلى نفي تهم التقصير عنها، حيث أكدت أن عملاء الوكالة في إيران قد أمروا بالتركيز فقط على الحصول على معلومات حول النشاط السوفيتي هناك[١٢٥]، كما أرجعت الخارجية الأمريكية الافتقار الى المعلومات إلى اتساع السخط في إيران بشكل سريع جدًّا في نوفمبر ١٩٧٨ مع تشكيل الحكومة العسكرية، وألقوا باللوم على مستشار الأمن القومي بريجينسكي الذي رفض التعامل مع تحليلات وزارة الخارجية الأمريكية التي أشارت إلى أن الشاه كان يواجه مشاكل متنامية بسبب برنامج شراء الأسلحة الأمريكية، وزيادة في حالة التخبط الأمريكي؛ أعرب مسئولون في الخارجية الامريكية عن استيائهم من دعم الرئيس كارتر العلني للشاه، وتجاهله لاحتمالات سقوطه القوية، وأن مجلس الأمن القومي ووزارة الدفاع قد

---

(124) **Yodfat, Aryeh**: The Soviet Union and Revolutionary Iran, Op. Cit., P.49.

(١٢٥) لوقت طويل، اقتصرت CIA في علاقاتها بمعارضي الشاه على الحد الأدنى وذلك لسببين: الأول هو أنها جعلت هدفها الرئيس مقتصرًا على معرفة نشاطات السوفييت في المنطقة، وكانت CIA، تعمل مباشرة في إيران بفضل جهاز التنصت الإلكتروني الذي نشر على طول الحدود الإيرانية السوفيتية، يسمح للأمريكيين بالتقاط الاتصالات التي تقوم بها شبكة الدفاع السوفيتية ومراقبة قواعد إطلاق الصواريخ والقاذفات الصاروخية المنتشرة في الجمهوريات الجنوبية للاتحاد السوفيتي، راجع؛

_ إحسان نراغي: من بلاط الشاه إلى سجون الثورة، ترجمة: ماري طوق، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٣،ص١٤١.

تجاهلا دراسة استخباراتية أمريكية حول تأثير زيادة الأسلحة الأمريكية على استقرار المنطقة، وقدرة الجيش الإيراني على استيعاب أنظمة تلك الأسلحة واستخدامها، وأخيرا الضغوط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الناتجة عن عمليات الشراء تلك(١٢٦).

وعلى نفس النهج السوفيتي أكد الإعلام الرسمي السوفيتي في ٢٨ديسمبر أن المظاهرات "لا تعادي الحكومة الإيرانية فقط، بل معادية للأمريكان"(١٢٧)، وأشار إلى وصول (مجموعة خاصة) من قرابة ٦٠ مسئول من وكالة الاستخبارات والخارجية الأمريكية ووكالات أخرى من السياسيين والخبراء، ثم أكدت "برافدا" إلى أن هذه المجموعة ذهبت لإيران لدراسة عاجلة للأوضاع، وأن هدفها العمل على إبقاء قوة الشاه، واختيار الأعضاء المحتملين في الحكومة الإيرانية الجديدة، الذين يمكن من خلالهم الحفاظ على المصالح الأمريكية في استثمارات النفط والاحتكارات العسكرية الأمريكية، وأنها مجموعة ضد مصالح الشعب الإيراني، كما أنها تعرض سيادة واستقلال إيران للخطر، وبناء عليه أعلنت "برافدا"؛ (أن الاتحاد السوفيتي يعارض بقوة التدخل الخارجي في الشئون الإيرانية الداخلية من قبل أي طرف، وفي أي صورة، وتحت أي ذريعة، كما كان قد أعلن بشكل رسمي وحاسم، لأن تلك الخطوة محظورة وتنافي المعايير القانونية الدولية، وضد المصارحة التي طالب بها بريجنيف في تحذيره للولايات المتحدة، لأن الأحداث في إيران مسألة داخلية يجب حلها من الإيرانيين أنفسهم)(١٢٨).

---

(126) **CIA**; Article Appeared, on Day, "Brzezinski Is Said to Have Rejected Warnings About Problems in Iran"

_ ***New York Times***; Dec 21, 1978, P.A1, "Brzezinski Is Said to Have….".

(127) ***The Washington Post***; Dec. 29, 1978, P.A1, " U.S., Soviets Exchange Charges on Iran Roles".

(128) **FCO 8/ 3196**, Tel No 1327 from Moscow to FCO, London, Dec. 28, 1978, "Iran"

وكان من الطبيعي أن تحدث اتهامات الصحيفة السوفيتية أزمة في العلاقات الأمريكية السوفيتية، حيث خرج الناطق باسم الخارجية الأمريكية وأعلن إنكار الرئيس كارتر التهم السوفيتية تمامًا، وقال: (إن اتهامات برافدا خاطئة، نحن نجد تقارير خاطئة تصدر من الاتحاد السوفيتي، وهي غير مساعدة، وتأتي في وقت تكون فيه الحاجة لتهدئة العواطف وليس لإثارتها)، كما اعتبرت الخارجية الأمريكية اتهامات برافدا شكل من أشكال التدخل السوفيتي في الثورة الإيرانية، وأن التدخل أو التأثير يمكن أن يكون تحريضي كما فعلت "برافدا"(١٢٩).

وهو نفسه ما أكدته السفارة الأمريكية في موسكو، وأعلنت أنه بناء على تعليمات وصلتها من الخارجية الأمريكية في ٢٩ديسمبر، قدمت "احتجاج رسمي" بشكل شفوي لوزارة الخارجية السوفيتية، وتقدمت بشكوى مماثلة لمحرري "برافدا"، ومع ذلك استمرت الصحيفة السوفيتية في نهجها وأكدت أن الولايات المتحدة قررت إرسال خمسة موظفين إضافيين إلى السفارة الأمريكية في طهران، وقد ربطت الدبلوماسية الأمريكية بين ما جاء في الصحيفة السوفيتية وبين حادث الاختراق السوفيتي لإيران، وتخفيفا لحدة الأزمة طمأنت الخارجية الامريكية نظيرتها السوفيتية بأن الولايات المتحدة ليس لديها نية للتدخل لإبقاء الشاه في الحكم، وقد جاء ذلك بعد أن نصح دبلوماسيون سوفييت نظراءهم الأمريكيين بأن يتفاوضوا بحذر مع موسكو إذا ما رغبوا في إرسال حاملة طائرات عسكرية أمريكية إلى الخليج لتفادي مواجهة القوتين الكبيرتين(١٣٠).

وقد جاء تبادل التهم بين القوتين الكبيرتين مع تزايد قلق صناع السياسة الأمريكية حول اقتراب لحظة رحيل الشاه، حيث أعدت الإدارات الأمريكية نفسها لنتائج (أسوأ الأحول) في

---

(129) ***Hartford Courant***, Dec. 29, 1978, P.1, "U.S., Soviets Exchange Charges on Iran Strife"

(130) ***The Washington Post***, Dec. 30, 1978, P.A8, " U.S. to Formally Protest Soviet Comments on Iran".

إيران، ومن ضمنها خطة طوارئ لإخلاء الجالية الأمريكية في إيران بالكامل، ونقل أو تدمير الطائرات الحربية[١٣١]، وأجهزة عسكرية أخرى، إلا إن إنكار مسئولى وزارة الخارجية الأمريكية لتلك الخطط يرجع إلى أنها جاءت بشكل مفاجئ، لكن بعد التصعيد السوفيتي ضد الولايات المتحدة بدأت لجنة عمل من مجلس الأمن القومي والخارجية الأمريكية للبحث في معالجة الوضع[١٣٢]، وبحثوا إمكانية إرسال "لجنة عمل من القوة البحرية الأمريكية" إلى إيران، أو أرسال حاملة طائرات أمريكية إلى الخليج، لتأكيد تحذير الرئيس كارتر ضد أي تدخل من الاتحاد السوفيتي في المشاكل الإيرانية، مع عدم صدور قرار بذلك[١٣٣]، فقد جعلت الأزمة المنطقة بالنسبة للولايات المتحدة؛ (المنطقة الملتهبة والأكثر خطورة لعام ١٩٧٩) وأنها قد تقود لمجابهة مباشرة مع السوفييت[١٣٤].

وقد ردت "برافدا" بأن مثل الخطة الأمريكية بإرسال سفنها البحرية تشبه ما يمكن تسميته "دبلوماسية القارب المسلح"، وحذرت من أن إرسال لجنة العمل الأمريكية تلك تعد من الوسائل

---

(١٣١) ومع مغادرة الشاه بدأت الولايات المتحدة تقلق على مصير طائراتها الثمانين من طراز (اف- ١٤ توم كات) التي باعتها لإيران منذ عام ١٩٧٤ والأعوام التالية له، وقد أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية في ١٦ يناير أن تلك الطائرات وصواريخها المتقدمة في مأمن، وتم نقل طائرات إف-١٤ إلى منطقة الظهران بالمملكة السعودية، راجع؛

_ **محمود عزمي:** النتائج الاستراتيجية للثورة الإيرانية، شؤون فلسطينية، عدد ٨٩، أبريل ١٩٧٩،ص١٧٥.

(132) ***The Washington Post***, Dec. 29, 1978, P.A1, " U.S., Soviets Exchange Charges on Iran Roles".

(133) ***New York Times***, Jan.2, 1979, P. A3, "Soviet Seems to Favor a Hands-Off Policy on Iran's Crisis".

(134) ***Hartford Courant***, Dec. 30, 1978, P.11, "Soviets Watching Iran Scene Warily"

الاستفزازية بشكل واضح للاتحاد السوفيتي، وأكدت الصحيفة السوفيتية الحكومية الأخرى "ازفستيا" أن الولايات المتحدة تبحث عن سُبل لتبرير قيامها بتدخل عسكري في إيران، وأن بقاء موظفيها في إيران هو للحفاظ على مصالحهم "الجشعة"(١٣٥).

ومع تصاعد الخلاف؛ ذهب السكرتير الثالث في السفارة السوفيتية في واشنطن ماجومد عثمانوفMagomed M. Osmanov إلى وزارة الخارجية الأمريكية وطلب مناقشة الوضع الإيراني، وأوضح أن كل ما يهم بلاده هو هدوء واستقرار إيران، إلا إنه أكد أن تعليقات الإعلام السوفيتي كانت شديدة الواقعية؛ لأن معظمها جاءت في صحيفة موثوقة مثل "برافدا"، وعرض في المقابل تعليقات صحفية أمريكية حول تحركات للسفن الأمريكية بالقرب من الخليج العربي، ونفى أن يكون قد تم أي اختراق من طيران بلاده للحدود الإيرانية، مستشهدًا بتصريح بريجنيف في نوفمبر حول التدخل الأمريكي، وأكد أن بريجنيف لم يكن ليصرح بالتدخل الخارجي في البيان دون وجود دلائل عقلانية، ولم يخف عثمانوف الرغبة السوفيتية في أن يكون لهم "نصيب من النفوذ" لدى أي نظام جديد بعد تأكد سقوط الشاه، إلا إن الجانب الأمريكي أجابه بانه كان يجب على السوفييت أن يتحدثوا بشكل مباشر مع الحكومة الأمريكية ليتأكدوا من الوقائع بدلا من اللجوء للتصريحات الإعلامية(١٣٦).

إلا إن الدعاية السوفيتية استمرت، حيث أعلنت في ٣٠ ديسمبر أن بلادها ترحب بالكفاح الإيراني ضد "النظام الإمبريالي وأن الاتحاد السوفيتي سيكون مخلص لواجباته الدولية"، في إشارة إلى أن على السوفييت التزام تجاه إيران(١٣٧)، وعبر السوفييت عن قلقهم من دعم الولايات المتحدة للأنظمة "القمعية" حول العالم، وممارستها "لتأثيرها" في تطور الأوضاع السياسية في إيران، وشككت

---

(135) **FCO 8/ 3371**; Tel No.16, from Moscow to FCO. London, Jan.5, 1979, "Iran".

(136) **NARA**; Tel from Sec State Wash DC to Tehran Priority, Dec. 31, 1978, "Discussion with Soviet Official on Iran".

(137) **Lenczowski, George**: Op. Cit., p. 325.

حول صدق التصريحات الرسمية الأمريكية[١٣٨]، وقد عزز تلك الدعاية السوفيتية بأن أكدت الولايات المتحدة ترددها بين ثلاثة خيارات لإرسال القوة لإيران، الأولى إرسال قوة بحرية للخليج العربي، والثانية إرسال قوات برية لإيران، والثالثة إرسال قوة قاذفات للقنابل لإيران، لضمان سلامة مواطنيها، وأن ما يعيق تنفيذ أي من تلك الخيارات هو الخوف من رد الفعل السوفيتي، مع احتمالية أن يلتقي الوجود العسكري الأمريكي بنظيره السوفيتي في المناطق المتاخمة لإيران، أو على الاقل يحفزهم ذلك الإجراء لتزويد الدعاية المعادية للولايات المتحدة في المنطقة[١٣٩].

وفي السياق نفسه، دعت السفارة الأمريكية في موسكو نائب رئيس إدارة بلدان الشرق الأوسط في الخارجية السوفيتية "سبيتسكي I. S. Spitskiy" وأكدت له أن ما تناوله الإعلام السوفيتي، خاصة ما تنشره "برافدا" سيكون له تأثيره على العلاقات الأمريكية السوفيتية، إلا إن المسئول السوفيتي اعتبر أن "برافدا" عكست قلقها المشروع للشعب السوفيتي، مثلما اعتبر الادعاء بأن "يد موسكو" خلف الأحداث الإيرانية هو ادعاء "مضحك"، كما هاجم بشدة حجم مبيعات الأسلحة الأمريكية للشاه وإلى الأرباح الضخمة التي تمتعت بها الولايات المتحدة جراء ذلك، وأن من الأفضل أن لا يحدث تدخل في الأحداث الإيرانية؛ لأن لكل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة مصالحها الخاصة هناك[١٤٠].

وفي تجاهل تام لشكوى الخارجية الأمريكية لنظيرتها السوفيتية من الدعاية المناهضة لها، أعلنت "إزفستيا" من جديد بأن الولايات المتحدة هي الداعم الخارجي الرئيسى لنظام الشاه،

---

(138) **NARA**; Tel from Moscow to Sec State Wash DC Immediate0912, Dec. 30, 1978, "Soviet Media on U.S. Interferences in Iran".

(139) ***New York Times***; Dec.30, 1978, P.5, "Difficult Military Decisions Faced by U.S. in Iran Crisis".

(140) **NARA**; Tel from Moscow to Sec State Wash DC Immediate1041, Jan. 3, 1979, "Embassy Complaint to MFA and Pravda about Soviet Media Treatment of U.S. Policy toward Iran".

واستنكرت ما اسمته "التظاهر بالقوة الموجهة ضد الشعب الإيراني" عن طريق الإعلان عن إرسال قوة البحرية الأمريكية نحو الخليج العربي، وأظهرت قلق الحكومة السوفيتية الشديد من امكانية استعمال القوة العسكرية الأمريكية لتعزيز حكومة الشاه، على الرغم من أن وعود كارتر جاءت عكس ذلك، إلا إن واشنطن اعتبرت أن إيران هي ساحلها الرئيسى على كامل المنطقة المنتجة للنفط، وشاركت وكالة الأنباء السوفيتية في تلك الحملة، حيث أعلنت أن الولايات المتحدة أجبرت الشاه على الانفاق العسكري والتخلي عن الإنفاق الاجتماعي لتحسين أوضاع شعبه، وقد اعتبر البعض لجوء الحكومة السوفيتية إلى الدعاية المعادية للولايات المتحدة في إعلامها الرسمي لرغبتها في إظهار عدم تأييدها للشاه(١٤١).

كما ركزت تلك الحملة الدعائية على تصريح لمستشار الأمن القومي الأمريكي بريجينسكي؛ أشار فيه إلى أن النفوذ السوفيتي عمل على ترويج الاضطراب الاجتماعي والسياسي في المنطقة التي أسماها؛ (قوس عدم الاستقرار) (١٤٢) في إشارة لإيران، وقد ردت عليه "إزفستيا" بأنه (بعد سنوات من استغلال الاستعمار الأمريكي، الشعب الإيراني أصبح لديه إمكانية أن يكون سيدًا في وطنه) في نفي للاقتراح الأمريكي بوجود أزمة في تلك المنطقة، وبل استعملت نفس الصحيفة السوفيتية جملة (قوس عدم الاستقرار) للإشارة إلى مصر وإسرائيل

---

(141) ***The Washington Post***, Jan. 5, 1979, P.A17, "Soviets Spurn U.S. Protest, Again Attack Iran Policy".

(١٤٢) عنى بريجينسكي العلاقات بالعالم الإسلامي، وأظهر مخاوفه من نفوذ السوفييت في المنطقة التي حدّدها باسم (قوس عدم الاستقرار) وعرفت كذلك بهلال الأزمة، من أفغانستان إلى اليمن إلى القرن الأفريقي، راجع،

_ **David Farber**: Taken hostage : the Iran hostage crisis and America's first encounter with radical Islam, Princeton University Press, 2005, P.107

وعلاقة الولايات المتحدة بهما[١٤٣]، ولم ترد "برافدا" على اتهامها بأنها تقوم بحملة "تحريضية" ضد الولايات المتحدة، أو على مطالبة السفارة الأمريكية في موسكو لها بأن تستخدم كل المعلومات المتوفرة ولا تنتقي مثلما تحدثت عن "المجموعة الخاصة"، حتى أعدت -برافدا- نفسها واقتبست ما جاء في "نيويورك تايمز" في ١٦ ديسمبر حول تدفق خبراء الولايات المتحدة لإيران[١٤٤].

- أثر سقوط الشاه في يناير ١٩٧٩ في العلاقات الأمريكية السوفيتية:

ويبدو أن الولايات المتحدة قد تخوفت من تحول الخلاف بينها وبين الاتحاد السوفيتي حول مصير الشاه والثورة الإيرانية إلى مواجهة حتمية، فقام كارتر في ٣١ ديسمبر بالاقتراح على الشاه أن يتنازل عن العرش ويشكل مجلس وصاية، وهو ما لاقى قبول لدى الشاه[١٤٥]، وفي الوقت نفسه بدأ الحديث صراحة في الاتحاد السوفيتي بأنه في حالة حدوث تدخل أمريكي في إيران فإن السوفييت لن يترددوا في تطبيق معاهدة الصداقة الموقعة بين إيران -فارس- وروسيا في ١٩٢١، وأنها سارية المفعول ويمكن تطبيقها، خاصة المواد رقم ٥ و ٦، حيث جاء في المادة الخامسة عدم سماح أي من الحكومتين لقوات أجنبية لها عداء مع الطرف الآخر بالتواجد في أراضيها، والمادة السادسة التي تسمح لقوات الاتحاد السوفيتي -في حال تم تهديده من طرف ثالث- بالتقدم داخل إيران ولا تنسحب إلا بعد أن تزيل الخطر[١٤٦].

---

(143) **FCO 8/ 3371**; Letter from British Embassy, Moscow, to FCO, London, Jan.9, 1979, "U.S. Soviet Relation: Brzezinski".

(144) Ibid; Letter from British Embassy, Moscow, to FCO, London, Jan.10, 1979, "Soviet Press Treatment of Iran".

(١٤٥) **جيمي كارتر**: مرجع سابق، ص٣٥٩.

(146) **FCO 8/ 3371**; Note from Research Department, FCO, to EESD FCO, Jan.2, 1979, "Soviet- Iranian Relation".

لتبدأ الولايات المتحدة في الإعداد الفوري لمغادرة الشاه، فقام كارتر بإرسال الجنرال" روبرت هويسر" نائب قائد القوات الأمريكية في أوروبا في ٣ يناير للمساعدة في عملية المغادرة، لكن تلك الزيارة جعلت الشاه في حيرة؛ لأن "برافدا" كتبت أن هويسر جاء لإيران للقيام بانقلاب، بينما كتبت الصحف الأمريكية أنه جاء ليحول دون القيام بانقلاب(١٤٧)، إلا إن الهدف المؤكد من مهمة هويسر –وقد تم تحقيقه– هو فسخ عقود شراء الأسلحة والمعدات الأمريكية التي وقعتها مع إيران(١٤٨).

وفي اليوم التالي لزيارة "هويسر" أعلن الشاه تعيين شاهبور بختيار(١٤٩) رئيسا للوزراء، وهو ما رفضته المعارضة، لينظر السوفييت لبختيار على أنه أداة للولايات المتحدة وللجيش الإيراني وللشاه(١٥٠)، وقد اجتمع هويسر مع كبار قادة الجيش بشكل يومي، وحثهم على دعم حكومة بختيار وعلى عدم ترك أي قائد منهم لإيران آنذاك، والتأكيد على ان الحكومة الأمريكية تقف بجوار الجيش الإيراني، كما التقى بالشاه في ٥ يناير، ما دفع السوفييت لاستدعاء السفير

---

(147) إلا إن "كارتر" أكد أن زيارة "هويسر" أتت لتراخي السفير الأمريكي في إيران في تأدية أوامره، ولضعف المعلومات التي أتت منه وخطأها، ولتحيزه لمعسكر الخميني ضد الشاه والجيش، كما إن قادة الجيش الإيراني لم يثقوا فيه، ولما كان من الصعب إقالة السفير الأمريكي في تلك الأحداث المتسارعة كان ضروريا إرسال هويسر ليبقي الإدارة الأمريكية على إطلاع مباشر على الوضع، لقربه من قادة الجيش الإيراني واطمئنانهم له، انظر؛

_ **Jimmy Carter**: Op. Cit., Pp.443-446.

(١٤٨) **غلام رضا نجاتي**: التاريخ الإيراني المعاصر – إيران في العصر البهلوي، ترجمة: عبدالرحيم الحمراني، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم– إيران، ٢٠٠٨، ص ص٦٦٣، ٦٦٤.

(١٤٩) شاهبور بختيار أخر رئيس وزراء عينه الشاه في يناير ١٩٧٩، وقد اغتيل في باريس سنة ١٩٩١، وكان قد فر إلى فرنسا بعد خلافاته مع قادة الثورة الإيرانية ، انظر؛

_ **فرح بهلوي**: مرجع سابق، ص٢٤٣.

(150) **Yodfat, Aryeh**: The Soviet Union and Revolutionary Iran, Op. Cit., P.51.

الأمريكي في موسكو "للاحتجاج على زيارة هويسر"، كما فوجئ روبرت هويسر أن ملاحظاته كانت تنشر بشكل تفصيلي في الصحافة السوفيتية، وأنها كانت على علم دقيق بتفاصيل برنامجه اليومي، ومع ذلك استمر في إيران حتى ٣ فبراير مع عودة الخميني لإيران(١٥١).

وقد اعتبرت الدعاية السوفيتية أن تشكيل حكومة شاهبور بختيار هي محاولة لإطالة أمد الأحداث(١٥٢)، وأكدت أن العلاقات السوفيتية مع إيران مازالت محكومة بالمعاهدة الروسية الفارسية في ١٩٢١، وأن تلك الإشارة ليست تهديد سوفيتي بالتدخل، لكنها لتذكير الولايات المتحدة بأن للاتحاد السوفيتي مصالح خاصة في إيران، ثم أكدت تلك الدعاية إلى أن الولايات المتحدة ترغب في المحافظة على النظام الملكي أو استبداله بنظام آخر أكثر قبولا لها(١٥٣)، وبالفعل اتخذ القرار النهائي لرحيل الشاه في ٦ يناير، حيث حث السفير الأمريكي الشاه على مغادرة إيران على أن يُعلن أن المغادرة لقضاء بضعة أسابيع للاستجمام(١٥٤).

وبحلول ٧ يناير، أعلن أحد مستشاري ليونيد بريجنيف، أن في إيران ثورة حقيقية معادية للإمبريالية، ولم يستبعد حدوث انقلاب عسكري، لكنه استبعد أن تعود إيران للسير في فلك المعسكر الأمريكي مرة أخرى(١٥٥)، لكن مما يجب ملاحظته هنا أن امكانية نجاح انقلاب

---

(151) **Bayandor, Darioush:** Op. Cit., Pp.331– 335.

(152) ***The Washington Post***, Jan. 5, 1979, P.A17, "Soviets Spurn U.S. Protest, Again Attack Iran Policy".

(153) **Yodfat, Aryeh:** The Soviet Union and Revolutionary Iran, Op. Cit., P.50.

(١٥٤) **فرح بهلوي:** مرجع سابق، ص ص٩، ٢٦٤.

(155) **FCO 8/ 3371**; Tel from Moscow, to FCO, London, Jan.9, 1979, "Reviews in the Soviet Media".

عسكري غير منطقية؛ فالمجندون وصغار الضباط لم يعد موثوق بولائهم[١٥٦]، لكن السوفييت استمروا في دعايتهم وأكدوا أن الحكومة الأمريكية تهيئ الأرض لذلك الانقلاب المزعوم، اعتمادًا على القوات المسلحة الإيرانية، حتى لو كان ذلك باستبدال حكومة شاهبور بختيار بالقوة، وسواء استمر الشاه أو سقط[١٥٧].

ومع أنه بحلول ١٢يناير أعلنت الولايات المتحدة أن الشاه سيغادر إيران[١٥٨]؛ إلا إن ذلك لم يمنع ضابط السفارة الأمريكية في موسكو أن يدعو نائب وزير الخارجية السوفيتية ومدير إدارة إيران كوزيريف N. I. Kozyrev، وأشار المسئول الأمريكي إلى أنه "روّع" من النغمة الهستيرية في الإعلام السوفيتي حول السياسة الامريكية في إيران، وأن تلك النغمة لم تكن مساعدة في العلاقات الأمريكية السوفيتية أو في الوضع الحساس آنذاك، وتساءل عن سبب الحديث المتكرر في الإعلام السوفيتي عن معاهدة الصداقة الموقعة بين إيران وروسيا في ١٩٢١، كما تساءل عن إمكانية أن يكون اتهام الولايات المتحدة بالتدخل قد مثل "تبريرًا" لتدخل سوفيتي مستقبلي في إيران، إلا إن كوزيريف اعتبر الإشارة إلى معاهدة ١٩٢١ كانت كأي رسالة تذكير إلى الولايات المتحدة بأن الاتحاد السوفيتي لديه معاهدات يجب أن تؤخذ في الحسبان؛ لأنها سارية المفعول ولم يتم إلغاؤها، ودافع عن التناول الإعلامي السوفيتي بوصفه رؤى شخصية من أجهزة الإعلام السوفيتية التي كانت تحاول الرد على "فيضان" المقالات المعادية للسوفييت في الصحف الأمريكية، التي تناولت أيضًا خطط طوارئ أمريكية لإيران،

---

(156) **Richard W. Cottam**: American Policy and the Iranian Crisis, Iranian Studies, Vol. 13, No. 1/4, Iranian Revolution in Perspective (1980), p.300.

(157) **FCO 8/ 3371**; Tel No.50 from Moscow, to FCO, London, Jan.2, 1979, "Soviet Press Comment on Iran".

(١٥٨) **إحسان نراغي**: مرجع سابق، ص١٥٨.

وتحدثت أيضا عن خطط سوفيتية "مزعومة" حول إيران، وهي أمور اعتبرها كوزيريف غير مساعدة في العلاقات الأمريكية السوفيتية، مؤكدًا في الوقت نفسه بأن موسكو لا تساند شاهبور بختيار، لأنه لم يكن لديه دعم من الشعب الإيراني، وبشكل خاص الخميني، كما اعتبر أن ادعاء الولايات المتحدة بوجود تهديد سوفيتي لإيران جاء لتبرير سياستها الخاصة مثل زيادة عدد موظفيها في السفارة الأمريكية في إيران، وحركة سفنها في المنطقة، وزيارة الجنرال روبرت هويسر لإيران، وانتشار طائرات F-15 في المملكة العربية السعودية، واجتماع وزير الدفاع ومستشار الأمن القومي حول إيران، في حين أن بريجنيف طالب بعدم التدخل في الشئون الإيرانية(١٥٩).

وفي السياق نفسه أكد السوفييت أن الولايات المتحدة تتخذ كل ما بوسعها من اجراءات بغية توفير الوقت وشق صفوف المعارضة، والحيلولة دون تلاحم الجيش والشعب وابقاء النظام الموالي لها في إيران، خاصة بعد أن أكد سايروس فانس أن حكومته مستعدة لمساعدة حكومة شاهبور بختيار في أي لحظة، وأن خوف الولايات المتحدة على مواقعها في إيران جعلها ترسل الجنرال روبرت هويسر إلى طهران لدعم وحدة الجيش الإيراني، خاصة بعد أن أعلن رسميًّا في إيران في ١٣ يناير عن تشكيل مجلس وصاية يقوم بإدارة الأمور في أثناء غياب الشاه، واعتبروا أن مغادرة الشاه لا تعني سقوط نظامه الملكي، إلا بعد استقالة بختيار الذي اختاره الشاه(١٦٠)، وهو ما أكده الخميني في ١٤ يناير بأن غايته النهائية ليست إسقاط الشاه فقط؛ بل إسقاط حكومة بختيار (١٦١).

---

(159) **DNSA collection:** Iran Revolution; United States Embassy, Soviet Union, Confidential, Cable, to Sec State Wash DC, Jan.13, 1979, "Soviet MFA Iranian Desk Officer Discusses Iran".

(١٦٠) **أنباء موسكو**؛ ٢١يناير ١٩٧٩، ص٧ "تعليق على الأحداث الدولية؛ إيران: الوضع يزداد توترا".

(١٦١) **جيمي كارتر**: مرجع سابق، ص٣٧١.

وأعلن بختيار من الناحية الأخرى وجود مؤامرة شيوعية لتجزئة إيران ما دفع وكالة الانباء السوفيتية الرسمية بتوجيه تحذير رسمي إلى رئيس الوزراء الإيراني، واعتبرت أن "المؤامرة" الحقيقية في إيران هي التخطيط للقيام بانقلاب عسكري مدعوم من قبل المخابرات الأمريكية(١٦٢)، وفي ١٦ يناير استنكرت الخارجية السوفيتي، لدى السفير الأمريكي في موسكو، تبرير الولايات المتحدة لمهمة الجنرال هويسر؛ واعتبرت أن زيارة هويسر تدخلاً واضح، وأن بيانات الدعم الامريكية لحكومة بختيار هي شكل من التدخل(١٦٣)، وكان بالفعل لروبرت هويسر دور فعال في تسهيل مغادرة الشاه لإيران في ١٦ يناير ١٩٧٩(١٦٤).

ثم أوضح كارتر في لقاء تلفزيوني أن (السوفييت يريدون –مثل الولايات المتحدة– استقرار إيران وإيجاد روابط أقرب مع الحكومة المستقبلية)(١٦٥)، وفي الوقت الذي لم يصدر فيه أي رد فعل سوفيتي رسمي على مغادرة الشاه يوم ١٦ يناير –ربما أرادوا الإشارة إلى أن ما يهمهم هو القضاء على النفوذ الأمريكي وليس الشاه– اعتبرت إذاعة موسكو في اليوم التالي ١٧ يناير أن مغادرة الشاه هي "ذروة كفاح سنوات ضد النظام الذي كان لديه الصلات الوثيقة بالولايات المتحدة، الإمبريالية، وضد سلاسل العبودية التي ربطت بها الولايات المتحدة إيران من اليد إلى القدم"(١٦٦).

---

(162) **NARA**; Tel from Moscow to Sec State Wash DC Priority1563, Jan.16, 1979, "Soviet Media Continue to Criticize Bakhtiar".

(163) Ibid; Tel from Moscow to Sec State Wash DC Immediate1558, Jan.16, 1979, "Discussion of Iran With Korniyenko".

(164) **Zabih, Sepehr**: Iran since the Revolution, Op. Cit., P.11.

(165) ***The Washington Post***, Jan. 17, 1979, P.A16, "Soviets Desire a Stable Iran, President Says".

(166) **Lenczowski, George**: Op. Cit., P. 325.

إلا إن كارتر أعلن في ١٧ يناير دعمه لاستمرار حكومة بختيار، وكرر تصريحه (بعدم وجود نية ولا رغبة ولا قدرة) لدى حكومته للتدخل في الشئون الإيرانية الداخلية، وبأنه "لن يسمح للدول الأخرى بالتدخل"[١٦٧]، وفي إشارة لاستسلام الولايات المتحدة للوضع في إيران أكدت "نيويورك تايمز" أنه تم البدء في تفكيك أجهزة جمع المعلومات "التجسس" في إيران، وأن ذلك سيكون له تأثير على مراقبة امتثال الاتحاد السوفيتي لبنود اتفاقية الأسلحة الاستراتيجية الموقعة ١٩٧٢[١٦٨]، إلا إن كارتر أوضح أن لدى بلاده مصادر استخباراتية أخرى يمكنها توفير المراقبة الكافية للسوفييت[١٦٩]، لترد عليه وكالة الانباء السوفيتية محذرة بأن نقل تلك الاجهزة لجارة أخرى للسوفييت مثل تركيا "يمس المصالح الأمنية للاتحاد السوفيتي"[١٧٠]، ثم أكدت "برافدا" أيضًا نقل تلك الأجهزة[١٧١]، ولم يكتف الإعلام السوفيتي بذلك؛ بل اعتبر أن إنهاء الحضور الأمريكي تمامًا في إيران بعد مغادرة الشاه هو مطلب المعارضة الرئيسى[١٧٢].

---

(167) ***New York Times***; Jan.18, 1978, P.A18, "A Transcript of President's News Conference on Foreign and Domestic".

(168) ***New York Times***; Jan.18, 1978, P.A14, "Loss of Devices Watching Soviet A Serious Casualty of Iran Crisis".

(169) Ibid; Jan.18, 1978, P.A1, "Arms Sales to go on: President Says Monitoring".

(170) **NARA**; Tel from Moscow to Sec State Wash DC Immediate1691, Jan.19, 1979, "Soviet Press Sounds Cautionary Note on U.S. Intelligence Facilities in Iran".

(171) Ibid; Tel from Moscow to Sec State Wash DC Immediate1764, Jan.22, 1979, "Soviet Media Cites U.S. Tracking Stations in Iran".

(172) **FCO 8/ 3371**; Tell No.77, Moscow, to FCO London, Jan 22, 1979, " Soviet Comment on Iran".

كما أكد الإعلام السوفيتي بأن بلاده "لا تستطيع أن تقف موقف المتفرج إزاء محاولات الولايات المتحدة لممارسة الضغط على إيران"[١٧٣]، وقام بتكثيف مواده الموجهة ضد حكومة شاهبور بختيار والولايات المتحدة[١٧٤]، مطالبا وزارة الدفاع الامريكية أن "تبقي تجربة ما حدث في إيران في عقلها" عندما ترغب في "دس وسائل استخباراتها الشريرة"[١٧٥]، وأوضح إلى أن مهمة الجنرال روبرت هويسر الأساسية بعد مغادرة الشاه أصبحت إقناع كبار ضباط الجيش بالانقلاب؛ ما دفع السفير السوفيتي في إيران أن يخرج عن صمته ملوحا بمعاهدة ١٩٢١، وأشار إلى أنها تؤكد التزامات السوفييت تجاه إيران[١٧٦].

ولأول مرة في ٢٤ يناير أشار نائب وزير الخارجية السوفيتي كوزيريف، بأن الولايات المتحدة هي من أسقطت الشاه، وهي من قامت بإيجاد شاهبور بختيار الذي اخفق أيضًا في ما اخفق فيه الشاه، لذا بدأت الولايات المتحدة في البحث عن قيام انقلاب عسكري، كما اعتبر أن مناقشة المسألة الإيرانية في اجتماع الولايات المتحدة وحلفائها –فرنسا وألمانيا وبريطانيا– في جواديلوب Guadeloupe في ٤ يناير هو نوع التدخل لا يقل عن تواجد الجنرال روبرت هويسر، مع أن السوفييت لم يصدروا أي تصريح رسمي حول الأزمة منذ تصريح بريجنيف في نوفمبر ١٩٧٨، فقد اكتفوا برؤية أرباحهم تتزايد في إيران مع انحسار التأثير الأمريكي، وأعدوا

---

(173) Ibid; Tell No.91, from Moscow to FCO London, Jan. 25,1979, "Soviet Comment on Iran"

(174) **NARA**; Tel from Moscow to Sec State Wash DC Priority, Jan. 23, 1979, "Soviet and Clandestine "National Voice of Iran"Statements on Iran".

(175) Ibid; Tel from Moscow to Sec State Wash DC Immediate1802, Jan.23, 1979, "Soviet Press Continues to Attack U.S Intelligence Facilities In Iran".

(176) ***Los Angeles Times***, Jan.22, 1979, P.1, "Exile's Plans to Return Stir Unease in Iran".

أنفسهم في نهاية يناير لإعطاء ترحيب –لأول مرة– بمجيء أي حكومة يقودها آية الله الخميني[١٧٧] بعد أن اعتقدوا في بداية الثورة أن الخميني أمريكي الولاء[١٧٨].

ومع انعدام فرص عودة الشاه للحكم؛ انطلقت "إزفستيا" في الهجوم على علاقاته بالولايات المتحدة؛ وأنه من الحكام الذين قدسوا الدولار الأمريكي، وان الولايات المتحدة تدعي أنها تحمي حلفاءها من "التهديد الشيوعي" وهي "في الحقيقة تتقذهم من غضب شعوبهم عليهم"، ورأت أن سبب بقاء الشاه في الحكم حتى ١٩٧٩ هو أن الولايات المتحدة اعتقدت أنه بإمكانه خدمة المصالح الأمريكية، وكررت نفيها لما سمي بـ(يد موسكو)[١٧٩] _كما اعترفت الخارجية البريطانية أن "يد موسكو" لم تكن موجودة[١٨٠]_، ما جعل كارتر ينفي في ٢٦يناير أن يكون مسئولاً عن سقوط الشاه[١٨١].

ثم جاء دور "برافدا" لتتهم بعبارات رسمية الجنرال روبرت هويسر بتشجيعه لإراقة الدماء في إيران، وأنه يقوم بدور "حاكم عام" لإيران، وأن حكومته كلفته بقيادة الجيش الإيراني واستبدال الشاه ببختيار، كما كررت الحديث عن أن الوضع يتجه نتيجة للتدخل الأمريكي نحو انقلاب

---

(177) **FCO 8/ 3371**; Letter from British Embassy in Moscow, to FCO London, Jan. 24, 1979, "Soviet Union/ Iran".

(178) **Yodfat, Aryeh:** The Soviet Union and the Arabian Peninsula, Routledge, New York, 2011, P.70.

(179) **Daneshvar, Parviz:** Revolution in Iran, Palgrave Macmillan, New York, 1996, P.117.

(180) **FCO 8/ 3371**; Letter from Lucas to Walden Meddle East Department, FCO London, Jan. 29, 1979, "Dominoes in Gulf"

(181) ***New York Times***; Jan. 27, 1978, P.6, "A Transcript of President's News Conference on Foreign and Domestic".

عسكري، كما زعمت بأن هناك اتفاقًا بين الولايات المتحدة وبختيار لإعاقة عودة الخميني لإيران التي كان مقررًا لها الأول من فبراير ١٩٧٩، وأن إيران منقسمة بين أغلبية ساحقة من الثوار وقوة أخرى لديها الدعم والأسلحة الأمريكية(١٨٢).

– عودة الخميني وخسارة الولايات المتحدة لمواقعها في إيران:

وبعد عودة الخميني في ١ فبراير؛ في إشارة لهزيمة الولايات المتحدة في إيران لمصلحة الاتحاد السوفيتي؛ أكد وزير الخارجية الأمريكي أن الدعاية السوفيتية المعادية للولايات المتحدة نجحت في أن يكون لها تأثير كبير في مشاعر الإيرانيين ضد الولايات المتحدة(١٨٣)، ليسارع الرئيس كارتر بطلب اخراج هويسر من إيران، وهو ما تم في ٣ فبراير ١٩٧٩، ويضيف كارتر في حالة من الحيرة توضح ما وصلت له المواقع الأمريكية في إيران: (لسوء الحظ لم يكن هناك أحد يفهم ما الذي يحدث في إيران، ولم نتلق أي توقعات دقيقه لما سيحدث)(١٨٤).

وسريعًا مع تكليف الخميني لمهدي بازركان(١٨٥) في ١١ يناير بتشكيل حكومة مؤقته(١٨٦)، وعزل بختيار، إنهار النظام الملكي الإيراني، وبدأ عهد الجمهورية الإسلامية(١٨٧)،

---

(182) **NARA**; Tel from Moscow to Sec State Wash DC Immediate 2073, Jan.30, 1979, "Pravda article Blasts U.S. and General Huyser on Iran".

(183) Ibid; Tel from Sec State Wash DC to Bonn Priority, Feb.8, 1979, "Countering Soviet Anti _ U.S. Propaganda in Iran".

(١٨٤) **جيمي كارتر**: مرجع سابق، ص ص٣٨٤، ٣٨٥.

(١٨٥) رئيس لوزراء إيران في فبراير ١٩٧٩، عين رئيسًا لوزراء الحكومة المؤقتة بعد سقوط الشاه، كان عضو في الجبهة الوطنية التي عارضت حكم الشاه، وكان لدية اتصالات مع رجال الدين، زار آية الله الخميني في باريس إبان الثورة الإيرانية، للمزيد أنظر؛

_ **FCO 8/ 3349**; Leading Personalities In Iran, Jun.6, 1979,

(186) **CIA**; Memorandum; Soviet Policy Since the Fall of Bakhtiar, Feb.16,1979.

لتعلن الحكومة السوفيتية اعترافها بحكومة مهدي بازركان في ١٢فبراير[١٨٨]، لتحطيم بقايا الوجود الأمريكي في إيران، ولملء (الفراغ) في إيران الجديدة[١٨٩]، كما ألغى بازركان كل محطات التجسس الأمريكية على الاتحاد السوفيتي، وأنهى عقود معظم الخبراء الأمريكيين في الجيش الإيراني[١٩٠]، وسارع السفير السوفيتي في إيران إلى الاجتماع مع الخميني، الذي شكره على الاعتراف بالحكومة الجديدة، وأجابه السفير السوفيتي بالأمل في تحسن العلاقات بين البلدين[١٩١].

---

(١٨٧) **سيد جلال الدين المدني:** تاريخ إيران السياسي المعاصر، ترجمة: سالم مشكور، منظمة الإعلام الإسلامي، طهران، ١٩٩٣، ص٤٣٠، وأنظر؛

_ **حسن كريم الجاف:** موسوعة تاريخ إيران، المجلد الرابع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨، ص٢٩٦.

(188) **FCO 8/ 3371**, Tell No.147, from Moscow to FCO London, Feb. 13,1979, "Iran Recognition of Provisional Government by Soviet Union".

(١٨٩) **محمد على حسين:** سقوط حزب توده، عرض تحليلي لتاريخ الحزب الشيوعي الإيراني وانهياره أمام الإسلام، منظمة الإعلام الإسلامي، طهران، ١٩٨٤، ص١٤٤.

(١٩٠) **طلال مجذوب:** مرجع سابق، ص٤٢٦.

(191) ***Chicago Tribune***: Feb.26, 1978, P.14, "Bakhtiar Fled Iran".

الخاتمة:

وفي النهاية؛ يمكن هنا التأكيد على عدد من النقاط الآتية:

أولاً: يمكن القول أن خسارة الولايات المتحدة لمحطات التجسس، وخسارتهم للشاه، كانت مكسبًا مؤكدًا للاتحاد السوفيتي، كما لم تحدث هزة كبيرة لإحدى القوتين الكبيرتين في منطقة الشرق الأوسط –منذ إخراج الاتحاد السوفيتي من مصر – مثلما أحدثت الثورة الإيرانية في كسوف الهيمنة الأمريكية في إيران(١٩٢)، لتصل ذروة هذا الكسوف في ٤نوفمبر ١٩٧٩ عندما استولى مجموعة من الطلبة على مبنى السفارة الأمريكية في طهران، واعتقالهم لـ٥١ من موظفي السفارة كرهائن(١٩٣).

ثانيًا: في نوفمبر ١٩٧٨ فقط وضح للاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة أن الشاه سيسقط، وتحول السوفييت للحديث عن أن المعارضة ضد الإمبريالية الأمريكية، فالسوفييت لم يكونوا سعداء بالنفوذ الأمريكي في إيران، ورأوا أنه إذا كان هناك إمكانية لخفض هذا النفوذ فلماذا يعارضوه؟!، إلا إن البعض رأى أنه وإن كانت التحذيرات السوفيتية ضد تدخل الولايات المتحدة في إيران قد تكررت من نوفمبر ١٩٧٨ إلى نهاية يناير ١٩٧٩؛ إلا إنه من غير المقنع أن هذه التحذيرات قد ردعت هجومًا أمريكيًّا!!، كما إن تحذير السوفييت بانقلاب وشيك مع زيارة روبرت هويسر لم تمنع الانقلاب، ومن غير المقنع أن احتجاج الولايات المتحدة المتكرر ضد الدعاية

---

(192) **Quarterly Economic Reviews of Iran**: 1st Quarter 1979, The Economist Intelligence Unit Ltd, London, 1979, P10.

(١٩٣) **عبدالله الأشعل:** قضية الرهائن الأمريكيين في طهران أمام محكمة العدل الدولية، المجلة المصرية للقانون الدولي (الجمعية المصرية للقانون الدولي)، عدد ٣٦، ١٩٨٠، ص٢٣٥.

السوفيتية المضادة كان يعني أن تلك الدعاية قد أخافتها، كما أن "تصفيق" السوفييت للمحتجين جاء متأخرًا بعد مغادرة الشاه نفسه لإيران(١٩٤).

ثالثًا: أكدت تلك الثورة أيضًا على أن الصراع على مناطق النفوذ، وإن كان هو الأبرز في صراع القوى الكبرى؛ إلا إن الصراع الإعلامي والدعاية المضادة لكل طرف كان ساحة أخرى خاضت فيها القوى الكبرى نزاعها المشترك في إيران.

رابعًا: أوضحت الثورة الإيرانية أن أهمية إيران للقوتين الكبيرتين استمدتها من وقوعها على الخليج العربي، ولما فيها من نفط، ولما تشتريه من أسلحة الأسلحة، كما أكدت تلك الثورة أن القوتين الكبيرتين كان لديهما الاستعداد التام للتضحية بأي صديق مهما بلغت أهميته، وتحمل أي دعاية مضادة، لكنهم لم يكونوا على صدق أبدًا بأن لديهم استعداد حقيقي لمجابهة عسكرية لبعضهما البعض.

---

(194) **Nikki R. Keddie and Mark J. Gasiorowski** "Ed": Neither East nor West Iran, the Soviet Union, and the United States, Yale University Press, New Haven, 1990, Pp.74, 75.

الملاحـــــق:

ملحق رقم (١):

جزء من رسالة من الرئيس السوفيتي ليونيد بريجنيف إلى الرئيس كارتر ١٧ نوفمبر ١٩٧٨:

– توضح تلك الوثيقة تأكيد بريجنيف أنه من الضروري إرسال تلك الرسالة الخاصة لجلب انتباه الرئيس كارتر إلى القضية التي تسبب قلق متزايد للسوفييت، وهي تطور الأحداث في إيران، والإشارة إلى التقارير التي تشير إلى أن للولايات المتحدة تأثير على الأحداث، وأن هذه المعلومات مؤكدة من مصادر مختلفة، وهي معلومات تفترض إمكانية تدخل عسكري من الولايات المتحدة في إيران، وأوضح أنه لا يريد تصديق ذلك، لكن من الصعب تحديد النوايا الحقيقية للولايات المتحدة؛ لأنه لم يصدر نفي لتلك التقارير، ويضيف بريجنيف بأنه يجب أن لا يكون هناك سوء فهم لأي تدخل، عسكري بشكل خاص؛ في شئون بلاد تجاور الاتحاد السوفيتي، تم تأسيس علاقات حسن جوار طبيعية معها، ولا يستطيع السوفييت اعتبار ذلك في أي اعتبار إلا كتأثير على مصالحهم الأمنية.

158. **Letter From Soviet General Secretary Brezhnev to President Carter**[1]

November 17, 1978

Dear Mr. President,

I consider it necessary to use the channel of our private correspondence to draw your attention to the question that causes our growing concern.

The question is of the events in Iran[2] and, to be more precise, that according to numerous reports actions are being taken on the part of the United States to influence events in that country. This is confirmed by information from various sources. Information is also coming in about even a possibility of a military interference by the US in Iran. We would not want to believe it. But, unfortunately, it is difficult for us to judge real intentions of the United States, the more so that no denials followed press reports to that effect.

Secondly, there should be no misunderstanding that an interference, and especially military, in the affairs of a country which directly borders on the Soviet Union and with which we established normal good-neighbour relations cannot in general be regarded by us otherwise but as affecting the interests of our security.

We believe that the situation emerging around Iran requires clear and explicit statements to be made on our as well as on your part on nonadmissibility of outside interference in the internal affairs of Iran.

– FRUS. 1977– 1980, VOL. VI, D.158, Letter From Soviet General Secretary Brezhnev to President Carter, Nov. 17, 1978.

ملحق رقم (٢)

رد ليونيد بريجنيف على سؤال مراسل برافدا ١٩نوفمبر ١٩٧٨ :

_ توضح الوثيقة لقاء بريجنيف مع صحيفة مراسل صحيفة برافدا والذي جاء في صدر صفحتها الأولى يوم ١٩ نوفمبر؛ وقد سأل المراسل بريجنيف عن رأيه في أنباء تدخل الولايات المتحدة بشكل خاص، والغرب عامة، في الأحداث الإيرانية، واحتمال التدخل العسكري، وقد أجابه بريجنيف بأن تلك التقارير لا يمكن التغاضي عنها، خاصة وأن الولايات المتحدة لم تنفيها؛ وأبقت تحفظات تجعل إمكانية تدخلها بحجة ملائمة، ثم أعلن أن الاتحاد السوفيتي ضد التدخل الخارجي في شئون إيران الداخلية، أيا كان المتدخل وبأي شكل، وبأية حجة كانت، وأكد أن أي تدخل، خاصة العسكري في دولة جارة تقع على الحدود السوفيتية، سينظر له الاتحاد السوفيتي بأنه يؤثر على مصالحه الأمنية.

GR 300

UNCLASSIFIED
FM MOSCOW 190830Z NOV 78
TO PRIORITY FCO
TELEGRAM NUMBER 1198 OF 19 NOVEMBER.
INFO PRIORITY TEHRAN, WASHINGTON, BONN, PARIS UKDEL NATO.

ROUTINE KABUL AND ISLAMABAD.

IRAN.

PRAVDA OF 19 NOVEMBER CARRIES AT THE TOP OF THE FIRST PAGE A "REPLY BY L.I. BREZHNEV TO A QUESTION FROM PRAVDA CORRESPONDENT".
FOLLOWING IS TRANSLATION:

QUEATION: WHAT IS YOUR ASSESSMENT OF THE REPORTS WHICH HAVE APPEARED IN THE FOREIGN PRESS ABOUT INTERFERENCE BY WESTERN POWERS, IN PARTICULAR THE UNITED STATES, IN THE EVENTS TAKING PLACE IN IRAN, AND ABOUT THE POSSIBILITY OF MILITARY INTERVENTION ON THEIR PART?

ANSWER: THERE ARE INDEED SUCH REPORTS, INCLUDING SOME ABOUT THE POSSIBILITY OF MILITARY INTERVENTION BY CERTAIN POWERS. ONE CANNOT AVOID NOTING THAT OFFICIALS OF THE STATES CONCERNED HAVE NOT IN FACT REFUTED SUCH REPORTS. IF THEY DO DENY ATTEMPTS TO INTERFERE IN THE INTERNAL AFFAIRS OF IRAN, AS THE PRESIDENT OF THE UNITED STATES DID A FEW DAYS AGO, THEY MAKE RESERVATIONS WHICH DO NOT AT ALL EXCLUDE THE POSSIBILITY OF SUCH INTERVENTION WITH AN APPROPRIATE PRETEXT.

THE SOVIET UNION, WHICH MAINTAINS WITH IRAN TRADITIONAL GOOD NEIGHBOURLY RELATIONS, DECISIVELY STATES THAT IT IS AGAINST OUTSIDE INTERFERENCE IN THE INTERNAL AFFAIRS OF IRAN, WHATEVER ITS FORM AND UNDER WHATEVER PRETEXT. THERE ARE TAKING PLACE IN THAT COUNTRY EVENTS OF A PURELY INTERNAL CHARACTER, AND THE QUESTIONS LINKED TO THEM MUST BE SETTLED BY THE IRANIANS THEMSELVES. ALL STATES MUST IN THIS CASE CONFORM TO THE PRINCIPLE'S OF THE U.N. CHARTER AND OF A NUMBER OF OTHER BASIC INTERNATIONAL DOCUMENTS, AND MUST RESPECT THE SOVEREIGNTY AND INDEPENDENCE OF IRAN AND THE IRANIAN PEOPLE.

IT SHOULD ALSO BE CLEAR THAT ANY INTERVENTION AND MORE ESPECIALLY MILITARY INTERVENTION , IN THE AFFAIRS OF IRAN, A COUNTRY WHICH BORDERS ON THE SOVIET UNION, WOULD BE CONSIDERED BY THE USSR AS AFFECTING ITS SECURITY.

– FCO, 8/ 3196, Tel From Moscow to FCO, London No. 1198, Nov.19, 1978, "Iran".

ملحق رقم (٣):

معاهدة الصداقة الموقعة بين فارس والاتحاد السوفيتي– في ١٩٢١، المواد ٥، ٦:

_ توضح تلك الوثيقة المواد ٥، ٦ من المعاهدة الإيرانية الروسية، وقد جاءت كالتالي:

مادة (٥) أقرت بمنع بكل الوسائل تشكيل أو حضور ضمن أراضيهم الخاصة، لأي منظمات أو مجموعات أو جيوش تقوم بأعمال عدائية ضد بلاد فارس وروسيا، أو ضد حلفاء الأخيرة، وعدم السماح لأي طرف ثالث بعبور مواد تستعمل ضد الطرف الآخر، أو أن يحضر ضمن أراضيهم جيوش وقوات لطرف ثالث طالما كان ذلك التواجد يشكل خطرا على أي من إيران وروسيا.

مادة (٦) اختصت تلك المادة بمنع استخدام الأراضي الفارسية كقاعدة لعمليات طرف ثالث ضد روسيا، أو كان يشكل تهديد ضد روسيا أو أي من حلفائها، وإذا لم يكن لدي الحكومة الفارسية لردع تلك القواد، يحق للقوات الروسية عبور الأراضي الفارسية لردعها، على أن تسحب روسيا قواتها بعد زوال الخطر.

ANNEX B

Extract from: Treaty of Friendship between Iran and R.S.F.S.R. dated February 26, 1921

ARTICLE 5

The two High Contracting Parties undertake

(1) To prohibit the formation or presence within their respective territories of any organizations or groups of persons, irrespective of the name by which they are known, whose object is to engage in acts of hostility against Persia or Russia, or against the Allies of Russia.

They will likewise prohibit the formation of armed troops within their respective territories with the aforementioned object.

(2) Not to allow a third Party or any organization, whatever it be called, which is hostile to the other Contracting Party, to import or to convey in transit across their countries material which can be used against the other Party.

(3) To prevent by all means in their power the presence within their territories or within the territories of their Allies of all armies or forces of a third Party in cases in which the presence of such forces would be regarded as a menace to the frontiers, interest or safety of the other Contracting Party.

ARTICLE 6

If a third Party should attempt to carry out a policy of usurpation by means of armed intervention in Persia, or if such Power should desire to use Persian territory as a base of operations against Russia, or if a Foreign Power should threaten the frontiers of Federal Russia or those of its Allies, and if the Persian Government should not be able to put a stop to such menace after having been once called upon to do so by Russia, Russia shall have the right to advance her troops into the Persian interior for the purpose of carrying out the military operations necessary for its defence. Russia undertakes, however, to withdraw her troops from Persian territory as soon as the danger has been removed.

_ FCO 8/ 3371; Extract from Treaty of Friendship Between Iran and R.S.F.S.R. Dated February 26, 1921.

قائمـــة المصادر والمراجع

أولا: الوثائـــق:

أ- وثائق غير منشورة:

- وثائق وزارة الخارجية وشئون الكومنولث البريطانية، وقد تم استخدام الملفات الآتية:

-FOREIGN& COMMONWEALTH OFFICE (F.C.O):

1. FCO 8/ 2984, Political relations between Iran and Soviet Union 1977.
2. FCO 8/ 3202, Anti-hijacking training in Iran 1978.
3. FCO 8/ 3196, Political relations between Iran and Soviet Union 1978, (Folder 1).
4. FCO 8/ 3197, Political relations between Iran and Soviet Union 1978, (Folder 2).
5. FCO 8/ 3198, External relations of Iran 1978(Folder 2).
6. FCO 8/ 3371, Political relations between Iran and Soviet Union1979 (Folder 1).
7. FCO 8/ 3349, Leading personalities in Iran. 1979.

ب : الوثائق المنشورة :

١- وثائق وزارة الخارجية الأمريكية :

Foreign Relations of the United States,(F.R.U.S):

_ FRUS, 1977-1980, VOL.XVII, P.1, Horn of Africa, United States Government Printing Office, Washington, 2017.

_ FRUS, 1977-1980, Vol.VI, Soviet Union, United States Government Printing Office, Washington, 2013.

٢- تقارير وكالة المخابرات المركزية الأمريكي

Central Intelligence Agency (C.I.A.) . https://www.cia.gov/

٣- وثائق مجلس الأمن القومي الأمريكي:

United States, Digital National Security Archive (DNSA)

٤ – وثائق إدارة المحفوظات والسجلات الوطنية الأمريكية:

– **National Archives And Records Administration (NARA);**

–NARA; Display Full Records, By; /https://aad.archives.gov/aad

٥ – وثائق مركز ويلسون (عن الكتلة الشيوعية):

– **Wilson Center, Digital Archive (W.C., D.A.)**
http://digitalarchive.wilsoncenter.org/

ثانيا: المذكرات الشخصية:

أ – مذكرات معربة:

١. إحسان نراغي: من بلاط الشاه إلى سجون الثورة، ترجمة: ماري طوق، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٣.

٢. جيمي كارتر: مذكرات البيت الأبيض، ترجمة: سناء شوقي حرب، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٣.

٣. فرح بهلوي: مذكرات، ترجمة: إكرام يوسف، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠.

ب –مذكرات أجنبية:

1. Jimmy Carter: Keeping Faith_ Memoirs of a President, Bantam Books, New York, 1982

ثالثًا: تقارير دولية اجنبية:

1. Quarterly Economic Reviews of Iran: 2nd Quarter 1978, The Economist Intelligence Unit Ltd, London, 1978.
2. _____: 3rd Quarter 1978, The Economist Intelligence Unit Ltd, London, 1978.
3. _____: 4th Quarter 1978, The Economist Intelligence Unit Ltd, London, 1978.
4. _____: 1st Quarter 1979, The Economist Intelligence Unit Ltd, London, 1979.

رابعا: المراجع العربية:

١. إبراهيم الدسوقي شتا: الثورة الإيرانية.. الصراع.. الملحمة.. النصر، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٦.

٢.آمال السبكي: تاريخ إيران السياسي (١٩٠٦– ١٩٧٩)، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢٥٠)، الكويت، ١٩٩٩.

٣. حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ إيران، المجلد الرابع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨.

٤. خضير البديري: موسوعة الشخصيات الإيرانية في العهدين القاجاري والبهلوي ١٧٩٦– ١٩٧٩، المعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٥.

٥. طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

٦. محمد برهام المشاعلي: الموسوعة السياسية والاقتصادية، دار الأحمدي للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧.

٧. محمد حسنين هيكل: إيران فرق بركان، كتاب اليوم، القاهرة، ١٩٥١.

٨. محمد حسنين هيكل: مدافع آية الله، قصة إيران والثورة،، ط٦، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢.

٩. محمد على حسين: سقوط حزب توده، عرض تحليلي لتاريخ الحزب الشيوعي الإيراني وانهياره أمام الإسلام، منظمة الإعلام الإسلامي، طهران، ١٩٨٤.

خامسًا: المراجع المعربة:

١. روبرت جيه ماكمان: الحرب الباردة، ترجمة محمد فتحي خضر، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.

٢. سيد جلال الدين المدني: تاريخ إيران السياسي المعاصر، ترجمة: سالم مشكور، منظمة الإعلام الإسلامي، طهران، ١٩٩٣.

٣. غلام رضا نجاتي: التاريخ الإيراني المعاصر– إيران في العصر البهلوي، ترجمة: عبدالرحيم الحمراني، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم– إيران، ٢٠٠٨.

سادسًا: المراجع الأجنبية:

1. Afkhami, Gholam Reza: The life and Times of the Shah, University of California Press, Los Angeles, 2009.
2. Bayandor, Darioush: The Shah, the Islamic Revolution and the United States, Palgrave Macmillan, Nyon, Switzerland, 2019.
3. Daneshvar, Parviz: Revolution in Iran, Palgrave Macmillan, New York, 1996.
4. David Farber: Taken hostage : the Iran hostage crisis and America's first encounter with radical Islam, Princeton University Press, 2005.
5. David Walker, Daniel Gray: Historical Dictionary of Marxism, The Scarecrow Press, Toronto, 2007.
6. Ehteshami, Anoushirvan, Manshour Varasteh "Ed": Iran and the International Community, Routledge, New York, 2011.
7. Fatemi, Faramarz S: The U.S.S.R. in Iran, Barnes, London:, 1980
8. Ganji, Babak: Politics of Confrontation_ The Foreign Policy of the USA and Revolutionary Iran, Tauris Academic Studies, New York, 2006.
9. Malik, Hafeez "Ed": Domestic Determinants of Soviet Foreign Policy Towards South Asia and The Middle East, Palgrave Macmillan, New York, 1990.
10. Malik, Hafeez "Ed": Soviet–American Relations With Pakistan, Iran and Afghanistan, Palgrave Macmillan, New York, 1987.
11. M.Walt, Stephen: Revolution and War, Cornell University Press, London, 2013.

12. Nikki R. Keddie and Mark J. Gasiorowski "Ed": Neither East nor West Iran, the Soviet Union, and the United States, Yale University Press, New Haven, 1990.

13. Patman, Robert G: The Soviet Union in the Horn of Africa Cambridge University Press, New York, 1990.

14. Peter Avery, G.R.G. Hambly and C.P. Melville "Ed", The Cambridge history of Iran , Vol. 7. From Nadir Shah to the Islamic Republic , Cambridge University Press, New York, 1991.

15. Robert Anthony Waters Jr.; Historical dictionary of United States–Africa relations, Scarecrow Press, Toronto, 2009.

16. Sylvia Ellis: Historical Dictionary of Anglo–American Relations, The Scarecrow Press, Toronto, 2009.

17. Tazmini, Ghoncheh: Revolution and Reform in Russia and Iran ,Tauris, London, 2012.

18. Yodfat, Aryeh: The Soviet Union and Revolutionary Iran, Routledge, New York, 2011.

19. Yodfat, Aryeh: The Soviet Union and the Arabian Peninsula, Routledge, New York, 2011.

20. Zabih, Sepehr: Iran since the Revolution, Routledge, New York, 2011.

21. Zabih, Sepehr: The Left in Contemporary Iran, Hoover Institution Press, California,1986.

سابعاً: المقالات والبحوث العلمية:

أ – المقالات العربية:

١. سلمى حداد: التسليح الإيراني والأحلام الإمبراطورية، شؤون فلسطينية، عدد ٦٢، يناير ١٩٧٧.
٢. عبدالله الأشعل: قضية الرهائن الأمريكيين في طهران أمام محكمة العدل الدولية، المجلة المصرية للقانون الدولي (الجمعية المصرية للقانون الدولي)، عدد ٣٦، ١٩٨٠.
٣. محمود عزمي: النتائج الاستراتيجية للثورة الإيرانية، شؤون فلسطينية، عدد ٨٩، أبريل ١٩٧٩.
٤. نعمة حسن محمد: أزمة الرهائن الأمريكيين في إيران (٤نوفمبر ٢٠ – ١٩٧٩ يناير ١٩٨١)، مجلة بحوث الشرق الأوسط في العلوم الإنسانية والدراسات الأدبية، عدد ٤٤، ٢٠١٨.

ب – المقالات الأجنبية:

1. Asinovsky, Dmitry: The Soviet Union and the Iranian Revolution, Russia in Global Affairs, Vol. 16, No. 3, (July – September, 2018).
2. Lenczowski, George: The Soviet Union and the Persian Gulf: An Encircling Strategy, International Journal, Vol. 37, No. 2, (Spring, 1982).
3. Mohsen M. Milani: Harvest of Shame: Tudeh and the Bazargan Government, Middle Eastern Studies, Vol. 29, No. 2 (Apr., 1993).
4. Richard W. Cottam: American Policy and the Iranian Crisis, Iranian Studies, Vol. 13, No. 1/4, Iranian Revolution in Perspective (1980).
5. Ross, Dennis: Considering Soviet Threats to the Persian Gulf, International Security, Vol. 6, No. 2 (Fall, 1981).
6. Tudeh Party Calls for a United Front, MERIP "Middle East Research and Information Project" Reports, No. 71 (Oct., 1978).

ثامنًا: الدوريات :

أ – الصحف العربية:

١. الأهرام (مصر).

٢. أنباء موسكو (الاتحاد السوفيتي).

ب – الصحف الأجنبية:

1. Chicago Tribune (USA)
2. New York Times (USA)
3. Washington Post (USA)
4. Hartford Courant (USA)
5. Los Angeles Times (USA)
6. The Jerusalem Post (Israel)

مجلــة

المـؤرخ العربـــي

مجلة علمية محكمة

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

العدد السابع والعشرون - أكتوبر ٢٠١٩ م

-(الجــزء الأول)-

جميع المراسلات ترسل باسم

الأستاذ الدكتور رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

مقر الأنشطة: مدينة نصر- الحى الثامن- ١٠ شارع فؤاد بدواني – خلف مدرسة الصديق

تليفون: ٢٢٨٧٠٠٩٠-٠٢-٠٠٢ - فاكس: ٢٢٨٧٠٠٩١-٠٢-٠٠٢

Email : arabhistoryso@hotmail.com

مقر المؤتمرات: التجمع الأول – بعد سنترال التجمع - خلف مدرسة جرين هايتس

www.arabhistoryso.net

رقم الإيداع: (١٩٩٤/٦٥٤٩)

الترقيم الدولي: (2535-2288) (ISSN)

لا يسمح إطلاقا بترجمة هذه الدورية إلى أي لغة أخرى، أو إعادة إنتاج أو طبع أو نقل أو تخزين أي جزء منها على أية أنظمة استرجاع بأي شكل أو وسيلة، سواء الكترونية أو ميكانيكية أو غيرها من الوسائل دون الحصول على موافقة كتابة خطية مسبقة من: إدارة اتحاد المؤرخين العرب.

شروط نشر البحوث فى مجلة المؤرخ العربي

١. أن يكون عضوا باتحاد المؤرخين العرب.
٢. عدد صفحات البحث فى حدود (٣٠ ورقة) وما يزيد يحاسب بالورقة.
٣. الخط :(Simplified Arabic) بنط (١٦) والهوامش السفلية بنط (١٤).
٤. يقدم البحث من نسختين ورقيتين + نسخة على سي دي CD، أو فلاشة.
٥. يكتب **ملخص للبحث** باللغتين (العربية والانجليزية) فى حدود ورقتين.
٦. سداد رسوم التحكيم والنشر بالمجلة بإدارة الاتحاد.
٧. المجلة غير ملزمة بإعادة البحوث الى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

شروط الاشتراك فى عضوية الاتحاد

١. الحصول على الدكتوراه (فى التاريخ أو الآثار).
٢. عدد (٢) صورة شخصية- ملئ استمارة العضوية.
٣. سداد الرسوم المقـــــررة.

مجلــة
المـؤرخ العربـــي

(مجلة علمية محكمة)

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

رئيس مجلس الإدارة

أ.د.محمـد عيسى الحريري

رئيس اتحاد المؤرخين العرب

الأستاذ بكلية الآداب - جامعة المنصورة

رئيس التحرير

أ.د.زبيـدة محمد عطا

مسئولة النشاط الثقافى باتحاد المؤرخين العرب

أستاذ بكلية الآداب - جامعة حلوان

هيئة التحرير

أ.د. حامـد زيـان غانـم

أ.د. عفـاف سيـد صبرة

أ.د. عفيفي محمود إبراهيم

سكرتارية التحرير

أ. عبدالعزيز همام

أ. محمـود يحيـى

الرؤيـــة

السعي لتحقيق الريادة في النشر العلمي المتميز في المحتوي والمضمون والتأثير والمرجعية في مجالات الوطن العربي وأقطاره.

الرسالــة

نشر البحوث العلمية الأصلية والرصينة والمبتكرة في مجالات الوطن العربي وأقطاره في مجالات اختصاص المجلة وفق المعايير والقواعد المهنية العالمية المعمول بها في المجلات المحكمة دولياً.

الأهــداف

- نشر البحوث العلمية الأصيلة والرصينة والمبتكرة.
- إتاحة المجال أمام العلماء والباحثين في مجالات اختصاص المجلة في التاريخ، على المستوي المحلي والإقليمي والعالمي لنشر بحوثهم وإنتاجهم العلمي.
- نشر أبحاث كبار الأساتذة وأبحاث الترقية للسادة الأساتذة المساعدين والسادة المدرسين بمختلف الجامعات المصرية والعربية.
- تشجيع ونشر مختلف البحوث المتعلقة بالدراسات التاريخية للوطن العربي.
- الإسهام في تنمية مجتمع المعرفة في مجالات اختصاص المجلة من خلال نشر البحوث العلمية الرصينة والمتميزة.

الهيئة الاستشارية المصرية

م	الاسم	الوظيفة
١	أ.د.محمد عيسى الحريري	رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة الأستاذ بكلية الآداب - جامعة المنصورة
٢	أ.د.عفيفي محمود إبراهيم	أمين عام اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة أستاذ بكلية الآداب – جامعة بنها
٣	أ.د.حامد زيان غانم	أمين عام الصندوق باتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة
٤	أ.د.زبيدة محمد عطا	مسئولة النشاط الثقافى باتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الآداب - جامعة حلوان
٥	أ.د.عفاف سيد محمد صبرة	مسئولة العلاقات العامة باتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر
٦	أ.د.رأفت غنيمي الشيخ	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الآداب - جامعة الزقازيق
٧	أ.د.أشرف محمد مؤنس	مسئول المكتبات باتحاد المؤرخين العرب مدير مركز بحوث الشرق الأوسط- جامعة عين شمس
٨	أ.د.طارق منصور محمد	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة أستاذ بكلية الآداب – جامعة عين شمس
٩	أ.د. حمدى عبدالمنعم محمد	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة كلية الآداب جامعة اسكندرية
١٠	أ.د.إيمان محمد عبدالمنعم عامر	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة أستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة

الهيئة الاستشارية الدولية

م	الاسم	الجنسية	الوظيفة
١	أ.د.إسماعيل محمد البشرى	سعودى	نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب مدير جامعة الجوف
٢	أ.د.أحمد عمر الزيلعي	سعودى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية السياحة والآثار-جامعة الملك سعود
٣	أ.د.إبراهيم بن محمد المزيني	سعودى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض
٤	أ.د.حياة ناصر سالم الحجي	كويتية	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الآداب – جامعة الكويت
٥	أ.د.على منصور آل شهاب	بحريني	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب نائب رئيس جامعة البحرين
٦	أ.د.محمد بهجت القبيسي	سورى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ محاضر بجامعة حلب– سابقا
٧	أ.د.نبيلة عبدالشكور	جزائرية	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بجامعة الجزائر ٢.
٨	أ.د. عبدالله سعيد الغامدى	سعودى	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة أستاذ العصور الوسطى-كلية الشريعة- جامعة أم القرى
٩	أ.د. عبدالرحمن محمد الانصارى	سعودى	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة أستاذ بكلية الآداب – جامعة الملك سعود

هـذه المجلــة

١. مجلة المؤرخ العربى مجلة تاريخية بحتة، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.
٢. تستهدف المجلة إظهار الحقيقة التاريخية لموضوع محدد صافية نقية، بعيدة عن أي تيارات سياسية أو عقائدية.
٣. البحوث التي تنشر فيها محكمة، تعبر عن وجهة نظر أصحابها، وهيئة التحرير غير مسئولة عما يرد من آراء علمية.
٤. تصدر مؤقتاً سنوياً في أكتوبر من كل عام، علي أن تصلها البحوث المقدمة للنشر في كل عدد في موعد غايته نهاية شهر فبراير من نفس العام.
٥. تعد الخرائط والرسوم وغيرها من الإيضاحات بالحبر الصيني علي ورق الرسم، قابلة للاستنساخ المباشر.
٦. يشترط ألا يكون العمل المقدم قد سبق نشره، أو قدم للنشر في أية جهة أخري، ويكتب الباحث تعهداً بعدم تقديمه للنشر في أي جهة أخري بعد قبوله للنشر بالمجلة.
٧. لا ترد أصول الأعمال المقدمة سواء قبلت للنشر أو لم تقبــل.
٨. يرد عنوان البحث في رأس الصفحة الأولي، متبوعاً باسم المؤلف مقروناً بوظيفته وجهة عمله.
٩. ترتب الهوامش والتعقيبات التفصيلية بترقيم موحد في نهاية العمل.
١٠. يراعي في إعداد قائمة المراجع ما يلي:

(أ) تسجيل أسماء المؤلفين أو المحققين أو المترجمين أو المراجعين، متبوعة بعنوان الكتاب ثم مكان النشر ثم اسم الناشر، ثم تاريخ النشر، مع بيان الطبعة.
(ب) مقالات الدوريات تبدأ باسم صاحب المقال، ثم عنوان المقال، ثم اسم الدورية، ثم رقم المجلد والعدد والمجلة وتاريخه، ثم أرقام الصفحات التي يقع فيها المقال.
(جـ) الرسائل الجامعية يتم تسجيل اسم صاحب الرسالة، وعنوانها، والجامعة التي أجازتها، واسم المشرف، وتاريخ الإجازة.

المحتويــات

م	الموضــوع	الاســـم	ص
أ	كلمة الافتتاح (رئيس اتحاد المؤرخين العرب)	أ.د.محمد عيسى الحريري	١٠
ب	كلمة التحرير (رئيس تحرير مجلة الاتحاد)	أ.د.زبيدة محمد عطـــا	١١
جـ	أسماء السادة أعضاء مجلس الإدارة	اتحاد المؤرخين العرب	١٣
د	أسماء السادة الأساتذة المحكمون	لهذا العدد	١٤
١	صداق المرأة البيزنطيةوحقوقها القانونية من واقع مدونة جستنيان	أ. د/ عفاف محمد صبره	١٥
٢	التأثيرات الأندلسية على الحرف والصناعات والعملات في أوروبا الغربية	أ. د. وفاء بن عبد الله سليمان المزروع	٤٤
٣	دور الشافعيّة في الحياة الفكرية في مصر الطولونية (٢٥٤ ـ ٢٩٢هـ / ٨٦٨ ـ ٩٠٥م)	د/ هبة عبد المقصود مرسي	٨٥
٤	المرأة الجميلة عند المسلمين ابن عبد ربه (٣٢٨ هـ / ٩٤٠م) أنموذجاً	د. محمد فهمي امبابي	١١٢
٥	الدور السياسي والحضاري لمدينة إسبيجاب منذ العصر الساماني حتى الغزو المغولي (٢٦١- ٦١٧هـ/ ٨٧٤- ١٢٢٠م)	د. هنية بهنوس نصر عبد ربه	١٤٥
٦	أتابكة الشبنكاره في شرق فَارِس ٤٤٨-٧٥٦هـ/١٠٥٦-١٣٥٤م	أ.م.د/ الشيماء سيد كامل محمد	٢٠٨
٧	العلاقات الإنجليزية – الفلمنكية (إدوارد الثالث وجاك فان أرتفيلد)	د. هشام على الحسيني	٢٦٢

٨	بنو المزلّق: أسرة من أعيان دمشق خلال القرن التاسع الهجري	د. إبراهيم محمد حامد سليمان	٣١٤
٩	أرضيات المسجد الحرام (٩٢٣ - ١٤٢٦هـ / ١٥١٧- ٢٠٠٥م) دراسة تاريخية	د. فهد بن عتيق الشبان المالكي	٣٥٦
١٠	موقف الحكومة الإيطالية من حرب يونيو ١٩٦٧	د. شريف محمد أحمد عبد الجواد	٤٢٢
١١	دور المرأة التعليمي في عهد الملك خالد بن عبد العزيز ١٣٩٥-١٤٠٢هـ/١٩٧٥-١٩٨١م	د. أحلام علي أحمد أبو قايد	٤٦٢
١٢	الثورة الإيرانية وأثرها في العلاقات الأمريكية السوفيتية نوفمبر ١٩٧٨- يناير ١٩٧٩ (دراسة وثائقية)	د. أحمد محمد عبد المعز	٤٨٨

كلمة الافتتاح

أ.د.محمد عيسى الحريـــري
رئيس اتحاد المؤرخين العرب

يسعد اتحاد المؤرخين العرب أن يقدم لأعضائه وجميع الباحثين في علم التاريخ عدده الجديد (السابع والعشرون) من مجلة المؤرخ العربي التي يصدرها الاتحاد كل عام ويحرص الاتحاد دائما على الالتزام بمنظومة الحريات الأساسية في الفكر والرأي، مع الاحترام لحقوق الإنسان وبخاصة المرأة والطفل.

ويحتوي هذا العدد الجديد من مجلة المؤرخ العربي على مجموعة متنوعة من الدراسات التاريخية الجديدة تعرض موضوعات في مجالات التاريخ الوسيط والإسلامي والحديث، كتبها مجموعة من صفوة الباحثين في التاريخ من مختلف الجامعات العربية والمصرية، بهدف إستشراق آفاق جديدة لتاريخ العرب عبر العصور.

وقد خضعت هذه البحوث المتميزة للتحكيم الموضوعى والدقيق من أعلام مؤرخي مصر والعالم العربي، فهم أعلام في تخصصاتهم المختلفة حتى يتسنى لنا خروجها للنور على صورتها الحالية.

ومن المؤكد أن هذا العدد من مجلة المؤرخ العربي بعد خروجه للنور بمحتواه بهذا العدد المتميز من الموضوعات المتنوعة سيكون إضافة جديدة للمكتبة التاريخية، نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها، وأن تكون في ميزان حسنات من كتبوها.

والله من وراء القصد إنه نعم المولى ونعم النصير

كلمة التحرير

السادة الزملاء أعضاء اتحاد المؤرخين العرب.. يسر إدارة الاتحاد بمناسبة صدور العدد السابع والعشرون أن ينهي لجميع الزملاء ما تم خلال العام من أنشطة ثقافية، والمجلة أصبحت تصدر في جزئين:

الجزء الأول خاص بالأبحاث التي ألقيت في الندوة السنوية بعد تحكيمها، وتناول دراسات منوعة عن مدن العالم العربي والإسلامي.

فمن مدن الأندلس وحضارتها إلى بلدان المغرب القديم بثقافتها وعمارتها إلى عمان واليمن ثم المدن الزاهرة بالعلم والفنون في مصر والشام، عبر العصور التاريخية المختلفة من القدم إلى المعاصرة.

والجزء الثاني من المجلة يتناول أبحاث تعددت موضوعاتها، دور المرأة في التاريخ الوسيط والحديث، تم تأثير الحضارة الإسلامية في الأندلس على العرب والدور السياسي لبعض الأمر العربية ذات الثقل السياسي والحضاري، وأبحاث عن مكانة المدينة العربية الحضارية والبعض عن المذاهب الدينية كبحث المذهب الشافعي وتأثيره في الحياة الفكرية وأبحاث تناولت تاريخ الغربي الأوربي كذلك كان للتاريخ الحديث نصيبه من الدراسة الجادة كالعرض للموقف الايطالي من حرب يونيو ١٩٦٧، والثورة الإيرانية وأثرها على العلاقات الأمريكية والسوفيتية، فالأبحاث تعد موسوعة شاملة لكل عصور التاريخ.

ولقد حرص الاتحاد إلا يقتصر النشاط على الندوة السنوية فهناك الندوات الشهرية التي شارك فيها كبار الأساتذة وشباب الباحثين والتي حظيت بجمهور كبير من المؤرخين شاركوا في المناقشات بمداخلهم القيمة، ولقد تم تجميع الملخصات الخاصة بالأبحاث التي ألقيت في تلك

الندوات وستصدر في مجلد خاص ليكون الأعضاء جميعهم على اطلاع على مضمون تلك الندوات، ونأمل مستقبلا في مشاركة جميع الزملاء في تلك الندوات، فيما يتعلق بالمكتبة الخاصة بالاتحاد فقد تم قبول مكتبات مهداه من عدد من الأساتذة وتم تصنيفها وفهرستها ونأمل ممن يرغب في إهداء مؤلفاته أن يرسلها إلى الاتحاد ليتم إضافتها لرصيد المكتبة، كذلك نأمل أن تكون إدارة الاتحاد عند حسن ظن الأعضاء ونستطيع أن نقدم كل عام الجديد لخدمة العلم والثقافة.

وفي الختام نأمل أن نتلقى آرائكم ومقترحاتكم لإثراء المجلة .

والله ولي التوفيق،،،

هيئة التحرير

أ.د. حامد زيان غانم

أ.د. عفاف سيد صبرة

أ.د. عفيفي محمود إبراهيم

رئيس التحرير

أ.د. زبيدة محمد عطا

السادة أعضاء مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب

م	الاسم	الجنسية	الوظيفة
١	أ.د.محمد عيسى الحريري	مصرى	رئيس اتحاد المؤرخين العرب – بالقاهرة الأستاذ بكلية الآداب - جامعة المنصورة
٢	أ.د.اسماعيل بن محمد البشرى	سعودى	نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب - بالقاهرة مدير جامعة الجوف
٣	أ.د.عفيفي محمود إبراهيم	مصرى	أمين عام اتحاد المؤرخين العرب- بالقاهرة أستاذ بكلية الآداب – جامعة بنها
٤	أ.د. حامد زيان غانم	مصرى	أمين الصندوق باتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة
٥	أ.د.زبيدة محمد عطا	مصرى	مسئولة النشاط الثقافي باتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الآداب - جامعة حلوان
٦	أ.د.أحمد بن عمر الزيلعي	سعودى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية السياحة والآثار جامعة الملك سعود
٧	أ.د.عفاف سيد محمد صبرة	مصرية	مسئولة العلاقات العامة باتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الدراسات الإنسانية -جامعة الأزهر
٨	أ.د.إبراهيم بن محمد المريني	سعودى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض
٩	أ.د.رأفت غنيمي الشيخ	مصرى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الآداب - جامعة الزقازيق
١٠	أ.د.على منصور آل شهاب	بحريني	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب نائب رئيس جامعة البحرين
١١	أ.د.أشرف محمد مؤنس	مصرى	مسئول المكتبات باتحاد المؤرخين العرب مدير مركز بحوث الشرق الأوسط- جامعة عين شمس
١٢	أ.د.نبيلة عبدالشكور	جزائرية	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بجامعة الجزائر ٢ .
١٣	أ.د.حياة ناصر سالم الحجي	كويتية	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الآداب – جامعة الكويت
١٤	أ.د.محمد بهجت القبيسى	سورى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ محاضر بجامعة حلب– سابقا

السادة الأساتذة المحكمون

م	الاســـم	الوظيفـــة
١	أ.د.محمد عيسى الحريـري	رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة الأستاذ بكلية الآداب - جامعة المنصـورة
٢	أ.د.عفيفي محمود إبراهيم	أمين عام اتحاد المؤرخين العرب بالقاهـرة أستـاذ بكليـة الآداب – جامعـة بنهـا
٣	أ.د.حـامـد زيـان غانـم	أمين عام الصندوق باتحاد المؤرخين العـرب أستـاذ بكلية الآداب - جامعة القاهـرة
٤	أ.د.زبيـدة محمد عطـا	مسئولة النشاط الثقافى باتحاد المؤرخين العرب أستـاذ بكلية الآداب - جامعة حلـوان
٥	أ.د.عفاف سيد محمد صبـرة	مسئولة العلاقات العامة باتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر
٦	أ.د.أشرف محمد مؤنـس	مسئول المكتبات باتحاد المؤرخين العرب مدير مركز بحوث الشرق الأوسط- جامعة عين شمس
٧	أ.د. رأفت غنيمي الشيخ	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستـاذ بكلية الآداب - جامعة الزقازيق
٨	أ.د.إيمان محمد عبدالمنعم عامر	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهـرة أستـاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة
٩	أ.د. محمد أحمد بديـوى	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهـرة أستـاذ بكلية الآداب - جامعة أسيوط